

اخترنا لك ٨٣

تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم

الجزء الأول

بقلم محمد عزة دروزة

اخترنا لك ٨٢

تاريخ بني اسرائيل

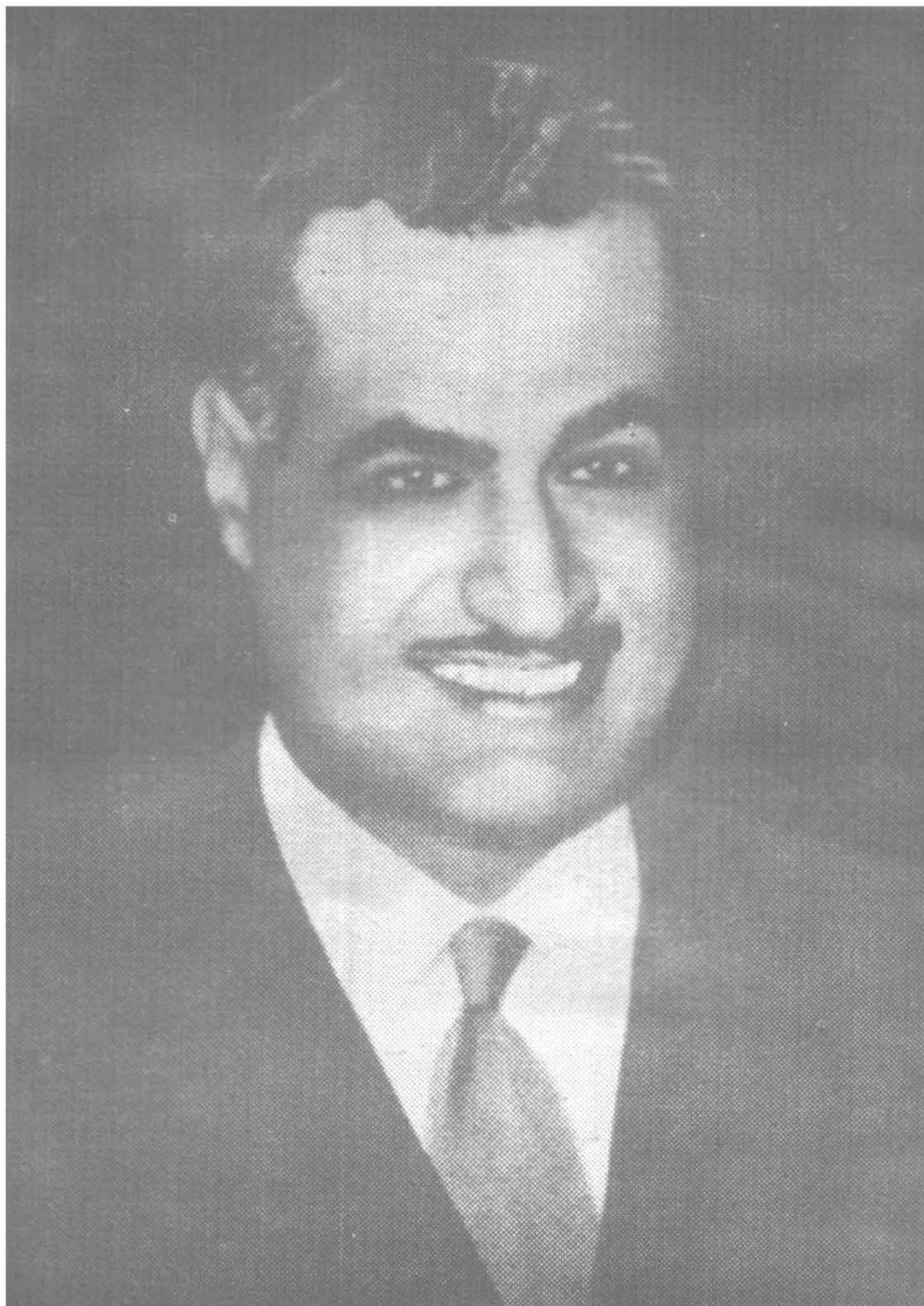
من أسفارهم

بقلم

محمد عزة دروزة

الجزء الأول

مطابع شركة الاعلانات الشرقية



الرئيس جمال عبد الناصر

مقدمـــة

يندهش الذى يقرأ تاريخ بنى اسرائيل فى أسفار العهد القديم ــ التى يقدسها اليهود ، والتى دونت فى ظروف مقاربة من أحداث هذا التاريخ وتعد بسبب ذلك من أوثق مصادره ــ من الدعوى البالغة فى الكذب والوقاحة أبعد مبلغ والتى يدعيها يهود اليوم بأمجاد اليهود التاريخية فى فلسطين ، لأنه يستبين من نصوص هذه الأسفار أنه ليس لبنى اسرائيل فى فلسطين أمجاد تاريخيـة تتحمل فخرا واعتزازا الا اذا كان الكذب والاحتيال والفسـق والفجور وسفك دماء الغير ونهب أموالهم والعدوان على حرياتهم وحرمانهم بأسلوب بالغ فى الوحشـــية والشره ، والانحرافات الدينية والخلقية والاجتماعية والشقاق والنزاع فيما بين طوائفهم والرضوخ والخنوع للغزاة يمكن أن يعد من الأمجاد وهو مـا تمتلىء به هذه الاسفار اليهودية المقدسة عندهم .

والأسفار التى ذكرت انتصاراتهم فى شرق الاردن وغربـه تحت قيادة موسى أولا ويشوع ثانيا وسجلت فتحهم البـــلاد امتلأت بالمبالغات والتهويلات والمتناقضات وكانت مع ذلك تقرر أن هذه الانتصارات لم يحرزها بنو اسرائيل بشجاعتهم ومزاياهم

وانما كانت معجزات ربانية . حيث كان الرب يحارب عنهم ، وأنهم كانوا جبناء أشد الجبن يرتعدون ويتذمرون وتذوب قلوبهم عند أى صعوبة وقوة أو مشقة اذا لم تسدهم تلك المعجزات ويتطاولون على الله بالمن واللوم والعتاب برغم ما كانت الأسفار تذكــره من كثرة عددهم ومحاربيهم •

يضاف الى هذا أنهم حينما كانوا يحملون اسم العبرانيين وطرأوا على فلسطين كانوا شرذمة قليلة او بكلمة أخرى أسرة واحدة ثم عاشوا عيشة البدو ، وحينما عادوا الى فلسطين من مصر بقيادة موسى لم ينشئوا شيئا هاما من المدن والقرى وانما عاشوا على ما كان فيها من عمران ضخم كنعانى وآمورى ، ولم يكن لهم شيء من المميزات والمقاومة فلم يلبثوا أن أهملوا ميزتهم الوحيدة وهى التوحيد . وخضعوا لتأثير من كان فى فلسطين من الشعوب اجتماعيا ودينيا ومدنيا وظل هذا ديدنهم ، حتى أن ملكيهما الأعظمين داود وسليمان وحقبتهما وهو كل ما يستطيع اليهود أن يذكروه بشيء من الاعتزاز لم يستطيعا ان يتخلصا من هذه الظاهرة •

ولم تخلص فلسطين لهم فى آى ظرف حيث ظل سكانها القدماء من كنعانيين وآموريين وفلسطينيين وغيرهم فيها وحيث كانوا فى أحيان كثيرة يشتبكون معهم فى نضال وينتصرون عليهم ،

وحيث ظلوا بعد اجلاء بنى اسرائيل المرة بعد المرة فيها كأصحاب البلاد الأصليين •

وقد كان بنو اسرائيل الى هذا فى معظم تاريخهم فى فلسطين عرضة لغزوات الغزاة الذين كانوا يغيرون عليهم من مصر حينا ومن سورية حينا ومن شرق الأردن حينا ومن العراق حينا ومن أوروبا ـ اليونان والرومان ـ أخيرا ، والذين كانوا ينجحون فى اخضاعهم لغيرهم والتنكيل بهم كلما حدثتهم أنفسهم بالمغامرة والشغب واجلائهم واسكان غيرهم مكانهم . ثم قوض الرومان كيانهم ففر معظمهم من فلسطين نهائيا بعد تاريخ ملؤد تلك السوءات الاخلاقية والدينية والاجتماعية التى ندد بها أنبياء بنى اسرائيل وصبوا على قومهم بسببها اللعنات •

وقد خلا تاريخهم من أى مجد عمرانى وسياسى وعسكرى لامع ولم يكادوا يتركون فى فلسطين بعد تشردهم النهائى عنها أثرا ما • ثم تشتتوا فى أنحاء الارض واندمج كثير منهم فى النصرانية والاسلام والعروبة واختلطت دماؤهم ودماء من بقى على اليهودية منهم بدماء الأقوام التى عاشوا بينها الى الآن بحيث يصح أن يقال ان الدم الاسرائيلى القديم قد باد أو كاد وان اليهود اليوم ليسوا الا جماعة دينية تضم شتى الأجناس واللغات والدماء ، وأن دعوى صلة اليهود اليوم ببنى اسرائيل وتاريخهم على ما فى هذا التاريخ من سوءات زائفة كل الزيف • وهذا

بالاضافة الى الكتل الكبيرة منهم التى ظلت فى منفاها قبل التشرد النهائى فى مملكتى أشور وبابل واندمجت فى أهل البلاد التى عاشت فيها دما ودينا ، حتى ان العائدين من المنفى كانوا أقلية بالنسبة للمتخلفين .

ويلمح فى كثير من نصوص الأسفار أثر تعصب شديد وأنانية قوية وأفق ضيق ظل يبدو منهم ويسيطر على سيرتهم سواء فى معاملتهم لغيرهم أو فيماكانوا يزعمونه لأنفسهم من اختصاصات وامتيازات . ومن هذا الباب تسجيلهم عن لسان الله انتقال ارث وبركة ابراهيم الى اسحق دون اسماعيل بكره وأولاده الآخرين ثم انتقال ارث وبركة اسحق الى يعقوب أبيهم الأكبر دون عيسو بكره كذلك وكون جميع الشعوب عبيدا لهم سخرها الله لخدمتهم وكونهم شعب الله المقدس المختص بعنايته وتأييده بل وعبادته دون غيرهم من الشعوب ، وكونه جعلهم أصحاب الحق الأبدى المطلق فى أرض كنعان التى كانت حدودها تتطور حسب ظروفهم فتكون حينا غرب الأردن او قسما منه وحينا تمتد الى شرقه وغربه معا وحينا تمتد من النيل الى الفرات ، وباباحته لهم بل بشرعه لهم وأمرهم — تعالى وتقدس — بأن يبيدوا جميع سكان أرض كنعان من نساء وأطفال وشيوخ ورجال وأحيانا جميع ما فيها من دواب وبهائم وبأن يحرقوا مساكنها ، وبحظر قطع أى عهد أمان لأى كان من سكان أرض كنعان أو

ابقائهم بين ظهرانيهم حتى لقد سجلوا سخطه عليهم لأنهم خالفوه فى بعض المرات فى عملية الابادة كما سجلوا سخط موسى على مثل ذلك (١) وسجلوا أقوالا عن لسان الرب بأنه يغفر لهم ما يقترفونه من آثام وارتكسوا فيه من انحرافات دينية وخلقية (٢) وانه اذا غضب عليهم وعرضهم للاذى بسبب هذه الانحرافات فيكــون ذلك على سبيل التأديب ثم لا يلبث أن يندم على ما فعل ويعــود الى انقاذهم وتأييدهم مما فيه غلو عجيب متناقض مع جــلال الله وعدله ورحمته ، ومما هو من دلائل المآخذ والشوائب التى ألمت بالأسفار ، ومما كان منشؤه على الأغلب ما قاسوه فى مصر من ذل واضطهاد ظل مكبوتا وأوجد فيهم عقدة نفسية ، كان ما سجلوه من أمثال هذه النصوص وماقترفوه من جرائم ابادة بالغة القسوة مع من قدروا عليه من أهل شرق الاردن وغربه كــرد فعل لها .

ولقد لازمتهم هذه العقدة طيلة تاريخهم القديم فى فلســطين وكانت الناظمة لسيرتهم وصلاتهم مع مختلف الشعــوب التى احتكوا بها أو عاشوا معها ؛ وكانت بدورها سببا لانحرافاتهــم المستمرة الخلقية والدينية ولما لقوه من هذه الشعوب من مناوأة

---

(١) أنظر مثلا الاصحاح ٣٢ من سفر الخروج والاصحاحين ٧ و٢٠ من سفر التثنية والاصحاح ٣١ من سفر العدد .

(٢) أنظر مثلا الاصحاح ١٤ من سفر العدد .

ومناهضة جماعية ، ولما عاملهم به من قدرعليهم من قسوة وتنكيل وتشريد على ما سوف نفصله بعد ، لانها كانت تحول دائما بينهم وبين أى تحسس بعاطفة الاخلاص والأمانة وصدق التعامـــل والتوافق مع الغير فلم يكن لهم عند القادر غير ذلك علاجا .

ثم ظلت تلازمهم وتنظم سيرتهم وصلاتهم مع مختلف الشعوب التى احتكوا بها أو عاشوا معها بعد تشردهم من فلسطين وتشتتهم تحت كل كوكب خلال ألفى عام ، وسرت الى من اعتنـــق دينهم من غير جنسهم ايضا لأن دعائمها مسجلة فى الأسفار التى يقدسها اليهود من اسرائيليين وغير اسرائيليين فاســتمروا يرتكسون فى الانحرافات الخلقية والدينية ، وبقوا غرباء تجاه تلك الشــعوب وتعاملوا معها فى نفاقها ، وتعرضوا لاضطهاد جميع الشـــعوب وكراهيتهم بسببها ، وظل أثر الاضطهاد والكراهية والعقـــدة النفسية مكبوتا فى صدورهم جيلا بعد جيل حتى وجد من جديد مجال رد الفعل والانفجار فى فلسطين فكان منهم ما كان مـــن وحشية القمع والفتك والتدمير والتخريب واستحلال كل شىء والشره الى كل شىء ، وكانوا بذلك ولن يزالوا شاذين بسبب هذه العقدة اللعينة عن جميع شعوب الأرض فى مختلف الأزمنة والأمكنة .

كل هذا يستبينه المرء الذى يقرأ تاريخ بنى اسرائيل مـــن أسفارهم فيندهش أشد دهشة من وقاحة دعوى اليهود وأكاذيبهم

البالغة ، ثم تزداد دهشته من استطاعتهم تضليل العالم عن تاريخهم وأمجادهم وصلتهم الدموية ببنى اسرائيل بما أحكموه من دعاية كاذبة تتخذ كل وسيلة مهما كانت ، ومما يصدق عليه قول من قال « يكذب الكاذب ثم يكذب ثم يكذب حتى يخيل اليه أنه صادق وأن الناس مصدقوه» هذا برغم انتشار وتداول أسفار العهد القديم بالملايين فى كل بقعة من بقاع الأرض وبكل لغة من لغات الشعوب تقريبا . ذلك لأن أسلوب هذه الأسفار التى تنطوى فيها تلك الحقائق العجيبة المدهشة لا يسيغه معظم الناس ولا يساعد على تجميع تلك الحقائق وابرازها فى نسق تاريخى .

لذلك كان من الضرورى جدا تجلية هذه الحقائق بأسلوب تاريخى مستساغ ولقد كتب المطران الدبس مجلدا ضخما عنوانه مقالة فى العبرانيين طبع فى أواخر القرن الفائت استند مؤلفه الى الأسفار فى الدرجة الأولى . غير أنه كتب بروح وأسلوب ليس من شأنهما ابراز تلك الحقائق بالصورة التى قصدناها فلم يكن فيه غناء ولقد كتب كتاب عديدون من العرب رسائل مستندة الى الأسفار نبهوا فيها على ما احتوته من انحرافات بنى اسرائيل الدينية والخلقية فى مختلف حقب تاريخهم غير أن الذى اطلعنا عليه منها لم يكن فى نسق تاريخى شامل واف . فرأينا أن نسد هذا الفراغ بكتابنا هذا الذى حرصنا على أن يكون فى نسق تاريخى متسلسل منذ بدء تاريخ بني

اسرائيل فى فلسطين الى يوم تشريدهم منها التشريد الأخير فى عهد الحكم الرومانى فى القرن الثانى بعد الميلاد المسيحى مع نبذة خاطفة عن تاريخهم فى بلاد العرب الى البعثة الاسلامية ، مما نرجو ان يكون فيه خدمة للتاريخ والمكتبة العربية وخاصة الناشئة العربية ، لتقف منه على حقائق تاريخ بنى اسرائيل وقد ابتلى وطنهم العزيز بشرذمة تدعى الانتساب اليهم وصار معها شأن أى شأن قد يطول أمدا طويلا .

وننبه على أمر مهم وهو أن الكتاب لم يقتصر على ابراز حقائق سوءات تاريخ بنى اسرائيل القديم بل هو سلسلة تامة لهذا التاريخ ايضا مما هو فى حد ذاته مفيد للقارىء العربى لأننا لم نطلع على كتاب شامل لهذا التاريخ باللغة العربية وقد استعنا بمراجع عديدة بالاضافة الى الأسفار ليأتى الكتاب وافيا وثيقا ان شاء الله .

ومنه نسأل العون والتوفيق .

المؤلف

تعريف بالاسفار

ان أسفار العهد القديم التى ستكون مستند هـذا الكتاب تسعة وثلاثون حسب النسخة البروتستانتية وستةواربعون حسب النسخة الكاثوليكية • والخمسة الاولى منها أى التكويـن والخروج واللاويين والعدد والتثنية منسوبة الى موسى الذى يرجح أنه عاش فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد • ويأتى بعدها فى النسخة البروتستانتية أسفار يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الأول وصموئيل الثانى والملوك الأول والملوك الثانى وأخبار الأيام الاول وأخبار الايام الثانى وعزرا ونحميا وأستير وأيوب والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد وأشعيا وأرميا ومراثى أرميا وحزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجى وزكريا وملاخى • والزوائد فى النسخة الكاثوليكية هى سفر طوبيا ويهوديت بعد سفر نحميا وسفرا الحكمة ويسوع بن سيراخ بعد سفر نشيد الانشاد وسفر باروك بعد سفر مراثى أرميا وسفرا المكابيين الأول والثانى بعد سفر ملاخى • وتسمى هذه النسخة سفر اللاويين بسفر الأحبار وتجعل أسفار الملوك أربعة وأولها وثانيها بدلا من سفرى صموئيل الأول والثانى •

والأسفار اجمالا تتسم بالسمة الدينية . ومنها ما هو تاريخى فى الدرجة الأولى مثل أسفار التكوين والخروج والعدد ويشوع والقضاة وصمويل والملوك وأخبار الأيام وأستير وعزرا ونحميا ودانيال وأرميا وراعوث ويهوديت وطوبيا والمكابيين والثلاثة الأخيرة من زوائد النسخة الكاثوليكية وهى تربط بين سيرة ووقائع بنى اسرائيل بل آبائهم وبين سلوكهم الدينى بحيث انها تجعل ما وقع عليهم من محن وشدائد ومصائب وما تيسر لهم من نصر ونجاح واستواء حال منوطا بهذا السلوك فى حالتى الاصلاح والانحراف الدينى . ومنها ما هو أخلاقى وتشريعى وحكم ومواعظ ومراثى وانذار وتنبؤات وتسبيحات وتمجيدات وهى أسفار اللاويين والمزامير والأمثال والجامعة ونشيد الانشاد والحكمة ـ وهذا من زوائد النسخة الكاثوليكية ـ وأشعيا ومراثى أرميا وباروك ـ وهذا من تلك الزوائد ـ وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجى وزكريا وملاخى . وهى مع ذلك تمثل ناحية هامة من تاريخ وحياة بنى اسرائيل الدينية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية . وهناك سفران لا يبدو لهما صلة ببنى اسرائيل وهما سفر أيوب الذى يستفاد من عبارته أنه من بنى عيسو ، وسفر يونان الذى يستفاد من عبارته انه نبى مرسل الى نينوى ، وهو النبى يونس المذكور فى القرآن على ما تفيده المقابلة بين محتواه وقصته فى القرآن .

وآيوب هو أيوب المذكور فى القرآن ويحتوى سفره قصة مقاربة لما ألمع اليها القرآن كذلك . وهناك سفر مغفل السمة وهو سفر يسوع بن سيراخ الذى هو من زوائد النسخة الكاثوليكية وهو تشريعى وأخلاقى •

ومن الأسفار ما هو طويل تزيد صفحاته على المائة ، ومنها ما هو قصير أو قصير جدا •

وقد احتوى سفر التكوين قصة الخليقة وطوفان نوح ومواليده ثم قصة نزوح ابراهيم الى أرض كنعان وذريته فيها ثم فى مصر الى نهاية حياة يوسف • واحتوت أسفار الخروج والعدد قصة ظهور موسى ومعجزاته وخروجه مع بنى اسرائيل وطروئهم على شرق الأردن • واحتوت أسفار يشوع والقضاة وصمويل والملوك وأخبار الايام قصة بنى اسرائيل الى ما قبل السبى الذى وقع فى الثلث الأول من القرن السادس قبل الميلاد • واحتوت أسفار استير وعزرا ونحميا ودانيال وأرميا ويهوديت وطوبيا والمكابيين قصتهم أثناء السبى وبعده •

ومن الأسفار الأخلاقية والتشريعية والتقديسية والتنبؤات والمراثى والرؤى ما هو متصل بحقبة بنى اسرائيل وحالتهم قبل السبى ومنها ما هو عائد الى حقبة بنى اسرائيل أثناء السبى وبعده والأولى هى أسفار أشعيا وأرميا وهوشع ودانيال وعاموس وصفنيا • وبقيتها عائدة الى حقبة السبى وبعده •

ونبه على أن سفر التكوين الذى هو من الأسفار الخمسة المنسوبة الى موسى لا يحتوى أى عبارة تشير الى علاقة موسى به رواية أو تدوينا خلافا للاسفار الاربعة الأخرى أى الخروج والأحبار والعدد والتثنية • والى هذا فان فى الأسفار الخمسة عبارات كثيرة قد تدل على أن هذه الأسفار لم تكتب من قبل موسى ولا باملائه ولا فى حياته وانما كتبت بعده وبأقلام كتاب عديدين وفى أزمنة مختلفة وقد تكون كتبت بعده بمدة طويلة بل قد تكون كتبت او أعيدت كتابتها بعد سبى بنى اسرائيل من أورشليم ـ القدس ـ وعودتهم من السبى فى القرن السادس قبل الميلاد •

ففى كل من سفر العدد والأحبار (اللاويين) والتثنية شؤون وأحداث ووصايا وتشريعات متنوعة مذكورة بصيغ مختلفة وزيادة ونقص فى سفر الخروج السابق عليها فى الترتيب • وفى سفر التثنية شؤون وأحداث ووصايا وتشريعات مذكورة بصيغ مختلفة وزيادة ونقص فى أسفار الخروج والعدد والأحبار السابقة عليه • وفى كل من الأسفار الاربعة اشارات الى ما سوف يحل ببنى اسرائيل من مصائب وشدائد واجلاء عن أرض كنعان وعودة لها فى سياق الترغيب فى اتباع وصايا الرب ورسومه والانذار فى حالة مخالفتها مما لا يعقل أن يكون الا فى حالة تعدد الكتاب واختلاف الاوقات واستقاء الكتاب من مصادر مختلفة

بينها بعض التطابق وبعض التخالف كما هو المعتاد ، ومما يلمح فيه كذلك أثر واقع بنى اسرائيل وسيرتهم بعد طروئهم على أرض كنعان ـ أى غرب الاردن او فلسطين ـ وهو ما وقع بعد موسى ومالم يذكر وقوعه فى الأسفار الخمسة ومالا يعقل أن يرد فيها تلك الاشارات اليه الا بعد وقوعه . وفى آخر اصحاحات سفر التثنية ذكرت موت موسى ودفنه فى الوادى فى أرض مؤاب ثم قيل : «ولم يعرف قبره الى يومنا هذا» والعبارة تفيد ان كتابتها وبالتالى كتابة الاصحاح ثم كتابة السفر انما كانت بعد مدة طويلة جدا من موت موسى .

وما قلناه عن الأسفار الخمسة يصح أن يقال بالنسبة لمعظم الأسفار التى تحتوى أحداث ما قبل السبى وخاصة التاريخية منها التى لا تتسمى بأسماء شخصية ، أى أنها أو أيا منها ما كتب الا بعد الأحداث التى ذكرت فيها بمدة طويلة أو بعد السبى وأنها بأقلام عديدة وفى أوقات مختلفة وأن كتابها استقوا من مصادر مختلفة بينها بعض التطابق والتخالف كذلك .

فسفرا أخبار الأيام الأول والثانى مثلا اللذان يجيئان فى الترتيب بعد أسفار صموئيل والملوك قد احتويا كثيرا مما احتوت هذه الأسفار بشىء من الزيادة والنقص بل احتويا بعض ما ذكرته أسفار التكوين والخروج والعدد . ففى الاصحاح الثالث من سفر أخبار الأيام الأول مثلا سلسلة أسماء ملوك يهوذا الى

آخر صدقيا الذى قتله نبوخذ نصر وقضى على دولته نهائيا ، وفى الاصحاح التاسع منه هذه الجملة «وسبى يهوذا الى بابل لأجل خيانتهم» وفى الاصحاح السادس والثلاثين من سفر أخبار الأيام الثانى هذه الجملة «وفى السنة الأولى لكورش ملك فارس نبه الرب روح وركش فأطلق نداء فى كل مملكته قائلا : ان الرب أعطانى جميع ممالك الأرض وأوصانى أن أبنى له بيتا فى أورشليم التى فى يهوذا فمن منكم من جميع شعبه فليصعد والرب معه» مما فيه دلالة قاطعة على أن السفر الأول كتب على الأقل فى نهاية دولة يهوذا وعلى أن السفر الثانى كتب حتما بعد السبى . وسفر الملوك الثانى يذكر ملوك دولتى اسرائيل ويهوذا الى نهايتهما بما فى ذلك نسف نبوخذنصر لدولة يهوذا ، وسبى اليهود الى بابل ويذكر بعض أحداث جرت بعد السبى او عقبه مما فيه دلالة قاطعة على أنه كتب بعد نهاية دولة يهوذا فضلا عن احتمال كتابته بعد السبى وهو ما نرجحه . ولما كان هذا السفر هو استمرار لسيرة ملوك دولتى يهوذا واسرائيل التى بدىء بها فى السفر الأول فالكلام المذكور ينسحب على هذا السفر ايضا كما هو المتبادر . وفى الاصحاح الخامس والاربعين من سفر أشعيا الذى عاش فى عهد ملوك يهوذا يونام وحزقيا وعزيا وآخاز ورد اسم كورش وتغلبه مما يدل على أنه كتب بعد السبى وقد ورد فيه هذه العبارة « اخرجوا من بابل واهربوا من أرض الكلدانيين » مما

فيه تأييد لذلك . ولا تخلو أسفار أخرى من التى تتكلم عن ما قبل السبى من دلائل وقرائن مماثلة تسوغ القول أنها كتبت بعد السبى .

غير أن هناك ما يدل على أن كثيرا من محتويات الأسفار التى تتكلم عن حقبة ما قبل السبى والتى تدل عباراتها على أنها كتبت بعد السبى قد نقلت من مدونات تاريخية يهودية غير موجودة بين الأسفار المتداولة ففى الاصحاح الثانى عشر من سفر أخبار الأيام الاول مثلا هذه الجملة « وأمور رحبعام الاولى والأخيرة أما هى مكتوبة فى أخبار شمعيا النبى وعدو الرائى » وفى الاصحاح العاشر من سفر يشوع هذه الجملة « فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه . أليس هذا مكتوبا فى سفر ياشر » وليس هناك أسفار باسم أسفار شمعيا النبى وعدو الرائى وياشر . وفى سفر الملوك الأول الذى يقابله فى النسخة الكاثوليكية سفر الملوك الثالث هذه الجملة « وأمور سليمان وكل ما صنع وحكمته » أما هى فى سفر أمور سليمان . وليس بين الأسفار المتداولة سفر بهذا الاسم . وفى الاصحاح التاسع من أخبار الأيام الثانى هذه الجملة « وبقية أخبار سليمان الأولى والأخيرة مكتوبة فى كلام ناثان النبى ونبوة أحيا الشيلونى وفى رؤى معدو الرائى » وليس بين الأسفار المتداولة أسفار بهذه الأسماء . وفى الاصحاح السابع والعشرين من سفر أخبار الأيام

الاول هذه الجملة «ولم يدون العدد فى سفر اخبار الأيام للملك داود» حيث تفيد انه كان لداود ايضا سفر اخبـــار وليس بين الأسفار المتداولة مثل هذا السفر • وكثيرا ما جاء فى أسفار الملوك هذه الجملة « وبقية أمور الملك فلان •• أما هى مكتوبة فى سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا أو لملوك اسرائيل» وليس بين الأسفار ما يحمل هذه العناوين • وليس فى أسفار أخبار الأيام المتداولة شىء مما أريد ارجاع الكلام اليه • والعبارة قد تفيد انه كان لكل من ملوك اسرائيل ويهوذا ــ دولتى اليهود بعد سليمان ــ أسفار باسم أسفار ملوك اسرائيل وأسفار ملوك يهوذا وأخبار الأيام لملوك اسرائيل وأخبار الأيام لملوك يهوذا • ففى هذا وأمثالــه دلائل على أن كثيرا مما احتوته أسفار العهد القديم التى يرجع تدوينها بصيغتها الحاضرة بعد السبى منقول عن أصول مدونــة قبلها كان أحبار اليهود يحتفظون بها ثم فقدت •

فهذه الأمثلة قد تسوغ القول : ان أحداث موسى وما بعده قد دونت فى ظروف مقاربة لحدوثها ويصح أن تكون محل اعتماد مع التحفظ بسبب ما فى الأسفار من غلو ومناقضات ومفــارقات كثيرة سوف ننبه عليها فى مناسباتها ؛ ولا سيما أن هناك نقوشاً مصرية وآشورية وأردنية تتطابق مع بعض ما ورد فى الأســفار التى احتوت أحداث ما قبل السبى من جهة ، وأن ما ذكرتــه هذه الأسفار من أعلام وأسماء وجزئيات لا يعقل أن يكون من

نسج الخيال من جهة أخرى • وكل ما يمكن أن يكون أن تداول الروايات شفويا ردحا من الزمن والخيال والتعصب وظروف التدوين قد كان ذا تأثير قوى فأدى ذلك الى ما أشرنا اليه من مناقضات ومفارقات وغلو •

وهذا الذى نقوله يمكن أن يقال بالنسبة لما احتواه سفر التكوين وخاصة من عهد ابراهيم وتاريخه وتاريخ ذريته والذى كان التحفظ ازاءه أوجب بسبب قدمه وعدم وجود مستندات أخرى تؤيد ما جاء فيه من ذلك تأييدا حاسما •

فاستمر تداول اسم ابراهيم وذريته وسكناهم فى أرض كنعان وانتشار بعضهم فى شرق الأردن ونزوح يعقوب وأسرته الى مصر واتصال ذلك بوقائع خروج بنى اسرائيل بقيادة موسى من مصر ووقائع طروئهم على شرق الأردن وغربه مما يسوغ القول أن ما احتواه هذا السفر من تاريخ ابراهيم ويعقوب وذريتهما وما كان من أحداث وأعلام فى شرق الأردن وغربه لا يخلو من حقيقة وأن الأحداث والأعلام والجزئيات لا يعقل أن تكون من نسج الخيال ؛ ولاسيما أن من ذلك ما هو متطابق مع الواقع اليقينى المستمر فى شرق الأردن وغربه على ما سوف نشرحه بعد • وكل ما يمكن هو أن معظم ماجاء فيه من ذلك كان مما تداولته الروايات جيلا بعد جيل أمدا طويلاوتعرض بسبب ذلك ثم بسبب ظروف التدوين والتعصب للزيادة والنقص والغلو والمفارقات والمناقضات

وليست المفارقات والغلو والخيال منحصرة فى الأسفار التى تحتوى أحداث ما قبل السبى ، فان فى الأســفار التى تحتوى أحداث السبى وما بعده كثيرا من ذلك أيضا ، مما يسوغ القول أنها دونت بعد معظم الأحداث التى ذكرتها فاختلطت الحقائق فيها بالمفارقات والغلو والخيال .

تاريخ ابراهيم واسحق ويعقوب

- ١ -

ان بنى اسرائيل ينتسبون الى يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فمن المقتضى أن نقول كلمة فى تاريخهم أولا .

ولقد حكت بعض اصحاحات سفر التكوين قصة نزوح ابراهيم الى أرض كنعان ــ فلسطين ــ بأسلوب يكتنفه شىء من الغموض والتناقض مهما حاول مفسرو الأسفار ان يجدوا له تأويلا

ففى الاصحاح الحادى عشر أن تارح أبا ابراهيم خرج من أور الكلدانيين قاصدا أرض كنعان ومعه ابراهيم ابنه وساراى كنته ولوط ابن ابنه هاران المتوفى . وجاء الى حاران ومات فيها. وفى الاصحاح الثانى عشر ان الرب قال لابراهيم انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك الى الأرض التى أريك فأجعلك أمة كبيرة ويتبارك بك جميع عشائر الأرض فخرج من حاران ومعه زوجته ساراى وابن أخيه لوط وجميع ما يملكون من أموال وعبيد وأتوا الى أرض كنعان .

فكلام الاصحاح الحادى عشر يفيد أن فكرة النزوح الى

أرض كنعان كانت فكرة تارح ابى ابراهيم بينما كلام الاصحاح الثانى عشر يفيد ان نزوح ابراهيم بأمر الرب وكأنما هـو شيء خاص به لا علاقة به لأبيه تارح •

وفى الاصحاح الخامس عشر من هذا السفر وجه الخطاب الى ابراهيم « أنا الرب الذى أخرجك من أور الكلدانيين لأعطيك هذه الأرض ميراثا لك» مما يفيد نفس المعنى • وفى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر يشوع : هكذا قال الرب الى اسرائيل « فى عبر النهر سكن آباؤكم منذ الدهر تارح أبو ابراهيم وأبـو ناحور وعبدوا آلهة أخرى فأخذت اباكم ابراهيم من عبر النهر وسيرته فى جميع أرض كنعان وكثرت نسله» وهذا يفيـد نفس المعنى كذلك •

وكلام الاصحاح الحادى عشر من التكوين يفيد أن ابراهيم من مدينة أور الكلدانيين وأن اقامة تارح فى حاران كانت عابـرة بينما كلام الاصحاح الثانى عشر يفيد ولو لم يكن بصراحـة أن مقام ابراهيم وأرضه وعشيرته وبيت أبيه فى حاران • وقد جـاء فى الاصحاح الرابع والعشرين من نفس السفر أن ابراهيم استحلف كبير عبيده بأن لا يأخذ لابنه اسحق زوجة من بنات كنعان بـل يذهب الى أرضه وعشيرته ويأخذ منها زوجة لابنه ووصاه بأن لا يرد ابنه الى هناك لأن ربه أخذه من بيت أبيه وأرض مولده وأتى به الى أرض كنعان • وأن العبد ذهب الى آرام النهرين الى

مدينة ناحور أخي ابراهيم وخطب ابنته لاسحق وأتى بها الى أرض كنعان • وقد جاء فى الاصحاح الثامن والعشرين من السفر نفسه أن اسحق وصى ابنه يعقوب بأن لا يتزوج من بنات كنعان بل يذهب الى خوان آرام ويتزوج من بنات خاله لابان فنفذ وصية أبيه حيث يفيد هذا وذاك أيضا أن أرض ابراهيم وعشيرته كانت فى آرام النهرين •

ومع أن المحتمل كثيرا أن يكون بعض النصوص المتقدمة متأثرا بما كان من واقع طروء بنى اسرائيل على شرق الأردن وغربه بعد خروجهم من مصر ومحاربتهم لأهلها واستيلائهم بالقوة والدم على أقسام كبيرة منها ، وأن يكون التناقض البادى فيها نتيجة لتداول الروايات والذكريات أجيالا بعد أجيال فان هذا لا يمنع ان يكون فى ما ذكر فيها حقيقة ما بالنسبة الى منشأ ابراهيم ونزوحه الى أرض كنعان • وحينئذ يبدو احتمالان لمنشأ ابراهيم وهما أور الكلدانيين وآرام النهرين •

أما أور الكلدانيين فان وجود مدينة اسمها أور فى بلاد كلدة فى القرن العشرين الذى نخمن نزوح ابراهيم فيه ممتدة الى ما قبل ذلك هو من الحقائق التاريخية التى أيدتها الاكتشافات الأثرية (١) • وقد تكون فكرة نزوح أسرة واحدة من بلاد كلدة

---

(١) تاريخ كلدة وآشورلادى شير ج١ ص ٢٤ ومقدمة فى الحضارات القديمة القسم الاول تاريخ العراق للعالم الاثرى العراقى طه باقر ص ١٠٥ •

أو من آور الى أرض بعيدةجدا غير مستساغة كثيرا . غير أن الكلدانيين أو الأكاديين كانوا قد مدوا سلطانهم من العراق الى بلاد الشام وعرفوها فى عصر سرجون ونارام سين الذى تتراوح تقديرات المؤرخينعنه بين القرن الأربعين والقرن الرابع والعشرين قبل الميلاد على ما عرف من الآثار والدراسات التاريخية (١) ثم كانت امبراطورية أور فى القرن الثانى والعشرين فى تقدير ، وقبل ذلك ببضعة قرون فى تقدير آخر (٢) التى مدت سلطانها هى الأخرى الى بلاد الشام ثم كانت امبراطورية بابل الأولى التى يخص المؤرخون عهدها بين القرن الخامس والعشرين والقرن العشرين الى الثامن عشر والتى مدت سلطانها كذلك الى هذه البلاد (٣) .

فليس من المستبعد والحالة هذه ان تكون فكرة النزوح الى بلاد الشام فأرض كنعان قد انبثقت فى كثير من هذه البلاد فكان من جملة ذلك ابراهيم وأسرته .

وأما آرام النهرين فالمعروف ان موجة اسمها الموجة الآرامية

(١) التاريخ العام بالتركى لاحمد رفيق ج ١ ص ١٩٦ والقرون القديمة لبريستد ص ٩٠ وتاريخ كلده وآشور ج١ ص ٢٢ - ٢٧ وكتاب طه باقر المذكور ص ١١٥ - ١٢٦ و٢٠٣

(٢) كتاب طه باقر ص ١٣٠-١٣٧ وتاريخ كلدة وآشور ج ١ ص ٢٢-٢٧ وتاريخ بابل واشور لجميل المدور ص ٤١ و٦٦ .

(٣) تاريخ كلدة وآشور ج ١ ص ٢٧-٢٢ وكتاب طه المذكور ص ١٢٩-١٥٦ .

قد اخذت تطرأ على بلاد الشام فى القرن العشريـــن وانتشرت فى مختلف انحائها الوسطى والشمالية وتسربت جماعات منها الى العراق (١) غير انها لم تكن قد اســتقرت وتحضرت فى الظرف الذى يخمن فيه نزوح ابراهيم الى أرض كنعان كما لم يذكر احد من الباحثين أن جماعات منها تسربت الى شرق الاردن وغربه ـ أرض كنعان ـ قبل القرن الثانى عشر • ولكن هذا لا يمنع ان يكون قد تسلل منها جماعات الى هذه الأرض وكان مـــن جملتها أسرة ابراهيم •

ولقد جاء فى الاصحاح السادس والعشرين من سفر تثنيــة الاشتراع ـ وهو من الأسفار المنسوبة الى موسى ـ فى سـياق وصايا الرب لبنى اسرائيل فى صدد تقديم ثمار الأرض للــرب هذه العبارة «ثم تجىء وتقول بين يدى الرب بعد ان يأخذ الكاهن السل من يدك ويضعه أمام المذبح ان أبى كان آرميا تائها فهبط مصر ونزل هناك فى رجال قلائل فصار أمة عظيمة شــديدة كثيرة الخ» ومهما كان هناك احتمال أن يكون هذا متأثرا بما تم لبنى اسرائيل من انتصارات بعد خروجهم من مصر فان العبارة تتضمن ذكرى كان يتناقلها كما هو المتبادر بنو اسرائيل بان أباهم

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجى زيدان ص ٤٠ـ٥٢ وتاريخ كندة وتسرر ج ١ ص ٣٦ـ٣٨ و٥٠ـ١٢٨ وكتاب طه باقر ص ١٦٠ـ١٦٢ •

الأكبر هو آرامى • وبالتالى قد تكون من مرجحات ومقومات الأصل الآرامى •

وهناك احتمال ثالث وهو أن يكون ابراهيم من الموجــة الآمورية • فالمعروف أن هذه الموجة أخذت تطرأ على بــلاد الشام قبل الآراميين وتنتشر فى أنحائها وأن جماعات منها تدفقت الى جزيرة الفرات ثم الى العراق الجنوبى وسيطرت عليه وأنشأت فيه مملكة بابل الأولى (١) • كما أن جماعات أخرى تدفقت الى شرق الأردن وغربه واستقرت فيهما وأنشأت ممالك عديدة فى كل منهما ظلت قائمة الى وقت طروء بنى اسرائيل عليهما بعد خروجهم من مصر ووقع بينهما وبينهم حروب وتكرر ذكرها فى الأســفار التى ذكرت قصة هذا الطروء على ما سوف نورده بعد ولقــد جاء فى الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين أن ابراهيم كان ساكنا عند بلوطات ممرا الأمورى (٢) أخى أشكول وعانر وكان حليفا لهم ، فيتبادر الى الذهن أن ابراهيم انما ذهب الى هــذه المنطقة التى كانت من مساكن الأموريين وسكن عندهم لأنــه هو الآخر منهم وأن فكرة النزوح الى هذه البلاد جاءت اليــه من كونها من مساكن القبيلة التى هو منها •

---

(١) كتاب طه باقر ص ١٣٩–١٥٦ •

(٢) فى الاصحاح الثالث عشر من سفر التكوين ذكر أن بلوطات ممرا هى التــى بحبرون التى يقوم الآن مكانها مدينة الخليل •

ومن المحتمل والحالة هذه أن تكون تسمية آرام النهرين التي ذكرت نصوص التكوين ان ابراهيم جاء منها ـ متأخرة متأثرة بالواقع حين تدوين الاحداث فى القرن الثالث عشر وما بعده لأن الآراميين كانوا هم أصحاب السلطان وكان طابعهم هو الشامل لجميع بلاد الشام الوسطى والشمالية بل وكان يمتد الى العراق الجنوبى فى هذا الظرف (١) .

وعلى كل حال فابراهيم من الجنس العربى الذى يسميه المستشرقون ومن يتابعهم من كتاب العرب خطأ الجنس السامى سواء أكان كلدانيا أم أموريا أم آراميا لأن الشعوب الثلاثة هى من هذا الجنس على ما يقرره الباحثون بدون خلاف .

نقول هذا ونحن نعرف أن المؤرخين يسمون ابراهيم وذريته بما فيهم بنو اسرائيل باسم العبرانيين أيضا ويسمون لغتهم باللغة العبرانية . بل ان اسم اللغة العبرانية هو الاسم المستقر المستمر للغة بنى اسرائيل . ولقد وصف الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين ابراهيم بوصف العبرانى حيث يمكن أن يكون هذا سندا لهذه التسمية . وفى الاصحاح الأول من سفر الخروج هذه العبارة «كلم ملك مصر قابلتى العبرانيات وقال لهما اذا

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان ص ٤٠-٥٢ وتاريخ كندة وآشور لادى شير ج ١ ص ٣٦-٣٨ و٥٠-١٢٨ وكتاب طه-فر ص ١٦٠-١٦٢ .

استولدتما العبرانيات فانظرا عند الكراسى فان كان ذكرا فاقتلاه وان كانت انثى فاستبقياها» حيث يدل هذا على أن التسمية كانت تطلق على ذرية يعقوب حفيد ابراهيم قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد والمتبادر أن هذا استمرار لما قبل . ولقد ورد اسم «عبريو» فى ورقتين من أوراق البردى كتبتا فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وقبل تدوين سفرى التكوين والخروج بمدة غير قصيرة أى فى عهد رمسيس الثانى وموجودتان فى متحف لايد فى هولاندة . وقد ترجمها من المصرية القديمة عالم اسمه شباس وهما رسالتان احداهما من كاتب اسمه كويسر جوابا لرئيس له اسمه بكنفتاح يقول فيها «استرضاء لسيدى أنسحت أمره الذى أنفذه الى قائلا : أعط الجنود قوتهم واعط أيضا العبريو الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رعمسيس مريانان خليل العدل والذين وكل أمرهم الى رئيس الشرطة عنيمان فأنا أجريت عليهم رزقهم فى كل شهر بمقتضى الأوامر السامية التى أنفذها سيدى الى » والثانية من كاتب اسمه كينا الى رئيس له اسمه كجاناهو يقول فيها « أطعت ما أمرنى به سيدى قائلا أعط الجنود أرزاقهم والعبريو ايضا الذين ينقلون الحجارة لهيكل الشمس الذى انصرفت اليه عناية رعمسيس مريسان فى جنوب منف (١) وقد

---

(١) مقال فى العبرانيين للمطران الدبس ص ٨٩ وقد ذكر هذه الوثائق مؤلف العقد الثمين فى تاريخ مصر القديمة ص ١١٧ـ١١٩

رجح الباحثون ومنهم من جزم كالمطران الدبس ان العبريو هؤلاء هم بنو اسرائيل الذين نموا وترعرعوا فى مصر ثم تعرضوا لقسوة ملوك مصر بعد تقويض حكم الهكسوس وخاصة رمسيس الثانى الذى كان يضطهدهم ويسخرهم فى أعمال البناء ونقل الحجارة مما ذكره الاصحاح الأول من سفر الخروج أيضا وكان ذلك سببا لفرارهم وخروجهم من مصر حيث يبدو من كل هذا أن اسم العبرانى والعبرانيات بالنسبة لذرية ابراهيم ويعقوب حقيقة تاريخية •

غير أنه ليس هناك أى أثر أو باحث يذكر أنه كان من موجات جزيرة العرب أو من الأقوام السامية حسب اصطلاح المؤرخين الاجانب ومن يتابعهم قوم يسمون «العبرانيين» قبل ابراهيم حيث يسوغ هذا القول ، ان هذا الاسم هو اسم خاص قد يكون أطلق على ابراهيم ومن جاء معه الى أرض كنعان أو على ذريته من بعده • وفى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر يشوع هذه العبارة «هكذا قال الرب الى اسرائيل فى عبر النهر سكن آباؤكم منذ الدهر تارح أبو ابراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى فأخذت ابراهيم أباكم من عبر النهر وسيرته فى جميع أرض كنعان وكثرت نسله» وقد يفيد هذا أن بنى اسرائيل الذين يقررون أن أباهم الأكبر ابراهيم قد سموا أنفسهم بهذا الاسم لأن أباهم الأكبر كان من عبر النهر أى من وراء النهر الذى هو

نهر الفرات على الأرجح • والا فيكون اسم عبريو أو عبــرو أو عبران هو اسم العشيرة الدنيا وكانت الروايــات او الذكريات تذكر انها عشيرة ابراهيم ، وليس اسم موجة أو قبيلــة كبرى وهكذا لا يكون تناقض بين هذه التسمية وبين احتمال نســبة ابراهيم الى الكلدانيين أو الآراميين أو الآموريين •

- ٢ -

وفي سفر التكوين نبذ كثيرة عن حياة ابراهيم في أرض كنعان ثم عن أولاده وأحفاده نرجح انها لا تخلو من حقيقــة على مــا قررناه قبل وان تكن شيبت بالغلو والخيال بسبب تداولها سماعا عبر الأجيال ، وتأثرت على ما يلمح فيها الى درجة كبيرة بالاحداث التي وقعت لبني اسرائيل بعد خروجهم من مصر وبالواقع الذي كانت عليه البلاد في هذا الظرف بقصد ربط ما كان قائما موجودا من مسميات وأنساب بابراهيم وذريته ؛ وقصد ربط ما صار لبني اسرائيل من حكم وملك وما فعلوه في البلاد وأهلها وباختصاص رباني لهم دون غيرهم متصل بابراهيم وذرية يعقوب وقصد تبريره والتنويه به • ولا يصعب على النبيه تبين ذلك من عبارات السفر المختلفــــة •

ومن أهم ما احتوته هذه النبذ أمر اتصال ابراهيم وبعض أبنائه واحفاده بالله وتجليه لهم وظهور ملائكته لهم ودعائهم باسمه وحده ذكر ذلك فى اصحاحات عديدة من السفر مرارا وبأساليب مختلفة مما سوف نورد نصوصه فى سياق الكلام ، وذلك بقطع النظر عما جاء فى هذه النصوص من اختصاصات نرجح انها من جملة ما كان متأثرا بتاريخ ووقائع بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر •

ولقد كان نزول ابراهيم حين طروئه على أرض كنعان عند شكيم فى مكان بلوطة مورة والكنعانيون حينئذ فى الأرض على ما ذكره الاصحاح الثانى عشر • وشكيم هى التى يقوم مقامها اليوم مدينة نابلس على الأرجح حيث يمكن أن يقال انه جاء الى هذه الأرض من طريق شرق الأردن فعبر النهر ومر بالغور المعروف اليوم بغور الفارعة الذى يؤدى الى شكيم ــ نابلس • وقد ظلت هذه الطريق طريق كل من كان يأتى من العراق والجزيرة الفراتية الى المنطقة الوسطى من أرض كنعان وقد جاء فى الاصحاح المذكور أن الرب تجلى له وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض فبنى هناك مذبحا للرب • ثم انتقل الى الجبل شرقى بيت ايل وضرب خباءه وغربيه بيت ايل وشرقيه العالى وبنى هناك مذبحا آخر ودعا باسم الرب • وبيت ايل اسم سماه يعقوب لمدينة كانت

تسمى لوز ، ويذهب مفسرو الأسفار [1] الى أنها اليوم بيت اين ـ وربما بيتونه ـ وهى فى طريق نابلس ـ القدس • ثم ارتحل الى الجنوب واشتد الجوع فى الجنوب فهبط الى مصر مع امرأته ساراى التى وصاها بان تقول انها أخته حتى لا يقتله المصريون رغبة فى اغتصابها منه اذا قال زوجته ، وكانت جميلة جدا فمدحوها لفرعون فأخذها الى بيته وأحسن بسببها الى ابراهيم الذى كان يسمى ابرام فصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال •• ويقول الاصحاح المذكور ان الرب ضرب فرعون وأهله ضربات عظيمة بسبب ساراى فاستدعى ابرام وقال له : ماذا صنعت بى ؟ ولم لم تعلمنى انها امرأتك وقلت انها اختى حتى أخذتها لتكون لى امرأة ؟ والآن ها هى امرأتك خذها وامض وأمر بتشييعه هو وامرأته وكل ماله • والعبارة تفيد أن فرعون اتخذ ساراى امرأة له فى هذه الفترة وانه عاد على ابراهيم من ذلك ثروة عظيمة •

ثم ذكر الاصحاح الثالث عشر ان ابراهيم عاد من مصر الى بيت ايل ونصب خيامه فيها • وكان غنيا جدا بالماشية والذهب والفضة وكان للوط أيضا الذى كان معه فى مصر وعاد معه غنم وبقر وخيام فضاقت الأرض بهما وأخذ ينشب بين رعاتهما ورعاة الكنعانيين والفرزيين المقيمين فى الأرض خصومة فاقترح ابراهيم

(١) مقال فى العبرانيين للدبس ص ١١

الافتراق تحاشيا من النزاع فرفع لوط طرفه ورأى كل بقعة الأردن فاذا جميعها سقى كجنة الرب ـ وذلك قبل تدمير سدوم وعمورة ـ حتى تنتهى الى صوعه فاختارها لنفسه وارتحل اليها . وأقام ابراهيم حيث كان فى أرض كنعان وقال له الرب بعد أن فارقه لوط : ارفع طرفك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا فان جميع الأرض التى تراها أعطيها لك ولنسلك وأصير نسلك كتراب الأرض . فقم وامش فى الأرض طولها وعرضها فانتقل بخيامه حتى جاء وأقام فى بلوط ممرا التى بحبرون ـ وحبرون هى التى يقوم مكانها اليوم مدينة الخليل وبنى هناك مذبحا للرب .

والعبارة تفيد أن أرض كنعان هى فلسطين أو غرب الأردن فقط . ونرجح ان ما جاء فيها من وعود متأثر بما كان من واقع بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر ومتأثر بفكرة الاختصاص التى نوهنا بها فيهم .

ويذكر الاصحاح الرابع عشر خبر مجىء امرافل ملك شنعار وأريوك ملك الأسار وكدرلاعومر ملك عيلام وتدعال ملك الأمم(١) ومحاربتهم مع بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة

---

(١) يقول المطران الدبس فى كتابه مقال فى العبرانيين ص ٢٠ ان اكثر مفسرى الكتاب على أن المراد بالكلمة المشائر الرحل التى لا مقر لها وان هناك من قال انها تعنى ملك جليل الامم كما أن هناك من قال ان المقصود منها الامة المسماة فى الخطوط المسمارة كوتى .

وشنئاب ملك أدمة وشمئيبر ملك صبوئيم وملك بالع وقد ذكر أن هؤلاء اجتمعوا فى غور السديم وهو بحر الملح ـ والأرجح ان المقصود به بحيرة لوط او البحر الميت ـ وأنهم خضعوا لكدرلاعومر اثنتى عشرة سنة ثم عصوه ، حيث تفيد العبارة ان الغزاة المتحالفين تغلبوا على ملوك البلاد وأخضعوهم ، وأن رآسة الحلف كانت لكدرلاعومر ملك عيلام ؛ ثم ذكر الاصحاح نفسه أن كدرلاعومر والملوك الذين معه أقبلوا حينما أعلن ملوك الأرض العصيان فضربوا الرفائيين فى عشتروت فرنايم والزوزيين فى هام والايميين فى شوى فرينائم والحوريين فى جبل سعير الى سهل فاران الذى عند البرية ثم رجعواوجاءوا الى عين مشفاط وهى قادش فضربوا كل أرض العمالقة والأموريين المقيمين فى حصون تامار وخرج ملك سدوم وملك عمورة وملك أدمة وملك صبوئيم وملك بالع فصافوهم للحرب فى غور السديم . فانهزم ملكا سدوم وعمورة وسقطا فى آبار الحمر التى فى الغور والباقون هربوا الى الجبل . وغنم الغزاة جميع أموال سدوم وعمورة وجميع ميرتهم ومضوا وأخذوا لوطا ابن أخى ابرام وماله وجاء من أخبر ابرام العبرانى ـ ابراهيم الذى كان اسمه ابرام ثم سماه الرب ابراهيم على ما جاء فى الاصحاح من سفر التكوين وهو مقيم عند بلوطات ممرا الأمورى أخى أشكول وعانر وهم حلفاؤه . فجرد ابرام حشمه المولودين فى بيته وعددهم

٣١٨ وجد فى أثرهم وتفرق عليهم ليلا هو وعبيـــده فكسرهم واتبعهم الى حوبة التى عن يسار ـ دمشق واسترجع جميع المال ولوطا والنساء وسائر القوم • فخرج ملك سدوم الى لقائـــه والملوك الذين معه • وأخرج ملكيصادق ملك شليم خبزا وخمرا لأنه كان كاهنا لله العلى وباركه وأثنى على الله الذى دفـــع أعداءه الى يديه وأعطاه العشر من كل شىء وقال له ملـــك سدوم : أعطنى النفوس وخذ المال • فقال له ابرام رفعـت يدى الى الرب العلى لا أخذت خيطا ولا شراك نعل من جميع مالـــك لئلا تقول أناأغنيت ابرام ، ما خلا ما أكله الغلمان ونصيب القوم الذين مضوا معى عانر وأشكول وممرا فانهم يأخذون نصيبهم• وتدل العبارة على أن جماعة الآموريين الذين كان ابراهيم نازلا عندهم وحليفا لهم قد زحفوا معه لاستخلاص لوط والأموال والنساء •

- ٣ -

ونستطرد الى بعض البيانات عن الملوك والشعوب المذكورة فى سياق غزوة كدرلاعومر وحلفائه ، لأن فى ذلك بعض الفائـدة فى تعريف حالة البلاد وسكانها فى ظروف طروء ابراهيم ، فنقول:

١ ـ ان عبارة الاصحاح الرابع عشر تدل على أن مدن أدمة

وحبوئيم وسدوم وعمورة وبالع كانت كراسى لخمس ممالــك كانت موجودة قبل طروء ابراهيم • وكانت فى وادى الأردن على ما تفيده عبارة السفر • واللمحة العربية بادية على الأسماء حيث يسوغ القول انها وملوكها من الجنس العربى ، وقد يكونون من الكنعانيين •

٢ ــ ان مفسرى أسفار العهد القديم ذكروا ان مواقع الرفائيين والزوزيين والايميين والحوريين ومدنهم المذكورة فى الاصحاح الرابع عشر فى شرق الأردن (١) والخبر يدل بطبيعة الحال على أن هذه المدن كانت قائمة قبل طروء ابراهيم وأن هذه المنطقة كانت مأهولة بشعوب شتى ؛ وربما كان لكل منها مملكة وكانت كل مدينة كرسيا لمملكة أسوة بما تدل عليه العبارة بالنسبة لسدوم وعمورة وصبوئيم وأدمة وبالع •

٣ ــ لقد ذكرنا قبل شيئا عن الأموريين بما يغنينا عن التكرار

٤ ــ ان الحوريين ذكروا مرة أخرى فى الاصحاح السادس والثلاثين من سفر التكوين فى سياق ذرية عيسو بن اسحـــق وسكناها جبل سعير وقبائلها وزعمائها فى أرض آدوم الذى هو اسم ثان لعيسو • وسعير أو آدوم هى المنطقة الجنوبية من شرق الأردن التى تقع فيها معان وبعض أنحاء العقبة ووادى موسى •

---

(١) كتاب مقال فى العبرانيين لندبس ص ٢٠ وما بعدها •

وقد جاء ذكرهم بهذه العبارة : «هؤلاء بنو سعير الحورى سكان الأرض ، لوطان وشوبال وصبعون وعانة وديشـــون وايصر وديشان . هؤلاء زعماء الحوريين بنى سـعير فى أرض آدوم . وبنو لوطان حورى وهيمام وأخت لوطان تمناع . وهؤلاء بنو شوبال : علوان ومنحت وعيبال وشنو وأونام . وهذان ابنـــا صبعون : آية وعانة . وعانة هذا هو الذى وجد المياه الحميمة فى القفر حين كان يرعى حمير صبعون أبيه . وهذا ابن عانة ديشون، وبنت عانة آهليبامة . وهؤلاء بنو ديشان : حمدان وأشـــبان وتيران وكران . وهؤلاء بنو ايصر : بلهان وزعوان وعفـان . وهذان ابنا ديشان : عوض وآران وهؤلاء زعماء الحوريـين : الزعيم لوطان والزعيم شوبال والزعيم صبعون والزعيم عانـــة والزعيم ديشون والزعيم ايصر والزعيم ديشان . هؤلاء زعمـاء الحوريين فى آرض سعير» ، ومن المحتمل أن تكون الأســـماء الاولى هى لأصحاب رئاسات الفروع التى كانت تسمى باســماء آبائها الأولين والثانية لاصحاب رئاسات على مدن خاصة سميت بأسماء الفروع .

والعبارة قد تفيد ان هذه القبائل والزعامات كانت موجودة حينما طرأ بنو اسرائيل على منطقة جبل سعير امتدادا لوجودهم فيها منذ حياة ابراهيم حيث تعرضوا آنذاك لغـــزوة العراقيين وذكروا بمناسبتها . واللمحة العربية القديمة بادية على الأسماء

بقوة حيث يسوغ القول انهم من أرومة عربية الجنس حلت فى جبل سعير قبل القرن العشرين قبل الميلاد بمدة ما وامتد وجودها ونشاطها الى زمن خروج بنى اسرائيل من مصر فى القرن الثالث عشر وبعده • ولاسيما ان هذه المنطقة متصلة بجزيرة العرب مباشرة ومن المعقول ان تكون من أول مجالات تموج الجماعات التى كانت تخرج من جزيرة العرب آنا بعد آخر • ولا يبعد ان تكون كنعانية الأرومة لانه كانت فى هذه المنطقة جماعات من الكنعانيين لهم مدنهم وممالكهم •

ولقد ذكر الاصحاح السادس والثلاثون ايضا فى سياق ذكر الحوريين وزعمائهم ومواليد عيسو بن اسحق الذى سكن جبل سعير ونمت ذريته فيه وصار له فيه قبائل وزعامات ايضا سلسلة أسماء الملوك الذين ملكوا فى أرض آدوم قبل ما ملك ملك لبنى اسرائيل وهذه السلسلة هى : (١) بالع بن يعور وكانت مدينته ــ أى عاصمته على الأرجح ــ دنهابه (٢) يوباب بن زارح من بصره وملك بعد بالع (٣) حوشام من أرض التيمانى وملك بعد يوباب (٤) هداد بن بداد وكانت مدينته عويت وملك بعد حوشام وهو الذى كسر مديان فى بلاد مؤاب (٥) سملة بن سريقة وملك بعد هداد (٦) شاوول من رحبوت النهر وملك بعد سملة (٧) بعل حانان بن عكبور وملك بعد سملة (٨) هدار من مدينة فاعو وملك بعد بعل حانان •

ولا يصف السفر أرومات هؤلاء الملوك . واللمحة العربية بادية على أسمائهم وأسماء مدنهم حيث يسوغ القول أنهم من الأرومات العربية الجنس . ويظهر من العبارة أن الملوك من عشائر وأسر مختلفة ومن مدن مختلفة أيضا . ولعل كلا منهم كان ملكا فى مدينته ثم كان يفرض حكمه على جميع منطقة آدوم التى كانت تشغل الجزء الأكبر من شرق الاردن من ناحية الجنوب . ولما كان أول ملك لبنى اسرائيل هو شاوول الذى يسميه القرآن طالوت وكان حكمه فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد فيكون حكم هؤلاء الملوك فى الحقبة السابقة لهذا الظرف . ولا يمكن الجزم بما اذا كان هؤلاء الملوك هم جميع من تولوا ملك المملكة الآدومية قبل قيام ملك لبنى اسرائيل أو قسما منهم وان كنا نميل الى الرأى الأخير لأن ملك ثمانية ملوك مهما طال لا يزيد عن مئتين أو ثلاثمائة سنة فى حين أن وجود الأرومات العربية الجنس فى هذه المنطقة يمتد الى ما قبل القرن العشرين قبل الميلاد بكثير . ومن المحتمل ان يكون هؤلاء الملوك من الحوريين .

٥ ــ لم يذكر العمالقة مرة أخرى فى سفر التكوين ، ولكنهم ذكروا فى الأسفار الأخرى بمناسبة ما كان بينهم وبين بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر من أحداث وبأسلوب يفيد ان هذا الاسم كان أحيانا يطلق عليهم كوصف للدلالة على ما كان أصحابه عليه

من بسطة القامة والجسم كما كان يطلق عليهم وصف آخر لنفس الدلالة وهو الجبابرة • وأن منازلهم فى جنوب شرق الاردن مما يلى صحراء سيناء او النقب • وأسماؤهم وأسماء مدنهم تحمل اللمحة العربية بحيث يسوغ القول أيضا انهم من أرومة عربية الجنس حلت فى بعض انحاء شرق الأردن وصحراء النقب قبل القرن العشرين قبل الميلاد واستمرت قائمة الى زمن قدوم بنى اسرائيل من مصر وما بعده امتدادا لما قبل •

٦ ـ لقد ذكر الرفائيون فى الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ثانية فى جملة ما ذكر فيه من الأقوام الذين كانوا يسكنون الأرض • ثم ذكروا فى الاصحاح الثانى من سفر التثنية فى سياق نهى الرب عن معاداة المؤابيين بهذه العبارة «الأيميون سكنوا فيها ـ أى فى أرض مؤاب ـ فعلا شعب كبير وطويل كالعناقيين • هم أيضا يحسبون رفائيين (١) كالعناقيين لكن المؤابيين يدعونهم ايميين» • ثم ذكروا فى الأصحاح الثالث من السفر نفسه فى سياق ذكر عوج ملك باشان بهذه العبارة « ان عوج ملك باشان وحده بقى من بقية الرفائيين» • واسم مدينتهم «عشتروت قرنيم» التى ذكرت فى الاصحاح الرابع عشر من

(١) هذه العبارة فى النسخة البروتستانتية • أما النسخة الكاثوليكية فانها ذكرت كلمة جبابرة بدلا من كلمة رفائيين • غير انها ذكرت الرفائيين صراحة فى الاصحاحين الرابع عشر والخامس عشر من سفر التكوين •

سفر التكوين تحمل اللمحة العربية القديمة وعشتروت خاصة كانت ترمز الى أحد الآلهة السماوية العربية فى بلاد اليمن والشام والعراق بحيث يسوغ القول انهم كذلك أرومة عربية الجنس حلوا فى بعض أنحاء شرق الاردن وغربه قبل القرن العشرين قبل الميلاد وأنشأوا المدن والممالك واستمروا فيها الى وقت قدوم بنى اسرائيل من مصر •

٧ ـ لقد ذكر الأيميون فى الاصحاح الثانى من سفر التثنية فوصفوا بالكثرة والطول وقال الاصحاح انهم كانوا فى المنطقة التى حل فيها المؤابيون أبناء لوط وهم يحسبون جبابرة كالعناقيين وهذه المنطقة من مناطق شرق الاردن واللمحة العربية بادية على اسم مدينتهم شوى فريناثيم بحيث ينسحب الكلام الذى قلناه بالنسبة للعمالقة والحوريين عليهم •

٨ ـ لم يذكر الزوزيون مرة أخرى • واسم مدينتهم هام التى ذكرت فى الاصحاح الرابع عشر يحمل اللمحة العربية وينسحب عليهم ما قلناه عن الأيميين والرفائيين والعمالقة والحوريين كما هو المتبادر •

٩ ـ ان مفسرى العهد القديم يراوحون تخمينهم عن شليم التى ذكرت وذكر ملكها ملكيصادق فى سياق غزوة كدرلاعومر وتخليص ابراهيم للوط والسبى والأموال بين أن تكون القدس التى سميت أورشليم وبين أن تكون مكان القرية القائمة اليوم

شرق نابلس لجهة الغور التى يقال لها سالم (١) • وقد ذكرت شليم فى الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر التكوين بوصفها مدينة أهل شكيم • وقد يؤيد هذا كون شليم هى سالم اليوم لأنها قريبة الى نابلس التى قامت مقام شكيم • واللمحة العربية بادية على اسم الملك والمدينة بقوة ومن المحتمل أن يكون من الكنعانيين •

وتفيد العبارة أن ملكيصادق كان موحدا • ولا يعرف على وجه التحديد ماذا كان يقصد بكلمة كاهن التى وصف بها فى ذلك الوقت ولعلها كانت تعنى النبوة أوما فى مؤداها • وهكذا تكون فكرة التوحيد قائمة فى أرض كنعان قبل قدوم ابراهيم اليها •

- ٤ -

ونعود الآن الى سياق سيرة ابراهيم وذريته فنقول ان الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ذكر خبر تجلى الرب لابراهيم مرة أخرى ووعده له باخراج ذريته منه وتكثير نسله واخباره بان ذريته ستكون غريبة فى أرض ليست لها وتستعبد

---

(١) مقال فى العبرانيين للدبس ص ٢٠ وما بعدها •

فيها وتعذب اربعمائة سنة ثم ترجع فى الجيل الرابع الى الأرض ثم بت معه عهدا قائلا : لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات وسأمكنكم من القينيين والقنزيين والقدمونيين والحيثيين والفرزيين والرفائيين والآموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين .

ويلحظ أن وعود الرب لابراهيم كانت قبل قاصرة على أرض كنعان التى كان يفهم من عبارة الاصحاحات انها الواقعة غرب الأردن بينما يحتوى هذا العهد هذه الحدود الشاسعة الواسعة وهذه الأقوام العديدة . وهذا فضلا عن وعد التمكين والغلبة على السكان الذى لم يرد قبل والذى يعنى بالبداهة أنه سيتم بالقوة والقهر مما يسوغ القول ان تدوين العهد بهذا الشكل متأثر بما كان من وقائع وأحداث بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر وبما كان من غلبتهم بالقوة والحرب والدم على ما غلبوا عليه من البلاد وأهلها . وذكر حياة ذرية ابراهيم فى أرض غريبة وتعرضها للتعذيب والاستعباد اربعمائة سنة ثم رجوعها الى أرض كنعان وتمكينها من تلك الحدود والأقوام مما ينسحب عليه هذا القول بل ولعله من مؤيداته .

ولقد مر ذكر الرفائيين والأموريين والكنعانيين قبل وعرفناهم

أما بقية الشعوب التى ذكرت فى الوعد المزعوم من الله لابراهيم الذى احتواه الاصحاح الخامس عشر من سفر التكوين فانهـا تذكر هنا لأول مرة •

ولقد تكرر ذكر الحيثيين وبنى حث فى سفر التكوين والأسفار الأخرى بأسلوب يفيد أنهم كانوا يشغلون حيزا فى أرض كنعان، حيث ذكروا فى الاصحاح الثالث والعشرين بمناسبة شراء ابراهيم من عفرون الحثى حقلا ومغارة فى قرية أربع لدفن سارة ، وقـد وجه ابراهيم فى هذه المناسبة الخطاب الى بنى حث وقال لهـم «انى غريب ونزيل عندكم» • وقرية أربع هى حبرون ، ومعنى هذا أن الحيثيين فى هذا الخبر كانوا فى منطقة حبرون ، ثم ذكروا فى الاصحاحين السادس والعشرين والسادس والثلاثين بمناسـبة نزوح عيسو بن اسحق حينما كان مقيما فى قرية أربع بامرأتـين منهم ، اسم احداهما يهوديت بنت بئى الحثى وثانيهما بسمة بنت ايلون الحثى • وذكروا فى أسفار يشوع والقضاة بأسـلوب يدل على أنهم كان لهم بعض الشأن والحيز فى غـرب الأردن بمناسبة طروء بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر امتدادا لكيانهم السابق ، وذكروا فى سفر صموئيل الثانى ــ الملوك الثانـى فى النسخة الكاثوليكية ــ بمناسبة ذكر قائد منهم اسمه أوريا أحب داود زوجته وضاجعها حسب ما ذكر فيه ، حيث ينبه ذلك أن هذا

القبيل ظل مستمرا ذا نشاط وبروز الى ظروف خـــروج بنى اسرائيل من مصر وطروئهم على غرب الأردن ، ثم الى ما بعــد ذلك بأمد طويل •

ومن المعروف انه كان فى شمال سورية شعب اسمه حيثـا الذى عرب الى الحيثيين كان له بروز ونشاط وملك وحروب فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد وبعده ، ومعظم الباحثين يذهبون الى أن هذا الشعب من الجنس الآرى عدا مفسرى العهد القديم الذين يأخذون أنساب سفر التكوين قضية مسلمة ويقولون ان حثا هو أحد ابناء كنعان بن حام بن نوح (١) •

ولقد وصف الاصحاح السادس والثلاثون من سفر التكوين زوجتى عيسو الحيثيتين بصفة بنات كنعان • والاسماء الحيثية التى وردت فى هذا السفر تحمل اللمحة العربية ، ولا ندرى هل هذا وذاك كان بسبب كون كثرة سكان الأرض كنعانيين وغلبة طابعهم عليهم ، وأنهم جالية من الحيثيين الشماليين جاءت الى هذه المنطقة واستقرت فيها قبل القرن العشرين قبل الميلاد ثم استمرت فيها وانطبعت بالطابع الكنعانى أم لانهم حقا اخوة الكنعانيين أو فرع من فروعهم •

---

(١) سفر التكوين الاصحاح ١٠ والمجلد الاول الجزء الاول من تاريخ سورية للدبس ص ١٥٤ وما بعدها .

أما الاسماء الاخرى فمنها ما تكرر ذكره فى الأسفار التى ذكرت قصة خروج بنى اسرائيل من مصر وطروئهم على شرق الأردن وغربه فى جملة سكان الأرض وأهلها • أى أنهم ظلوا الى أن جاء بنو اسرائيل فى القرن الثالث عشر• وقد ذكر الفرزيون فى الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر التكوين فى مناسبة بما يدل على انهم من سكان منطقة شكيم ـ نابلس اليوم ـ وذكر اليبوسيون فى الاصحاح الخامس عشر من سفر يشوع بما يدل على انهم كانوا سكان مدينة أورشليم • وفى الاصحاح العاشر من سفر التكوين هذه العبارة «وكنعان ولد حيدون بكره وحثا • واليبوسى والأمورى والجرجاشى والحوى والعرقى والسنى والأروادى والصمارى والحمانى • وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعانى» والعبارة تفيد ان هذه الشعوب تجمعها الجامعة الكنعانية •

ولئن كانت مواليد نوح الأولى الواردة فى سفر التكوين تتحمل التوقف والحذر فان مما يلحظ ان هذا السفر وبالتالى هذه العبارة قد كتبت لاول مرة فى ظروف طروء بنى اسرائيل على أرض كنعان واحتكاكهم بهذه الشعوب وتعرفهم الى واقع أرومتها ونسبتها وهذا مما يسوغ تصويب أرومتها الكنعانية وخاصة انها كانت تنزل فى أرض كنعان • ومن المحتمل أن تكون

قد تميزت بميزة ما جعلتهم يذكرون منفردين أو أن تكون نسبتهم آتية من اسماء مدنهم •

ونعود الى سياق سيرة ابراهيم فنقول ان الاصحاحين السادس عشر والحادى والعشرين احتويا قصة عقم ساراى وعرضها على ابراهيم الدخول على جاريتها هاجر المصرية ، وحمل هذه باسماعيل وغيرة ساراى منها واضطهادها لها وطلبها من ابراهيم بعد ولادتها اسحق ابعادها مع ابنها ، واشتداد الطلب على ابراهيم وظهور ملاك الرب له وأمره باستماع كلام ساراى قائلا بلسان الرب «باسحق يدعى لك نسل • وابن الأمة ايضا اجعله أمة فانه نسلك» ثم قصة صرف ابراهيم لهاجر مع ابنها وتيهها فى برية بئر السبع واتجاهها بعد ذلك بأمر الرب الى برية فاران واقامتها فيها وتزويجها اسماعيل بامرأة من أرض مصر •

ويلمح فى القصة وخاصة فى محاولة تمييز نسل اسحق وجعله هو صاحب الصلة الاصيلة بابراهيم أثر ما كان من أحداث بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر وسيرتهم فى شرق الاردن وغربه•

وفى الاصحاح السابع عشر خبر تجلى الرب لابرام قائلا له «انا الله القدير اسلك أمامى وكن كاملا فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك جدا جدا • وتكون أبا جمهور أمم ولا يكون اسمك ابرام بل ابراهيم • وأجعلك أمما ويخرج منك ملوك وأعطيك

أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكا مؤبدا وأكون لهم الها» وقد أمره فى هذا التجلى بالاختتان كسنة مستمرة له ولنسله وكعلامة عهد بينه وبينهم . وقال الله لابراهيم « ساراى امرأتك لا تسمها ساراى بل سمها سارة وأنا أباركها وأعطيك منها ابنا ويكون منها أمم وملوك . فسقط ابراهيم على وجهه وضحك وقال فى نفسه الابن مئة سنة يولد ، أم سارة وهى ابنة تسعين تلد ؟ ثم قال للرب لو ان اسماعيل يحيى بين يديك فقال الله بل سارة ستلد لك ابنا وتسميه اسحق واقيم عهدى معه عهدا مؤبدا لنسله من بعده . وأما اسماعيل فقد سمعت قولك فيه وها أنا أباركه وانميه وأكثره جدا ويلد اثنى عشر رئيسا وأجعله امة عظيمة غير ان عهدى أقيمه مع اسحق الذى تلده سارة وحينئذ ختن نفسه وختن ابنه اسماعيل وكل رجال منزله مواليد بيته وعبيده الغرباء .

وأثر ما نبهنا عليه من تعصب بنى اسرائيل ومزاعمهم الاختصاصية آنفا ملموح فى هذه النصوص التى جاءت لتؤكد مرة أخرى جعل اسحق بأمر الله هو صاحب النسبة الأصلية الى ابراهيم .

فى الاصحاحين الثامن عشر والتاسع عشر قصة غضب الله على سدوم وعمورة لآثامهما وارساله الملائكة لتدميرهما

وامطارهما نارا وكبريتا وقلب عاليهما سافلا • وفى الاصحاحين نصوص عديدة فيها خبر تجلى الرب لابراهيم ولوط وقدوم الملائكة اليهما ومجادلة ابراهيم للرب فى شأن هلاك سدوم وعمورة •

ومما ذكره الاصحاح التاسع عشر تآمر ابنتى لوط على أبيهما بعد تدمير سدوم وعمورة ونجاته منهما لئلا يموت بدون نسل حيث أسكرتاه وضاجعتاه واحدة بعد أخرى فى مغارة قرب صوعة التى كان اسمها بالع فولد لكبراهما ابن سمته مؤاب وهو ابو المؤابيين وولد لصغراهما ابن سمته عمى وهو أبو العمونيين •

ونستطرد الى القول بان الأسفار التى احتوت قصة خروج بنى اسرائيل من مصر وطروئهم على شرق الاردن وغربه وتاريخهم فيهما ذكرت المؤابيين والعمونيين كثيرا بما يفيد أنهم كانوا أصحاب قوة وملك وحيز كبير وظلوا كذلك الى أمد طويل أيضاً وفى الاصحاح الثانى من سفر التثنية نهى من الرب لبنى اسرائيل عن معاداتهم وتنبيه لهم بانه ليس معطيهم من أرضهم شيئا ولو موطىء قدم لأنه جعلهما ميراثا لبنى لوط •

وليس ما يمنع أن يكون المؤابيون والعمونيون من ذرية لوط كما أنه ليس ما يمنع أن يكون ذكر ذلك متأثرا بما كان من

واقع ودعوى حين طروء بنى اسرائيل على شرق الأردن فأريد به ربط الحاضر بالماضى بقطع النظر عن صحته وعدمها •

واذا صح فالمرجح أن لا يكون بنو لوط قد احتفظوا بدمهم وأن يكونوا قد اختلطوا بمن كان فى الأرض قبلهم وان كانوا احتفظوا باسمى أبويهما الأولين واستطاعوا أن يجعلوهما شاملين لجميع السكان والمنطقة • ووصف الأيميين والزمزميين بالوصف القوى الذى وصفوا به يقوى ترجيحنا ، فانه لا يعقل أن يكون بنو لوط قد أبادوهم • وبنو اسرائيل مع ما عمدوا اليه من شدة القمع والابادة لم يبيدوا سكان فلسطين • وكل ما يمكن أن يكون انهم حلوا فى أرضهم وبرزوا عليهم فاختلطوا ببعض وصار الخليط يسمى مؤابيين وعمونيين •

وفى الاصحاح العشرين من سفر التكوين خبر ارتحال ابراهيم الى أرض الجنوب واقامته بين قادش وشور ونزوله بجرار التى يقول الدبس انها واقعة شرق خان يونس وأن مكانها يعرف اليوم باسم أم الجرار فالمنطقة التى ارتحل اليها والحالة هذه هى منطقة بئر السبع • وقد قص الاصحاح قصة تشبه قصة سارة مع فرعون ، حيث قال ابراهيم عنها انها أخته فبعث أبيمالك ملك جرار فأخذها وباتت عنده • ويقول الاصحاح : « ان ملك الله جاء الى الملك بالليل فأنذره بالهلاك وأمره برد سارة الى زوجها فيدعو له ويحيا لأنه نبى » فبكر أبيمالك ودعا ابراهيم وعاتبه

فقال له انى خفت أن أقتل بسبب امرأتى فردها اليه وأعطاه غنما وبقرا وعبيدا واماء وقال له هذه بلادى بين يديك فأقم حيث طاب لك ، وأعطى سارة ألفا من الفضة تكون لها حجاب عين حيثما ذهبت قائلا لها : اذكرى انك أخذت . وهكذا على رأى الاصحاح قد عاد على ابراهيم بسبب امرأته أموال عظيمة للمرة الثانية . ومن غرائب القصة ما تنطوى فيه من معنى احتفاظ سارة بجمالها الذى أغرى الملك ، مع أنها كانت قد بلغت التسعين من عمرها على ما ذكره اصحاح سابق !

وفى الخبر ما يفيد أن منطقة جنوب فلسطين أو منطقة بئر السبع والنقب كانت فى ذلك الزمن مأهولة وكان فيها مدن وممالك. والأسماء الواردة أى قادش وجرار وأبيمالك تحمل اللمحة العربية القديمة وتسوغ القول بالتالى ان هذه المنطقة كانت مأهولة بالأرومات العربية الجنس أسوة بأنحاء فلسطين الأخرى .

ومهما يكن من أمر قصة ابراهيم وساراى مع ملكى مصر وجرار فمما يتبادر للذهن أن تسجيلها على الوجه الذى سجلت به قد كان عاملا فيما عرف من اتساع حوصلة بنى اسرائيل وحيلهم وعدم تورعهم عن مواقف مماثلة بسبيل وقاية أنفسهم وجر المغانم فى وقت واحد !

وفى الاصحاح الرابع والعشرين قصة وصية ابراهيم لكبير عبيده الذى وصف فى الاصحاح الخامس عشر بقيم بيته واسمه اليعازر الدمشقى بأن لا يزوج ابنه اسحق من بنات كنعان بل يزوجه من أرضه وعشيرته وذهاب هذا الى آرام النهرين حيث مدينة ناحور أخى ابراهيم وخطبته ابنته رفقة فى سياق طويل • والراجح أن هذا كان جريا على عادة تتحكم دائما فى الناس المتغربين وهو جنوحهم الى التزوج من أهلهم دون الغرباء الذين يساكنونهم • ولا يرد أن ابراهيم رغب عن الكنعانيات لوثنيتهن، فان أسرته فى آرام النهرين كانت وظلت وثنية ، على ما تفيده عبارةوردت فى الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر التكوين حيث سرقت راحيل زوجة يعقوب أصنام ابيها حينما انصرف زوجها مع نسائه وأولاده ومواشيه من حاران •

وفى الاصحاح الخامس والعشرين خبر زواج ابراهيم بزوجة جديدة اسمها قطورة بعد وفاة سارة وولادتها منه ستة أولاد وهم زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا • ثم استطرد الاصحاح فقال وولد يقشان شبا وددان • وبنو ددان هم أشوريم ولطوشيم ولئوميم • وبنو مديان عيفة وعفر وحنوك وأبى داع والدعة وبعض هذه الأسماء كان مدنا أو قبائل فى ظروف خروج بنى اسرائيل من مصر وطروئهم على شرق الأردن • ومما يتبادر الى الذهن أن التسميات متأثرة بما كان من واقع حين تدوين

السفر أريد به ربط الحاضر بالماضى بقطع النظر عن صحته جزئيا أو كليـا .

ثم قال الاصحاح «وأعطى ابراهيم جميع ماله لاسحق ووهب لبنى السرارى هبات وصرفهم عن اسحق ابنه فى حياته شرقا الى أرض المشرق» ومع أن الكلام عن قطورة وأولادها فقد جاءت جملة « أبناء السرارى » بصيغة الجمع لتشمل اسماعيل أيضـا كما هو المتبادر ، مما فيه أثر زعم الاختصاص الذى نبهنا عليـه ومحاولة حصر ارث ابراهيم باسحق وارث اسحق بيعقوب دون غيرهما كما هو ظاهر . ثم ذكر الاصحاح خبر وفاة ابراهيم ودفنه من قبل ابنيه اسحق واسماعيل فى مغارة المكفيلة فى حقل عفرون الحثى . وذكر اسماعيل فى الخبر عجيب لأن ابراهيم أبعده مـع أمه كما ذكر الاصحاح الحادى والعشرين الذى ذكر أنهما استقرا فى برية فاران !

وفى الاصحاح نفسه ذكرت مواليد اسماعيل هكذا : لبايوت وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار وتيمـا ويطور ونافيش وقدمة . ثم قال الاصحاح هؤلاء بنو اسماعيل وهذه أسماؤهم بحسب أحويتهم وحظائرهم اثنا عشر زعيمـا لقبائلهم وكانت مساكنهم من حويلة الى شور التى تجاه مصر . وبعض هذه الاسماء كان مدنا وقبائل حين خروج بنى اسرائيـل من مصر وطروئهم على شرق الأردن ، والعبارة تفيد انهم بذكروذ

على اعتبار انهم نموا وترعرعوا وغدوا قبائل كل منها تتسمى باسم احد الابناء الأولين التى تنتسب اليه ، وتفيد أن هذا كان الواقع حين دونت وأن فيها محاولة ربط الحاضر بالماضى بقطع النظر عن صحة بنوة هذه القبائل لاسماعيل وعدمها . ومن الجدير بالذكر أن الأسفار التى ذكرت سيرة خروج بنى اسرائيل من مصر وطروئهم على شرق الاردن واحتكاكهم بالشعوب التى فى طريقهم لم تذكر لقاء ولا صداما بينهم وبين هذه القبائل التى قال الاصحاح انها ذرية ابناء اسماعيل . ولقد ذكرت برية فاران التى ذكر الاصحاح الحادى والعشرون من سفر التكوين أنها كانت منزل اسماعيل وأمه ومستقره فى جملة المواقع التى مروا بها فى طريقهم الى أرض كنعان على ما ذكره سفر العدد فى الاصحاح الثالث عشر .

وفى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ذكر خبر ولادة عيسو ويعقوب لاسحق . وكانا توأمين ، وكان عيسو الأول نزولا . وكان أكلف اللون كفروة شعر فسمى عيسو وخرج يعقوب قابضا على عقب عيسو فسمى يعقوب ومما ذكره الاصحاح

ان عيسو نشأ عارفا بالصيد بريا ونشأ يعقوب رجلا سلميا مقيما بالخيام وأن اسحق أحب عيسو ، ورفقة أمهما أحبت يعقوب ، وأن يعقوب طبخ طبيخا وقدم عيسو من الصحراء تعبا فطلب من أخيه أن يطعمه فأبى الا مقابل تنازله عن حق بكوريته فقال عيسو أنا صائر الى الموت فمالى والبكورية فتنازل ليعقوب عنها وحلف له على ذلك فأطعمه • وقد تكون القصة صحيحة أو لا تكون وقد يلمح فيها أثر فكرة تمييز يعقوب على عيسو وحرمان هذا من ارث اسحق وهى الفكرة الكامنة فى مزاعم الاختصاص التى كان وظل بنو اسرائيل وبنو يعقوب الذى كان اسرائيل اسمه الثانى يزعمونها لأنفسهم على ما نبهنا عليه قبل • وعلى كل حال ففيها صورة عجيبة للانانية القاسية وأثرها حتى فى أخ ازاء أخيه • ولقد كان يبدو تسجيلها ذا أثر عجيب فى بنى اسرائيل الى درجة أن صار المكر والاحتيال والكذب والخداع وسيلتهم المفضلة فى كل وقت الى اغتصاب حقوق الناس وتسخيرهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وان يصبح خلقا راسخا من أخلاقهم يتوارثه الأبناء عن الآباء دهرا بعد دهر ويتأثر به كذلك الذين اعتنقوا اليهودية من غير بنى اسرائيل •

وفى الاصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين قصة نزول اسحق بأمر الرب الى أرض أبيمالك ملك جرار بسبب الجوع الذى ألم بالارض التى كان فيها والتى هى منطقة حبرون

أو أربع على ما ذكره اصحاح آخر ، وتجلى الرب له ووعده له بالبركة واعطائه ونسله جميع البلاد وتكثير نسله مما يلمح فيه أثر الرغبة الاختصاصية التي نبهنا عليها قبل، ومما ذكره الاصحاح ان اسحق قال عن زوجته ـ التي كانت معه وكانت جميلة ـ انها أخته وكادت قصة زوجة ابيه تتكرر لولا ان الملك اكتشف انها زوجته فعلا ، وأنه زرع فتضاعف زرعه مائة ضعف وصار له مواش وعبيد ، وأن ذلك أثار حسد الفلسطينيين [1] عليه وجعلهم يردمون الآبار التي حفرها ويخاصمونه عليها مما جعله ينزح الى مكان بئر السبع ويحفر فيه بئرا ذات ماء عظيم ويسمى المكان بئر الشبع بسبب فيض ماء البئر ، وفي آخر الاصحاح خبر تزوج عيسو بيهوديت بنت بئرى الحثي وبسمة بنت أيلون الحثي وعدم رضاء نفس والديه عن ذلك .

وفي الاصحاح السابع والعشرين قصة طلب اسحق من عيسو أن يصنع له طعاما من صيده لتباركه نفسه وتحريض رفقة ليعقوب بأن يصنع ذلك وأن يتقدم لأبيه ليأخذ بركته بدلا من أخيه ، وقد كست يديه وملاسة عنقه بجلد من المعز ليكون ملمسه

---

(١) المتبادر ان القصد هو أهل المنطقة وان السفر سماهم الفلسطينيين تأثرا بواقع وجود الشعب الذي عرف بهذا الاسم والذي كان يسكن في جنوب فلسطين حينما طرأ بنو اسرائيل على ارض كنعان بعد خروجهم من مصر في حين ان طروء هذا الشعب انما كان في القرن الرابع عشر فقط على ما سوف نشرحه في مناسبة آتية .

ملمس عيسو وتقدم لأبيه باسم عيسو وقدم اليه الطعام الذى صنعه وكان اسحق قد عمى فلمس ابنه فرأى ملمسه ملمس عيسو مع أن صوته صوت يعقوب ، ومع ذلك باركه قائلا « يعطيك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض ويكثر لك الحنطة والخمر وتخدمك الأمم وتسجد لك القبائل وتكون سيدا لاخوتك ويسجد لك بنو أمك ويكون لاعنك ملعونا ومباركك مباركا . وجاء عيسو بعد ذلك بالطعام الذى صنعه من صيده الى أبيه وحينئذ أدرك اسحق الخديعة فارتعش ارتعاشا شديدا ولكنه قال له قد جعلته سيدا لك ودفعت اليه جميع اخوته عبيدا وبالحنطة والخمر أمددته فماذا أصنع لك ثم قال له لما بكى : بمعزل عن دسم الأرض يكون مسكنك وعن ظل السماء من العلو وبسيفك تعيش وأخاك تخدم وتكسر نيره عن عنقك اذا قويت ، وقد أثارت الخديعة حقد عيسو وأضمر الشر لأخيه مما جعل أمه تهربه الى ديار خاله لابان فى حاران ليقيم بها مدة حتى ينفثىء غضب أخيه عليه .

وفى القصة تكرار للصورة العجيبة من الأنانية وأثرها فى يعقوب ازاء أخيه عيسو ، وعجيبة اشتراك أم عيسو فى مؤامرة ضد ابنها وان كان يمكن ان يعزى ذلك الى كراهيتها لزوجتيه . ثم عجيبة انخداع اسحق واصراره على حرمان عيسو وتفضيل يعقوب بعد أن عرف بخديعة يعقوب له ، ومهما يكن من أمر فان

فكرة توكيد اختصاص يعقوب ونسله بالبركة والتميز وتسجيل سيادتهم على اخوتهم وابناء اخوتهم وسائر أمم الأرض وعبوديتهم لهم ملموحة بكل قوة فى القصة مما جعل مدونى السفر يسيغون تدوينها مع ما فيها من تلك الصور العجيبة التى تسجل شدة أنانية وخداع يعقوب وغباء اسحق • والمتبادر أن هذا التسجيل من العوامل التى ظلت تدفع بنى اسرائيل الى الأثرة والانانية والخداع مهما كانت الوسائل والأساليب ••

- ٦ -

وفى الاصحاحات ٢٨ ـ ٣١ سياق طويل يقص فيه قصة وصية اسحق ليعقوب بأن لا يتزوج من بنات كنعان بل من بنات خاله فى فدان أرام ودعوته له بأن يعطيه بركة ابراهيم له ولنسله ليرث أرض غربته التى وهبها الله لابراهيم ؛ وذهابه الى حاران واتفاقه مع خاله لابان على خدمته سبع سنين مقابل زواجه بابنته راحيل ونقض لابان الاتفاق بزفاف ابنته ليئة عليه بدلا من راحيل التى أحبها وخدمته لخاله سبع سنين أخرى مقابل زواجه براحيل وخدمته ست سنين لخاله مقابل قطعان من المواشى اعطاها له ، وهبه راحيل أمتها بلهة وليئة أمتها زلفة ليعقوب لاستيلادهما

فى ظروف امتنعتا فيهآ عن الحمل ، وولادة رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون ويساكر وبنتا اسمها دينة من ليئة ويوسف من راحيل ودان ونفتالى من بلهة وجاد واشير من زلفة أثناء مقامه فى حاران (١) ، ونسو غنم يعقوب نسوا عظيما حتى أثار حسد وحقد خاله وابنائه مما جعله ينصرف مغاضبا لهم بزوجاته وأولاده ومواشيه وأمواله ويعود الى أرض كنعان • ومما ذكره الاصحاح الحادى والثلاثون ان راحيل سرقت أصنام أبيها ، وأن لاباز وأبناءه خرجوا فى أثر يعقوب وأدركوه فى شرق الأردن وعاتبوه على فراره وسرقة اصنامهم وأن الرب تراءى للابان فى الحلم ـ مع انه وثنى ـ وأمره بعدم مس يعقوب بشر مما جعله فى النهاية يجنح الى مسالمته وقطع عهد سلام معه • وقد ذكر الاصحاح الثامن والعشرون خبر رؤية يعقوب للرب فى حلمه ووعده له بتنمية نسله وتبارك جميع قبائل الارض به وبنسله واعطائه الأرض له ولنسله ، مما هو متأثر فيما هو المتبادر بفكرة اختصاص يعقوب بالبركة والأرض التى ظلت تحرك بنى اسرائيل وتحملهم على تسجيل ذلك المرة بعد المرة •

وفى الاصحاح الثانى والثلاثين قصة طريفة حيث ذكر ان رجلا ظهر ليعقوب وهو فى طريقه فصارعه حتى مطلع الفجر وأبى أن

---

(١) المعروف ان ابناء يعقوب اثنا عشر وهؤلاء أحد عشر ، أما الثانى عشر فقد ولد له من راحيل بعد خروجه من حاران وهو بنيامين •

يطلقه حتى يباركه ، وقد سأله الرجل عن اسمه فقال له انه يعقوب فقال لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل اسرائيل لانك اذا رؤست عند الله فعلى الناس أيضا تستظهر (١) وسأله عن اسمه فلم يقله له وباركه ومضى وسمى يعقوب المكان فنوئيل قائلا انى رأيت الله وجها الى وجه ، مما يبدو فيه الخيال من جهة وفكرة تسجيل عناية الرب بيعقوب وتقديره علوه وبالتالى علو نسله على الناس من جهة أخرى ..

وفى هذا الاصحاح والاصحاح الذى يليه خبر لقاء عيسو مع يعقوب فى الطريق وتخوف يعقوب منه لما يعرف من سابق حقده عليه واستغاثته الله بانقاذه ، واظهار عيسو الترحيب به والمودة له خلافا لما توقع ، وتقديم يعقوب اليه هدية من المواشى التى جاء بها ، ورجوع عيسو بعد ذلك الى سعير ، واستمرار يعقوب فى طريقه الى أن دخل أرض كنعان ونزل عند شكيم حيث ابتاع حقلا من أهلها وأقام مذبحا ودعاه باسم الله القدير اله اسرائيل .

وفى الاصحاح الرابع والثلاثين قصة عدوان شكيم بن حمور الحوى رئيس البلد على عرض دينة بنت يعقوب وشغفه بها وطلبها من أبيها لتكون زوجة له بواسطة أبيه . وقد عرض الأب على

---

(١) فى النسخة البروتستانتية العبارة جاءت هكذا «لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت » .

يعقوب وبنيه تبادل الصهارة والاقامة بين ظهرانيهم والاتجار والتملك ، وأظهر استعداده لاعطاء المهر الذى يطلبونه لدينة لأن ابنه علق بها . وقال بنو يعقوب لا نستطيع ان نعطى أختنا لرجل أقلف لأن ذلك عار علينا . فاذا اختتن كل منكم فحينئذ نوافقكم ونصاهركم ونقيم عندكم ونصير شعبا واحدا . وكان ذلك منهم كيدا ومكرا على ما ذكره الاصحاح نفسه . ووافقه الفتى واختتن واقنع أبوه أهل المدينة فاختتن كل ذكر فيها حسب طلب بنى يعقوب وحينئذ استل شمعون ولاوى أخو دينة سيفين ودخلا المدينة آمنين وقتلا كل ذكر بما فيهم حمور وشكيم اغتناما لفرصة جراح الختان ووجعه وأخذوا اختهم وسبوا جميع نساء المدينة وأطفالها واستاقوا جميع ما فيها من بقر وغنم وحمير ونهبوا جميع أموالها . واستبد الخوف بيعقوب وقال لبنيه لقد أشقيتمانى وأخبثتما ريحى عند أهل الأرض والكنعانيين والفرزيين وأنا فى نفر معدود فيجتمعون على ويقتلوننى أنا وأهل بيتى ، ثم خرج من المنطقة بامر الرب الى بيت ايل فأقام فيها مذبحا ثم ارتحل منها الى قرية أربع حيث كان ينزل ابوه اسحق .

والمبالغة بادية فى وصف ما فعله لاوى وشمعون من قتل جميع الذكور وسبى الاطفال والنساء ونهب جميع الاموال واستياق جميع المواشى وينقض ذلك ما حكاه الاصحاح من خوف يعقوب من أهل المنطقة وفراره منها الى محل بعيد مأهول

بشعب غير الشعب الذى يأهل منطقة شكيم حيث كانت هـــذه المنطقة مأهولة بالكنعانيين بينما كانت منطقة اربع مأهولـــة بالأموريين على ما مر بيانه •

ومهما يكن من أمر ففى القصة حادث غدر عجيب نحو شعب برمته بسبب عاطفة غرامية لشخص منهم ، وخاصة بعد أن أظهر هذا الشخص وأبوه رئيس البلد وأهل المدينة كل استعداد لتلافى الأمر ، ووافقوا على كل شرط ومنحوا يعقوب وبنيه كل شيء • ومما لا ريب فيه أن تسجيل هذا الحادث من العوامـــل التى أصلت الروح التى صدر عنها هذا الغدر فى بنى اسرائيل وجعلتهم لا يتورعون عن ارتكاب مثله فى كل فرصة ومناسبة ••

ونستطرد الى القول • ان اسم «الحوى» يذكر هنا لأول مرة وقد ذكر فى الاصحاح السادس والثلاثين اسم احدى زوجــات عيــو بن اسحق هكذا «أهليبامة بنت عانة بنت صبعون الحوى» حيث يدل على أنه كان فى غرب الأردن أرومة تسمى الحويين • وقد ذكر الحويون فى الاصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج أيضا فى جملة من ذكر من أسماء شعوب أرض كنعان حين خروج بنى اسرائيل من مصر فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد •

ولقد قال الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين حينما ذكر خبر نزول ابراهيم لأول مرة عند شكيم «والكنعانيون حينئذ فى

الأرض» مما يستأنس به ويسوغ القول ان الحويين فرع من فروع الكنعانيين •

وفى الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر التكوين خبر تجلى الرب ليعقوب بعد خروجه من منطقة شكيم على الوجه الذى خرج به وتكرار وعده له بتنمية نسله واخراج ملوك من صلبه وجعل الأرض التى أعطاها لابراهيم واسحق له ولنسله والمتبادر ان هذا متأثر بفكرة الاختصاص التى ظلت تتحكم فى أذهان بنى اسرائيل وتجعلهم يسجلونه المرة بعد المرة •

وفى الاصحاح خبران عجيبان : أولهما قول يعقوب لأهله «أزيلوا الآلهة الغريبة التى بينكم» فسلموها اليه • أى أن أهل يعقوب لم يلبثوا أن تأثروا بمن كانوا يسكنون عندهم من أهل الأرض فاتخذوا أصنامهم آلهة لهم •

ولقد كانت زوجتا يعقوب حديثتى عهد بالوثنية لأن لابان أباهما كان وثنيا وقد سرقت راحيل أصنامه على ما مر ذكره قبل قليل • ولقد ظل هذا ديدن بنى اسرائيل فى مختلف أدوار تاريخهم القديم حيث كانوا لا يلبثون أن ينجرفوا الى الوثنية تأثرا بمن كان حولهم من الشعوب على ما سوف نشرحه بعد • أما ثانى الخبرين : فهو مضاجعة رأوبين بكر يعقوب لبلهة زوجة أبيه وأم دان ونفتالى ، وانتشار الخبر عند الجميع • ومن العجيب أن الاصحاح لم يسجل أثرا لهذا العار الذى كان أعظم من عار هتك

عرض دينه ! ولقد تكرر مثل ذلك فى تاريخ بنى اسرائيل على ما سجلته الأسفار مما سوف نورده بعد .

وقد ذكر فى آخر الاصحاح خبر وفاة اسحق ودفنه من قبل ابنيه يعقوب وعيسو واقحام عيسو فى الخبر عجيب مثل اقحام اسماعيل فى خبر دفن ابراهيم مع اسحق لأن عيسو قد نزح وسكن فى جبل سعير فى أقصى جنوب شرق الأردن

- ٧ -

ولقد ذكر الاصحاح الثامن والعشرون أن عيسو لما رأى أن بنات كنعان شريرات فى عينى أبيه الى اسماعيل فتزوج بنتا له اسمها محلة بالاضافة الى زوجاته الأوليات ثم ذكر الاصحاح السادس والثلاثون مواليد عيسو وزوجاته مع شىء من التناقض ، حيث سميت بنت اسماعيل هنا بسمة وسميت زوجتاه الأوليان عادة بنت ايلون الحثى وأهليبامة بنت عانة بنت صبعون الحوى ووصفتا بصفة بنات كنعان . وقد ذكر الاصحاح انه ولد لعادة ولد اسمه اليفاز ولبسمة ولداسمه رعوئيل ولأهليبامة ثلاثة أولاد هم يعوش ويعلام وقورح . وهؤلاء ولدوا فى أرض كنعان. ثم أخذ عيسو نساءه وبنيه وبناته وكل نفس فى بيته وماشيته

وكل بهائمه وانتقل الى أرض أخرى من وجه يعقوب أخيه . لأن مالهما كان أكثر من أن يقيما معا فى أرض غربتهما . وقد أقام عيسو بجبل سعير . وهو أدوم وأبو الأدوميين . وهناك لمت ذريته وكثرت . وقد ولد لأليفاز تيمان وأومار وصفو وجعثام وقناز . وولد لرعوئيل نحت وزارح وشمة ومزة . ثم يقول الاصحاح وهؤلاء زعماء بنى عيسو : بنو أليفاز بكر عيسو الزعيم تيمان والزعيم أومار والزعيم صفو والزعيم قناز والزعيم قورح والزعيم جعثام والزعيم عماليق . وهذا الأخير هو ابن لأليفاز من سرية اسمها تمناع . ثم بنو رعوئيل الزعيم نحت والزعيم زارح والزعيم شمة والزعيم مزة . ثم بنو أهليبامة زوجة عيسو الزعيم يعوش والزعيم يعلام والزعيم قورح . وفى آخر الاصحاح ذكروا مرة ثانية ببعض زيادة ونقص هكذا : هذه أسماء زعماء عيسو بقبائلهم ومواضعهم بأسمائهم : الزعيم تمناع والزعيم علوة والزعيم يتيت . والزعيم أهليبامة والزعيم أيلة والزعيم فينون والزعيم قناز والزعيم تيمان والزعيم مبصار والزعيم مجدئيل والزعيم عيرام .

وعبارة الاصحاح على تداخلها وركاكتها قد تفيد أن هذه الأسماء أسماء القبائل التى تفرعت عن أولاد عيسو وظلت تتسمى بأسمائهم وصار لكل منها زعامة تتسمى بأسمائها وأن هذه القبائل

والزعامات كانت قائمة فى ظروف طروء بنى اسرائيل على شرق الأردن وتخوم أدوم أو سير امتدادا لما قبل •

وليس هناك ما يمنع صحة ذلك كما أنه ليس هناك ما يمنع القول انه أريد بذكر ما ذكر ربط ما كان واقعا موجودا من أسماء ومسميات حين التدوين بالماضى البعيد بقطع النظر عن صحته وعدم صحته •

والمرجح أن ذرية عيسو فى سعير لم تبق خالصة برغم أنها ظلت تحمل أسماء أبناء عيسو الأولين وأنها اختلطت بمن كان فى الأرض قبل قدومهم من الأرومات العربية الجنس وخاصة بالحوريين الذين ذكروا فى مناسبة سابقة باسم بنى سعير وسكان جبل سعير كما جرى الأمر على ما رجحناه وشرحناه قبل بالنسبة للمؤابيين والعمونيين •

ولقد استطرد الاصحاح الى ذكر قبائل وزعماء بنى سعير الحورى على النحو الذى أوردناه فى الاستطراد البيانى لمن ورد أسماؤهم فى الاصحاح الرابع عشر من أقوام ومدن بمناسبة غزوة كدرلاعومر بعبارة تفيد ان هذه القبائل والزعامات كانت قائمة موجودة حينما طرأ بنو اسرائيل على شرق الاردن بعد خروجهم من مصر • ثم استطرد كذلك الى ذكر الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبل قيام ملك لبنى اسرائيل والذين ذكرناهم كذلك فى ذلك الاستطراد البيانى • وليس فى العبارة ما يوضح

هواياتهم • فمن المحتمل ان يكونوا من الحوريين كمـا أن من المحتمل أن يكونوا من ذرية عيسو • والغالب ان التسجيل تم استنادا الى الروايات المتداولة حينما طرأ بنو اسرائيـل على شرق الأردن •

- ٨ -

وفى الاصحاح السابع والثلاثين خبر سكنى يعقوب فى غربة أبيه فى أرض كنعان ثم اخبار يوسف أباه بريبة شنيعة شـهدها من اخوته بنى بلهة وبنى زلفة بينما كان يرعى الغنم معهـم دون ايضاح لهذه الريبة الشنيعة ، ثم تطرق الى تسجيل حب يعقوب ليوسف اكثر من سائر بنيه وصنعه قميصا موشى له وبغض اخوة يوسف لأخيهم حتى لم يكونوا يسلمون عليه ، ثم ذكر قصة حلم يوسف ورؤياه الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة له ، مما زاد فى حسدهم وبغضهم له وجعلهم يتآمرون على قتله ثم يلقونه فى بئر فارغة لا ماء فيها ونزعهم عنه قميصه الموشى ، وبيعهم اياه ـ لقافلة من الاسماعيليين مقبلة من جلعاد وسائـرة الى مصر ـ بعشرين من الفضة ، وذبحهم تيسا وغمسهم القميص بالدم وقولهم لأبيهم انا وجدنا هذا القميص بهذا الشكل وقول يعقوب انـه

قميص يوسف وان وحشا ضاريا افترسه ، وتمزيقه ثيابه ونوحه على ابنه دون ان يتعزى ، وبيع الاسماعيليين يوسف فى مصر لفوطيفار رئيس شرط فرعون .

وليس ما يمنع ان تكون القصة صحيحة ، ومهما كان من أمرها ففيها يسجل بنو اسرائيل الذين اثبتوها فى مدوناتهم صورة جديدة من صور الانانية القاسية من اخوة لأخيهم بعد ما سجلوا مثل هذه الصورة من يعقوب لأخيه عيسو بصورة جديدة من من صور الانانية من اخوة لاخيهم بدافع الحسد والغيرة مهما كان فيها من قسوة وأذى وخديعة ..

وفى الاصحاحات التاسع والثلاثين الى الخمسين وهو آخر اصحاحات سفر التكوين قصة يوسف فى مصر وشغف امرأة فوطيفار به ، وسجنه وتعبيره ارؤيا خادمى الملك فى السجن ، ثم قصة حلم الملك وتعبير يوسف له ونيله الحظوة لديه وتسليمه خاتمه وجعله قيما على جميع أرض مصر ، وخزنه الغلال والطعام لمواجهة سنى القحط التى تنبأ بها من حلم الملك ، واشتداد الجوع فى الأرض وارسال يعقوب بنيه للامتيار ، وتظاهر يوسف بالارتياب فيهم وطلبه احضار أخ لهم لم يحضر معهم — وهو بنيامين أخى يوسف من أمه — ليكون رهينة لديه ، واحتجازه حينما حضر بحجة سرقة جام فضية ، ثم تعريف يوسف بنفسه لاخوته وطلبه منهم قدومهم هم وأبوه وأبناؤهم وجميع أهلهم

واستحسان فرعون ذلك وأمره باعطائهم الدواب والعجلات والطعام والثياب والفضة ، وارتحال اسرائيل بجميع ماله واهله وتجلى الرب فى الطريق مشجعا اياه على الذهاب الى مصر ومكررا وعوده فى جعله أمة عظيمة وهبوطه معه الى مصر ونزولهم فى أرض جاسان التى خصصت لهم بأمر فرعون وتملكهم فيها ونموهم وتكاثرهم ، ووفاة يعقوب ووصيته ليوسف بنقل جثمانه ودفنه فى مقبرة آبائه ، ووعد يوسف بذلك وتحنيطه جثته بعد الوفاة وصعود يوسف باذن الملك مع جميع اخوته فى موكب عظيم جدا الى أرض كنعان ودفن يعقوب فى مغارة المكفيلة ، ثم وفاة يوسف ووصيته لأهله باصعاد عظامه معهم حينما يصعدون عائدين الى الأرض التى أقسم الرب عليها لابراهيم واسحق ويعقوب .

وقد احتوى الاصحاح السادس والاربعون أسماء وأعداد الذين صعدوا مع يعقوب من أبنائه وأحفاده . وقد بلغ عددهم ستا وستين نفسا من صلبه سوى نسوة بنيه ، وعدا يوسف وابنيه اللذين ولدا له فى مصر .

وقد احتوى الاصحاح التاسع والأربعون قصة جمع يعقوب لبنيه قبيل وفاته ووصف كلا منهم وصفا فيه كثير من الغرابة . فقال عن رأوبين أنت بكرى وقوتى وأول قدرتى فاضل فى

العز فرات كالماء لا تفضلَ لأنك علوت مضجع أبيكَ ودنسته (١). وقال عن شمعون ولاوى هما أخوان سيوفهما آلات جور . مجلسهما لا تدخله نفسى وفى مجمعهما لا تتحد ذاتى لأنهما فى سخطهما قتلا انسانا وفى رضاهما عرقبا ثورا . ملعون سخطهما فانه شديد . وغضبهما فانه قاس . أقسمهما فى يعقوب وأبددهما فى اسرائيل . وقال عن يهوذا اياك يحمد اخوتك . يدك على قذل أعدائك . يسجد لك بنو أبيك . يهوذا شبل أسد من فريسة صعدت يا بنى ، جثم وربض كأسد وكلبؤة فمن ذا يقيمه . لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتى شيلو وتطيعه الشعوب . رابط بالجفنة جحشه وبأفضل كرمة ابن أتانه . غسل بالخمر لباسه وبدم العنب رداءه . عيناه اشد سوادا من الخمر وأسنانه أشد بياضا من اللبن . زبولون فى سواحل البحر يسكن وعند مرفأ السفن . وطرف تخمه الى صيدون . يساكر حمار ضخم رابض بين التخمين . وقد رأى الراحة ما أجودها والأرض ما أنزهها فأحنى كتفه للحمل وصار للمهنة عبدا . وأن يحكم لقومه كأحد أسباط اسرائيل . يكون ثعبانا على الطريق وأفعوانا على السبيل يلسع رسغ الفرس فيسقط الراكب الى الوراء . جار يقحمه الغزاة وهو يقحم ساقتهم . أشير طعامه

---

(١) اشارة الى ما ذكرناه قبل من مضاجعته لسرية أبيه بلهة .

دسم وهو يعطى ملذات الملوك • نفتالى أيلة سائمة ــ وعل ــ يردد أقوال الحسنى • يوسف غصن مفرع على عين له فروع قد امتدت على سور • فأمرته أصحاب السهام ورمته واضطهدتـه ولكن ثبتت قوسه بمتانة وتشددت سواعد يديه من يدى عزيز يعقوب • من هناك الراعى صخر اسرائيل • من اله أبيك الذى يعينك ومن القدير الذى يباركك • تأتى بركة السماء من العلـو وبركات الغمر الراكد بركات الثديين والرحم • بركات أبيـك تضاف الى بركات آبائى الى منية الآكام الدهرية • لتـكن على رأس يوسف وعلى قمة نذير اخوته • بنيامين ذئب يفتـرس • بالغداة يأكل غنيمة وبالعشى يقسم السلب » •

ولا شك فى أن هذا السياق الطويل الذى استغرق اثنـى عشر اصحاحا قد اختلط بكثير من الخيال وتأثر فى الوقت نفسه بواقع ما كان من سيرة بنى اسرائيل بعد خروجهـم من مصر • ووصف يهوذا خاصة الذى كان له الملك والسـلطان فى غرب الأردن واستمر سلطانه الى أوائل القرن السادس قبل الميلاد مما يقوم قرينة على ذلك • غير أن هذا لا يمنع أن يكون فى بعـض ما احتواه شىء من الحقيقة وخاصة فى أمر نزوح يعقوب وأولاده الى مصر ونموهم وتكاثرهم فيها • وفى أوراق البردى المصرية المحفوظة فى متحف لايد والتى ذكر فيها اسم عبريو ــ وقـد أوردنا ترجمتها قبل ــ دليل على ذلك •

ويخمن تاريخ نزوح يعقوب وأولاده الى مصر بحوالى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ويظن أنه كان عهد حكم الهكسوس (١) الذين هم من الأرومات العربية الجنس والذين يحتمل أن يكونوا كنعانيين أو آراميين أو أموريين وبالتالى ممن يست اليهم العبرانيون جنسيا ولغويا .

---

(١) العقد الثمين ص ٧٥-٧٩ والكافى ج ١ ص [illegible] .

خروج بنى اسرائيل من مصر

الى حلولهم فى شرق الاردن

- ١ -

ان سيرة بنى اسرائيل بعد يوسف فى مصر وخروجهم منها الى حلولهم فى شرق الاردن مذكورة بأساليب متنوعة فى أسفار الخروج والعدد وتثنية الاشتراع من الأسفار الخمسة الاولى . والسفر الرابع وهو سفر الأحبار الذى هو تشريعى فى الدرجة الأولى متصل كذلك بهذه الحقبة .

ولقد ذكر الاصحاح الاول من سفر الخروج ما كان من نمو بنى اسرائيل وتكاثرهم وامتلاء الأرض منهم وخشية ملك مصر من عواقب ذلك واضطهاده لهم وتسخيره اياهم فى بناء مدن فيتوم ورعمسيس وتشغيلهم بالطين واللبن والأعمال الشاقة الأخرى ، وأمره لقابلتى العبرانيات بقتل كل ذكر يولد لهم مما يتطابق بعضه مع ما قرىء على أوراق البردى التى أشرنا اليها قبل قليل .

والراجح أن حالة بنى اسرائيل تبدلت بعد تقوض حكم الهكسوس فى القرن السادس عشر وقيام الامبراطورية المصرية .

ويستدل من أوراق البردى المذكورة أن تسخيرهم واضطهادهم قد بلغ الذروة فى عهد رمسيس الثانى أعظم ملوك الأسرة التاسعة عشرة التى حكمت حسب تقدير بريستيد (١) من سنة ١٤٦٢ الى ١٢٨٨ ق٠م وحسب تقدير شاروبيم (٢) من سنة ١٤٦٢ الى سنة ١٢٨٨ ق٠م •

وهناك قرائن قد تدل على أنه كان لبنى اسرائيل اثر ما فى الانقلاب الدينى الذى قام به أمونحتب الرابع او أخناتون أحد ملوك الامبراطورية أو الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ ــ ١٣٥٠ ق٠م (٣)) او (١٧٠٣ــ١٤٦٢ ق٠م) (٤) فقد هدف أخناتون فى انقلابه الى عبادة ما وراء الشمس وتقرير الوحدة الالهية • وسمى معبوده آتون الذى يظن أنه مقتبس من اسم أدون او أدوناى العبرانى الذى كان العبرانيون يسمون به الرب • ويقول أحمد كمال (٥) الذى ذكر هذا : ان من المحتمل أن يكون انقلاب أخناتون متأثرا بأمه تايى التى هى من أهل الشمال مما يحتمل أن تكون عبرانية •

وفى الاصحاحات الثانى الى الثانى عشر من السفر نفسه

---

(١) تاريخ مصر من أقدم العصور ص ٤٠٦ •
(٢) الكافى ج ١ •
(٣) تاريخ مصر من أقدم العصور بريستيد ص ٤٠٦ •
(٤) الكافى لشاروبيم ج ١ •
(٥) العقد الثمين لاحمد كمال ص ٩١-٩٢ •

قصة موسى منذ ولادته الى خروج بنى اسرائيل من مصر بقيادته . والسياق طويل لا ضرورة لسرده نصا .

وقد احتوى خبر ولادة موسى والقائه باليم خوفا من قتله والتقاطه من قبل بنت فرعون وتربيته فى بيت الملك وقتله مصريا اعتدى على عبرانى وفراره الى مدين واسقائه غنم بنات كاهنها وزواجه من صفورة احدى البنات واقامته فى مدين الى أن هلك الملك الذى وقع حادث قتل المصرى فى عهده ، وتجلى الله له فى جبل حوريب وقوله له : انه نظر الى مذلة شعبه ونزل الى انقاذهم واخراجهم الى الأرض الطيبة التى تدر لبنا وعسلا ، وهى أرض الكنعانين والحيثين والأمورين والفرزين والحوين واليبوسيين، وأمره بالذهاب الى مصر وطلب اطلاق الشعب من فرعون وانقلاب العصا فى يده الى حية وابيضاض يده كمعجزة ربانية لتأييد رسالته ، وتعزيزه بهارون لفصاحة لسانه بسبب ما أبداه من تخوف ، وعودته الى مصر ولقائه بهارون وشيوخ بنى اسرائيل واخبارهم بما رآه وسمعه وانتشار ذلك وتأثيره على عمال بنى اسرائيل الذين كانوا مسخرين فى أعمال الطين والبناء ومقابلة هارون وموسى لفرعون وما كان من أخذ ورد معه وما أظهره الله من معجزات العصا ومزعجات الدم والضفادع والبعوض والذباب والوباء والظلام . وكان فرعون كلما ظهرت معجزة او مزعجة وأخفق السحرة فى التغلب عليها طلب الشفاعة من

موسى وبذل الوعد بالاطلاق فاذا ما انكفت عاد وقسا قلبه الى أن كملت اثنتى عشرة معجزة واضطر فرعون الى البر بوعده فى النهاية • وحينئذ أمر الرب الشعب باستعارة أمتعة وفضة وذهب من جيرانهم لينصرفوا بها وتكون لهم غنيمة وسلبا •

وفى الاصحاحين الثالث عشر والرابع عشر تكملة للسياق جاء فيها أن الرب تحسب من ندم الشعب من الخروج ومن ندم فرعون من الاطلاق فأمر موسى بتغيير خطة السير بعد أن حلوا فى مدينة رعمسيس ليثيروا ملك مصر وأهلها فيلحقوا بهم فيغرقوا وقد تم ذلك وشق الرب البحر فعبره بنو اسرائيل وتبعهم فرعون وجنوده فارتد عليهم وابتلعهم •

ولا شك فى أن السياق الطويل قد اختلط بكثير من الخيال والغلو وتأثر بسيرة بنى اسرائيل بعد خروجهم وطروئهم على أرض كنعان ، ولكن هذا لا يمنع من أن يكون فيه حقائق تاريخية مما كان بين فرعون وموسى وبنى اسرائيل ومن خروج بنى اسرائيل فى النهاية من مصر بقيادة موسى •

ويلفت النظر خاصة الى خبر سلب رجال ونساء بنى اسرائيل أمتعة جيرانهم الذهبية والفضية بحالة الاستعارة ونسبة ذلك الى الله تعالى وتنزه • ومهما كان من أمر فان تسجيل هذا الخبر بهذا الأسلوب يدل على ما كان وظل يتحكم فى نفوس بنى اسرائيل من فكرة استحلال أموال الغير وسلبها

بأية وسيلة ولو لم تكن حالة حرب ودفاع عن النفس كما أنه كان ذا أثر شديد بدون ريب فى رسوخ هذا الخلق العجيب فى ذراريهم ثم من دخل فى دينهم من غير جنسهم .

ويخمن الباحثون ان بنى اسرائيل خرجوا من مصر فى القرن الثالث . وهذا التخمين يتسق مع سير أحداثهم وأحداث مصر ايضا ولا سيما اذا حدد بأواخر هذا القرن . فالمستفاد من تاريخ مصر أن حالة الدولة بعد رمسيس الثانى ـ الذى سجلت فى عهده أوراق البردى التى تشير الى تسخير العبرانيين فى أعمال بناء مشاريعه والذى كان نفوذ مصر فى عهده شاملا الأنحاء الجنوبية من بلاد الشام ومن جملتها شرق الأردن وغربه نتيجة لما كان بينه وبين الحيثيين من اتفاقية ـ قد ارتكبت بسبب ما كان من تنافس بين خلفائه على العرش وأن هذا الارتباك اوهن قواها ومنح الفرصة للوبيين وسكان الأرخبيل اليونانى لازعاج مصر بغاراتهم ولبلاد أثيوبيا والشام التى كانت تحت نفوذهم وسيادتهم للتمرد ثم أودى بالأسرة المالكة نفسها فى أول القرن الثانى عشر حيث انتزعت الحكم منها أسرة جديدة هى الأسرة العشرون التى حكمت من سنة ١٢٠٠ الى سنة ١٠٩٠ ق.م (١) .

---

(١) انظر تاريخ مصر من أقدم العصور بربستيد ص ٢٦٧ وما بعدها والعقد الثمين ص ٩٧-١٢٧ .

فالمتبادر أن هذا الارتبـــاك الذى ألم بمصر قد يسر لبنى اسرائيل الخروج من مصر أولا والحركة بشىء مـــن الحرية فى شرق الأردن وغربه ثانيا . ولا سيما أن الارتباك لم يلبث أن ألم بالدولة فى عهد الأسرة العشرين أيضا حيث تعاظم ســلطان الكهان وأخذوا يتدخلون فى شـــئون الدولة . وحيث قامت الثورات فى أنحاء عديدة من الامبراطورية . وحيث أخـــذ اللوبيون وغيرهم يجددون غاراتهم على مصر (١) .

ويتراوح التخمين بين أن يكون خروجهم فى عهد منفتـــاح الأول أو الثانى من ملوك الأسرة التاسعة عشرة . ولقـــد كان الارتباك والضعف أشد فى عهد الثانى حيث يسوغ ترجيـــح الخروج فى عهده وهو ما ذكره بعض المؤرخين (٢) .

ولقد جاء فى الجزء الأول من الكافى لشاروبيم (٣) أن بنى اسرائيل قد خرجوا من مصر فى عهد منفتاح الثانى فى ظـــروف ارتباك الدولة المصرية وأن يوسيفوس اليهودى نقل ذلك عـــن مانيثون ، وأن منفتاح الثانى سأل أحد المكاشـــفين أن تتجلى له المعبودات فقال له : لن يكون له ذلك حتى يطهر بلاده مـــن

---

(١) العقد الثمين ص ١٢٥-١٤٩ وكتاب بريستيد المذكور آنفا ص ٣٢١ ومـــا بعدها .

(٢) العقد الثمين ص ١١٧-١٢٢ وبريستيد ص ٢٦٧ وما بعدهـــا والكافى لشاروبيم ج ١ ص ٨١ وما بعدها .

(٣) ص ٩٠-٩٨ .

أصحاب الدناسة وكان يعنى الاسرائيليين ، فجمعهم فى مدينة وشدد عليهم الخناق والعذاب وفى هذه الاثناء ظهر موسى وانتهى الأمر بخروجهم تحت قيادته ، ومما جاء فيه كذلك أن الاسرائيليين ثاروا ثورة عاتية فزحف عليهم منفتاح وقتل منهم مقتلة كبرى ففروا فطاردهم الى أن خرجوا من مصر . والمؤلف يعتمد فيما يورده على المدونات اليونانية القديمة التى تعتمد بدورها على مانيثون المؤرخ المصرى الذى عاش فى القرن الثالث قبل الميلاد وكتب تاريخا شاملا لملوك مصر وسيرتهم .

ولقد قرئت على عمارة فى طيبة أنشأها منفتاح الأول أنشودة ذكر فيها تنكيله ببنى اسرائيل فى جملة ما نكل بهم من سكان فلسطين بسبب ثورة ثاروها ضد السلطان المصرى . ولقد قال بريستيد (١) انه لما زاد الضغط على بنى اسرائيل فى الاعمال البنائية التى كانوا مسخرين لها فى عهد رمسيس الثانى هربت احدى قبائلهم تخلصا من العذاب، وهذا ما قد يسوغ القول ان بنى اسرائيل خرجوا من مصر على دفعتين ، دفعة صغرى فى عهد رمسيس الثانى أو ابنه ودفعة كبرى فى عهد منفتاح الاول أو الثانى ــ والثانى هو المرجح كما ذكرنا قبل ــ وهى التى

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٣٠٠-٢١٤ .

خرجت بقيادة موسى والمتبادر أن الدفعة الأولى دخلت الى فلسطين وعاشت مع سكانها الأولين سلميا كما فعلت أسرة ابراهيم •

والأنشودة المار ذكرها دليل أثرى وقطعى على تسمية بنى اسرائيل باسمهم ، هذا قبل تدوين سفر التكوين الذى يذكر أن يعقوب سمى باسرائيل فكان ذلك أصل تسمية ذريته ببنى اسرائيل •

هذا ، وهناك من ينكر خبر نزوح يعقوب وأبنائه الى مصر وبالتبعية خبر خروج بنى اسرائيل منها • غير أن أوراق البردى المحفوظة فى متحف لايد والتى يتطابق فحواها مع ما جاء فى الاصحاح الأول من سفر الخروج حيث ذكر هذا وتلك : تسخير بنى اسرائيل فى أعمال البناء والطين ، وتؤيد بالتالى وجود بنى اسرائيل ــ العبريو ــ فى مصر فى عهد رمسيس الثانى كما يؤيده ويؤيد خروجهم من مصر واقع طروئهم على شرق الأردن وغربه من ناحية حدود مصر واقعا متسلسل الأحداث والذكر مما لا سبيل الى المراء فيه فيما نرى •

ولقد ذكر الاصحاح الأول من سفر العدد أن موسى أحصى بنى اسرائيل عند خروجهم من مصر فبلغ عدد الذكور الذين هم فى سن العشرين فما فوق (٦٠٣٥٠٠) عدا اللاويين الذين بلغ عدد ذكورهم (٢٢٠٠٠) وهذا يعنى أن عدد بنى اسرائيل حين

خروجهم بقيادة موسى كان نحو مليون ونصف • وهذا كما هو المتبادر من المبالغات التى اختلط فيها الخيال مع الروايات والذكريات • ويلحظ أن اللاويين ذكروا لحدتهم • وفى الاصحاح نفسه تفسير لذلك حيث ذكر أن الرب أمر موسى بعدم عدهم فى جملة بنى اسرائيل ، وبجعلهم موكلين بمسكن الشهادة ـ خيمة المعبد ـ وأمتعته وكل متعلقاته فيحملونه فى الترحال وينصبونه فى الحل ويخدمونه وينزلون حوله ويحرسونه وكل أجنبى تقدم يقتل • وموسى وهارون من بنى لاوى • وهكذا تكون مهمة الكهنوت والخدمة الدينية قد حصرت فى سبطهما • ولم يجعل للاويين نصيب فى توزيع الأرض المفتوحة لانشغالهم بالخدمة الدينية ولكن جعل لهم موارد دينية متنوعة على ما تفيده نبذ عديدة فى أسفار العدد وتثنية الاشتراع •

- ٢ -

ونعود الى السياق فنقول ان الاصحاحات الخامس عشر الى الحادى والثلاثين من سفر الخروج سجلت مراحل بنى اسرائيل الى برية سيناء وما جرى لهم فيها • وقد ارتحلوا من بحر القلزم الى برية شور ثم الى ايليم التى كان فيها اثنتا عشرة عين

ماء ثم الى برية سين ثم الى رفيديم ثم الى برية سيناء حيث أقاموا ردحا من الزمن •

وقد حكى الاصحاح السادس عشر تذمر بنى اسرائيل على موسى وهارون وقولهم لهما : ليتنا متنا فى مصر حيث كنا نشبع من الطعام وسؤالهم لهما عما اذا كانا قد أتوا بهم الى هذه البرية ليقتلوهم من الجوع ـ وأمثال هذا الموقف التذمرى كثيرة فى ابان رحلتهم من مصر الى شرق الاردن حيث يدل ذلك على ضعف مقاومتهم وروحهم التعجيزية وانزال المن والسلوى طعاما لهم ، وقد وصف الأول بانه ندى سماوى أبيض يتجمد ويغدو مثل بذر الكزبرة وطعمه كقطائف بعسل والثانى بانه طير فكان هذا طعامهم اربعين سنة الى أن وافوا حدود أرض كنعان • وحكى الاصحاح السابع عشر خبر مجيء العمالقة لمحاربتهم فى رفيديم وهزيمة هؤلاء بمعجزة ربانية ، وكان هذا أول بادرة عدائية واجهها بنو اسرائيل من سكان البلاد ثم تكررت من مختلف الأرومات فى مختلف الظروف وبدون أى شذوذ حيث يدل ذلك على أن أهل البلاد جميعا توجسوا الشر والخطر من قدوم بنى اسرائيل ، مما له مغزى بعيد عجيب • وقد أثبتت الوقائع صدق حدسهم لأن سيرتهم مع أهل البلاد كانت أسوأ سيرة غدرا وعدوانا وشرها وقسوة وأنانية حتى الذين سالموهم لم يسلموا من شرهم •• وحكى الاصحاح الثامن عشر قدوم

يثرو كاهن مدين وحمى موسى وتهنئة موسى بما صنع الله لـه وتمجيده حيث يدل هذا على أن الكاهن من الموحدين وهو فى تقاليد المسلمين نبى الله شعيب ، وقد أسدى الى موسى النصح باختاره رؤساء للشعب لينظروا فى القضايا الثانوية ويبقى هـو المرجع الأعلى فاتبع موسى نصيحته •

وذكرت الاصحاحات التاسع عشر الى الحادى والثلاثين تجليات الرب لموسى فى جبل سيناء وما القى اليه من وصايـا وتشريعات دينية وتعبدية وخلقية ومدنية • من جملتها التوحيد المطلق وعبادة الله وحده والحظر البات لعبادة أى شىء غيره بأى شكل وعدم السجود لأى صورة مصورة أو منحوتة ، وعدم الحلف بالله باطلا وتحريم العمل فى السبت على الاسرائيلى وعبده وأمته وبهيمته ونزيله ، وتكريم الوالدين ، والنهى عن القتل والسرقة والزنا وشهادة الزور على القريب واشتهاء بيت القريب وامرأته وعبده وأمته وثوره وحماره وعدم صنع أصنام أو مذابح من فضة وذهب والاكتفاء بمذابح ترابيـة وحجرية ، وايجاب عتق أى عبد عبرانى بعد ست سنين من خدمته مع زوجته وأولاده ان كان له زوجة أو أولاد الا اذا فضل البقاء عبدا ، والرفق بالنساء والعدل بين الزوجات وعدم ظلم الغرباء والأرامل والايتام ، وعدم أخذ الربا من العبرانى ورد الرهون لأصحابها وعدم تحريف الشهادة وكتمها وعدم التآمر مع المنافقين وعـدم

الاجحاف فى القضاء ضد المساكين ورد كل ضال من البهائم لصاحبه ولو كان عدوا وعدم أخذ الرشوة ومضايقة الغرباء وقتل القاتل وقتل ضارب والديه ولاعنهما وقتل من يخطف أحدا أو يبيعه وقصاص العين بالعين والسن بالسن واليد باليد والرجل بالرجل والكى بالكى والجرح بالجرح والرض بالرض وقتل من يذبح لآلهة أخرى أو يأتى بهيمة واسترداد المسروق من السارق بزيادة وهدر دم السارق اذا قتله صاحب المال الخ مما فيه كثير من مكارم الاخلاق الرفيعة والأنظمة التى تحمى المجتمع وتحفظ أمنه وتوطد التضامن والبر والاحسان فيه والتى ناقضتها معظم بنى اسرائيل وظلوا يناقضونها فى معظم حقب تاريخهم ، وتأثر بسيرتهم فى ذلك من اعتنق دياتهم من غير جنسهم • ويتبادر لنا أن قيد القريب فى بعض المنهيات متأثر بما كان من مواقفهم وأعمالهم مع غيرهم فيما بعد •

ولقد استغرق تعريف الطقوس والثياب الطقسية الكهنوتية والذبائح الطقسية وخيمة العبادة ورسومها وترتيبها سبعة اصحاحات طويلة من الخامس والعشرين الى الحادى والثلاثين وجاءت مسهبة اسهابا عجيبا فيه كثير من الجزئيات مما نرجح انه متأثر بما كانت عليه طقوس ومعابد ورسوم مصر الدينية أو بما تطورت اليه الطقوس فى بنى اسرائيل فيما بعد •

وحكى الاصحاح الثانى والثلاثون تذمر بنى اسرائيل من

ابطاء موسى فى النزول من الجبل مرة من المرات وطلبهم من هارون صنع آلهة لهم تسير أمامهم ، وتنفيذ هارون للطلب وصنعه من شنوف الذهب التى فى آذان النساء والاولاد عجلا وبنائه أمامه مذبحا وتقريبه القرابين له .. وهكذا لم يكد يجف حبر وصايا الرب حتى بادر بنو اسرائيل الى نقضها مما كان ديدنا لهم فى جميع تاريخهم . وأخبر الرب موسى بحيدان قومه عن الطريق التى أمرهم بسلوكها وسجودهم للعجل المسبوك ، وقال له انهم شعب قساة الرقاب فدعنى أغضب عليهم وأفنيهم. فتضرع موسى وطلب العفو فاستجاب الرب لضراعته ـ وهذا مما يمت الى فكرة الاختصاص الربانى لبنى اسرائيل التى نبهنا عليها قبل والتى كانت تدفعهم الى الانحرافات المرة بعد المرة ـ ورجع موسى ومعه لوحان منقوشان بمعجزة ربانية فيهما الوصايا . ولما وصل ورأى العجل والناس يغنون ويرقصون حوله اتقد غضبه وألقى اللوحين فانكسرا ثم أحرق العجل وذراه وهتف من كان للرب فليقبل الى فاجتمع اليه جميع بنى لاوى فأمرهم بلسان الرب أن يتقلد كل واحد سيفه وأن يقتل أخاه فنفذوا أمره وسقط من الشعب ثلاثة آلاف قتيل ، ثم صعد الى الجبل فناجى ربه معتذرا مستغفرا .

وحكى الاصحاح الرابع والثلاثون ان الرب قال لموسى انحت لوحى حجرين كالاولين فاكتب عليهما الكلام الذى كانعلى

اللوحين اللذين كسرتهما واصعد الى جبلَ سيناء ففعل وهناك ناجى ربه الذى هبط فى الغمام واستغفره واستعطفه على الشعب فقبل الرب منه وقال له : انه بات معه عهدا ومؤيده بمعجزات عظيمة ، وانه طارد من بين يديه الأموريين والكنعانيين والحيثيين والفرزيين والحويين واليبوسيين ، وحذره من ضرب أى عهد لأهل الأرض التى هو صائر اليها لئلا يكونوا فخا بين بنى اسرائيلَ ، ولئلا يفجروا فى اتباع آلهتهم ويذبحوا لها ويأكلوا من ذبائحهم ويأخذوا بناتهم لبنيهم فتفجر بناتهم فى اتباع آلهتهم ويجعلن ابناءهم يفجروا كذلك ، مما هو مشوب بالخيال ومتأثر بروح الاختصاص وعقدته من جهة وبالوقائع التى وقعت مؤخرا فى أرض كنعان بعد موسى من جهة أخرى على ما هو المتبادر . وقد احتوى هذا الاصحاح والاصحاحات التالية له الى آخر الاصحاح الأربعين الذى هو آخر اصحاحات السفر وصايا وتعليمات متنوعة بحفظ أيام الفطير وتخصيص كل بكر ذكر من المواشى للرب وباحترام السبت وبشئون طقسية أخرى وهذه استغرقت الاصحاحات الستة التالية واحتوت تفصيلات جزئية كثيرة وعجيبة فى صنع تابوت العهد ـ الصندوق الذى كانت تحفظ فيه الألواح والذخائر الدينية ، وخيمة العبادة التى تسميها الأسفار أحيانا بخباء المحضر ورسومها وأوانيها وأدواتها وتزييناتها وستاراتها وأعمدتها والثياب

الكهنوتية لهارون وبنيهورسومهم وحدودهم مما هو متأثر ـ فيما يتبادر ـ بما كانت عليه الطقوس فى مصر أو بمـا تطورت اليه الطقوس فى بنى اسرائيل ، واحتوت كذلك تفصيلا للجهد والمال والذهب والحرير المبذول فى صنع ذلك واتمامه على النحـو المأمور به ..

- ٣ -

ويأتى بعد سفر الخروج سفر اللاويين أو الأحبار والاسم الأول للنسخة البروتستانتية . وهو سبعة وعشرون اصحاحا فى تسع وأربعين صفحة . وهو سفر وصايا وتشريعات طقسية ومدنية واجتماعية وخلقية . وفى أول كل اصحاح تقريبا ذكرت عبارة تفيد أن الرب كلم موسى وأمره بابلاغ مـا فى الاصحاح لبنى اسرائيل .

ولقد احتوى السفر تشريعات ووصايا وتفصيلات كثيرة عن كفارات الذنوب والأخطاء والطقوس والثياب والأطعمة المحرمة والأنكحة المحرمة والاعياد والنذور والطهارة والنجاسة والبرص والسيلان حتى لكأن السفر مخصص لهـذه الشئون لانهـا استغرقت معظم اصحاحاته .

وقد أوجب على من يخطىء سهوا فى حق الله ووصاياه أن يأتى الى الكاهن معترفا ومقدما ذبيحة كفارة عن خطئه. وأوجب مثل ذلك على كل من حلف كاذبا أو مس نجاسة او جحد وديعة أو غصب شيئا أو وجد ضالة وجحدها مع رد ما أخذه .

وقد حرم أكل شحم البقر والضأن والمعز والميتة والدم وذوات الاظفار غير المشقوقة من المجترات كالجمل والارنب والخنزير وما ليس له زعانف وفلوس من حيوانات الانهار والبحار والطيور الجارحة والحشرات والجراد والفأر والضب والحرباء .

وقد قضى بنجاسة كل من مس ميتة أو كل من به سيلان او برص أو مسهما أو جلس مجلسهما أو مس أمتعتهما وأوجب عليه الاغتسال كما أوجب ذلك من الجماع فى نفس اليوم .

وحرم نكاح الأم والأخت والبنت وبنت الابن وبنت البنت وبنت الزوجة وبنت زوجة الأب والخالة والكنة وزوجة الأخ واخت الزوجة ووطء الذكر والبهيمة ومضاجعة الطامث

وفيه نهى متكرر عن عبادة الاصنام وصنعها والشرك بالله والتجديف عليه والقتل والسرقة والزنا وشهادة الزور والرشوة والاجحاف والظلم والغصب وأخذ الربا من الاسرائيلى والبغاء والتحايل والجور بالفقراء والضعفاء والغرباء وظلمهم ومحاباة الأقوياء والعظماء والنميمة والبغض والحقد والتطير والتفاؤل

وحلق الرأس دائريا واحفاء العارض واتباع العرافين وأصحاب التوابع ـ الذين يزعمون أن لهم تابعين من الجن على ما هو المتبادر ـ والحلف الكاذب وشتم الأصم ووضع العثرات فى طريق الأعمى وهضم أجرة الأجير وتأخيرها عليه والوفاء بالوزن والكيل والمقياس .

وأوجب قتل من يذبح للاصنام أو يقدم ابنه قربانا لمولك(١) ومن يميل الى أصحاب التوابع والعرافين ليفجر بذلك ومن يلعن أباه وأمه والزانى والزانية وواطىء البهيمة والمرأة التى تجعل البهيمة تنزو عليها وناكح المحرمات .

وأجاز السفر استرقاق الاسرائيلى لأخيه اذا رقت حاله وأراد أن يبيع نفسه على أن يعامله سيده برفق كاجير وعلى أن يكون له أو لقريبه حق فك رقبته وفى هذه الحالة تحسب أجرة السنين التى قضاها من الثمن . وأجاز كذلك استرقاق الدخيل والغريب مع حقه أو حق قريبه فى فكاكه كذلك .

وفى السفر تشريع سبت دورى كل سبع سنين وآخر كل خمسين سنة وهذا الأخير سمى يوبيلا . ففى كل سبع سنين تراح الأرض فلا تزرع . وفى كل خمسين سنة ينادى بعتق كل رقبة ، ورد كل ملك لمالكه ، وكل أرض لصاحبها وكل رقيق الى عشيرته حرا .

---

(١) مولك اله كنعانى كان يقرب له الابناء حرقا .

وفى الاصحاح التاسع عشر هذه العبارة « اذا نزل بكم غريب فى أرضكم فلا تهضموه . وليكن عندكم الغريب الدخيل فيما بينكم كالصريح منكم وكنفسك تحبه لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر » .

وفى الاصحاح العشرين ايجاب بقتل أى كان من بنى اسرائيل أو الغرباء الدخلاء فيهم يعطى من نسله «لمولك» ثم يستمر الاصحاح فى الأوامر والنواهى والعقوبات بصيغة مطلقة بحيث تبدو أنها شاملة للاسرائيليين والغرباء والدخلاء فيما بينهم ، هذا فى حين أنه ليس فى الأسفار شىء يدل على أن موسى أو بنى اسرائيل مأمورون بدعوة غيرهم الى ديانتهم ، وان كل ما فيها منصب على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة وكون الرب ربهم الخاص تنزه وتعالى . فالظاهر انهم كانوا يتساهلون فيقبلون انتساب الغرباء والدخلاء الذين يعيشون بينهم الى ديانتهم ويشملونهم بأحكامها ورسومها ، وليس ذلك دعوة ولا تبشيرا ، بحيث يقال ان الديانة اليهودية ليست تبشيرية ولا انسانية عامة مع أن ما انطوى فيها من تعاليم ومبادىء وخاصة توحيد الله وعبادته وحده بأسلوب صارم يجعلها جديرة بأن تكون ديانة ورسالة انسانية عامة وخالدة .

والمتبادر أن هذا قد أتى من عقدتهم النفسية التى نبهنا عليها حيث جعلتهم شديدى الأنانية والعزلة والكراهية بالنسبة للامم

الأخرى وجعلتهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المقدس ويعتبرون جميع الشعوب دونهم وعبيدا لهم ويسجلون ذلك فى أسفارهم ، مما أثار ضدهم جميع الشعوب قديما وحديثا •

واذا كانت طوائف من أمم أخرى اعتنقت الديانة اليهودية مما هو ثابت يقينا فى ظروف سبيهم الى بابل وبعد عودتهم من السبى ثم بعد جلائهم عن فلسطين بعد الميلاد فالمتبادر أن ذلك كان بسبب ما صاروا اليه من حالة وهن وتشتت • ولعله كان من قبيل التساهل بقبول من أراد اعتناقها ممن كان مندمجا فيهم كدخلاء أو غرباء أو لأجل تقوية أنفسهم بهم •

ولقد احتوى الاصحاح السادس والعشرون من السفر ترغيبا وترهيبا شديدين لبنى اسرائيل فى حالة اتباعهم هذه الوصايا ومخالفتهم لها فقال لهم بلسان الرب : « ان جريتم على رسومى وحفظتم وصاياى وعملتم بها أتت غيوثكم فى أوانها وأخرجت الأرض غلالها وتأكلون طعامكم شبعا وتقيمون فى أرضكم آمنين وألقى السلام فى الأرض وأزيل الوحوش الضارية منها فلا يكون عليكم مزعج ولا يمر فى أرضكم سيف وتطلبون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف ويطرد الخمسة منكم المائة والمائة الربوة وأنسيكم وأكثركم وأثبت عهدى لكم وأجعل مسكنى فيما بينكم ولا أخذلكم وأكون لكم الها وتكونون لى شعبا • وان لم تسمعوا لى وتعملوا بجميع هذه الوصايا ونبذتم رسومى ونقضتم

عهدى فانى أسلّط عليكم رعبا وسلا وحمى تفنى العينين وتتلف النفس وتزرعون باطلا فيأكله أعداؤكم وأجعل وجهى ضـــدكم فتنهزمون من وجود أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم • ثم ان لم تطيعونى بعد هذا زدتكم تأديبا على خطاياكم سبعة أضعاف فأحطم شامخ عزكم وأجعل سماءكم كالحديد وأرضكم كالنحاس وتفرغ قواكم عبثا ولا تخرج أرضكم اتاءها ولا تثمــر شجركم وان جريتم معى بالخلاف ولم تشاءوا أن تسمعوا لى زدتـــكم سبعة أضعاف من الضربات على خطاياكم • وأطلقت عليكم وحش الصحراء فتثكلكم وتهلك بهائمكم وتوحش طرقــكم • وان لم تتأدبوا بهذه وجريتم معى بالخلاف جريت أنا أيضـــا معــكم بالخلاف وضربتكم سبعة أضعاف خطاياكم فأجلب عليكم ســيفا منتقما نقمة العهد فتتجمعون الى مدنكم وأبعث الوباء فيما بينكم وتسلمون الى أيدى العدو واذا قطعت عنكم قوام الخبز تختبز عشر نساء الخبز فى تنور واحد ويرددن خبزكم بالميزان وتأكلون ولا تشبعون • وان لم تخضعوا لى بذلك وجريتم معى بالخلاف جريت انا ايضا معكم بالخلاف ساخطا وادبتكم سبعة اضعاف على خطاياكم فتأكلون لحوم بنيكم وتقتاتون بلحم بناتـــكم وأدك مشارفكم وأحطم تماثيل شموسكم والقى جثثكم على جثـــث أوثانكم وتكرهكم نفسى • وأجعل مدنكم قفرا ومقادســـكم موحشة وأترك الأرض بلقعا فيذهل لها أعداؤكم الذين يسكنونها

وابددكم فيما بين الأمم واجرد وراءكم سيفا فتصير أرضكم خرابا ومدنكم قفرا . حينئذ تستوفى الارض سبوتها طول أيام وحشتها وأنتم فى أرض أعدائكم . والباقون منكم ألقى الجبن فى قلوبهم فى أراضى أعدائهم حتى يهزمهم صوت ورقة متحركة فيهربون هربهم من السيف ويسقطون ولا طالب . ويعثر الواحد بأخيه كمن يهرب من أمام السيف ولا طالب . وتبادون بين الأمم وتأكلكم أرض أعدائكم . والباقون منكم ينقرضون بذنوبهم فى أراضى أعدائهم وبذنوب آبائهم ايضا يضمحلون . حتى يعترفوا باثمهم وباثم آبائهم فى خيانتهم التى خانوا لى ، وفى سلوكهم معى بالخلاف فأسلك معهم أنا بالخلاف وأدخلهم أرض أعدائهم حتى تتذلل قلوبهم الغلف وحينئذ يكفونعن اثمهم فاذكر عهدى مع يعقوب واسحق وابراهيم وأذكر الأرض وقد أخليت منهم واستوفت سبوتها فى وحشتها وكفوا هم عن اثمهم . واذا كانوا حينئذ فى أرض أعدائهم لا أخذلهم ولا أكرههم بحيث أفنيهم وأفسخ عهدى معهم لانى أنا الرب الههم بل أذكر لهم عهد الأولين الذين أخرجتهم من أرض مصر على عيون الأمم لأكون لهم الها أنا الرب » .

ويلمح فى العبارات الأخيرة أثر ما نبهنا عليه من مزاعم الاختصاص التى أوجدت عقدة فى بنى اسرائيل من حيث كون الاله هو الههم وكونهم هم شعبه وأنه يشفق عليهم وينقذهم مهما

أثموا وانحرفوا وطغوا وبغوا . كما يلمح فيها . وفى الاصحاحات الأخرى أثر ما كان من سيرة بنى اسرائيل وأحداثهم فى أرض كنعان وما كان من انحرافاتهم وما أصابهم من نكال وتشريد بسببها .

- ٤ -

يأتى بعد سفر الاحبار سفر العدد وهو ستة وثلاثون اصحاحا فى سبعين صفحة حسب الطبعة الكاثوليكية . وقد احتوى سيرة بنى اسرائيل فى برية سيناء وما بعدها استمرارا لسيرتهم التى قصتها اصحاحات سفر الخروج . وفيه كثير من التنظيمات والتشريعات الطقسية والكهنوتية والاجتماعية والمدنية. وفيه كثير من الغلو والخيال والمفارقات العجيبة التى امتزج فيها الخيال بالذكريات كما يلمح فى كثير مما احتواه أثر الوقائع التى تمت لبنى اسرائيل بعد طروئهم على شرق الاردن وغربه ، على أن الذى نرجحه ان محتوياته لا تخلو من حقيقة تاريخية أيضا .

وفى اصحاحه الاول احصاء لذكور بنى اسرائيل البالغين عشرين فما فوق وأسماء رؤساء أسباطهم . وقد بلغ عددهم ٦٠٣٥٠٠ عدا اللاويين ، وفى اصحاحه الثانى ترتيب لمنازلهم حسب

أسباطهم فى الحل والترحال وقد اعتبر جميع العـــدد المذكور محاربين وسمى رجال كل سبط بالجيش ، وفى اصحاحه الثالث والرابع احصاء الذكور اللاويين من ابن شهر فصاعدا واسـماء رؤساء عشائرهم وترتيب خدماتهم الدينية ومنازلهم حول الخبـاء وتخصيص الكهانة والتقديسات بهارون وبنيه • وقد بلغ عـدد الذكور من ابن شهر فصاعدا ٢٢٠٠٠ وعدد أبناء الثلاثين فمـــا فوق ١٧١٨٥ ، وفى اصحاحه الخامس أمر بنفى كل أبرص وكل من به سيلان وكل متنجس بمس ميت الى خارج المحلة حتى لا يتنجس به بقية من فى المحلة ، وايجاب على أى مذنب رجلا كان أو امرأة أن يعترف بذنبه ويكفر عنه ويرد ما دخل فى يده من مال الآخرين بزيادة ، وفيه تشريع لخيانة الزوجة التى لا شهود عليها حيـث يأخذها زوجها الى الكاهن فيجرى بعض الطقوس ثم يحلفها يمين اللعنة فيقول لها ان لم يضاجعك رجل ولم تنحازى الى نجاسـة رجل غير بعلك فأنت بريئة من الماء المر الجالب للعنة والا فالرب يجعلك لعنة ويجعل وركك ساقطة وبطنك وارما ويكتب هـــذا اليمين ويمحى الكتابة بماء مر ويسقيه لها ويقول الاصـحاح اذا كانت الزوجة آثمة فان الماء المر يدخل للمرارة فيرم بطنها وتسقط وركها وتكون لعنة بين شعبها والا فانها تبرأ منه وتحمل بنين !

وفى الاصحاحات من السادس الى العاشر تفصيل للاحتفـال الذى أقامه موسى وبنو اسرائيل لنصب الخباء والذبائح والتقدمات

والبخور والعطور التى قدمت وأحرقت فيه والخدمات التى قام بها هارون واللاويون ، وبيان فى عيد الفصح ووقته وطقوسه . ويقول الاصحاح السابع ان موسى كان اذا دخل الخباء ليكلم الرب يسمع صوتا يخاطبه من فوق الغشاء الذى على تابوت الشهادة من بين الكروبيين ـ تماثيل الملائكة المجنحة ـ ويقول الاصحاح التاسع ان الغمام كان يغطى الخباء فى النهار وكان منظره فى الليل كمنظر نار ، وان بنى اسرائيل كانوا يرتحلون اذا ارتفع الغمام عن الخباء وينزلون اذا حل عليه فيقيمون فى منزلهم الى أن يرتفع مهما طال حلوله . ويقول الاصحاح العاشر ان الرب أمر بصنع بوقين من الفضة ليجتمع بنو اسرائيل ويرحلوا ويقيموا بالنفخ عليهما من قبل الكهان بنى هارون ، وان الرب جعل النفخ بالأبواق رسما ابديا لبنى اسرائيل فاذا خرجوا الى عدو وضايقهم هتفوا فسارع الرب الى انقاذهم ! وهذا الاصحاح ذكر أن بنى اسرائيل أخذوا يرتحلون من برية سيناء فى الشهر الثانى من السنة الثانية وكان سيرهم حسب ترتيبهم الذى رتبهم عليه موسى .

ويحكى الاصحاح الحادى عشر مسارعة بنى اسرائيل الى التذمر من مشقة الرحلة مما كان وظل يتكرر منهم ازاء كل مشقة ومما يدل على انعدام قوة المقاومة والصبر فيهم ، وسماع الرب تذمرهم واشتداد غضبه عليهم واشتعال نار الرب واحراقها بعض أطراف المحلة عقوبة لهم ، وصراخ الشعب الى موسى ودعاء هذا

للرب حتى خمدت النار • ولم يلبثوا أن عادوا الى التمر لحرمانهم من القثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم واللحم والسمك واقتصار غذائهم على المن ، وجلسوا على أبواب أخبيتهم يبكون ويندبون حظهم مما جعل غضب الرب يشتد من جديد بقوة وجعل موسى يستاء ثم يخاطب ربه قائلا : لم ابتليت عبدك ووضعت أثقال هذا الشعب على ؟ وهل أنا الذى ولدتهم حتى تقول لى : احملهم فى حجرك كما تحمل الحاضن الرضيع ، وانى لست طائقا حمله وحدى لأنه ثقيل على والا فاقتلنى ولا أرى بليتى • فأرسل الرب عليهم زحفا من طير السلوى ذراعين على وجه الأرض وملء مسيرة يوم وبينما اللحم بين أسنانهم لم يبدأوا بمضغة ضرب الرب الشعب من غضبه عليهم ضربة شديدة فسمى الموقع قبور الشهوة لأنهم دفنوا فيه القوم المشتهين للاطعمة الاخرى وتذمروا من أجلها •

وحكى الاصحاح الثانى عشر ثورة نفسية طريفة لهارون ومريم اخوى موسى على أخيهما بسبب زوجته الحبشية وقالا : ترى هل الرب كلم موسى وحده ؟ وألم يكلمنا نحن أيضا ؟ حيث تفيد العبارة أنه كان بينهما وبين الزوجة تشاد وتنافر ، وهكذا لم ينج أخو موسى وشريكه مع أخته من خلق التذمر والحسد والانانية على رأى الاصحاح • ويقول الاصحاح ان الرب نزل فى عمود غمام ووقف على باب الخباء ونادى هارون ومريم فقال

لهما اذا كان فيكم نبى فلا أخاطبه الا فى رؤيا وحلم أما موسى فانى أخاطبه عيانا فما بالكما لم تهابا من التكلم فى حقه ثم اشتد غضب الرب عليهما ومضى ، فما لبثت أن صارت مريم برصاء كالثلج فأخذ هارون يستعطف موسى فصرخ هذا داعيا بشفائها فقال الرب له لو أن اباها بصق فى وجهها أما كان يجب أن تستحى سبعة أيام وأمر بحجزها خارج المحلة سبعة أيام ثم برئت فرجعت الى المحلة •

وحكى الاصحاح الثالث عشر ان الشعب ارتحل بعد ذلك من حبرون ونزل فى برية فاران فأمر الرب موسى بارسال رجال يتجسسون على أرض كنعان فاختار رجلا من كل سبط وأرسلهم لمعرفة الأرض وسكانها وحالتهم فصعدوا واجتسوا الأرض من برية صين الى رحوب (١) عند مدخل حماه ـ ثم صعدوا من الجنوب ووافوا حبرون وكان هناك أحيماى وشيشاى وتلماى من بنى عناق (٢) وقطفوا زرجونة ـ غصنا ـ بعنقود واحد من العنب احتاج الى اثنين لحمله بعتلة مع شىء من التين والرمان ثم عادوا الى جماعتهم فى قادش فى برية فاران وقالوا ان الأرض بالحقيقة

(١) قال مفسرو الاسفار أن رحوب كانت فى انحاء دان قريبة من منابع الاردن وأن تعبير مدخل حماه يقصد منه امتداد حدود مملكة حماه اليها . انظر مقال « فى العبرانيين للدبس » ص ١٦٠ وفى الاصحاح الثالث من سفر التثنية سميت مملكة عوج ملك باشان التى يقوم منها اليوم مدينة بيسان باسم كورة ارحوب ولعلها هى فتكون مملكة حماه ممتدة الى حوران وتخوم مملكة بيسان والحالة هذه •

(٢) قد تفيد العبارة أن الاسماء هى أسماء عشائر من بنى عناق •

تدر لبنا وعسلا وهذا ثمرها ولكن الشعب فيها قـــوى والمدن حصينة عظيمة جدا ورأينا بنى عناق العمالقة وهم مقيمون بأرض الجنوب والحيثيين واليبوسيين والكنعانيين وهم مقيمون فى الجبل والكنعانيين وهم مقيمون عند البحر وعلى عـــدوة الأردن ــ والعبارة تفيد كما يبدو كثافة السكان وقوتهم وضخامة عمرانهم غرب الأردن ــ وقالوا لا نقدر على الصعود اليهم لأنهم أشـــد منا وهم أناس طوال القامة وقد صرنا فى عيوننا كالجراد وكذلك كنا فى عيونهم • وأخذوا يشنعون على الأرض بين بنى اسرائيل فرفع الجماعة أصواتهم وصرخوا وبكوا وتذمـروا على موسى وهارون وقالوا لهما ياليتنا متنا فى أرض مصر أو فى البرية ولماذا أتى الرب بنا الى هذه الأرض حتى نسقط تحت السيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة ، وأليس خيرا لنا ان نرجع الى مصر ؟ ثم قال بعضهم لبعض تعالوا نقم لنا رئيسا ونرجع الى مصر • فتأثر موسى وهارون ووقعا على وجهيهما أمام الجمهور وحاول كالب ويشوع وهما من الجواسيس الاثنى عشر أن يبثا الشـجاعة فى قلوب الناس فاتقد غضب الجمهور عليهما حتى حاولوا رجمهما بالحجارة • ويقول الاصحاح وحينئذ ظهر مجد الرب فى الخبـاء وخاطب موسى قائلا : الى متى يستخف بى هؤلاء ولا يؤمنون بى مع جميع ما صـــنعته لهم من آيات ؟ وهأنـــذا سأضربهم بالوباء وأقرضهم ، الى كم أحتمل هذه الجماعة الشريرة المتذمرة

على ؟ فأخذ موسى يستعطف الرب ويصفه بطول الاناة والرأفة ويطلب الصفح عن الشعب حتى قال له قد صفحت كما طلبت ، ولكن جميع الرجال الذين رأوا مجدى وجربونى عشر مرات ولم يسمعوا لقولى لن يروا الأرض ثم أمرهم بالرحيل الى البرية قائلا : فى هذا البر تسقط جثث كل المعدودين منهم عدا كالب ويشوع أما الأطفال فهم الذين يرون الأرض ، وسيكونون رعاة فى البرية أربعين سنة ويحملون فجورهم الى أنْ تفنى أجسادهم فيها . ولأوقعن بجميع هذه الجماعة الشريرة المتجمعة على . وفى البرية يموتون وينقرضون . ثم ضرب الرب الجواسيس العشرة الذين أثاروا ذعر الشعب فماتوا . ولما سمع الشعب كلام الرب بكوا وناحوا واعترفوا بخطئهم وأرادوا أن يتقدموا فى السير نحو أرض كنعان فنهاهم موسى وقال لهم لن يكون الرب معكم فلم ينتهوا وأخذوا يصعدون الى الجبل فنزل العمالقة والكنعانيون اليهم فضربوهم وحطموهم وشردوهم الى حرمة .

واحتوى الاصحاح الخامس عشر تفصيلات فى صدد المذبح والذبائح وايجابا على الذين ينزلون بين بنى اسرائيل من الغرباء أن يفعلوا مثلهم فيها ، حيث يدل هذا على ايجاب تدين الغريب الذى يكون عندهم بدينهم الزاما .

ومن الجدير بالذكر فى هذه المناسبة أنه ليس فى الأسفار ما يوجب على بنى اسرائيل التبشير بدينهم ودعوة غيرهم اليه

الا مثل هذا النص ومثل نص ورد فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر تثنية الاشتراع بهذه العبارة التى وردت بعد حظر دخول مرضوض الخصيتين والمجبوب ـ وهذا من الطرائف العجيبة التى لا يفهم لها حكمة ـ والعمونى والمؤابى فى جماعة الرب الى الأبد لأن العمونيين والمؤابيين لم يتلقوا بنى اسرائيل بالخبز والماء فى الطريق عند خروجهم من مصر « لا تكره الآدومى لأنه أخوك ولا تكره المصرى لانك كنت نزيلا فى أرضه والجيل الثالث الذين يولدون لهم يدخلون فى جماعة الرب وهذا وذاك لا يوجبان على بنى اسرائيل مع ذلك دعوة كما هو واضح وكل ما فيهما السماح بالدخول فى جماعة الرب مع التحفظ ، والراجح أن الذين اعتنقوا اليهودية من غيرهم اعتنقوها من طريق هذه النصوص مع مايلمح فيها من أثر واقع بنى اسرائيل وصلاتهم مع الآدوميين والمصريين فى ظرف من الظروف •

وقد أوجب الاصحاح قطع ـ قتل ـ أى اسرائيلى أو دخيل يزدرى بالرب ويستهين بكلامه وينقض وصاياه • وحكى أن اسرائيليا احتطب فى هذه الاثناء فى يوم السبت فأمر الرب موسى بقتله رجما فرجم حتى مات •

وحكى الاصحاح السادس عشر خبر حركة ثورية أو تذمرية ضد موسى وهارون قادها شخص من اللاويين اسمه قورح واثنان من بنى راؤبين وانضم اليهم ٢٥٠ من رؤساء بنى اسرائيل ، حيث

ذهبوا الى موسى وهارون وقالوا لهما ما بالكما ترفعان على جماعة الرب ــ اللاويين ــ مع أنهم مقدسون والرب بينهم ؟ فلما سمع موسى ذلك سقط على وجهه ثم قال لهم غدا يعلن الرب من هو المقدس فيقربه اليه وطلب احضار مجامر وبخور لحرقه أمام الرب فى الغد ، ثم قال لقورح أقليل عندكم يا بنى لاوى أن الرب قربكم اليه دون بنى اسرائيل وخصصكم لخدمة سكنه حتى تطلبوا الكهانة ايضا ؟ واستدعى الزعيمين الآخرين فلم يلبوا دعوته وقالوا لرسله يقولون له أقليل انك أخرجتنا من أرض تدر لبنا وعسلا لتقتلنا فى البرية حتى تريد أن تترأس علينا أيضا ؟ ولم تدخلنا أرضا تدر لبنا وعسلا ولا أعطيتنا ميراث كرم وحقل • وفى الغد اجتمع الجماعة وحرقوا البخور فتجلى الرب وقال لموسى وهارون انفرزا من الجماعة حتى أفنيهم فسقطا على وجهيهما وقالا : اللهم واحد يخطىء وتسخط على الجماعة كلها ، فأمر الرب أن تتباعد الجماعة عن مساكن الزعماء الثلاثة فتباعدت فلم تلبث الأرض ان انشقت وابتلعتهم بجميع مالهم وبيوتهم وأهلهم ثم خرجت نار من عند الرب فأكلت المائتين والخمسين الذين تضامنوا معهم • ثم وطد الاصحاح الكهانة وايقاد البخور أمام الرب لنسل هارون فقط • وعاد بنو اسرائيل فى الغد فشغبوا على موسى وهارون وقالوا لهما انكما قتلتما شعب الرب وهموا بالهجوم فالتجآ الى الخباء فاذا الغمام يغطيه والرب يتجلى فيه ويقول

لموسى وهارون انفرزا من الجماعة لأفنيهم فى لحظة فأمر موسى هارون بالاسراع فى ايقاد البخور للتكفير عن الجماعة ولكن لم يكد يفعل حتى بدأت ضربة الرب فى الشعب فمات منهم ١٤٧٠٠ وتقدم هارون بالبخور وكفر عن الشعب ووقف بين الأحياء والموتى فانكفت الضربة .

وفى الاصحاحين السابع عشر والثامن عشر توطيد متنوع الأسلوب لمهمة الكهانة لهارون وبنيه مع توطيد خدمات المخبأ الأخرى للاويين ، واعلان لحرمان هارون وبنيه واللاويين من ارث الأرض وتخصيص العشر من كل شىء لهم مقابل خدماتهم الدينية .

وفى الاصحاح التاسع عشر تشريع بحفظ رماد بقرة بعد حرقها وخلطه بماء ينضح به كل متنجس حتى يطهر . وتشريع بنجاسة كل من لمس ميتا أو قتيلا أو قبرا أو عظم انسان سبعة أيام ونضحه بماء رماد البقرة حتى يطهر وايجاب قتل من لم يفعل ذلك اسرائيليا كان أم دخيلا . وهو غريب وطريف . ويحتمل أن يكون هذا متأثرا بطقوس المصريين ومتصلا بقدسية العجل أبيس عندهم .

واحتوى الاصحاح العشرون خبر حلول بنى اسرائيل فى برية صين أثناء تيههم وتذمرهم وشغبهم على موسى وهارون قائلين لهما متنا عند اخوتنا ولماذا أصعدتما نا من مصر وجئتما بنا الى هذه

الأرض الخبيثة التى لا زرع فيها ولا شجر ولا ماء ؟ فقال لهم موسى : أتريدون أن أضرب الصخرة لأخرج لكم منها ماء فتجلى الرب وأمره بضربها بالعصا فتفجر منها الماء فعلا ثم قال لموسى وهارون بما أنكما لم تؤمنا بى ولم تقدسانى على عيون بنى اسرائيل فأنتما أيضا لا تدخلان الأرض التى أعطيتها للجماعة !

ثم حكى الاصحاح نفسه خبر ارسال موسى رسلا من قادش الى ملك أدوم يحكون له قصة خروج اسرائيل بعد العذاب والاضطهاد ويطلبون منه اذنا بالمرور من أرضه ويتعهدون له بالسير فى الطريق السلطانى دون الحيدان يمنة اويسرة أو الاضرار بحقل أو كرم الى أن يجوزوا تخمه ، فأبى وأنذرهم بالحرب ، ثم خرج عليهم بشعب عظيم ويد شديدة فتحولوا عن تخمه وداروا حوله بطريق جبل اسمه هور حيث مات هارون ودفن فيه . وقد ذكر الاصحاح الثانى من سفر التثنية الذى يأتى بعد سفر العدد هذا أن الرب أمر بنى اسرائيل بعدم مناصبة بنى عيسو المقيمين فى جبل سعير العداء فانه غير معطيهم من أرضهم شيئا ولو موطىء قدم لأنه وهبها لعيسو ميراثا ، وأنه أمرهم أن يدوروا حول تخمه اذا لم يؤذن لهم بالمرور من الأرض حيث يراد بذلك تعليل عدم الدخول فى أرض أدوم عنوة كما هو المتبادر . فقد جاء وقت غزا بنو اسرائيل بلاد أدوم فى عهد داود وسليمان وكانوا يفرضون

سلطانهم عليها فترة بعد فترة كما حاولوا ذلك بعدهما ناقضين وصية ربهم المزعومة •

ويستفاد من الاصحاح الثانى من سفر التثنية ايضا أن تحرك بنى اسرائيل نحو أدوم وشرق الاردن انما كان بعد أن فنى الرجال المعدودون الذين جبنوا عن التقدم وقضى عليهم بعدم دخول أرض كنعان وبالفناء بالبرية •

وحكى الاصحاح الحادى والعشرون من سفر العدد أن ملك عراد (١) الكنعانى سمع خبر مجىء بنى اسرائيل عن طريق أتاريم فخرج اليهم وقاتلهم وسبى منهم فدعا بنو اسرائيل لربهم فدفع اليهم الكنعانيين فأسلبوهم هم ومدنهم حسب عبارة الاصحاح ! ثم رحلوا من طريق بحر القلزم على ما حكاه الاصحاح نفسه ليدوروا حول أرض أدوم ولم يلبثوا أن عادوا الى تذمرهم على موسى قائلين له : لماذا أصعدتنا من مصر لنموت فى البرية ؟ فسلط الله عليهم الحيات فلدغت وأماتت منهم كثيرين فتضرع موسى للرب فكف عنهم الحيات وأمره بصنع حية نحاسية ورفعها على سارية فيبرأ كل لديغ نظر اليها • وهذا أثر من آثار الطقوس المصرية وتعاويذهم على ما هو معلوم • ثم ارتحلوا بضع مراحل حتى نزلوا فى منزل يدعى باموت • ومن هنا أرسل موسى رسلا

---

(١) يقول مفسرو الاسفار ان عراد فى منطقة الحجر العربية أى وادى موسى • انظر مقال فى العبرانيين للدبس ص ١٦٤ •

الى سيحون الأمورى ملك حشبون التى يقوم مكانها اليوم قرية حسبان فى البلقاء فى شرق الأردن يطلب منه الاذن بالمرور من أرضه فأبى وخرج مع جميع قومه للقاء بنى اسرائيل ومنعهم واشتبك معهم فى حرب فى ياهص دارت فيها الدائرة عليه فاستولوا على أرضه ومدنه من أرنون الى يبوق الى تخم بنى عمون الذى كان منيعا على ما ذكره الاصحاح نفسه • وقد ذكر الاصحاح الثانى من سفر التثنية أنهم قتلوا كل الرجال والنساء والأطفال ولم يبقوا باقيا وأخذوا كل ما وجدوه من بهائم وأموال• وبعد أن اقاموا ردحا فى المدن والأرض المفتوحة صعدوا فى طريق باشان التى يقوم مقامها اليوم مدينة بيسان فخرج عليهم ملكها عوج مع جميع قومه واشتبك معهم فى الحرب فى مكان اسمه أذرعى ــ لعله مكان قرية اسمها زرعين اليوم بين بيسان ومرج بنى عامر ــ وشجعهم الرب وقال لهم تصنعون به ما صنعتم بسيحون فكتبت لهم الغلبة عليه فضربوه وقومه حتى لم يبق له شريد وورثوا أرضه •

ونبه على أن هذه العبارة تكررت بعد هذا كثيرا ولكن النصوص تفيد أنها لم تكن صادقة وأنه كان فى هذه المنطقة وغيرها مما ذكرت الأسفار نفس العبارة عن سكان لم يقو بنو اسرائيل على طردهم فبقوا حيث هم ، مما هو من مبالغات الأسفار كما هو المتبادر •

ونقول استطرادا ان الاصحاح الثالث من سفر التثنية ذكر أن عوج من الرفائيين وبالتالى من الأرومات العربية الأصل على ما رجحناه قبل ، وأن منطقة كانت تسمى كورة أرحوب وأن عدد مدنها التى استولى عليها بنو اسرائيل ستون وأنها كانت محصنة بأسوار شامخة وأبواب ومزاليج وكان يتبعها قرى كثيرة جدا حيث يدل هذا على ما كانت عليه هذه المنطقة من عمران وكثافة سكان •

ويحكى الاصحاح الثانى والعشرون خبر ارتحال بنى اسرائيل بعد ذلك ونزولهم فى صحراء مؤاب التى عبر أردن أريحا ورأى بالاق بن صفور ملك مؤاب ما صنعه بنو اسرائيل فى الأموريين فارسل وفدا الى بلعام بن يعور الذى كان يسكن مدينة اسمها فاتور على النهر لاستدعائه اليه لأجل لعن بنى اسرائيل الذين غطوا وجه الأرض وطردهم من حدود مملكته • ثم يحكى الاصحاح والاصحاحان التاليان له ما كان بين بالاق وبلعام ومباركة بلعام لبنى اسرائيل بدلا من لعنتهم بأمر الرب فى سياق طويل لا يخلو من خيال ومبالغة وان كان لا يخلو من حقيقة أيضا على ما نرجح •

ولم يقع بين بنى اسرائيل وبين المؤابيين والعمونيين صدام فى هذه المرحلة وتعزو الاسفار ذلك أيضا الى وصية الرب حيث ورد الاصحاح الثانى من سفر التثنية أن الرب أمرهم بعدم مناصبتهم

العداء لأنه غير معطيهم شيئا من أرضهم ولا موطىء قدم لأنه وهبها ميراثا لبنى لوط .

ولقد جاء وقت غزا فيه بنو اسرائيل هذه البلاد أيضا وحاولوا فرض سلطانهم عليها فترة بعد فترة ناقضين وصية ربهم المزعومة، والظاهر أن هذه البلاد وأهلها كانوا من القوة بحيث لم ير بنو اسرائيل لهم طاقة بهم فى هذه المرحلة فتحرزوا من الاشتباك معهم . والوصية لم تشمل مملكة سيحون الأمورى . ومع ذلك لم يحاولوا دخولها عنوة وطلبوا الاذن بمرورهم منها مرورا ، مما قد يؤيد ما قلناه .

وقد ينطوى فى هذا دليل على مبالغة الأسفار فى عدد المحاربين من بنى اسرائيل الذى قال الاصحاح الثانى من سفر العدد انه ستمائة ألف ونيف !

ويبدو من الحركات التى قام بها بنو اسرائيل بقيادة موسى فى شرق الأردن أن الأرض التى منعوا منها أربعين سنة هى غرب الأردن وبالتالى فان غرب الأردن فقط هى أرض كنعان التى كانوا وظلوا يزعمون أن الههم اعطاها لهم . .

ونعود الى السياق فنقول ان الاصحاح الخامس والعشرين من سفر العدد ذكر ان بنى اسرائيل أقاموا فى شطيم التى يرجح أنها شطه اليوم فى منطقة بيسان ، وأنهم أخذوا يفجرون مع بنات مؤاب وأن البنات دعونهم الى ذبائح آلهتهم فأكلوا منها وسجدوا

للآلهة وتعلقوا ببعل فاغور (١) ، وأن غضب الرب اشتد عليهم فأمر موسى القضاة ـ لعل المقصود النقباء ـ بقتل كل واحد تعلق بالبعل . وفى هذه الأثناء جاء اسرائيل ومعه بغى مدينية فقدمها لاخوته بينما كان بنو اسرائيل يبكون من غضب الرب فسارع فنحاس الكاهن وطعن الرجل والمرأة بالرمح فقتلهما ومات بضربة ربانية من الشعب أربعة وعشرون الفا كما يذكر الاصحاح.

وفى الاصحاح السادس والعشرين أمر ربانى باحصاء بنى اسرائيل من ابن العشرين فما فوق من الذكور فبلغوا كما يقول الاصحاح ٦١٧٧٣٠ ولم يكن بينهم ممن أحصوا فى برية سيناء غير كالب ويوشع حيث ماتوا فى البرية حسب وعيد الرب . والمبالغة فى الرقم ظاهرة شأن رقم الاحصاء الأول .

وفى الاصحاح السابع والعشرين تشريع بانتقال ارث الآباء للبنات ان لم يكن لهم بنين ، بناء على شكاية ثلاث بنات فى ذلك ثم تشريع بأن يكون ميراث الرجل الذى لم يخلف أولادا لاخوته فان لم يكن له اخوة فلأعمامه فان لم يكن له أعمام فلأدنى قرابته من عشيرته . وقد حكى الاصحاح السادس والثلاثون مراجعة أهل البنات الثلاث لموسى وقولهم له : ان البنات قد يتزوجن من رجال من غير سبطهم فيذهب ارثهم لهم فأوجب موسى بأمر الرب أن يتزوج البنات وأمثالهن فى سبطهن حتى لا يختل ميراث السبط

(١) الغالب انه اسم المدينة لأن العادة ان ينسب البعل الى المدن .

وفى الاصحاح السابع والعشرين اخطار ربانى لموسى بقرب أجله وطلب موسى من الرب تعيين وكيل لبنى اسرائيل يحل محله فيهم وتعيين يشوع بن نون ومباركة الكاهن له كتدشين لرئاسته .

وفى الاصحاحات الثامن والعشرون والتاسع والعشرون والثلاثون تشريعات طقسية متنوعة فى الذبائح والنذور لا طائل من سردها ونرجح أنها متأثرة بما كان فى مصر من طقوس مماثلة .

وحكى الاصحاح الثانى والثلاثون أمر الرب لموسى بالانتقام من المدينين قبل أن يموت تنفيذا لوصية جاءت فى آخر الاصحاح الخامس والعشرون بمضايقة المدينيين وضربهم لأنهم ضايقوا بنى اسرائيل باحتيالاتهم التى احتالوا بها عليهم فى أمر بعل فغور والمرأة البغى التى قتلها الكاهن .

وقال الاصحاح ان موسى انتدب من كل سبط ألف محارب وسيرهم الى مدين ومعهم فنحاس الكاهن فى يده أمتعة القدس وأبواق الهتاف للبركة والاستنصار . فذهبوا وقاتلوا المدينيين وقتلوا كل ذكر مع خمسة ملوك لهم وهم أوى وراقم وصور وحور ورابع كما قتلوا بلعام بن باعور ـ وهو العراف الذى باركهم ولم يلعنهم خلافا لأمر بالاق ملك مؤاب ـ وسبوا النساء والأطفال وغنموا جميع البهائم والمواشى والأثاث ، وأحرقوا جميع المدن والمساكن والقصور وعادوا بالغنائم والسبى . وقد حكى

الاصحاح أن موسى سخط على رؤساء الجيش لأنهم استبقوا الاناث كلهن وهن سبب الشر ثم أمر بقتل كل طفل ذكر وكل أنثى ثيب من السبى واستبقاء الاناث الابكار الصغار والكبار ففعلوا ! وكانت الغنائم ٦٧٥٠٠٠ من الغنم و٧٢٠٠٠ من البقر و٦١٠٠٠ من الحمير و٣٢٠٠٠ من الأبكار • ووزع النصف على المحاربين واثنين من المائة على حراس الخباء من اللاويين • ومما حكاه الاصحاح أن رؤساء الجيش تقدموا الى موسى وقالوا انه لم يفقد من رجال الحرب أحد وأنهم قرروا لذلك أن يقدموا ما دخل ليد كل منهم من أدوات ذهبية تقدمة وكفارة للرب فبلغ وزن ذلك ١٦٧٥٠ مثقالا ذهبا فأخذه موسى وأدخله فى خزائن الرب • أما ما دخل ليد المحاربين من ذهب فأبقاه لهم •

والعملية الانتقامية عجيبة ظالمة شديدة القسوة فى أسبابها وكيفيتها • وهذا النوع من العمليات قد تكرر فى رأض كنعان فى عهد يشوع وما بعده على ما سوف نذكره بعد • ومن الجدير بالذكر فى هذا المقام أن مدين كانت الملجأ الذى لجأ اليه موسى وكانت زوجته الأولى بنت كاهنها على ما ذكرناه قبل • وقد حكت بعض اصحاحات سفر الخروج والعدد قدوم الكاهن على موسى وترحيبه به وببنى اسرائيل وسروره وشكره للرب بنجاتهم وخلاصهم • ولم تحك الأسفار تبدل حالة الصداقة أو السلم الى حالة عداء : والذريعة التى تذرع بها الى غزو المدينيين والفتك

بهم وسلبهم وسبيهم وتدمير مدنهم بهذه القسوة العجيبة تافهة جدا وفردية . ونحن ننزه الله عن الأمر بها ونعتبر نسبتها اليه من المآخذ التى تؤخذ على الأسفار ، وتدل على ما كان ينطوى فى نفوس بنى اسرائيل من غل وحقد وشره ضد غيرهم ولو لم يكن بينهم حالة عداء بل ولو كانوا مسالمين لهم أو لهم يد سابقة عليهم والعدوان عليهم بكل قسوة فى أى ظرف يتهيأ لهم فيه الامكان والمجال والقدرة . والتوسل الى ذلك بأتفه الوسائل . ولا شك أن نسبتها الى الله وتسجيلها كذلك ثم تسجيل سخط موسى على الرؤساء لاستبقائهم الأطفال والنساء ـ وهذا مما يزيد العملية قسوة وبشاعة ـ كان وما يزال شديد التأثير فى تأصيل فكرة القسوة فى بنى اسرائيل ضد الشعوب الأخرى ـ وفى قتلهم بلعام ابن بعورا مظهر آخر من مظاهر روحهم الجاحدة الغادرة حيث أنستهم ما كان من مخالفته لأمر ملكه ومباركته لهم بدلا من لعنتهم . وفى تسجيل قتله تأصيل كذلك لروح الجحود والغدر فيهم ضد من يحسن اليهم ..

ومهما يكن من أمر فان سياق القصة قد يدل على أن منطقة مدين كانت عامرة غنية وكان فيها مدن عديدة منها خمس كانت كراسي ملوك فى هذا الظرف . وأسماؤهم تحمل اللمحة العربية القديمة وبالتالى تدل على أرومتهم العربية الأصل .

ولقد ذكرت أسفار أخرى أن مدين انتعشت وقويت وكان

سكانها يزعجون بنى اسرائيل فى عهد القضاة وبعده مع من كان يزعجهم من أهل الأرض حيث يدل هذا على المبالغة فى تسجيل الإبادة وعلى تأصل العداء بينهم وبين بنى اسرائيل نتيجة لهذا العدوان العجيب الذى لا مبرر له .

وفى الاصحاح الثانى والثلاثين قصة تخصيص مملكتى حشبون وباشان التى فتحها بنو اسرائيل عنوة لسبطى راؤوبين وجاد ونصف سبط منسى حيث جاءوا الى موسى وطلبوا منه ذلك لأنهم كانوا أصحاب ماشية والأرض صالحة للماشية . وقبل منهم موسى وأوصى يوشع والكاهن بتحقيق طلبهم بعد أن تعهدوا بأن يساعدوا الأسباط الاخرى فى زحفها على غرب الأردن وفتحها البلاد .

واحتوى الاصحاح الثالث والثلاثون أسماء مراحل بنى اسرائيل منذ خروجهم من مصر الى أن نزلوا صحراء مؤاب مما لا ضرورة الى سرده ثم انتهى الاصحاح بأمر الرب لموسى بأن يقول لبنى اسرائيل انكم جائزون اردن الى أرض كنعان فتطردون جميع أهلها من وجهكم وتبيدون جميع منقوشاتها وأصنامها وتدكون مشارفها وتملكونها وتقيمون فيها وتوزعونها بالقرعة على الأسباط التسعة والنصف حسب أعدادهم قلة وكثرة، وأنكم اذا لم تطردوا أهلها كان من تبقونه منهم كابرة فى عيونكم وكحربة فى جنوبكم يضايقونكم فى الأرض التى تقيمون بها

فأصنع بكم ما نويت أن أصنع فيهم مما يلمح فيه أثر الوقائع التى جرت فعلا عند زحف بنى اسرائيل وروح القسوة المسيطرة عليهم ضد الشعوب الاخرى •••

وفى الاصحاح الرابع والثلاثين تحديد لتخوم أرض كنعان وأسماء عشرة رؤساء عينهم موسى باسم الرب لقسمتها وتوزيعها على الأسباط التسعة والنصف مما هو متأثر كذلك بالوقائع التى جرت معهم بعد زحفهم على غرب الأردن • وتغلبهم على مساحة كبيرة منها وعلى سكانها •

وفى الاصحاح الخامس والثلاثين تشريع لعقوبة القتل ومدن الملاجىء • وفيها أمر من الرب بتعيين ست مدن ، ثلاث فى شرق الأردن وثلاث فى غربه لتكون ملاجىء ليهرب اليها القاتل من وجه ولى القتيل حتى يحاكم ويكون من حق الغريب والدخيل الالتجاء اليها كالاسرائيلى • أما العقوبة التى يحكم بها القضاة فهى الاعدام للقاتل اذا ضرب القتيل بآلة حديدية أو حجر يد أو آلة خشبية مما يقتل به أو دفعه أو القى عليه شيئا متعمدا ، أو ضربه بيده عن عداوة • وللولى قتل القاتل ان صادفه واذا تبين أن القتل وقع بغير عمد ولا عداوة فللجماعة ان تساعد القاتل على الهروب الى مدينة ملجأ ليقيم فيها حتى يموت الكاهن الأعظم الذى وقع الجرم فى زمنه وحينئذ يرجع الى أرضه • واذا خرج هذا القاتل من مدينة الملجأ قبل موت الكاهن وصادفه ولى القتيل

فله أن يقتله ولا دم عليه • والقاتل يقتل بشهادة الشـــهود ، وشهادة الواحد لا تكفى لقتل المتهم • ولا تؤخذ دية عـن نفس قاتل وجب عليه القتل ، ولا تؤخذ دية من قاتل ليهرب الى مدينة ملجأ ولا ليعود الى أرضه قبل موت الكاهن •

وفى الاصحاح السادس والثلاثين وهو آخر اصحاحات سفر العدد تكملة لتشريع ارث البنات فى الأرض وقد أوردنا خلاصتها قبـــل •

- ٤ -

ويأتى بعد سفر العدد سفر التثنية أو تثنية الاشتراع كمـا تسميه النسخة الكاثوليكية • وهو أربعة وثلاثون اصحاحا فى ستين صفحة • ومعظمه حكاية لكلام موسى لبنى اسرائيل وعظا وتذكيرا أو ترغيبا وترهيبا • وفيه تكرار فى سياق ذلك لكثير مما ورد فى سفرى الخروج والعدد من وقائع بنى اسرائيل كما فيـه كثير من التشريعات والوصايا الخلقية والمدنية والاجتماعيـــة والطقسية والترغيبات والترهيبات والتنبؤات والتقريـرات التى ذكرت فى أسفار الخروج والعدد والاحبار كذلك ، وان كان مـا جاء فيه من ذلك قد جاء مختلفا بعض الاختلاف وبزيادة ونقص وتقديم وتأخير • ولعل تسمية السفر باسم التثنية هو بسـبب

ما احتواه من هذه الشئون التى ذكرت فى الأسفار الثلاثة السابقة وجاءت فيه مكررة للمرة الثانية . وفيه هو الآخر كثير من الخيال والغلو والمفارقات .

وطابعه البارز ما هو منبث فى كل اصحاحاته تقريبا من تشديد بالتزام وصايا الرب وعبادته وحظر الشرك به وصنع الأصنام والسجود لها وتنويه بما سوف يناله بنو اسرائيل من حظوة ونصر وهناء اذا التزموها وانذار شديد بما سوف يصيبهم من شر وهلاك اذا انحرفوا عنها .

والمرجح ان لم نقل من المحقق أن كاتبه غير كاتب الأسفار السابقة له . ويلمح فيه أثر حالة وسيرة بنى اسرائيل بعد طروئهم على غرب الأردن أيضا وما ارتكسوا فيه من انحرافات وأصابهم من محن وشتات بحيث يمكن أن يقال انه دون أو أعيد تدوينه بعد السبى .

وسنكتفى باقتباس ما فيه من جديد او ما يجدر لفت النظر اليه منه .

ولقد احتوت الاصحاحات الثلاثة الأولى خلاصة لما كان من سيرة بنى اسرائيل فى البرية وما جرى لهم منذ اتجاههم نحو شرق الأردن الى أن استولوا على مملكتى حشبون وباشان مما أوردناه قبل اقتباسا من سفر العدد . وأسلوب الاصحاحات الثلاثة أسلوب تذكيرى ووعظى وتنديدى معا . وعبارتها تفيد

أن حركة موسى نبى اسرائيل واتجاهه نحو شرق الاردن قد كان بعد انقضاء مدة الاربعين سنة التى قضى عليهم بان يعيشوها فى البرية حتى يفنى رجالهم المعدودون الذين جبنوا وذعروا من وصف سكان أرض كنعان وقوتهم .

وفى الاصحاح الرابع بعض الأوامر المكررة بوجوب حفظ وصايا الرب وأحكامه وخاصة عدم الاشراك به وصنع التماثيل لأى شىء والسجود لها وهذه الوصية هى الوصية الجوهرية التى تتركز وصايا وتشديدات السفر فيها بل وفى كل سفر هذه العبارة « فاحذروا أنفسكم من أن تنسوا عهد الرب فتصنعوا لكم تمثالا منحوتا لانه اله غيور . واذا ولدتم بنين وبنى بنين وتعتقتم فى الأرض ففسدتم وفعلتم الشر وحملتم تمثالا منحوتا بشىء ما وفعلتم الشر فى عين الرب وأسخطتموه فانى منذ اليوم أشهد عليكم السماء والأرض بأنكم تبيدون سريعا من على الأرض التى أنتم عابرون اليها ويشتتكم الرب فيما بين الشعوب حتى تبقوا جماعة معدودة بين الأمم وتعبدون هناك آلهة صنعة أيدى بشر من خشب وحجر» . حيث يلمح فى العبارة أثر واقع بنى اسرائيل وسيرتهم بعد دخولهم أرض كنعان وما كان من اجلائهم عنها . ولقد ورد بعد هذا ، هذه العبارة « وتطلب من ثم الرب الهك فتجده اذا التمسته بكل قلبك وكل نفسك . واذا ضيق عليك وأصابتك هذه الأمور كلها فى آخر الايام ترجع

وازدهار قبل طروء بنى اسرائيل وهما اللذان عاشوا عليهما دون جهد وتعب •

وفى الاصحاح السابع فى سياق تشجيع بنى اسرائيل وتأميلهم بنصر الله اذا هم حفظوا وصاياه بيان للخطة التى يجب أن يسلكها بنو اسرائيل مع أهل البلاد ـ أرض كنعان ـ بهذه العبارة « اذا أدخلك الرب الهك الأرض التى أنت صائر اليها لترثها واستأصل امما كثيرة من أمام وجهك الحيثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع أمم أعظم وأكثر منك وأسلمهم الرب الهك وضربهم فأبسلهم ابسالا ـ بمعنى الابادة والافناء ـ لا تقطع معهم عهدا ولا تأخذك بهم رأفة ولا تصاهرهم • ابنتك لا تعطيها لابنه ، وابنته لا تأخذها لابنك • لأنه يغوى ابنك عن اتباعى فيعبد آلهة أخرى فيشتد غضب الرب عليكم ويبيدكم سريعا بل تنقضون مذابحهم وتكسرون أصنامهم وتقطعون غاباتهم وتحرقون تماثيلهم بالنار• لأنك شعب مقدس للرب الهك • واياك اصطفى أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التى على وجه الأرض » •

والخطة توجيه نحو العدوان المباشر الهادف الى ابادة السكان فى غرب الأردن والحلول محلهم بذريعة أنهم مشركون دون ما اعذار ولا انذار ولا دعوة الى سلم وتوحيد مما لم يكد التاريخ يسجل مثيلها فى الوحشية والقسوة والشمول تعالى الله وتنزه

الى الرب الهكَ وتسمع لصوته لأن الرب الهكَ رحوم لا يخذلك ولا يبيدك» حيث يبدو فيها ذلك الاثرأيضا مع مافيها من أثرالفكرة الاختصاصية التى تأصلت فى بنى اسرائيل من كون الههم يسرع الى تأييدهم ولا يقسو عليهم كل القسوة والتى كانت من اسباب ومظاهر عقدهم النفسية .

وفى الاصحاحين الخامس والسادس بالاضافة الى الانذار والتذكير تكرار الوصايا التى ذكرت فى سفر الخروج والتى تعرف بالوصايا العشر او الكلمات العشر ، وهى النهى عن الشرك بالله وعبادة غيره وصنع الأصنام والسجود لها ، وعن القتل والزنا والسرقة وشهادة الزور واشتهاء زوجة القريب وجمع ماله والأمر بحفظ السبت وتكريم الوالدين ، وأمر بكتابتها على عقائد الابواب وجعلها عصائب بين العينين وعقدها علامة على الأيدى وذكرها دائما وتحفيظها للابناء .

وفى الاصحاح السادس وصف لأرض كنعان فى سياق التشديد بالتزام الوصايا والتذكير بعناية الله وتأييده بنى اسرائيل جاء فيه : « مدن عظيمة حسنة لم تبنها وبيوت مملوءة كل خير لم تملأها وصهاريج محفورة لم تحفرها وكروما وزيتونا لم تغرسها» حيث ينطوى فى الوصف تنويه بما كانت عليه أرض كنعان ــ أى غرب الأردن الذى كان المقصود الرئيسى بها ــ من عمران

عنها • والراجح أن تسجيلها متأثر بواقع العدوان الاسرائيلى على أرض كنعان وتنفيذه الفعلى لها على ما سوف نشرحه بعد ، كما أن فكرة الاختصاص التى كانت أقوى مظاهر ما انبثق فى نفوس اسرائيل من عقد بارزة فى هذا التسجيل وخاصة فى الجملة الأخيرة التى سجلها كاتب السفر كمبرر كاف لهذا العدوان •

واذا كان الاصحاح العشرون من السفر نفسه احتوى أمرا لبنى اسرائيل بدعوة المدينة التى يتقدمون الى قتالها الى السلم أولا فان هذا محصور بالمدن البعيدة جدا دون مدن أرض كنعان أولا ، وليست دعوة الى سلم وسلام وتوحيد لأنها تأمر باستعباد جميع شعب المدينة التى توافق على الاستسلام ، كما ترى فى هذا النص الرهيب الذى يجعل الخطة أتم صورة وأوسع شمولا « واذا تقدمت الى مدينة لتقاتلها فادعها أولا الى السلم فاذا أجابتك وفتحت لك فجميع الشعب فيها يكونون لك تحت الجزية ويتعبدون لك وان لم تسالمك بل حاربتك فى صرتها وأسلمها الرب الى يدك فاضرب كل ذكر بحد السيف • وأما النساء والأطفال وذوات الأربع وجميع ما فى المدينة ، فتكون غنيمة لك أعطاكها الرب • هكذا تصنع بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن أولئك الامم هنا • وأما مدن أولئك الأمم التى يعطيها لك الرب ميراثا فلا تستبق منها نسمة • بل أبسلهم ابسالا الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين

كما أمرك الرب الهك ـ تعالى الله عن ذلك ـ كيلا يعلموكم أن تصنعوا مثل رجاساتهم فتخطئوا الى الرب الهكم» .

ولقد سمى الاصحاح الخامس والعشرون من هذا السفر أهل أرض كنعان بالاعداء ، والمفروض ان التسمية كانت قبل طروء بنى اسرائيل على هذه الأرض مع أنه لم يكن بينهم وبين سكانها أى عداء سابق ولم يكن من هؤلاء أى موقف عدوانى أو مناوىء سابق ، بل وكان بين الأجداد السابقين لكل منهم صلات ودية وحلفية على ما ذكره سفر التكوين مما يقوى صورة العدوان القاسى المتمثلة فى هذه الخطة الرهيبة التى كان كل هدفها افتلاع أهل هذه الأرض من جذورهم وابادتهم والحلول محلهم دون ما شفقة ولا رحمة بصغير وشيخ وامرأة بغيا وافتئاتا ، تعالى الله وتنزه عنهاه وقد تكون الخطة أو تسجيلها متأثرا بما كان من واقع سيرة بنى اسرائيل بعد طروئهم على غرب الأردن ولكنها على كل حال مظهر لما كان يعتمل فى نفوسهم من غل وحقد نتيجة لحياة الاضطهاد التى عاشوها فى مصر ثم لأنانيتهم وعقدهم النفسية التى جعلتهم يعتبرون هذه البلاد لهم وحدهم ويبررون لأنفسهم ابادة أهلها بدون رأفة ولا رحمة .

وفى الاصحاح الثامن وصف آخر لأرض كنعان فى سياق تكرار الأوامر بحفظ وصايا الرب بهذه العبارة القوية : « ان الرب الهك يدخلك أرضا صالحة ذات أنهار وعيون تنفجر فى

غورها ونجدها ، أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان . أرض زيت وعسل . أرضا لا تأكل خبزك فيها بتقتير ولا يعوزك فيها شيء . أرضا حجارتها الحديد ومن جبالها تقطع النحاس » .

وفى الاصحاح التاسع تنويه آخر بمدن أرض كنعان وأممها فى سياق ذكر تهيؤ بنى اسرائيل للعبور اليها وتشجيعهم ووعدهم بالنصر ونهيهم عن الخوف والجبن بهذه العبارة « انك جائز الأردن لتدخل وتملك أمما أكثر وأعظم منك ، ومدنا عظيمة ومحصنة للسماء ، وشعبا عظاما طوالا بنى عناق الذين عرفتهم» وفى الاصحاح تنبيه لبنى اسرائيل أن الرب انما يعطيهم الأرض وفاء بقوله وقسمه لآبائهم وليس لبرهم واستقامتهم وتذكير بما كان من انحرافاتهم وتذكير بما كان من انحرافاتهم ومواقفهم التمردية فى البرية ، مما ينطوى فيه أو فى تسجيله الذى كان متأخرا فكرة الاختصاص الربانى لبنى اسرائيل بقطع النظر عن استقامتهم وانحرافهم وكون ذلك أساسا من أسس حياتهم .

وفى الاصحاح الثالث عشر تحذير من الأنبياء والرائين اذا دعوا الى آلهة غريبة وايجاب قتلهم ولو ظهر على أيديهم معجزات مما هو الآخر متأثر بواقع بنى اسرائيل بعد طروئهم على أرض كنعان.

وفى الاصحاح الخامس عشر تشريع بدورة ابراء سباعية حيث

توجب علی بنی اسرائیل فی کل دورة سبع سنین ، ابراء کل مدین عبرانی ، وعتق کل عبد عبرانی دون الغریب (١) •

وفی الاصحاحات الثانی عشر والرابع عشر والسادس عشر والسابع عشر تشریعات متنوعة فی النذور والذبائح والتقدمات والأطعمة واللحوم وأسبوع الفطیر وعید الفصح مما یماثل قلیلا أو کثیرا ما احتواه سفر الخروج والاحبار •

وفی الاصحاح السابع عشر أمر باقامة ملك کسائر الأمم حینما یملکون الأرض واشترط أن یکون الملك اسرائیلیا ولیس أجنبیا وأن لا یستکثر من الخیل حتی لا یرد الشعب الی مصر بسبب کثرة الخیل ، ومن النساء لئلا یزیغ قلبه •

وقد یبدو فی عبارة الخیل أن من تقالید أو ذکریات بنی اسرائیل أن کثرة الخیل کانت السبب فی نزوح آبائهم الی مصر• أما التحذیر من استکثار النساء فالمتبادر انه متأثر بواقع ملوك بنی اسرائیل بعد طروئهم علی أرض کنعان علی ما سوف نذکره بعد •

وفی الاصحاح الثالث والعشرین نهی عن دخول أی عمونی أو مؤابی فی جماعة الرب الی الأبد لأنهم لم یتلقوا بنی اسرائیل

---

(١) فی سفر الاحبار اقتصرت الدورة السباعیة علی اراحة الارض وجعل العتق فی الدورة الخمسینیة علی ما اوردناه قبل •

بالخبز والماء حينما جاءوا من مصر ونهى عن ابتغاء سلمهم وخيرهم الى الأبد • وقد نهى الاصحاح فى الوقت نفسه عن كره الأدومى لأنه أخو الاسرائيلى وعن كره المصرى لأنه كان نزيله والسماح للجيل الثالث من أبنائهم بالدخول فى جماعة الرب •

والمتبادر أن المقصود من العبارة هو عدم قبول العمونيين والمؤابيين فى الديانة اليهودية • ومنع العمونى والمؤابى دون المصرى والأدومى متناقض لأن الأسفار لم تذكر عداء ولا حربا بين العمونيين والمؤابيين من ناحية والاسرائيليين من ناحية أخرى فى حين ذكرت خروج الأدوميين لحربهم واصرارهم على عدم السماح لهم بالمرور من أرضهم ، وفى حين ذكرت مرارا ما كان من اضطهاد المصريين لهم حتى جعلوهم يفرون • ومن المحتمل أن يكون هذا متأثرا بواقع ما فى فترة من التاريخ بعد دخول بنى اسرائيل أرض كنعان حيث كان عداء وصيال بينهما •

ومهما يكن من أمر فالعبارة بالنسبة للأدوميين والمصريين لا تفيد دعوة وتبشيرا باليهودية وكل ما فى الأمر السماح لمن يريد هو بنفسه الدخول فى جماعة الرب منهم بعد أن يكون مر عليم بينهم ثلاثة أجيال على الأقل والعبارة بالنسبة للمؤابيين والعمونيين سد لباب الله ودينه ـ تنزه الله وتعالى عن ذلك ـ مع أن الأسفار تذكر أنهم أبناء لوط ابن أخى أبيهم الأكبر ابراهيم • والكلام فى جملته يؤيد ما قلناه قبل من كون اليهودية

ليست دينا تبشيريا وانسانيا عاما ومن كون بنى اسرائيـل كانوا يعتبرونها دينهم الخاص ويعتبرون الله الههم الخاص ـ جل وعلا ـ مع شيء من التساهل بالنسبة لمن يرون من الأمم وبعـد أن يكون قد مر عليه بينهم ثلاثة أجيال مما لا يكاد يكون له مثيل ، ومما أوجد فيهم عقدهم النفسية تجاه الأمم الأخرى وجعلهم فى عزلة تامة عنها . وقد وطدوا هذا كله بما زعموه لأنفسهم مـن تقديس وتمييز على جميع الشعوب مما أوردنا نصوصا فيه قبل قليل نقلا عن الاصحاح السابع خاصة . ومن مظاهر ذلـك ومؤيداته أن جميع ما احتوته الأسفار من تشريعـات ووصايا وانذارات وترغيبات قد وجهت حصرا الى بنى اسرائيل . وهكذا يمكن أن يقال انه ليس لبنى اسرائيل رسالة انسانية ما . وكـل أمرهم أنانية شديدة وجافة وقاسية الى أبعد حدود الشـدة والجفاف والقسوة على ما تثبته عليهم نصوص أسفارهم الصريحة. فى حين أن فيما أوحى الله بـه الى موسى من عقائد ووصايـا ومبادىء وتشريعات ما هو جدير بان يكون رسالة انسانية سامية وخالدة كما قلنا ذلك فى مناسبة سابقة .

وفى الاصحاحين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين ترغيب وترهيب شديدان مماثلان فى مداهما لما جاء فى الاصحاح السادس والعشرين من سفر اللاويين أو الأحبار وأوردناه قبل فى حالة حفظ وصايا الرب ومخالفتها مع بعض اختلاف فى الصيغة واسهاب فى

الاصحاح الثامن والعشرين واقتضاب فى الاصحاح التاسع والعشرين مما يلمح فيه فيما نرى صورة أو أثر لحالة بنى اسرائيل وواقعهم بعد طروئهم على شرق الأردن وغربه بل وربما يلمح فى بعض العبارات أثر لما تعرضوا له من سبى وتشريد كما ترى فيما يلى اقتباسا من الاصحاح الثامن والعشرين : « اذا أطعت أمر الرب الهك حافظا جميع وصاياه يجعلك الرب فوق جميع أمم الأرض وتحل عليك البركات • فتبارك فى المدينة وفى الصحراء ويبارك ثمر بطنك وثمر أرضك وثمر بهائمك• وتبارك فى دخولك وخروجك • ويجعل الرب أعداءك ساقطين أمامك يخرجون عليك من طريق واحدة ، ويهربون من وجهك من سبع طرق • ويقيمك الرب شعبا مقدسا كما أقسم لك • وان لم تطع كلام الرب ولم تحفظ وصاياه ورسومه تأتى عليك اللعنات وتدركك فتكون ملعونا فى المدينة والصحراء • يكون ملعونا سلك ومعجنك وثمر بطنك وأرضك وبقرك وغنمك • يبعث عليك الرب اللعنة والدهش والوبال فى جميع ما تمتد اليه يدك ويبيدك سريعا • يلزمك الوباء الى أن يستأصلك بضربك بالسل والحمى والجرداء والذبول حتى يفنيك • تكون سماؤك نحاسا وأرضك حديدا ـ كناية عن انقطاع المطر والجدب ـ يجعلك الرب ساقطا أمام أعدائك • يضربك بقروع مصر والبواسير والجرب والحكة والجنون والعمى ، تكون مظلوما مغصوبا طول أيامك وليس لك

منقذ • تتزوج امرأة فيطؤها آخر وتبنى بيتا فلا تسكنه وتغرس كرما فلا تستغله • وبنوك وبناتك يسلمون الى قوم آخرين وعيناك تنظر اليهم • يجلبك الرب أنت وملكك الذى تقيمه الى قوم لم تعرفهم وتعبد هناك آلهة غريبة من خشب وحجارة وتصير خرابا وأحدوثة فى جميع الأمم • يستعلى عليك الغريب الذى فيما بينكم • تستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك ويضعون نيرا من حديد على عنقك • يسوق الرب عليك أمة من أقاصى الأرض كالنسر الخافق صلبة الوجوه لا تهاب وجه شيخ ولا تشفق على طفل • تحاصرك فى جميع مدنك حتى تسقط أسوارك الشامخة الحصينة » •

وفى الاصحاح الثلاثين تأميل عجيب فى حالة عودة بنى اسرائيل الى ربهم حيث يعدهم الرب باعادتهم من جلائهم وجمع شملهم من بين جميع الأمم الى الأرض التى امتلكها آباؤهم ويحسن اليهم ويمنيهم أكثر من آبائهم ويصرف عنهم اللعنات الى أعدائهم ومبغضيهم ومضطهديهم ويزيدهم خيرا فى جميع أعمالهم وفى ثمر بطونهم وبهائمهم وأرضهم •

وفى هذا وذاك أثر لواقع وحالة وسيرة بنى اسرائيل بعد طروئهم على أرض كنعان وما تعرضوا له من غزوات وما حل فيهم من نكال وتشتيت كما هو المتبادر •

كما فيهما وخاصة فيما احتواه الاصحاح الثلاثون من تأميل

أثر لفكرة الاختصاص والتأييد الربانى لبنى اسرائيل على كل حال مما هو من أسباب ومظاهر عقدتهم النفسية .

وفى الاصحاح الحادى والثلاثين وصية موسى ليوشع الذى صار بأمر الرب وكيلا على بنى اسرائيل بعده يذكر فيها أنه قد شاخ وبلغ عمره مائة وعشرين عاما ولم يعد يستطيع خروجا ودخولا كما أن الرب منعه من عبور الأردن ويؤمل فيها بتأييد الرب وعدم تركه اياه حينما يتقدم لدخول أرض كنعان ويحذره من الذعر والخوف . وفيه كذلك خبر كتابة موسى التوراة وتسليمها الى الكهنة بنى لاوى حاملى التابوت وسائر شيوخ اسرائيل وأمره لهم بجمع الشعب رجالا ونساء وأطفالا وغرباء لتتلى عليهم ليتقوا الرب ويعملوا بسوجبها ثم خبر أمر الرب لموسى باحضار يوشع الى الخباء يسمع وصية الرب لأنه قد دنا أجله ، وقول الرب لموسى انك مضطجع مع آبائك وان هذا الشعب سيفجرون باتباع آلهة الأجانب فى الأرض التى هم داخلوها وسيتركوننى وينقضون عهدى فيشتد غضبى عليهم وأتركهم وأحجب وجهى عنهم فيصيرون مأكلا وتصيبهم الشرور والشدائد ثم املائه على موسى ويوشع نشيدا حينما يدخلون الأرض التى تدر لبنا وعسلا فيأكلون ويشبعون ويسمنون ثم يميلون الى آلهة أخرى ويعبدونها ويصيبهم ما أوعدهم به الرب من الشرور والشدائد ، وكتابة موسى النشيد فى سفر التوراة الذى كتبه

وتلقينه لبنى اسرائيل وتسليمه السفر الى اللاويين ، وأمرهم بجمع شيوخ الأسباط والعرفاء حتى يتلى عليهم ويشهد عليهم السماء والأرض لأنه يعلم أنهم بعد موته سيفسدون ويعدلون عن الطريق التى سنها لهم فيسخطون الرب ويصيبهم الشر .

وفى الاصحاح الثانى والثلاثين دعوة الى تعظيم الاله وكلمته وعدله وتنديد بالفساد وبالشعب الذى يكافىء الرب بالفساد وتذكير بما كان من عناية الرب باسرائيل : يعقوب وبنيه وجعله الأرض ميراثا لهم ، واسخاط بنى اسرائيل لربهم بعد سمن واكتساء شحم وميلهم الى آلهة الأجانب وذبحهم للشياطين ولآلهة لم يعرفها آباؤهم وتوقد غضب الرب عليهم .. وصيغة الاصحاح قد تدل على أنه النشيد الذى ذكر فى الاصحاح السابق ولو لم يرد فيه ذلك صراحة .

ويبدأ الاصحاح الثالث والثلاثون بهذه العبارة « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى بنى اسرائيل قبل موته » ثم يأخذ يذكر دعاء موسى لكل سبط باسم أبيه الأول بدعاء متنوع ، وتمنيه لهم بالأمانى وذكر مزاياهم ، ثم ينتهى بهذه العبارة « طوبى لك يا اسرائيل . من مثلك شعب منصور بالرب . هو ترس عونك وسيف عظمتك لك تخضع أعداؤك وأنت تطأ مشارفهم » مما يمت الى فكرة الاختصاص والتميز التى ظلت تسيطر على بنى اسرائيل وتنظم سيرتهم .

وفى الاصحاح الرابع والثلاثين وهو الأخير خبـــر صعود موسى من صحراء مؤاب الى جبل نبو واراءة الرب له جميـــع الأرض من جلعاد الى دان وجميع نفتالى وأرض افرائيم ومنسى وجميع أراضى يهوذا الى البحر الغربى والجنوب والمرج وبقعـة أريحا مدينة النخل الى مدينة صوعر قائلا له : هذه هى الأرض التى أقسمت لابراهيم واسحق ويعقوب بأن أعطيها لنسلهم تراها ولا تعبر اليها ، ثم خبر موت موسى هناك ودفنه فى الـوادى فى أرض مؤاب تجاه بيت فغور . ثم قال الاصحاح « ولم يعرف أحد قبره الى يومنا هذا » .

والعبارة الأخيرة خاصة تدل بالاضافة الى قرائن كثـيرة فى ثنايا الاصحاحات على أن السفر قد دون أو أعيد تدوينه فى عهد متأخر جدا بعد موسى وبعد دخول بنى اسرائيل لأرض كنعـان بأمد طويل بل وربما بعد جلائهم عنها وعودتهم اليها ، وفى هـذا تأييد لما قلناه غير مرة ان كثيرا مما احتواه السفر ، وغيره مـن الأسفار ـ لأنها دونت متأخرة هى الأخرى ـ قد تأثر بما جرى لبنى اسرائيل من أحداث ووقائع بعد طروئهم على أرض كنعان .

زحف بنى اسرائيل على غرب الاردن

وسيرتهم فيه بقيادة يشوع

- ١ -

ان قصة زحف بنى اسرائيل على غرب الأردن الذى هو أرض كنعان على ما تفيده عبارة الأسفار وسيرتهم فيه بقيادة يشوع وفى ظل وتوجيه الخطة الرهيبة العدوانية التى ذكرناها قبل قليل مذكورتان فى سفر يشوع الذى يأتى فى الترتيب بعد سفر التثنية .

وهو أربعة وعشرون اصحاحا فى ثلاث واربعين صفحة . وفيه هو الآخر كثير من المبالغة والخيال بل والتناقض ولكن فيه شيئا كثيرا من الحقيقة فيما نرجح . وعبارته تدل على أنه كتب بعد يوشع بمدة ما قد تكون طويلة ، فشيبت الروايات المتداولة بالخيال والمبالغة والتناقض نتيجة لذلك .

ويحكى اصحاحه الأول خطاب الرب ليشوع وأمره بعبور الأرض التى أعطاها لبنى اسرائيل ووعده له بالتأييد وحثه اياه على الشجاعة والتمسك بالشريعة . ومما قاله له الرب كما جاء

فيه « كل مكان تطؤه أخامص أرجلكم أعطيته لكم كما قلت لموسى من البرية ولبنان ، هذا الى النهر الكبير نهر الفرات والى البحر الكبير الذى فى جهة مغارب الشمس تكون تخومكم» فى حين أن الموقف كان عبور الأردن الى ضفته الغربية بحيث يمكن أن يقال ان هذا التوسع فى التحديد متأثر بما كان من وقائع متأخرة •

وقد حكى الاصحاح أن يوشع طلب من أسباط جاد وراؤبين ومنسى الذين ورثوا الأراضى المفتوحة فى شرق الاردن الاستعداد لمساعدة اخوانهم فى العبور الى غرب الاردن واحتلاله حسب الاتفاق بينهم وبين موسى فلبوا الطلب •

وكانت أولى حركات يوشع نحو مدينة أريحا التى هى أولى مدن الضفة الغربية • وقد حكت الاصحاحات من الثانى الى السادس من السفر تفصيل هذه الحركات الذى شابه كثير من الخيال ، وخلاصته أن يوشع أرسل جاسوسين الى المدينة فنزلا فى بيت بغى اسمها راحاب وبيتها ملاصق للسور فعلما منها أن الذعر استولى على الناس من أخبار بنى اسرائيل ثم سهلت لهما الفرار فعادا وأعلما يوشع بما علما فتشجع وأمر بعبور النهر فى موكب دينى خاشع فجمد الماء تحت اقدامهم ثم وقف الموكب أمام الأسوار المقفلة ، وطاف حولها بأمر الرب سبعة أيام وفى كل يوم سبعة أطواف وهو يهتف بالرب وينفخ بالأبواق وفى اليوم السابع سقطت الأسوار بمعجزة ربانية فدخل بنو اسرائيل المدينة

واستولوا عليها . وقد نذر يشوع أن تكون المدينة وما فيها مبسلة للرب أى مبادة مدمرة لوجه الله سبحانه وتعالى باستثناء الذهب والفضة والنحاس والحديد لخزانة الرب ، والبغى وأهلها ومالها لأن الجاسوسين وعداها بالنجاة وحلفا لها . وحظر أخذ شيء منها غنيمة . فلما دخلوها قتلوا جميع من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير وأحرقوها كما أمر يشوع باستثناء المعادن والبغى وأهلها . ثم دعا يشوع بعد ذلك قائلا ملعون لدى الرب الرجل الذى ينهض ويبنى هذه المدينة !

وكانت حركة يوشع الثانية نحو مدينة العى التى كانت من منازل ابراهيم على ما ذكره الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين والتى هى فى طريق نابلس ـ القدس من ناحية الشرق الموالية لغور أريحا .

وقد قص الاصحاحان السابع والثامن قصة استيلاء بنى اسرائيل على هذه المدينة بما خلاصته ان يوشع أرسل من تجسسوا عليها فرجعوا وهونوا من شأنها وارتأوا أن يصعد اليها عدد قليل فصعد ثلاثة آلاف فخرج عليهم أهل المدينة وهزموهم وقتلوا منهم فذاب قلب الشعب ـ بنو اسرائيل ـ وصار كالماء وحثا شيوخهم التراب على رءوسهم ومزق يوشع ثيابه وسقط على وجهه وخاطب الرب قائلا : « لماذا أجزت هذا لشعب الاردن

لتسلمنا الى أيدى الأموريين حتى يبيدونا • يا ليتنا ارتضينا وأقمنا بعبر الأردن • واذا سمع الكنعانيون وسكان الأرض بما صار أحاطوا بنا ومحوا اسمنا من الأرض » ! وهذا موقف تكرر كثيرا من بنى اسرائيل ازاء ما كان يقف أمامهم من عقبات أو يلقونه من عنت ومقاومة كما كان شأنهم فى حياة موسى • وقد ذكر الاصحاح السابع أن الرب أخبر يشوع بانه انما خذلهم لأن أحدهم سرق من غنائم أريحا بعض سبائك من الذهب والفضة فأمر برجمه • وحينئذ وعده بالنصر فأرسل جيشا عظيما مع ذلك من ثلاثين ألف محارب • وخرج ملك العى بجيشه لصدهم فوقع فى كمين ودارت عليه الدائرة بمعجزة ربانية فانهزم فطارده بنو اسرائيل وقتلوا جميع رجاله وأسروه وصلبوه على باب المدينة ثم دخلوها وضربوها بحد السيف ، وكان عدد القتلى من رجال ونساء (١٢٠٠٠) ثم أمر يشوع باحراق المدينة بعد أن استولى على جميع ما فيها من أموال ومواش حسب أمر الرب كذلك •

وقد ذكر الاصحاح التاسع بعد ذلك حادثا عجيبا خلاصته أن أهل مدن جبعون وكفره وبئروت وقرية يعاريم ــ وهذه فى منطقة نابلس على ما تدل عليه أسماء القرى التى تقوم مكانها اليوم ــ لما سمعوا بما حل باريحا والعى أرسلوا وفدا الى يوشع يعرضون ولاءهم ويطلبون عهد أمان ، وادعى الوفد أنه يتكلم باسم مدن بعيدة جدا ولبس ثيابا بالية ونعالا مرقعة وحمل زادا يابسا

للتدليل على ذلك فأجابهم يوشع الى ما طلبوا لأن مـن مقتضى الخطة أن يقبلوا مسالمة المدن البعيدة جدا وحلف لهم رؤسـاء الجماعة . غير أنهم لم يلبثوا أن عرفوا أن هذه المدن قريبة جـدا منهم وأن الوفد خدعهم ولما كانوا قد حلفوا لهم فاكتفـوا بأن قرروا أن يكون أهلها محتطبى حطب ومستقى ماء للجماعة ولمذبح الرب فى الموضع الذى يختارونه !

- ٢ -

وحكى الاصحاح العاشر أن ملك أورشليم أدونى صـادق لما رأى ما فعل بنو اسرائيل فى أريحا والعى ورأى ما كان مـن خوف أهل جبعون ورفاقهم مع أن مدينتهم كانت عظيمة ورجالهم جبابرة خشى من عاقبة روح الهزيمة فاستدعى هوهام ملك حبرون وفرام ملك يرموث ويافيع ملك لاكيش ودبير ملك عجلـون ـ والملوك الخمسة ، أموريون كما وصفهم الاصـحاح ـ وعرض عليهم التحالف ضد جبعون فوافقوا وزحفوا عليها فأرسل أهلها يستنجدون ببنى اسرائيل فزحف يشوع على رأس المحاربـين واشتبك مع الملوك وهزم قواتهم بعد أن قتل منها عددا كبـيرا وأسر الملوك الخمسة وشنقهم . وهذه الواقعة هى التى زعـم الاصحاح المذكور أن الشمس وقفت بدعوة يشوع حتى تم لـه

النصر . ثم ذكر الاصحاح أن يشوع فتح مدينة مقيدة فى هذه الرحلة وقتل ملكها وجميع سكانها حتى لم يبق منهم باقية ، وفعل مثل ذلك بلبنة ثم بلاكيش . وصعد هورام ملك جازر لنصرتها فضربه يشوع هو وقومه حتى لم يبق منهم باقية ثم فعل مثل ذلك بعجلون وحبرون ودبير واستولى على مدنهم وقراهم . وقد قال الاصحاح بعد ذلك وفى نهايته : ان يشوع ضرب جميع أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وجميع ملوكها وأبسل ـ أهلك ـ كل نسمة كما أمر الرب ولم يبق باقية منهم فضربهم من قادش برنيع الى غزة وانتصر عليهم لأن الرب كان يحارب مع اسرائيل .

وذكر الاصحاح الحادى عشر « ان يابين ملك حاصور لما سمع بما وقع أرسل الى يوباب ملك مادون والى ملك شمرون وملك أكشاف والملوك الذين الى الشمال فى الجبل وفى الغور وفى السهل وفى بقاع دور غربا والى الكنعانيين شرقا وغربا والى الأموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين فى الجبل والحويين تحت حرمون فى أرض المصفاة . فخرجوا بكل جيوشهم فى خلق كثير مثل الرمل الذى على البحر كثرة وخيل ومراكب كثيرة جدا ونزلوا على مياه ميروم لمحاربة اسرائيل . وشجع الرب يشوع وقال له غدا أجعلهم صرعى أمام اسرائيل . فخرج يشوع بناء على ذلك فأسلمهم الرب الى أيديهم فضربوهم وتعقبوهم حتى لم

يبق منهم باق • وقد عرقب يشوع خيلهم وأحرق مراكبهم بالنار بناء على أمر الرب • ثم عاد وافتتح حاصور وقتل ملكها وكانت قديما رأس جميع تلك الممالك • وقتل كل نفس فيها وأحرقها بالنار • وأخذ كل مدائن أولئك الملوك مع ملوكها وضربهم وأبادهم كما أمر موسى • وقد أخذ بنو اسرائيل جميع غنائم هذه المدن وبهائمها •

وهكذا ملك يشوع تلك الأراضى كلها ، الجبل وكل الجنوب وجميع أرض جوشن وانسهل والغور وجبل اسرائيل وسهلهم منَ الجبل الأملس الممتد جهة سعير الى بعل جاد فى بقعة لبنان تحت جبل حرمون ولم تسالم اسرائيل الا جبعون • وقد قسى الرب قلوب الباقين حتى يسلهم بنو اسرائيل ويستأصلوهم • وجاء يشوع فى ذلك الوقت وقرض العناقيين من الجبل من حبرون ودبير وعناب ومن ساتر جبل يهوذا وجميع جبل اسرائيل ولم يبق عناقى الا فى غزة وجت وأشدود •

والمبالغة بادية فيما ذكرته الاصحاحات • وفى سفر القضاة نصوص تنقض كثيرا من ذلك حيث ذكرت حوادث حرب ونضال وقعت بعد يشوع بين بنى اسرائيل وغير واحد من الملوك والمدن والشعوب التى قالت الاصحاحات اذ يشوع أبادها وأحرقها ولم يبق منها بقية •

والمتبادر أن السفر قد دون بعد يشوع بمدة غير قصيرة خلط

كاتبه الحقائق بالخيال والمبالغة ويلحظ أن الاصحاحات سمت بعض المواقع باسم جبل اسرائيل وسهلهم وباسم جبل يهوذا مع أن هذه المواقع لم تكن تسمى بهذه الأسماء حتما حين الاستيلاء عليها حيث يؤيد هذا أن السفر قد دون كما قلنا بعد يشوع بمدة غير قصيرة وحينما صارت هذه المواقع بهذه الأسماء ..

- ٣ -

وقد ذكر الاصحاح الثالث عشر أن يوشع هتف لربه قائلا : انه شاخ وانه بقى أرض كثيرة جدا للامتلاك وهى كل بقاع الفلسطينيين وكل أرض الجشوريين من الشيجور الجارى فى مصر الى تخم عقرون شمالا وهى للكنعانيين وأرض أقطاب الفلسطينيين الخمسة الغزى والأشدودى ـ أسدود اليوم ـ ولاشقلونى ـ عسقلان اليوم ـ والجتى والعقرونى وأرض العويين من الجنوب كل أرض الكنعانيين ومعاره التى للعيدونيين الى أفيق تخم الأموريين وأرض الجبليين وجميع لبنان جهة مشرق الشمس من بعل جاد تحت حرمون الى مدخل حماة وأن الرب وعده بأنه سيطردهم من وجه بنى اسرائيل ثم أمره بقسمة الأرض على الأسباط التسعة والنصف .

والعبارة تفيد أن فى ذلك الاجمال الذى ورد فى الاصحاح

الحادى عشر شيئا من المبالغة والتزيد لأن مواقع عديدة من التى ذكر الاجمال انها دخلت فى حياز اسرائيل بقيادة يشــوع قد ذكرت ضمن هذه المواقع على ما يظهر من المقابلة . وهــذا بالاضافة الى ما كان من واقع بقاء كثير من الأقــوام والممالك والمدن التىظلت ممتنعة عليهم، فىغربى فلسطينوشمالها وجنوبها وما كان من واقع التصاول بينهم وبين بنى اسرائيل فى عهــد القضاة ومن جملة ذلك ممالك وملوك ودول ذكر سفر يشــوع أنها مما استولى عليه بنو اسرائيل وأبادوه ، وما كان من تقريرات سفر القضاة كذلك ببقاء كثير من الأمم بين ظهرانى بنى اسرائيل فى المناطق والمدن التى استولوا عليها على ما سوف نذكره بعد .

وقد قسم يشوع المدن والقرى على الأسباط التسعةوالنصف بالقرعة . واحتوت الاصحاحات من الثالث عشر الى التاسع عشر أسماء المدن والحدود التى كانت من نصيب كل سبط .

والمدن كثيرة جدا وقد ذكر أنه كان لكل مدينة قرى كثيرة تابعة لها حيث يدل هذا على ما كان من ضخامة العمران فى غرب الأردن وازدهاره وعلى أن بنى اسرائيل انما عاشوا عليه . واليك ثبتا بأسماء المدن مصداقا لذلك : قبصئيل ــ عبدر ــ ياجور ــ قينه ــ ديمونه ــ عدعده ــ قادش ــ حاصور ــ ثينان ــ زيف ــ طالم ــ بعلوت ــ حاصور الحديثة ــ قريوت ــ حصرون ــ امام ــ شماع ــ مولاده ــ حصر جده ــ حشمون ــ بيت فالط

ـ حصر شوعال ـ بئر سبع ـ بزبوتيه ـ لباؤوت ـ شلحيم ـ ـ عين ـ رمون ـ اشتاؤل ـ صرعه ـ أشنه ـ زانوح ـ عين جنيم ـ تفوح ـ عينام ـ يرموث ـ عدلام ـ سوكو ـ عزيقه ـ شعرائيم ـ عدتيائيم ـ جديرة ـ جدير ـ تائيم ـ صنان ـ حداشه ـ مجدل جاد ـ دلعان ـ المصفاة ـ يقتبيل ـ لاكيش ـ بصقة ـ عجلون ـ كبون ـ لحمام ـ كتليش ـ جديروت ـ بيت داجون ـ نعمه ـ مقيده ـ لبنه ـ عاتر ـ عاشان ـ يفتاح ـ اشنه ـ نصيب ـ قعيلة ـ اكزيب ـ مريشه ـ عقرون ـ أشدود ـ غزة ـ شامير ـ يتير ـ سوكو ـ دنه ـ سنه ـ عناب ـ اشتمو ـ عانيم ـ جوشن ـ حولون ـ جيلو ـ أراب ـ دوته ـ أشعان ـ ينوم ـ بيت تفوح ـ أفيته ـ حمطه ـ أربع ـ سيعور ـ معون ـ كرمل ـ زيف ـ يوطه ـ يزرعيل ـ يقدعام ـ زانوح ـ القاين ـ جبعه ـ تمنه ـ حلحول ـ بيت صور ـ جدور ـ معرات ـ بيت عنوت ـ تقون ـ بعل اديعاريم ـ الربه ـ بيت العربة ـ مدين ـ سكاكه ـ نبشاه ـ مدينة الملح ـ عين جدى ـ اريحا ـ لوز ـ عطاروت ـ بيت حورون ـ وجملتها نيف ومائة وعشرون مدينة وربما كان عدد القرى التابعة لها ألفا أو نحو ذلك . وكثير من أسماء المدن باق اليوم بشيء من التعديل ومطلق على قرى وخرائب فى مختلف أنحاء فلسطين . واللمحة العربية القديمة بادية على الأسماء ، مما

يؤكد أن منشئيها الأولين هم من الأرومات العربية على اختلاف أسمائها .

على أن عبارة الاصحاحات تفيد أن مناطق ومدنا كثيرة مما وقع فى أنصبة الأسباط التسعة والنصف لم تكن كلها مما استولى عليه بنو اسرائيل بقيادة يشوع حيث كان منها ما استولوا عليه وكان منها ما ظل فى حوزة أهله فى حياة يشوع ولم يستول عليه بنو اسرائيل الا بعده ، بل ومنها ما لم يستول عليه بنو اسرائيل ويصبح لهم موطنا مستقرا قط كبلاد الفلسطينيين فى الجنوب .

- ٤ -

ومما ذكره الاصحاح الثامن عشر أن جماعة اسرائيل التأمت فى شيلو التى يخمن مفسرو الأسفار أنها مكان الخربة المسماة اليوم باسم سيلون أو سلوان الواقعة على اثنى عشر ميلا من جنوب نابلس ونصبوا خباء المحضر فيها حيث أصبح هذا الموقع كما يبدو من العبارة عاصمتهم الدينية والمدنية فى حقبتهم الأولى .

ثم ذكر الاصحاح العشرون أن بنى اسرائيل قدسوا ست مدن لتكون مدن ملجأ حسب الشريعة ، يهرب اليها القاتل الى أن يحاكم أو الى أن يموت الكاهن الأعظم الذى وقع القتل فى حياته اذا كان القتل خطأ ، بأمر يشوع استنادا الى أمر الرب ، وهى

قادش فى الجليل فى جبل نفتالى وشكيم فى جبل افرائيم وقرية أربع وهى حبرون فى جبل يهوذا فى غرب الأردن وباصر فى البرية وراموت فى حليعات وباشان فى شرق الأردن . وعبارة الأسماء تدل على أن السفر كتب بعد يوشع بمدة ما لأن بعضها سمى بأسماء اسرائيلية تتيجة للقسمة .

ثم ذكر الاصحاح الحادى والعشرون خبر طلب اللاويين تخصيص مدن لهم يسكنونها مع محاجرها لبهائمهم حسب أمر ورد فى الاصحاح الخامس والثلاثين من سفر العدد فتخلى كل سبط من الأسباط عن بعض المدن التى كانت من نصيبه فوزعها يوشع بالقرعة على عشائر اللاويين وكانت ثمانى وأربعين مدينة موزعة فى مختلف أنحاء الأرض .

ثم صرف يوشع أسباط راؤبين وجاد ونصف منسى الى أملاكهم فى شرق الأردن بعد أن تمت الحركات التى أمكن القيام بها فى أرض كنعان وتمكن الأسباط من امتلاك ما امتلكوه منها بعد ما باركهم ووصاهم وتمنى لهم النمو والكثرة على ما ذكره الاصحاح الثانى والعشرون . وقد أخذوا معهم نصيبهم من غنائم أرض كنعان وكان مقادير كبيرة من الذهب والفضة والنحاس والحديد والنبات .

ومما ذكره هذا الاصحاح أن الأسباط الثلاثة المذكورة انشأت بعد عودتها مذبحا عظيم المنظر على الأردن قبالة أرض

كنعان فاستاء بقية الأسباط فى هذه الأرض من ذلك واجتمعوا فى شيلو ليصعدوا ويقاتلوهم لأنهم اعتبروا عملهم زيغا وتمردا على ذلك وانقساما دينيا . ثم أرسلوا اليهم وفدا ينذهم ويحذرهم ، وقد أكد الأسباط الثلاثة للوفد حسن نيتهم وتنصلوا من الزيغ والتمرد وقالوا انهم انما أقاموا المذبح ليكون شاهدا بين الفريقين على وحدة التقاليد والعقائد لئلا ينكر أحفاد بنى اسرائيل فى أرض كنعان على أحفادهم نصيبهم من الرب ويقولوا مالكم وللرب وهو اله اسرائيل وقد جعل الرب فاصلا الأردن بيننا وبينكم فاقتنع الوفد بحسن نيتهم ، ويدل هذا الحادث على أن فكرة الاختصاص قد خوفت بدورها أقلية بنى اسرائيل أنفسهم من أكثريتهم !

وفى الاصحاحين الثالث والعشرين والرابع والعشرين أن يوشع جمع شيوخ بنى اسرائيل ورؤساءهم وقضاتهم وعرفاءهم وذكرهم بما كان من عناية الرب بهم وقرضه لأعدائهم واسكانهم فى أرضهم مع ما هم عليه من قوة وكثرة لأن الرب هو الذى كان يحاسب عنهم ، ووصاهم بالتمسك الشديد بكل ما فى توراة موسى ومن ذلك عدم الاختلاط بالأمم الباقية معهم وذكر آلهتها والسجود لها، وأنذرهم بوخيم العواقب ونكال الرب اذا هم فعلوا ، وأن الشعب وعده بذلك فأشهدهم على أنفسهم وسجل عهدهم فى سفر التوراة وأخذ حجرا كبيرا فأقامه تحت البلوطة التى عند

مقدس الرب ليكون شاهدا عليهم • ثم ذكر الاصحاح الرابع والعشرون بعد ذلك خبر موت يوشع بعد أن بلغ مائة وعشر سنين ودفنه فى أرض ميراثه فى تمنة سارح التى فى جبل افرائيم ــ قرب نابلس اليوم ــ ثم خبر دفن عظام يوسف فى شكيم ــ نابلس أيضا •

عهـد القضـاة

- ١ -

أعقب موت يشوع عهد عرف بعهد القضاة لأن الزعمـاء والقواد الذين تزعموا أو قادوا بنى اسرائيل بعد يشوع سـموا « قضـاة » .

ويحكى سيرة هذا العهد سفر القضاة وبعض اصحاحات من سفر صموئيل الأول الذى تسميه النسخة الكاثوليكية الملـوك الأول .

وسفر القضاة يأتى بعد سفر يشوع مباشرة . وهو واحـد وعشرون فصلا فى اثنتين وأربعين صفحة . وفيه هو الآخر كثير من الخيال والمبالغة والتناقض مع كثير من الحقائق أيضا فيمـا نرجـح .

ولا يعرف متى كتب . ولكنه كتب على كلّ حال بعد عهـد القضاة بأمد ما قد يكون طويلا فكان ذلك سبب اختلاط الحقائق بالخيال والمبالغة والتناقض .

وحساب السفر يجعل حقبة القضاة نحو أربعمائة سنة (١) مع أنها قد لا تزيد على المائة اذا ما لاحظنا أن الملك الرسمى لبنى اسرائيل قام فى أواسط القرن الحادى عشر (حوالى ١٠٣٠) وان بنى اسرائيل خرجوا من مصر فى أواخر القرن الثالث عشر (حوالى ١٢١٠) وأن زعامة موسى ويشوع من بعده استمرت نحو ثمانين سنة . وهذا الرقم من مبالغات السفر شأنه شأن الأسفار الأخرى فى الأرقام .

- ٢ -

ولقد احتوى السفر تفاصيل كثيرة عن حقبة عهد القضاة يستفاد منها أن بنى اسرائيل حاربوا بعض الذين ظلوا أصحاب اليد فى مدنهم ومناطقهم فى غرب الأردن ونجحوا فى بعض حروبهم وأنهم تعرضوا لغارات وغزوات وازعاجات كثيرة من داخل

---

(١) مما ذكره الاصحاح أن ملك أرام غزاهم فاستعبدهم ثماني سنين ثم خلصوا فاستراحوا اربعين سنة ثم استعبدهم ملك عجلون ثمان عشرة سنة ثم خلصوا منه فاستراحوا ثمانين سنة ثم استعبدهم ملك حاسور ثمان عشرة سنة ثم اهل مدين والشرق سبع سنين وحكمهم جدعون الذى خلصهم من المدينيين اربعين سنة وابنه ابيمالك ثلاث سنوات ثم قضى لهم تولع القاضى ثلاثا وعشرين سنة ويائير اثنتين وعشرين سنة بعد جدعون وابنه واستعبدهم بعدهما العمونيون ثمان عشرة سنة وقضى لهم يفتاح الذى خلصهم ست سنوات ثم قضى لهم بعده ابصان سبع سنوات وايلون عشر سنوات وجدون ثمان سنوات ثم استعبدهم الفلسطينيون اربعين سنة»

الأرض ومن خارجها وأنهم كانوا ينحرفون انحرافات دينيـة وخلقية واجتماعية عزا السفر اليها تسليط الرب عليهم المغيرين والغزاة والمزعجين .

والمستفاد من اصحاحات السفر منذ أوائلها أن انحرافات بنى اسرائيل كانت عقب موت يوشع ودخولهم فى حقبة عهد القضاة دون تلبث قليل ناسين العهد الذى أخذه عليهم يوشع وسجله فى التوراة على ما حكاه آخر اصحاحات سفر يوشع ، ممـا كان دأبهم منذ خروجهم من مصر ، ومما يدل على ضعف صلابتهم ومقاومتهم وسرعة تأثرهم بعقائد وتقاليد الوثنيين حولهم ثم على عدم مبالاتهم بزواجر الله ونذره وتقريعات الأنبياء ووصاياهم المشددة المتكررة .

وقد ذكر الاصحاح الأول أن سبط يهوذا بالتضامن مـع سبط شمعون نشط لمحاربة الكنعانيين الذين ظلوا مقيمين أو أصحاب يد فى بعض الأقسام التى كانت فى قسمهم حسب تقسيم يشوع ، وأنهم ضربوا الكنعانيين والفرزيين فى بازق وقتلوا منهم عشرة آلاف وأسروا ملك بازق وقطعوا أباهم يديه ورجليه وأتوا به الى أورشليم حيث مات فيها ، ثم حاربوا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف وأحرقوها بالنار ، ثم حاربوا الكنعانيين فى أربع وضربوا شيشاى واحيمان وتلمان ــ وهـذه الطوائف الثلاث من طوائف العناقيين على ما ذكر فى سفر الخروج ــ ثم

زحفوا على دبير فاستولوا عليها ، ثم انطلقوا فضربوا الكنعانيين في صفات ودمروا المدينة ، ثم زحفوا على غزة وأشقلون وعقرون فاستولوا عليها مع توابعها ، وأن سبط يوسف صعدوا الى بيت ايل التى كانت تسمى لوز واستولوا عليها بحد السيف •

وقد ذكر هذا الاصحاح أن بنيامين لم يطردوا اليبوسيين المقيمين فى أورشليم فعاشوا معهم ، وأن منسى لم يطردوا أهل بيت شان وتوابعها وأهل تعنك وتوابعها وأهل مجدو وتوابعها فعاشوا معهم ، وأن افرائيم لم يطردوا الكنعانيين المقيمين فى جازا فعاشوا معهم ، وأن أشير لم يطردوا الكنعانيين المقيمين فى عكا وأحلب وأوكزيب وصلبة ورحوب فعاشوا معهم ، وأن نفتالى لم يطردوا الكنعانيين فى بيت شمس وبيت عنات فعاشوا معهم ، وكل ما كان من أمر انهم ضربوا عليهم الجزية ، وأن الأموريين حصروا بنى دان فى الجبل ولم يفسحوا لهم المجال للنزول الى الوادى •

وهذا وذاك ينقض كثيرا مما جاء فى سفر يشوع على ما نبهنا عليه حيث يفيد أن دبير وأورشليم ولوز وأربع لم تكن فى يد اسرائيل فى حياة يشوع ، وأن يشوع لم يقرض طوائف العناقيين شيشاى واحيمان وتلماى ، وأن سكان كثير من البلاد والمدن التى استولى عليها لم يبيدوا كما زعم سفر يشوع وأن تقسيم

البلاد الذى جرى فى عهد يشوع كان شاملا لما وقع فى أيديهم وما لم يقع .

- ٣ -

والاصحاح الثانى عرض اجمالى لسيرة بنى اسرائيل فى حقبة عهد القضاة . وقد بدأ بحكاية خطاب ملاك الرب الذى قال : انه صعد من الجلجال الى موضع الباكيه لبنى اسرائيل مذكرا اياهم بما كان من تأييد الرب لهم ووصاياه بعدم معاهدة أهل الأرض ثم يأخذ بالتنديد بهم لعدم سماعهم وصاياه وبمعاقبتهم على ذلك بعدم طرد أهل الأرض وابقائهم ليضايقوهم وتكون آلهتهم شركا لهم ، وذكر الاصحاح بعد ذلك بما كان من اخلاص الشعب فى أيام يشوع ثم قال « ونشأ من بعدهم جيل آخر لا يعرف الرب ولا ما صنع لاسرائيل . ففعل بنو اسرائيل الشر فى عين الرب وعبدوا البعليم . وتركوا الرب اله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر وتبعوا آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم وسجدوا لها وأسخطوا الرب. وتركوا الرب وعبدوا البعل والعشتاروت. فغضب الرب على اسرائيل فدفعهم الى أيدى المنتهبين فانتهبوهم وباعهم الى أيدى أعدائهم الذين حولهم ولم يقدروا بعد أن يثبتوا فى وجوه أعدائهم . فكانوا حيثما خرجوا تكون يد الرب

عليهم للشر كما قال الرب وكما أقسم فضاق بهم الأمر جدا • فأقام الرب عليهم قضاة فخلصوهم من أيدى المنتهبين • ولقضاتهم أيضا لم يسمعوا بل فجروا باقتفائهم آلهة أخر وسجدوا لها ولم يلبثوا أن حادوا عن الطريق التى سلكها آباؤهم على طاعة وصايا الرب ولم يضعوا مثلهم • فلما أقام عليهم قضاة كان الرب مع القاضى فكان يخلصهم من أيدى أعدائهم كل أيام القاضى لأن الرب رحم أنينهم من ظالميهم ومضايقيهم • واذا مات القاضى كانوا يرجعون الى الفساد أكثر من آبائهم باتباعهم آلهة أخر ليعبدوها ويسجدوا لها ولم يحيدوا عن سوء أعمالهم وطريق قساوتهم • فاشتد غضب الرب على اسرائيل • وقال «بما أن هذه الأمة قد تعدت عهدى الذى أمرت به آباءهم ولم تسمع لصوتى فلا أعود أنا أيضا أطرد واحدا من أمامها من الأمم التى تركها يشوع عند وفاته لامتحن بها اسرائيل هل يحفظون طريق الرب ويسلكون فيها كما حفظها آباؤهم أم لا ؟ فترك الرب تلك الأمم ولم يطردها سريعا ولم يسلمها الى يد يشوع (١) » •

ولقد أخذ الاصحاح الثالث وما بعده يذكر ما كان يطرأ على بنى اسرائيل من غارات وغزوات وما كان من تسلط المغيرين والغزاة عليهم واعناتهم لهم ، فكأن ما جاء فى الاصحاح الثانى من التنديد والتذكير قد جاء بمثابة تعليل لذلك • وهذا هو

---

(١) الطبعة الكاثوليكية •

أسلوب الأسفار حيث تربط بين ما يقع على بنى اسرائيل من بلاء خارجى وداخلى وبين مخالفاتهم لوصايا الرب وشرائعه التى منها ما فيه ظلم وقسوة لغيرهم تعالى الله عنه . والمتبادر أنه أسلوب متأثر فى الدرجة الأولى بالوقائع .

وقد بدأ هذا الاصحاح بذكر الأمم الذين تركهم الرب لامتحان بنى اسرائيل . وهم خمسة أقطاب الفلسطينيين ــ والمقصود على الأرجح الغزى والأشقلونى والجبتى والعقرونى والاسدودى لانهم وصفوا بهذا الوصف فى عبارة سابقة أوردناها قبل ــ وجميع الكنعانيين والصيدونيين والحويين المقيمين بجبل لبنان من جبل بعل حرمون الى مدخل حماة ، وذلك بالاضافة الى الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين واليبوسيين الذين أقاموا مع بنى اسرائيل والذين تزوج بنو اسرائيل بناتهم وأعطوهم بناتهم وعبدوا آلهتهم ونسوا الرب وعبدوا البعليم وعشتروت كما جاء فى عبارة الاصحاح ، حيث يفيد هذا أن سكان أرض كنعان القدماء ظلوا محتفظين بمراكزهم وكيانهم خلافا لما زعمه سفر يشوع ، وأنهم كانوا مع أهل البلاد المجاورة لأرض كنعان ــ غرب الأردن ــ يتربصون ببنى اسرائيل ويجمعون على الوقوف منهم موقف العداء والتجهم ، وأنهم كانوا الى هذا أصحاب تأثير دينى واجتماعى قوى فيهم .

- ٤ -

وكان أول من غزا بنى اسرائيل فى الحقبة عقابا لهم على ما جاء فى هذا الاصحاح شنعائيم ملك آرام النهرين فاستعبدهم ثمانى سنين • وكان خلاصهم منه على يد عتنئيل ابن قناز أخو كالب الأصغر • وكالب هذا كان أول قضاتهم بعد موت يوشع •

وكان ثانى من غزاهم حجلون ملك مؤاب حيث جمع عليهم بنى عمون والعماليق وضربهم واستعبدهم ثمانى عشرة سنة على ما ذكره الاصحاح نفسه الذى ذكر أن ذلك كان عقابا لهم لعودتهم الى الشر والفساد بعد موت مخلصهم الأول • وكان خلاصهم على يد أهود بن جبرا الذى تمكن من اغتيال ملك مؤاب فى غرفة نومه وقد قص الاصحاح ذلك فى سياق فيه كثير من الخيال وذكر فيه فيما ذكر أن أهودا قاد بعد ذلك بنى اسرائيل وحارب المؤابيين وانتصر عليهم وقتل منهم عشرة آلاف محارب شجاع • فذل المؤابيون فى ذلك اليوم تحت يد بنى اسرائيل •

وبعد هذا قام زعيم اسمه شمجر بن عنات وخلص اسرائيل من أهل فلسطين حيث قتل منهم ستمائة رجل بمنساس البقر ـ اسم المكان على الأرجح ـ حيث يفيد هذا الخبر الذى ورد فى نفس الاصحاح بهذه العبارة المقتضبة ان الغارة الثالثة كانت من ناحية الفلسطينيين الذين كانت منازلهم فى الجنوب •

وفى الاصحاحين الرابع والخامس قصة تسلط يابين ملك حاصور الكنعانى على بنى اسرائيل بعد موت أهود حيث عادوا الى صنع الشر فباعهم له حسب عبارة الاصحاح ، وكان اسم قائده الذى قهرهم سيسرا وكان له تسعمائة مركبة من حديد فخضعوا لهذا الملك عشرين سنة ، وكان خلاصهم على يد باراق ابن أبينوعم بأمر النبية ديورة حيث زحف على رأس قوات بنى اسرائيل على قوات سيسرا وتغلب عليها وأمعن فيها قتلا حتى لم يبق منها باق على زعم الاصحاح • وفر سيسرا ولكنه ما لبث أن لقى حتفه هو الآخر ، فى سياق فيه كثير من الخيال •

ويلحظ أن سفر يشوع ذكر أن يشوع فتح حاصور وقتل أهلها مع ملكها يابين ولم يبق منهم باق على ما أوردناه قبل • وهكذا جاء هذا الخبر لينقض ذلك بالنسبة لمملكة حاصور وقوتها وان كان من المحتمل أن يكون اسم ملكها الذى تسلط على بنى اسرائيل فى هذا العهد غير الملك الأول وان كان على اسمه • وقد ذكر الخبر أن القتال كان فى منطقة جبل تابور • وهذا فى منطقة الجليل فى شمال فلسطين والخبر يفيد أن مملكة حاصور كانت قوية وأن سلطانها كان شاملا لمنطقة واسعة ، ولا يمكن الجزم بما اذا كانت سيادة حاصور شملت جميع بنى اسرائيل فى جميع غرب الأردن أو القسم الشمالى منه والا كان الخبر يفيد الشمول أكثر •

وفى الاصحاح السادس خبر غارات المدينيين والعمالقة وبنى المشرق على سرائيل حيث دفعهم الرب الى أيديهم بسبب عودتهم الى الشر حسب عبارة الاصحاح • وقد قويت أيدى المغيرين عليهم حتى اضطروا الى ترك مدنهم وقراهم والالتجاء الى الكهوف والمغاور والحصون • وكانوا اذا زرعوا صعدوا عليهم فأفسدوا غلتهم الى مدخل غزة ولم يبقوا ميرة ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا • وكانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويأتون كالجراد كثرة • فذلت اسرائيل ذلا عظيما لمدة سبع سنين • وكان خلاصهم على يد جدعون الذى كان أول ما فعله هدم مذبح البعل الذى أقامه أبوه ، والذى زحف على رأس الاسرائيليين واشتبك مع المدينيين والعمالقة وبنى المشرق الذين احتشدوا فى وادى يزرعيل وضربهم ضربة شديدة على ما ذكره الاصحاح السادس والسابع فى سياق طويل فيه كثير من الخيال واحتوى فيما احتواه خبر قتل ملكى مدين زاباح وصلمناع وقائديهما زيب وعوريب بعد كسر قواتهما وقتل عدد عظيم منهم قال الاصحاح ـ مبالغا على ما نرجح ـ ان عددهم بلغ مائة وعشرين ألف مخترط سيف •

وفى هذا الخبر نقض او انتقاص لما ذكره الاصحاح الحادى والثلاثون من سفر العدد من زحف بنى اسرائيل بأمر موسى على المدينيين واهلاكهم وتدمير مدنهم على ما أوردناه قبل • فليس

من المعقول أن يكون تم ذلك كما ذكر الاصحاح المذكور من سفر العدد ثم نما المدينيون وقووا حتى قدروا على غزو الاسرائيلين وازعاجهم الشديد بالشكل الذى وصفه الاصحاح السادس من سفر القضاة ، وعرض بنو اسرائيل على جدعون أن يحكمهم هو وأبناؤه من بعده . فحكمهم مدة أربعين سنة كما يقول الاصحاح . ولما مات عاد بنو اسرائيل الى الشر على ما ذكره الاصحاح الثامن واتبعوا البعليم واتخذوا لأنفسهم بعل بريت الها . وكان جدعون قد ترك سبعين ولدا لأنه تزوج وتسرى بعدد من النساء، وكان من بينهم واحداسمه أبيملك أمة سريةمن شكيم فاستعان بأهلها ليكون الحكم له دون اخوته فلبوا طلبه وأعطوه سبعين من الفضة أخذوها من بيت بعل بريت فاستأجر بها رجالا أشقياء وذهب على رأسهم الى بيت أبيه فى مدينة عفرة فقتل اخوته السبعين على صخرة واحدة . وهذا الحادث أفظع وأشمل حادث من نوعه فى التاريخ القديم . وقد نجا واحد منهم اسمه يوتام وهو أصغرهم فانطلق واختفى . وملك أبيملك ثلاث سنين ثم بعث الله روح الشر بينه وبين أهل شكيم ليرتد عليه ظلم قتل اخوته كما ذكر الاصحاح فغدروا به وأخذ ينشب بينه وبينهم قتال وأصابه فى سياق ذلك ضربة حجر كسرت جمجمته وكان فيها هلاكه مما ذكره الاصحاح التاسع .

وقد ذكر الاصحاح العاشر أنه قام على قضاء بنى اسرائيل

بعده تولع بن فؤاة وبعد هذا يائير الجلعادى . وعاد بنواسرائيل بعد هذا الى فسادهم وانحرافهم فعبدوا البلعيم وعشتاروت وآلهة آرام وحيدون ومؤاب وبنى عمون والفلسطينيين على ما ذكره الاصحاح العاشر حيث يدل هذا الوصف على أن كل جماعات بنى اسرائيل فى شرق الأردن وغربه زاغوا عن طريق الله واندمج كل منهم فى عبادة آلهة الشعوب التى حولهم فكان انهيارهم شاملا عجيبا .

وقد قال الاصحاح بعد هذا ان غضب الرب اشتد عليهم وباعهم لبنى عمون فتغلبوا على الذين فى أرض الأموريين فى شرق الأردن من بنى اسرائيل ثم عبروا النهر وحاربوا أسباط يهوذا وبنيامين وافرائيم وهم الساكنون فى المنطقة الجنوبية والوسطى من غرب الأردن وضيقوا عليهم الخناق . وكان خلاصهم على يد زعيم اسمه يفتاح الجلعادى حيث تمكن من قهر العمونيين وضربهم . وكان هذا الزعيم على ما ذكره الاصحاح الحادى عشر ابن بغى طرده اخوته الشرعيون وكان جبار بأس فذهب اليه شيوخ جلعادى وعاهدوه على الرآسة والسمع والطاعة فقبل وتمكن من ضربهم ونذر بأن يقدم أول من يلقاه من بيته ذبيحة شكرا للرب فلقى ابنته وهى وحيدته ولكنه وفى بنذره فأحرقها. «وتضحية البشر» ليس من شريعة موسى وانما كان من شريعة الكنعانيين حيث يبدو من هذا قوة تأثر بنى اسرائيل بهؤلاء .

ومما ذكره الاصحاح الثانى عشر ان سبط افرائيم تمرد على يفتاح بذريعة عدم أخذه اياهم لحرب بنى عمون فأوقع فيهم مذبحة هائلة هلك فيها اثنان وأربعون ألفا !

ولما مات يفتاح تولى القضاء زعيم اسمه ابصان ثم تولاه ايلون الزبولونى ثم عبدون بن هليل الفرعتونى على ما ذكره الاصحاح المذكور .

وعاد بنو اسرائيل الى شرهم وفسادهم بعد هذا الزعيم فدفعهم الرب الى الفلسطينيين أربعين سنة على ما جاء فى الاصحاح الثالث عشر وكانوا متسلطين عليهم . وكان خلاصهم على يد شمشون فى سياق طويل استغرق هذا الاصحاح والاصحاحين التاليين له وفيه كثير من الخيال والمبالغة . وشمشون هذا هو صاحب المثل المشهور « على وعلى أعدائى يا رب » .

وفى الاصحاح الثامن عشر قصة غزو سبط دان لمدينة كنعانية قرب صيدا اسمها لاييش واستيلائهم عليها وتسميتهم اياها باسمهم .

– ٥ –

وفى الاصحاح السابع عشر قصة صغيرة تدلّ على استشراء الشرك فى بنى اسرائيل واندماج الجميع فيه ، حيث تحكى صنع

رجل اسمه ميخا ـ من فضة أخذها من أمه ـ صنما منقوشا وآخر مسبوكا وجعلهما فى غرفة فى بيته سماها بيت الآلهة وزخرفها بزخارف طقسية من نوع زخارف المخبأ . وجاء فتى من اللاويين من عشيرة يهوذا طارقا الى البيت فأضافه ميخا ولما علم أنه لاوى عرض عليه البقاء عنده وغدوه كاهنا لبيت آلهته فقبل .

وفى الاصحاح الثامن عشر قصة غزو سبط دان لمدينة كنعانية قرب صيدا اسمها لايش واستيلائهم عليها وتسميتهم اياها باسمهم . وذكر الاصحاح ذلك فى سياق قوله انه لم يكن لبنى اسرائيل فى تلك الايام ملك وان سبط دان يطلب ميراثا للسكنى لانه الى ذلك اليوم لم يكن قد وقع له نصيب يرثه بين أسباط اسرائيل(١) .

ومما ذكره الاصحاح فى هذا السياق أن المحاربين الذين صعدوا لاخذ المدينة مروا ببيت ميخا وأخذوا الاصنام والزخارف والكاهن اللاوى ونصبوها فى المدينة التى استولوا عليها عنوة واتخذوها لهم وظل الكاهن وبنوه من بعده كهانا لها الى يوم جلاء اسرائيل عن الارض !

وفى الاصحاحات التاسع عشر والعشرين والحادى والعشرين

---

(١) فى الاصحاح التاسع عشر من سفر يوشع ذكر لنصيب دان واسماء عدد من المدن واقعة فى تخمهم ونصيبهم ، ولكنه قال ان تخمهم كان ضيقا عليهم فصعدوا وحاربوا لاشم واخذوها بحد السيف وورثوها وسكنوا فيها وسموها باسم ابيهم .

وهى الاخيرة من سفر القضاة قصة حادث عجيب يكاد يكون وحيدا في التاريخ مهما كان من المحتمل امتزاجه بالغلو والخيال •

فقد نزل أحد أبناء سبط لاوى مع سرية له ضيفا على أحد بنى بنيامين فى مدينة اسمها جبع فجاء جماعة من أهل المدينة يقال لهم بنو بليعال وطرقوا الباب وطلبوا من صاحب البيت اخراج الضيف ليفعلوا به الفاحشة فاستنكر صاحب البيت الطلب وحاول صرفهم فلم يتمكن الا باخراج سرية الضيف لهم فأخذوها وتعاقبوا عليها واحدا بعد آخر حتى زهقت روحها فقطعهازوجها اثنتى عشرة قطعةووزع قطعها على تخوم أسباط بنى اسرائيل • وارتاع بنو اسرائيل للحادث واجتمع ممثلوهم للتحقيق والمشاورة وجاء اللاوى فقص عليهم قصته فأثارتهم أشد اثارة وجعلتهم يقررون الانتقام للرجل وأرسلوا الى عشائر بنيامين يطلبون تسليم بنى بليعال فرفضت واستعدت للقتال فقررت الاسباط الباقية الاحدى عشرة أن يرغموها بالقوة وزحفت على جبع وكانت عدة محاربى الاسباط أربعمائة ألف وعدة محاربى بنيامين ستة وعشرين ألفا وسبعمائة • وأخذت الاشتباكات تقع بين الطرفين • وكانت فى البدء تقع بين بنيامين وأحد الاسباط نوبة بعد نوبة فاستطاع الاولون أن يصمدوا وكانوا يتغلبون على مقاتليهم فى الاشواط الاولى حتى قتلوا منهم عددا عظيما

بلغ نيفا وأربعين ألفا • ثم تضامنت الاسباط بامر الرب وتأييده فتغلبت عليهم وفتكت بهم وحرقت مدنهم ولم يكد ينجو منهم الا ستمائة رجل فروا الى البرية واحتموا بصخرة يقال لها صخرة الرمون • وحلف الاسباط الا يزوجوهم حتى يفنى نسل بنيامين ثم ندموا على حلفهم واحتالوا لهم حتى جعلوهم يحصلون على زوجات لهم وسمحوا لهم بالعودة الى بلاد ميراثهم •

هذا ، وقبل أن ننقل الكلام الى سفر صموئيل الاول نقول ان اصحاحات سفر القضاة التى ذكرت خلاص اسرائيل على يد قضاتهم مرة بعد مرة من أيدى الذين تسلطوا عليهم فى غرب الاردن وشرقه لم تذكر أن بنى اسرائيل أبادوا أعداءهم باستثناء المدينيين ، وكل ما تفيده أنهم كانوا يتفلتون من قبضتهم أو يقهرونهم ، بحيث يصح أن يقال ان الفلسطينيين والاموريين والكنعانيين والمؤابيين والعمونيين والادوميين فى غرب الاردن وشرقه ظلوا مستقرين فى الارض محتفظين بشخصياتهم دينيا واجتماعيا وكان الفلسطينيون فى الجنوب بنوع خاص أصحاب قبضة واستعلاء • ويستفاد من الاصحاحات الاخيرة من سفر القضاة انه لم يقم بعد شمعون زعيم قوى فى بنى اسرائيل وكانت حالتهم فوضى • وفى حالة الفوضى هذه وقعت حادثة ميخا وأصنامه وزحف جماعة بنى دان على مدينة لايش

واستيلائهم عليها وأخذهم اياها آلهة وأصناما لهم . وكانت هذه الحالة مما جعل الفلسطينيين وغيرهم يقوون ويستعلون وجعل بنى اسرائيل يفكرون فى اقامة ملك لهم ينضوون تحت رايته ويناضلون الذين استعلوا عليهم وأزعجوهم مما تصف الاسفار التالية لسفر القضاة قصته .

- ٦ -

وسفر صموئيل الاول أو الملوك الاول - الذى تحكى اصحاحاته التسعة الاولى بقية سيرة بنى اسرائيل قبل قيام ملك لهم - واحد وثلاثون اصحاحا فى تسع وخمسين صفحة . واسمه مقتبس من اسم صبى كان يخدم الكاهن الاكبر عالى ثم تولى بعهده الكهانة ومسح شاوول ملكا ثم داود من بعده .

وهو الآخر ، كتب على ما تدل عباراته بعد أمد ما ، من الحقبة التى يقص سيرتها ، قد يكون طويلا . وفيه بسبب ذلك على ماهو المتبادر كثير من الخيال والمبالغة والتهويلات مع كثير من الحقائق أيضا .

ويستفاد من اصحاحه الاول أن الكهانة الكبرى كانت في عهدة كاهن اسمه عالى ووصف برجل الله وشغل منصبه أربعين سنة •

ومما ذكره الاصحاح الثانى أن فتيان بنى اسرائيل كانوا يزدرون الطقوس الدينية وان أبناء عالى كانوا لا يعرفون الرب • ولا يفرقون بين حق الشعب والكهنة كما كانوا لا يتورعون عن مضاجعة النساء المجتمعات فى باب الخباء على علم من الملأ حيث يدل هذا على مقدار استشراء الانحراف الدينى والخلقى فى بنى اسرائيل • وقد ذكر الاصحاح أن عالى الكاهن علم بفسق أبنائه وفسادهم فوبخهم ووعظهم وأنذرهم فلم يؤثر ذلك فيهم مما جعل الرب يغضب ويوحى الى عالى بأنه قرر قطع الكهانة من ذريته وتحويلها الى غيرها وانزال الموت ببنيه الفاسقين •

ويقص الاصحاح الثالث قصة صموئيل الصبى الذى كان يخدم عالى الكاهن واستقامته واتصال الرب به وجعله نبيا وترشيحه للكهانة الكبرى مكان عالى •

ويذكر الاصحاح الرابع خبر نشوب الحرب بين بنى اسرائيل والفلسطينيين ، وقد دارت المعركة بين الطرفين فى أفيق فانهزم بنو اسرائيل أمامهم وقتل منهم أربعة آلاف • ورجع المنهزمون الى شيلو فحملوا تابوت الرب معهم للاستنصار به وكروا على

الفلسطينيين وكان ابنا الكاهن الفاسقان هما اللذان حملاه فانهزموا ثانية وقتل منهم ثلاثون ألفا من جملتهم الابنان المذكوران وأخذ الفلسطينيون التابوت ، مما أثار فى نفوس بنى اسرائيل عظيم التشاؤم والذعر وجعلهم يمزقون ثيابهم وينوحون فى كل بيت ولما وصل الخبر الى عالى الكاهن وكانت الشيخوخة قد هدته سقط عن كرسيه فاندق عنقه ومات •

وأفيق هذه فى أعالى الجليل ـ وهى الآن من أعمال سورية ـ ومعنى العبارة أن الفلسطينيين اقتحموا أرض بنى اسرائيل واخترقوها من أقصى الجنوب الى أقصى الشمال ••

ويحكى الاصحاحان الخامس والسادس أن التابوت بقى عند الفلسطينيين تسعة أشهر وأن ضربات من البواسير والفئران قد نزلت بهم بسبب وجوده بين ظهرانيهم مما جعلهم يتشاءمون ويقررون اعادته الى بنى اسرائيل مع خمسة تماثيل ذهبية للفئران ومثلها للبواسير هدية معه على عدد ممالكهم وهى غزة وأشدود وأشقلون وجت وعقرون بناء على نصيحة كهانهم وعرافيهم ، وقد وضعوه على عجلة مقطورة ببقرتين وأطلقوهما فى اتجاه أرض بنى اسرائيل فسارتا حتى وصلتا الى بيت شمس احدى مدنهم ومنها الى بعاريم حيث بقى فيها الى أن نقل الى أورشليم فى زمن داود •

وقد ذكر الاصحاح السابع أن الامر ظل على هذا الموقف

عشرين سنة وأقبل كل بيت اسرائيل الى الرب فقال لهم صموئيل الذى صار كاهنهم الاكبر ، ان كنتم تائبين الى الرب من كل قلوبكم فأزيلوا الآلهة الغريبة والعشتاروت من بينكم وأعدوا قلوبكم للرب واعبدوه فينقذكم من أيدى الفلسطيين ، فاستجاب بنو اسرائيل لكلامه وأزالوا عنهم البلعيم والعشتاروت وعبدوا الرب وحده . حيث يدل هذا على ما كان من انحراف نحو الوثنية والشرك وتأثر بعقائد سكان الارض الاقدمين .

ويقول الاصحاح نفسه : ان بنى اسرائيل احتشدوا فى المصفاة وصاموا واعترفوا بخطئهم وقضى صموئيل لهم ، وان أقطاب الفلسطيين لما سمعوا باحتشادهم صعدوا اليهم فخاف بنو اسرائيل والتجأوا الى صموئيل ليصرخ الى الرب من آجلهم حتى يخلصهم من أيدى الفلسطيين ففعل فاستجاب الرب اليه فارعد بصوت عظيم أزعج الفلسطينين وجعلهم ينهزمون من وجه اسرائيل ، وتبعهم بنو اسرائيل وضربوهم الى ما تحت بيت كار فذل الفلسطيون ولم يعودوا يدخلون تخوم اسرائيل وعادت الى اسرائيل المدن التى كانت دخلت فى حوزتهم من عقرون الى جت .

العبارة تفيد كما هو واضح انكفاف يد الفلسطينين وسيطرتهم عن بنى اسرائيل وحسب ، وبالتالى ظل الفلسطيون مستقرين فى أرضهم محتفظين بممالكهم وسلطانهم .

ومع ذلك فان الاصحاح العاشر ذكر فى سياق ترشيح شاؤول للقيادة والملك أن الرب أوحى لصموئيل أنه هو الذى اختاره ليكون قائدا لشعبه ومخلصا لهم من أيدى الفلسطينيين لان صراخ شعبه قد انتهى اليه فقرر الالتفات اليهم • وفى هذا نقض لما ذكره الاصحاح السابع من انكفاف يد الفلسطينيين عن بنى اسرائيل وارتفاعها عن تخومهم كل أيام صموئيل ! ويفيد أن الفلسطينيين ظلوا مسيطرين على بنى اسرائيل وعلى الاقل أنهم عادوا فسيطروا عليهم ••

ولقد جاء فى الاصحاح السابع بعد العبارة التى ذكرت انكفاف الفلسطينيين عن تخوم اسرائيل هذه العبارة • وكان بين اسرائيل والاموريين سلم • حيث يفيد هذا أن الاموريين كانوا بدورهم محتفظين بكيانهم وسيادتهم فى البلاد التى كانت فى حوزتهم من أرض كنعان ••

وقد ذكر الاصحاح الثامن أن صموئيل الذى كان يتولى الكهانة والقضاء لبنى اسرائيل شاخ فجعل بنيه قضاة• ولكنهم لم يسلكوا سبيله وأخذوا الرشوة وحابوا فى القضاء ، فاجتمع شيوخ اسرائيل وجاءوا الى صموئيل فى الرامة التى كانت مركزه وأخبروه بسيرة أبنائه العوجاء وطلبوا منه اقامة ملك عليهم يقضى بينهم كجميع الامم فساءه الطلب فصلى الى الرب فأمره الرب أن يسمع لكلام

الشعب وقال له انهم لم يسأموك أنت وانما سئمونى أنا كديدنهم منذ خروجهم من مصر ، ثم قال له اسمع الآن لقولهم ولكن اشهد عليهم وأخبرهم بسنن الملك الذى يسلك عليهم فأخبرهم صموئيل بما قاله الرب ثم قال لهم ان سنة الملك الذى يملك عليكم هى أن يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه فيركضون أمام عجلته • ويتخذ لنفسه رؤساء ألف ورؤساء خمسين وأكره لحرثه وحصاده وصناعا لآلات حربه وأدوات عجلاته• ويتخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات• وحقولكم وكرومكم وأفضل زيتونكم يأخذها ويعطيها لعبيده • ويأخذ عشورا من زروعكم وكرومكم ويعطيها لخصيانه • ويأخذ عبيدكم واماءكم وشبانكم الحسان وحميركم ويستعملهم فى شغله • ويعشر ماشيتكم وأنتم تكونون له عبيدا فتصرخون فى ذلك اليوم من ملككم الذى اخترتموه لانفسكم فلا يجيبكم الرب • فأبى الشعب أن يسمع لصوت صموئيل وأصر على تمليك ملك عليه وقالوا له نريد أن يكون لنا ملك كسائر الشعوب يقضى بيننا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا فقال الرب لصموئيل اسمع لصوتهم وول عليهم ملكا •

ويحكى الاصحاحان التاسع والعاشر قصة اختيار شاؤول بن قيس من سبط بنيامين ملكا ومسحه من قبل صموئيل • وقد وصفه الاصحاحان بأنه أطول من كل رجل ولم يكن فى بنى اسرائيل من هو أحسن منه • وقد التقى صموئيل وهو غلام بمناسبة ضلال أتن

لابيه وخروجه للبحث عنها ومجيئه اليه ليقدم له تقدمة ويطلب منه الدعاء للرب لارشاده الى الاتن الضـــالة • وكان الرب قد أوحى لصموئيل بأنه سيجيء اليه الذى اختاره ليكون قائدا لشعبه يخلصهم من أيدى الفلسطينيين • فلما جاء طمأنه على أتن أبيه ووصاه ببعض الوصايا التى يقولها لبعض من يلقاه فى طريق عودته ثم صب عـــلى رأسه الدهن وقبله وقال له : ان الرب قد مسحك قائدا على ميراثه • ثم استدعى الشعب فى المصفاة وقال لهم ان الله قد اختار لكم قائدا لا نظير له فى جميع الشعب ثم استعرض الاسباط فاختار بنيامين واستعرض بنيامين فاختار عشيرة مطرى واستعرض عشيرة مطرى فلم يظهر شاؤول بينهم ثم عرف أنه مختبىء بين الامتعة فقدمه الى بنى اسرائيل فكان أطولهم فهتف الشعب كله ليحى الملك •

ثم كلم صموئيل الشعب بسنن الملك وكتبها فى سفر ووضعه أمام الرب وصرف جميع الشعب الى منازلهم ، وانصرف شاؤول الى بيته فى جبع وانصرف معه الجيش الذى مس الله قلبه باستثناء بنى بليعال الذين ازدروه وقالوا كيف يخلصنا هذا ولم يهدوا اليه هدايا فتصام عنهم •

وهكذا قام على رأس بنى اسرائيل ملك بعد نحو مائتى سنة من طروئهم على شرق الاردن وغربه وقضائهم حياة مضطربة ، فانتقلت حالتهم بذلك من دور الى دور •

وسوف نسمى دورهم الجديد بدور الملوك اقتباسا من الاسفار المسماة بأسفار الملوك والتى قصت تاريخ ملوك بنى اسرائيل قبل السبى • ويصح تقسيم هذا الدور الى قسمين الاول دور المملكة الواحدة والثانى دور المملكتين اللتين انقسمت اليهما المملكة الواحدة •

والاسفار التى تقص تاريخ ملوك بنى اسرائيل ستة وهى سفر صموئيل الاول والثانى وسفرا الملوك الاول والثانى وسفرا أخبار الايام الاول والثانى • وتسمى النسخة الكاثوليكية سفرى صموئيل بسفرى الملوك الاول والثانى وسفرى الملوك الآخرين بسفرى الثالث والرابع •

وفى سفرى أخبار الايام الاول والثانى تكرار لكثير مما جاء فى أسفار صموئيل والملوك من وقائع تاريخ الملوك بشىء من الزيادة حينا والنقص حينا والاختلاف حينا والتناقض حينا •

وفى الاسفار الستة كثير من الخيال والمبالغة والتهويل والتناقض كسائر الاسفار ولكن فيها كثيرا من الحقائق فيما هو الارجح • وفيها ما يدل على أنها كتبت أو أعيد تدوينها بعد السبى وأنها كتبت بأقلام عديدة كما فيها ما يدل على أنها استقيت من مصادر مختلفة قديمة ضاعت •

وهناك أسفار أخرى ذات صلة بتاريخ الملوك وحقبتهم غير أنها متسمة بسمة التنبؤات والرؤى وليست تاريخا بالشكل التى جاءت به الاسفار الستة المذكورة وهى أسفار أشعيا وارميا وهوشع ودانيال وعاموس وصفنيا .

هيئة قناة السويس

نبذة عن الجانب الاقتصادى لقناة السويس

ان من ينظر لمرفق قناة السويس من الناحية الاقتصادية سيدرك لاول وهلة بعض السر فى ثورة الغرب علينا عقب التأميم .

فان أغلب السفن المارة فى القناة تأتى من الشرق محملة بالمواد الخام اللازمة للصناعة فى الغرب ، واهمها البترول والمطاط ، أما السفن المتجهة من الغرب الى الشرق ، وهى لا تزيد نسبتها عن خمس السفن المارة جميعها ، فتحمل الى الشرق المواد المصنوعة .

ويتضح من هذا ان اضطراب حرية الملاحة فى القناة يلحق الكثير من الاضرار للدول موردة المواد الخام فىالشرق والتى تستغلها دول الغرب .

ويبلغ المتوسط اليومى للسفن المارة بالقناة فىعام١٩٥٨ ٥٠ سفينة وهذا العدد يمثل سدس مجموع السفن التى تمخر عباب البحار ، وقد قدرت حمولتها جميعا عام١٩٥٥ — قبل التأميم — بحوالى ١١٦ مليون طنا ، بينما ارتفعت هذه النسبة عام ١٩٥٨ الى حوالى ٥ر١٥٥ مليون . ولم تتغير نسبة عدد ناقلات الزيت عبر القناة فى عام ١٩٥٨ عنها فى عام ١٩٥٥ اذ بلغت حوالى ٨ـ٥٣ فى المائة من مجموع السفن المارة بها ، كما بلغ متوسط شحنة القافلة الواحدة عام ١٩٥٨ حوالى ٢٠ر٠٠٠ طن .

ويؤدى طريق القناة الىاختصار المسافة منسنغافورة الى لندن مثلا بمقدار ٨ر٣٠٠ ميل ومن الخليج الفارسى بحوالى ٤ر٩٠٠ ميل .

والقول بتحول التجارة عن طريق القناة محض خيال يكلف من يفكر فيه أكثر مما تتحمل امكانياته .

مطابع شركة الإعلانات الشرقية



اخترنا لك

تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم

الجزء الثاني

بقلم : محمد عزة دروزة

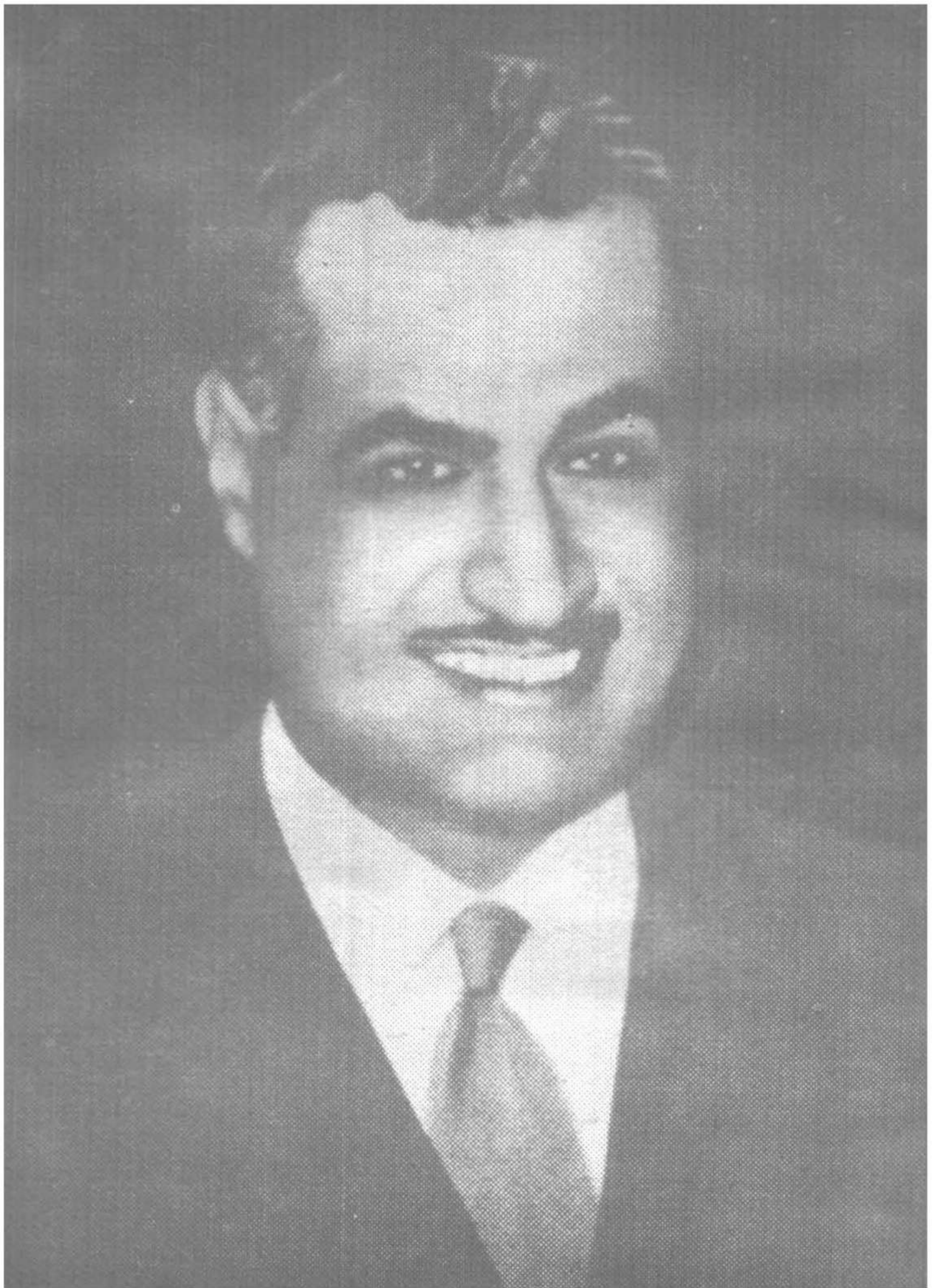
اخترنا لك ٨٥

تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم

بقلم
محمد عزة دروزة

الجزء الثاني

مطابع شركة الاعلانات الشرقية



الرئيس جمال عبد الناصر

الدور الاول من دور ملوك بنى اسرائيل

- ١ -

ملوك هذا الدور هم شاؤول واشبوشت ابنه وداود وأبشالوم بن داود ثائرا فى حياة أبيه وسليمان بن داود بعد أبيه • سيرتهم مذكورة فى الاصحاحات الحادى عشر فما بعد من سفر صموئيل الاول وفى سفر صموئيل الثانى ثم فى الاصحاحات الاول الى الثانى عشر من سفر أخبار الايام الاول والاصحاحات الاولى الى العاشر من أخبار الثانى ، مع التنبيه على أن سفرى أخبار الايام تكرار بشىء من الزيادة والنقص والاختلاف لما احتوته أسفار صموئيل والملوك بل وفى أولهما خلاصة لما احتوته الاسفار السابقة لهذه الاسفار أيضا •

- ٢ -

وأول حادث مارس شاؤول قيادته وملكه كان زحفه على ناحاش ملك بنى عمون • وقد قص ذلك الاصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الاول • ومما جاء فيه أن ناحاش زحف على مدينة يابيش

جلعاد فى شرق الاردن التى يقيم فيها فريق من بنى اسرائيل فطلبوا منه الامان على أن يخضعوا له فقبل منهم ذلك بشرط عجيب وهو أن يقلع كل عين يمنى لهم ليكون ذلك عارا على جميع اسرائيل ، مما يمكن أن يكون وليد الخيال والذكريات المتداولة أو يدل على بالغ الازدراء والاحتقار والاستهانة .. وقد طلبوا منه مهلة سبعة أيام وأرسلوا الى اسرائيل بخبرهم مما جعل هؤلاء يرفعون أصواتهم بالبكاء ، ولما بلغ الخبر شاؤول حمى غضبه واستنفر بنى اسرائيل فنفروا وكان عددهم ثلاثمائة وثلاثين ألفا فزحف بهم على يابيش وضرب العمونيين حتى لم يبق منهم اثنان معا .

وقد جاء فى آخر الاصحاح أن الشعب أراد أن يقتل الذين يناوئون ملك شاوول بعد أن كان منه ما كان فلم يسمح بذلك وأن صموئيل جمع الناس فى الجلجال وأعلنوا هناك تمليك شاؤول ثانية وذبحوا ذبائح سلامة أمام الرب وفرح الجميع فرحا عظيما .

ثم تحرش شاؤول بالفلسطينيين على ما يستفاد من الاصحاح الثانى عشر حيث ذكر أن يوناتان ابنه وأحد قواده ضرب محرس الفلسطينيين فى جبع فثاروا وصعدوا الى بنى اسرائيل وكان معهم ثلاثون ألف مركبة وستة آلاف فارس وشعب كالرمل الذى على البحر فى الكثرة ونزلوا على مخماس شرقى بيت آون ـ فى منطقة رام الله اليوم ـ فذعر الاسرائيليون فى المنطقة والتجأوا الى المغاور

والكهوف والفيافى والوعر والآبار ومنهم من فر الى شرق الاردن وسرى الذعر الى بقية بنى اسرائيل فتفرقوا شذر مذر حتى لم يبق حول شاوول الا ستمائة رجل • ومما ذكره هذا الاصحاح أن المخربين من محلة الفلسطينيين أخذوا يتوغلون فى أرض اسرائيل على ثلاث فرق ، فرقة سارت فى طريق عفرة وآخرى فى طريق بيت حورون والثالثة فى طريق صبوعين ، وأنه لم يكن يوجد فى أرض اسرائيل حداد لان الفلسطينيين منعوا عنهم ذلك لئلا يصنعوا سيفا أو رمحا فكانوا ينزلون الى أرض الفلسطينيين ليقضوا فيها حاجتهم الى الحوادة من مثل تحديد السكك والمناجل والفؤوس والمعاول فلما حان وقت الحرب لم يكن يوجد فى أيديهم سيف ولا رمح حلا شاوول وابنه يوناتان مما يثير الدهشة والعجب ويتناقض مع خبر الزحف الهائل الذى تم بقيادة شاوول على بنى عمون وضربهم ضربة شديدة !

ثم احتوى الاصحاح الرابع عشر سياقا فيه كثير من الغلو والخيال خلاصته أن يوناتان ابن شاوول وغلاما له اقتربوا من معسكر الفلسطينيين واستطاعوا بضربة واحدة أن يقتلوا عشرين منهم فأثار عملهم الاضطراب والذعر والضجيج فى الفلسطينيين وجعلهم ينهزمون • وشدد هذا من بنى اسرائيل فعادوا وتجمعوا تحت راية شاوول وتبعوا الفلسطينيين وضربوهم وغنموا ما معهم وظلوا يتعقبون

فلولهم ويغنمون ما فى أيديهم حتى أخرجوهم من حدودهم .. وقد نسى كاتب السفر ما ذكره الاصحاح السابق من أنه لم يكن فى يد بنى اسرائيل سـيف ولا رمح ولم يقل كيف فعلـوا ما فعلوه بالفلسطينيين ... ثم ينتهى الاصحاح بقوله ان شاوول الملك حارب كل من كان حوله من الاعداء من المؤابيين وبنى عمون والادوميين وملوك صوبة والفلسطينيين وكان حيثما اتجه ظافرا وضرب عماليق وأنقذ بنى اسرائيل من ناهبيهم ، وكانت حربا شـديدة على الفلسطينيين كل أيام شاؤول ، وكان شاؤول كلما رأى رجـلا جبارا أو ذا مراس ضمه اليه ، وكان رئيس جنده ابنير ابن عمه ..

وفى الاصحاح الخامس عشر قصة عملية انتقامية فظيعة مشابهة لعملية مدين التى جرت فى عهد موسى فى بواعثها وقسوتها تبرز فيها تلك الروح العدوانية الشديدة الحاقدة فى بنى اسرائيل ضد غيرهم حينما يمكنهم ذلك حيث ذكر أن صموئيل أوعز لشاؤول بأمر الرب تعالى وتقدس عن ذلك بضرب عماليق وتحريم ـ ابادة ـ كل أموالهم وعدم العفو عنهم وقتل كل رجل وامرأة وطفل ورضيع وكل بقرة وجمل وحمار وغنمه لان الرب افتقد ـ تذكر ـ ما عمله عماليـق باسرائيل حين وقف له فى الطريق عند صعوده من مصر . فحشد شاؤول مائتى ألف رجل وعشرة آلاف من يهوذا وزحف على عماليق وضربهم من حويلة الى شور الى تقابل سرمة ـ وهذه المنطقـة فى

صحراء سيناء المتصلة بمنطقة العقبة ـ وقبض على أجاج ملك عماليق حيه وحرم جميع الشعب بحد السيف وعفا عن أجاج وعن خيار الغنم والبقر والخراف وعن كل ما هو جيد وحرم الاملاك المحتقـــرة المهزولة • وأثار هذا العفو رب اسرائيل ـ تقدس عن ذلك ـ فكلم صموئيل قائلا : انى ندمت على جعل شاؤول ملكا لانه لم يقـم كلامى • وجاء صموئيل الى شاؤول وآنبه فأظهر الندم وطلـب المغفرة وأتى بأجاج فقطعه بالسيف ولكن صموئيل أبلغه أن الله رفضه من الملك وذهب غاضبا ولم يعد يراه الى أن مات •

ثم ذكر الاصحاح السادس عشر أن الرب أمر صموئيـــــل بالذهاب الى بيت لحم ومعه قرن الدهن لانه رأى فى بيت يسى ملكا • ففعل ومسح داود بن يسى من سبط يهوذا وكان أصغر اخوته وحل روح الرب فيه من هذا اليوم •

ولقد تلا سفر القضاة سفر راعوث • ويبدو أنه سجل خاص لنسب داود الذى صار له شأن عظيم فى تاريخ بنى اسرائيل • واسم السفر مقتبس من اسم امرأة مؤابية • وهو أربعة اصحاحات جاء فيها ما خلاصته أن اسرائيليا من أهل بيت لحم ومن سبط يهوذا نزح مع زوجته وولديه الى مؤاب فى ظرف جوع حل فى الارض أيام حكم القضاة فتزوج الولدين واسمه كليون بامرأة مؤابية اسمها راعوث• ثم مات عنها وأزال الجوع عن أرض كنعان فعادت الحماة ومعها

،كنتها الى بيت لحم، وهناك تزوجت راعوث برجل من أقارب الحماة اسمه بوعز فولدت له ولدا سمى عوبيد وكبر هذا وتزوج وولد له ولد سمى يسى ؛ وهو والد داود • وهكذا يكون داود الذى لمع نجمه ثم نجم ابنه سليمان أشد لمعان والذى تسلسل ملك يهوذا فى نسله ليس اسرائيليا خالصا •

ونعود الى السياق فنقول ان الاصحاح السادس عشر من سفر صموئيل الاول الذى ذكر قصة مسح داود ذكر أن الرب أذهب عن شاؤول روحه انتقاما منه لمخالفته لامره فى عماليق وبغته بروح رديئة ــ وعبارة الاصحاح تفيد أنه ابتلى بالصرعة ــ ونصحه عبيده بدعوة داود لانه يجيد الضرب على العود ؛ وكان ذلك علاجا مجربا للصرعة ، فدعاه وأحبه وجعله حامل سلاحه وكان يضرب له على العود فيذهب عنه الروح الردىء •

وفى الاصحاح السابع عشر خبر تجمع الفلسطينيين وصعودهم لاخذ ثأرهم وحشد شاؤول رجالا وسيره للقائهم ، وبروز جلبات الذى ذكره القرآن باسم جالوت الذى كان طوله ستة أذرع وشبر وعلى رأسه خوذة من نحاس وعلى جسمه درع خرشفى وزنه خمسة الاف شاقل وجرموق نحاسى فى رجليه ومزراق نحاسى بين كتفيه وسنان رمحه ستمائةشاقل حديد ــ وفى الوصف تنطوى صورة من صور المحارب فى ذلك الزمن ــ ونادى بنى اسرائيل الى البراز قائلا : ان قدر أحد منكم أن يقتلنى يصير

الفلسطينيون لكم عبيدا وان قدرت عليه تغدون أنتم عبيدا لنا .
وارتاع شاؤول وبنو اسرائيل من التحدى وانكشوا عن الفارس الفلسطيني الذى ظل يتحداهم أربعين يوما صباحا ومساء، وسمع داود تحدى الفارس الفلسطيني فعظم الامر عليه فتقدم الى شاؤول وأبدى استعداده لمبارزة الفارس وقال له انه قتل أسدا ودبا هاجما غنمه التي كان يرعاها لابيه فوافق وأراد أن يلبسه درعا فاستعفاه وخرج الى مبارزة الفارس بعصاه ومقلاعه ؛ وقد احتقره الفارس ولكن داود سارع فرماه من مقلاعه بحجر ارتز فى جبهته فسقط على وجهه فسارع داود واخذ سيف الفارس وقطع رأسه به . ورأى الفلسطينيون أن جبارهم مات فهربوا ولحقهم بنو اسرائيل حتى أبواب عقرون وفتكوا بهم ونهبوا معسكرهم وحمل داود رأس الجبار وأتى به الى أورشليم . وهذه النبذة خلاصة للقصة التى وردت مسهبة فى الاصحاح والتى شيبت بكثير من الخيال ، وان كان هذا لا يمنع صحة خبر تحدى الفارس الفلسطيني وبروز داود له وقتله اياه وهزيمة الفلسطينيين نتيجة لذلك .

وفى الاصحاح الثامن عشر أن داود لازم شاؤول عندئذ ولم يدعه يرجع الى بيت أبيه ، وعينه قائدا لرجال حربه وكان ينجح حيثما وجهه . وهذا لا يعقل أن يكون الا من شاب قوى مارس

القتال • ومما ذكره هذا الاصحاح تعلق يوناتان ابن شاؤول بداود ومحبته له كنفسه ومعاهدته له على الاخاء الدائم •

ولقد أخذ داود يملأ أعين الناس وأذهانهم وقلوبهم فأثار ذلك حقد شاؤول عليه وجعله يعزم على قتله لئلا يزاحمه على الملك ، ومن ثم أخذ يطارده مطاردة شديدة وينصب له شباك القتل أمدا طويلا •

وقد استغرقت حكاية ذلك ثمانية اصحاحات من سفر صموئيل الاول من الاصحاح الثامن عشر الى السادس وشيبت بكثير من الخيال والتناقض واحتوت صورا كثيرة لمحاولات شاؤول قتل داود بنفسه حينا وبواسطة رجاله حينا وبتحريضهعليه أولاده حينا ، وبتعريضه للقتل حينا مما يدل على شدة حقده عليه وخوفه من بروزه ؛ وذلك الى صور كثيرة لما كان من داود نحوه من جنوح للمسالمة واحترام لحياته باعتباره مسيح الرب وتجنب الايقاع به ومقابلة عدو الله بالمثل مع قدرته عليه مرارا ومع التزلف له ومحاولة اقتلاع روح الحقد والانتقام منه ، وكان شاؤول يعرف ذلك فيشعر بالندم ويثنى على خلق داود ويتعاهد معه ثم لا يلبث حقده أن يقوى عليه فيعود الى مطاردته له • ومن الصور الطريفة أن ميكال بنت شاؤول أحبت داود فاشترط أبوها لزواجها به أن يقتل مائة فلسطنى أقلف ، وكان قصده بذلك تعريضه للقتل أكثر من الانتقام من اعدائه على ما تفيده عبارة

الاصحاح الثامن عشر ولكن داود وفى بالشرط مضاعفا فقتل مائتين من الفلسطينيين بدلا من مائة فزوجه اياها ولكن حقده ظل متقدا عليه • وقد ذكر الاصحاح الثانى والعشرون أن شاؤول قتل خمسة وثمانين كاهنا من كهان مدينة نوب ثم قتل أهلها دون تفريق بين رجال ونساء وكبار وصغار بل ودواب لأن كاهنها آوى داود يوما واعطاه سيفا يدافع به عن نفسه ، حيث يدل هذا على ما كان من تأصل روح القسوة فى بنى اسرائيل حتى كانوا يمارسونها فى بعضهم بالاضافة الى غيرهم• ومن الصور العجيبة لحقد شاؤول وغيظه على داود ما حكاه الاصحاح الثالث والعشرون حيث ذكر أن الفلسطينيين اعتدوا على بنى اسرائيل فى أثناء هذه المطاردة فسارع داود مع من معه الى صدهم بامر الرب وتمكن من هزيمتهم فأهاج ذلك غيظ شاوول وجعله يزحف على المكان الذى كان ينزل فيه داود للقضاء عليه ولم يرد داود أن يشتبك معه فانسحب من وجهه •

وقد اضطر داود الى الالتجاء الى أرض الفلسطينيين مرتين وأرسل اسرته لاجئة الى مؤاب • وأقام فى المرة الثانية فى كنف أخيش ملك جت الفلسطينى ستة عشر شهرا وكانت اقامته فى مدينة اسمها صقلاع فى الصحراء ـ أى صحراء بئر السبع أو النقب المتصلة بسيناء ـ التى خصصها الملك لداود بناء على طلبه وكان يقوم منها بغزوات على الجشوريين والجزريين والعمالقة

الذين كانوا من القديم سكان الارض من شور الى أرض مصر على ما جاء فى الاصحاح السابع والعشرين ، وكان داود يضرب البلاد فلا يبقى على رجل ولا امرأة ويأخذ الغنم والبقر والجمال والثياب ويرجع الى أخيش . وكان ذلك دأبه كل أيام اقامته فى أراضى الفلسطينيين . وقد جاء فى خاتمة الاصحاح المذكور آنفا الذى ذكر ذلك جملة مروية عن أخيش حيث قال « ان داود قد جعل نفسه مكروها لدى شعبه اسرائيل وسيكون لى عبدا الى الأبد » .

ولقد اغتنم الفلسطينيون الفرصة فعادوا الى الغارات على اسرائيل . وخرج شاوول بجموع اسرائيل لصدهم ودارت المعارك فى وادى يزرعيل فانكسر الاسرائيليون وقتل منهم مقتلة كبيرة وكان بين القتلى ابنا شاوول وأصيب هو نفسه بسهم فأمر حامل سلاحه أن يجهز عليه لئلا يجهز الفلسطينيون القلف ويتشفوا بتشنيعهم فيه فأبى فأخذ شاوول سيفه واتكأ عليه فكان فى ذلك منيته ، وكان سقوطه فى مكان يسمى جبل الجلبوع الذى يحتمل أن يكون مكان قرية تسمى اليوم جلبون فى مرج ابن عامر الذى كان وما يزال يسمى ايضا بزرعيل ؛ وقد جاء الفلسطينيون فى الغداة فأخذوا سلاح شاؤول وحزوا رأسه ووضعوا سلاحه فى بيت عشتروت وعلقوا رأسه على سور بيت شان (بيسان اليوم على الارجح) وجاء أهل يابيش جلعاد من شرق الاردن فأخذوا

جثته ودفنوها عندهم على ما ذكرته الاصحاحات الثامن والعشرون والحادي والثلاثون بشيء من الاسهاب .

ومما ورد فى الاصحاح الاخير الذى هو آخر اصحاحات سفر صموئيل الاول أن بنى اسرائيل الذين فى نواحى وادى بزرعيل والاردن لما رأوا ما حل فى جيش اسرائيل وفى شاوول تركوا مدنهم وفروا فأتى الفلسطينيون وأقاموا فيها . وهذا يعنى أن الفلسطينيين سيطروا على ساحة واسعة من أرض كنعان تمتد من التخوم الجنوبية الى تخوم الجليل لأن منطقة وادى بزرعيل متاخمة للجليل .

ومما ذكره الاصحاح التاسع والعشرون أن الملك أخيش الذى كان فى جملة أقطاب الفلسطينيين الذين أغاروا على اسرائيل استصحب معه داود وجماعته ليحاربوا قومهم معهم مما فيه تأييد لقوله فيه انه غدا عبدا له الى الابد . ولكن أقطاب الفلسطينيين الآخرين اظهروا عدم الاطمئنان اليهم وطلبوا اعادتهم فأعادهم الى صقلاج .

وقد ذكر الاصحاح الثلاثون أن داود لما عاد الى صقلاج وجد العمالقة قد غزوا فى غيابه الجنوب وصقلاج نفسها واحرقوها بالنار وسبوا من فيها من النساء ولم يقتلوا احدا لا صغيرا ولا كبيرا بل ساقوهم معهم خلافا لما كان يفعله داود معهم ، وكان مع السبى امرأتا داود نفسه فخرج داود على رأس اربعمائة من

رجاله لاحقا بهم فأدركهم وضربهم واستخلص الاسرى والسبى والاموال والمواشى دون ان يفقد منها شىء ، مما يلمح فيه المبالغة

ويلحظ تناقض متكرر فى صدد العمالقة • فالاصحاح الخامس عشر من السفر ذكر قصة زحف شاؤول عليهم وتحريمه قتله بحد السيف جميع الشعب • والاصحاح السابع والعشرون يذكر العمالقة فى جملة الشعوب التى كان داود يغزوها ويضربها • وبينما يقول هذا الاصحاح وما بعده ان داود كان يضرب الشعوب التى يغير عليها ويقتلها دون أن يبقى على أحد ، يذكر الاصحاح الثلاثون خبر غزو العمالقة صقلاج واحراقها بالنار وسبى أهلها •

وقبل أن ننتقل الى سفر صموئيل الثانى الذى يذكر احداث ما بعد موت شاوول نرى ان نذكر عملا عمله شاوول فيه قسوة بل جريمة فظيعة لم تذكر الاسفار تفصيله وانما أشار اليه الاصحاح الحادى والعشرون من سفر صموئيل الثانى اشارة عابرة حيث ذكر فيما ذكر أنه كان جوع فى أيام داود ثلاث سنين فسأل داود الرب فقال له : ان هذا لاجل شاوول وبيته بيت الدماء لانه قتل الجبعونيين ـ وهم الذين حلف لهم بنو اسرائيل ويهوذا، وفتك شاوول بمعظمهم غيرة على بنى اسرائيل ويهوذا كما يقول الاصحاح ـ فاستدعى داود الجبعونيين وقال لهم ماذا أفعل لكم وبماذا أكفر حتى تباركوا ميراث الرب • فقالوا له اعطنا سبعة

رجال من بنى الرجل الذى أفنانا وتآمر علينا ليبيدنا لكيلا نقيم فى تخوم اسرائيل فأعطاهم سبعة من أبناء شاوول فصلبوهم » وهكذا يكون شاؤول قد نكث عهد بنى اسرائيل مع أهل جبعون واستضعفهم وأوقع فيهم مذبحة عظيمة بقصد ابادتهم واندمج بنو اسرائيل فى هذا العار بطبيعة الحال فاستحقوا غضب الله • وتبرز فى هذه العملية روح الغدر والحقد الشديدة فى بنى اسرائيل ضد غيرهم ولو كان بينهم عهد ومواثيق ولو كانوا ضعفاء مستأمنين • وهى الروح التى كانت وظلت تبرز فى مختلف الظروف •

هذا • وليس فى سفر أخبار الايام الأول من سيرة شاؤول الا خبر المعركة التى دارت بين بنى اسرائيل والفلسطينيين فى جبل الجلبوع وقتل فيها ابنا شاوول وجرح هو نفسه فيها الجرح الذى جعله يجهز على نفسه • وقد ذكر الخبر فى الاصحاح العاشر منه بما يماثل ما جاء عنه فى الاصحاح الحادى والثلاثين من سفر صموئيل الأول •

- ٣ -

وسفر صموئيل الثانى او الملوك فى الطبعةالكاثوليكية يحكى

سيرة داود بعد طالوت • وهو كسابقه فيه كثير مـن التهويـل والتناقض مما يسوغ القول انه دون بعد داود بمدة طويلـة فاختلطت الروايات بالخيال ودخل عليها الزيادة والنقص •

وفى الاصحاح الاول والثانى منه أن شخصا جاء الى داود فى منفاه فأخبره بما كان من هزيمة بنى اسرائيل وموت شاوول فأمره الرب بالصعود الى حبرون فصعد مع رجاله واتى اليه رجال من يهوذا بيت لحم فمسحوه ملكا على سبطهم بينما مسح ابنير رئيس جيش شاوول ابن شاول أشبوشت ملكا على بقية أسباط اسرائيل وأدى ذلك الى حرب أهلية بين الملكين وأنصارهم ثم سارت الريح مع داود وأخذ يقوى ويكثر المنضمون اليه من الاسباط الاخرى• ثم اتهم اشبوشت رئيس جيشه الذى نادى به ملكا بمضاجعة سرية لابيه مما جعل القائد يغضب ويذهب الى داود ويتعاهد معه، ثم دخل بعض الناس على أشبوشت فاغتالوه فاستتب السلطان لداود ودخل جميع الأسباط فى بيعته على ما قصته الاصحاحات الثالث والرابع والخامس وحينئذ صعد من حبرون الى أورشليم واستولى على حصن صهيون وأقام فيه وسماه مدينة داود على ما جاء فى الاصحاح الخامس وكانت مدة ملك داود فى حبرون سبع سنين وستة أشهر على ما ذكره الاصحاح الثانى ، ومما ذكره الاصحاح الخامس أن حيرام ملك صور أرسل الى داود خشبا

ونجارين وبنائين فبنوا له بيتا حيث يدل هذا على أن بنى اسرائيل لم يكونوا قد برعوا الى هذا الوقت فى المهن •

ومما ذكره الاصحاح المذكور أن الفلسطينيين تحسبوا من عاقبة استتباب الملك لداود واجتماع شمل بنى اسرائيل تحت لوائه فزحفوا قبل تفاقم أمره عليهم وانتشروا فى وادى الرفائيين فأمر الرب داود أن يخرج اليهم فخرج بأمر الرب أيضا فضربهم من جبع الى مدخل جازر •

ومما ذكره الاصحاح السادس أن داود أصعد تابوت الرب الى مدينته بعد ذلك باحتفال دينى عظيم وكان كل بيت اسرائيل يضربون امام ربهم على كل الآلات من عيدان ورباب ودفوف وجنوك وصنوج وكان داود يرقص بكل قوته وحماسته •

ومع أن الاصحاحات السابقة ذكرت أكثر من مرة أن داود كلم الرب فان الاصحاح السابع يذكر أنه كان هناك نبى اسمه ناتان وأن داود جاء اليه ليستشيره فى بناء بيت للرب ، وأن الرب أوحى لناتان بأن يقول لداود : ان نسلك الذى يخرج من أحشائك هو الذى يبنى لى بيتا وانه سيثبت كرسى مملكته الى الابد ، ويكون له أبا وان تعوج يؤدبه بقضيب الناس وبضربات بنى آدم دون أن ينزع منه رحمته كما نزعها من شاوول ، فقابل داود كلام الرب المبلغ له من ناتان بالشكر والتقديس والخضوع•

ثم ذكر الاصحاح الثامن ان داود ضرب الفلسطينيين وأذلهم

وأخذ زمام العاصمة من أيديهم ، حيث ينطوى فى هذا أن داود لم يبال بما كان من استئنائه للفلسطينيين ولجوئه اليهم وقيام التواثق بينه وبينهم . وضرب داود كذلك على ما جاء فى الاصحاح نفسه المؤابيين وصاروا له عبيدا يؤدون الجزية . وضرب هدد بن عازر بن رجوب ملك صوبه ـ وهى مملكة آرامية فى حوران ـ وأخذ منه الفا وسبعمائة فارس وعشرين الف راجل وعرقب خيل جميع المراكب وابقى منها مائة ، وكان ذاهبا ليسترد سلطته فى نهر الفرات كما جاء فى العبارة . وجاء آرام دمشق لنجدة هدد فقتل داود منهم ٢٢٠٠٠ وأقام محافظين فى آرام دمشق فكانوا له عبيدا يؤدون الجزية وسمع توعى ملك حماة ان داود كسر كل جيش هدد فأرسل ابنه يورام ومعه أوان من الفضة والذهب والنحاس الى داود ليحييه ويباركه لانه كان بينه وبين هدد حرب وعداء .

وعبارة ذهاب داود لاسترداد سلطته على نهر الفرات عجيبة لانه لم يذكر قبل أن داود وطد سلطة ما له على هذا النهر . وأين نهر الفرات من فلسطين ! ونعتقد أن هذا وليد الخيال . وان كان من المحتمل أن يكون قد اشتبك فى حرب مع ملك صوبه المجاور لشرق الاردن لسبب من الاسباب وان يكون آراميو دمشق قد سارعوا الى نجدة اخوانهم . ومع ذلك فالسياق مشوب بالخيال

كما هو المتبادر . وفى الاصحاح العاشر شيء من النقض له على ما سوف يأتى بعد .

ويلحظ أن ذكر اخضاع داود للعمونيين والمؤابيين جاء عرضا ومقتضبا دون أن يذكر فى الاصحاح ولا فى الذى قبله خبر صدام وقتال بينه وبينهم . ومهما يكن من أمر فالعبارة تفيد أن ممالك الآراميين والعمونيين والمؤابيين والأدوميين والفلسطينيين بقيت قائمة . وكل ما يمكن أن يكون أن داود تغلب عليها وبسط سيادته وتقاضى منها الجزية . بل ولقد ذكر الاصحاح العاشر أحداثا تدل على أن بعضها لم يكن خاضعا لهذه السيادة حيث جاء فيه أن ملك عمون توفى فملك حنون ابنه مكانه فقال داود اصنع رحمة الى حنون بن ناحاش كما صنع أبوه رحمة الى فارسل عبيده يعزيه بأبيه ، حيث تفيد هذه العبارة ان عمون لم تكن خاضعة لداود بالمعنى الذى تضمنته عبارة الاصحاح الثامن . ومما يذكره هذا الاصحاح وفيه توكيد لهذا المعنى أن رؤساء بنى عمون قالوا لحنون ان داود انما أرسل رسله ليفحصوا المدينة ـ أى يتجسسوا عيها على الاغلب ـ فقبض حنون عليهم وحلق نصف لحاهم وقطع نصف ثيابهم الى استاههم وأطلقهم .. وشعر بنو عمون بالشر الذى وقع بينهم وبين داود فاستأجروا من أراميى بيت رحوب وصوبه عشرين الف رجل ومن ملك معكه ـ وهو آرامى أيضا ـ ألف رجل ومن طوب اثنى عشر ألف رجل على ما ذكرم

الاصحاح نفسه • وعلم داود باستعداد بنى عسون فأرسل جيشه بقيادة يواب واشتبك الفريقان فى الحرب فانهـــزم الآراميون وتبعهم بالهزيمة العمونيون أيضا وتحصنوا بالمدينة • وعظم على الآراميين ما حل برجالهم من الهزيمة فاجتمعوا جميعــا وزحفوا لمحاربة داود وأرسل هذا جميع قواته وكان اشتباك بين هـــذه القوات والآراميين التابعين لهدد عازار بقيادة قائده شــوباك فى مكان اسمه حيلام فدارت الدائرة على الآراميين وقتل منهـــم أربعون الف فارس ــ وهو رقم فيه مبالغة كبيرة ــ ودمر لهـم سبعمائة مركبة وكان بين القتلى شوباك نفسه • ورأى الملـــوك الآراميون الآخرون ما حل فى جماعة هدد فذعروا وهربوا ثــم صالحوا اسرائيل وتعبدوا لهم على ما جاء فى خاتمة الاصحاح •

وفى السياق نقض لما جاء فى الاصحاح الثامن كما هو المتبادر حيث ذكر الاصحاح الثامن أن داود قتل جميع جيش هدد عازر بينما يذكر هنا أن جيش هدد جاء بقيادة قائده كمـــا يذكر أن العمونيين استأجروا عشرين ألف مقاتل من آراميى صوبا ورحوب

ويستمر الاصحاح الحادى عشر فى الحكاية فيقول : انداود أرسل جيشه بقيادة يؤاب الى بنى عمون فأوغل فيهم تدمــيرا ثم حاصر الربة ــ ربة عمون وهى عمان اليوم ــ وقد ذكر الاصحاح الثانى عشر أن داود زحف على رأس جيش آخر على عمـــون ففتحها وأخذ تاج ملكها عن رأسه وكان وزنه قنطارا من الذهب

بالحجارة الكريسة فكان فوق رأس داود الذى أخرج من المدينة غنيمة وافرة جدا ثم أخرج سكانها ووضعهم تحت مناشير ونوارج من حديد وطرح فريقا منهم فى أتون الآجر وصنع مثل ذلك بجميع مدن بنى عمون مما هو فى غاية القسوة •

ويقص الاصحاحان الحادى عشر والثانى عشر فى سياق فى غاية البشاعة والارتكاس الخلقى قصة داود وزوجة أوريا الحثى حيث رأى داود هذه الزوجة من سطح بيته وهى عارية تستحم وكانت جميلة جدا فسأل عنها فقيل له انها بتشابع امرأة أوريا فأرسل اليها واحضرها وضاجعها ! ولم تلبث ان شعرت بالحمل فاخبرت داود بذلك فأرسل الى قائده ليرسل زوجها الذى كان فى عداد الجيش الزاحف على بنى عمون قاصدا ان يجعله يضاجع زوجته حتى يستر حملها ، ولكن أوريا امتنع عن مضاجعتها وحينئذ أعاده الى الجبهة وكتب للقائد بتقديمه الى جهة قتال شديد حتى يموت ، ففعل فقتل وأرسل يؤاب رسولا ليخبر داود بذلك ، وسمعت امرأة أوريا الخبر فناحت عليه اياما ثم ضمها داود الى بيته زوجة • وهذه الزوجة هى أم سليمان الذى حبلت به بعد أن غدت زوجة داود الشرعية • أما الولد الذى حبلت به سفاحا منه فقد ضربه الله واماته انتقاما من داود لانه استاء من عمله الفاحش •

وفى الاصحاح الثانى عشر قصة ارسال الرب ناثان النبى الى

داود وحكايته له حكاية الغنى ذى الغنم الكثيرة الذى شره الى غنمة واحدة لفقير ، وقول داود له انه يستوجب الموت ، وقول ناثان لداود انك هذا الرجل بما ارتكبت من قبيح ازدريت به الرب وان الرب يؤذنك بان السيف لن يفارق بيتك الى الابد جزاء فعلتك وانه مثير عليك الشر من بيتك وسيأخذ أزواجك ويدفعهن الى غيرك فيدخل عليهن فى عين الشمس وأمام جميع عيون اسرائيل !

وفى الاصحاح الثالث عشر قصه بشعة اخرى حيث عشق آحنون آحد آبناء داود أختا له من آم اخرى واحتال عليها وضاجعها قهرا ثم أبغضها وطردها • وسمع داود بذلك فاغتاظ ولكنه لم يفعل شيئا • وحقد شقيقها أبشالوم على آخيه واغتاله فى أثناء وليمة أولمها له ولسائر اخوته ثم فر الى مدينة جشور ولبث فيها ثلاث سنين الى أن عفا عنه أبوه ورده !

وفى الاصحاح الرابع عشر قصة تسرد هذا الابن على ابيه ، حيث كان جميلا حكيما فاسترق قلوب اسرائيل وقامت فى رأسه فكرة التمرد على أبيه والمناداة بنفسه ملكا وآخذ يبث الدعوة لنفسه فلما استوثق من النجاح ذهب الى حبرون فأعلن عصيانه ونادى بنفسه ملكا • وأخذ بنو اسرائيل ينضوون اليه ، مما آثار الذعر فى داود وجعله يخرج من أورشليم مع عبيده وأخصائه الى شرق الاردن فارا من ابنه وكانت محنة شديدة على بنى

اسرائيل من جراء ذلك ، سردها هذا الاصحاح والاصحاحات التالية له فى سياق طويل ، ومن جملة ما جرى ضد داود فى هذه المحنة ان رجلا من عشيرة شاوول اسمه شمعى بن جيرا تطاول على داود وأخذ يلعنه ثم أخذ يرجمه بالحجارة ويقول له : اخرج يا رجل الدماء ورجل بليعال فقد رد الرب عليك كل دماء بيت شاوول . كذلك من جملة ما جاء فى هذا السياق أن ابشالوم استولى على أورشليم بعد فرار أبيه منها ودخل على سرارى أبيه أمام جميع اسرائيل كانما جاءت هذه المحنة بما فيها هذا الحادث الخلقى البشع تحقيقا لنذير الله لداود جزاء فعلته البشعة .

ولقد أخذ بنو اسرائيل يعودون الى داود تدريجيا فجمع أبشالوم انصاره قبل تفاقم الامر وزحف بهم على أبيه وأنصاره ونشبت المعركة بين الطرفين فى أرض جلعاد فى شرق الاردن فدارت الدائرة فيها على أبشالوم وانصاره وكان هو من جملة القتلى على ما جاء فى السياق نفسه .

ولم يكد داود يستريح من هذه المحنة حتى خرج عليه شخص من سبط بنيامين اسمه شبع بن بكرى وتابعه كثير من الاسباط الاخرى على ما جاء فى الاصحاح العشرين فعكرت هذه الحركة عهد داود مرة أخرى ، وكانت محنة جديدة لبنى اسرائيل فترة من الزمن الى أن تمكن داود من التغلب عليها ببث الدسائس بين أنصار المتمرد واغتياله .

واغتنم الفلسطينيون فرصة المحن الملمة باسرائيل فأخذوا يغيرون عليهم وتجدد العداء بينهم على ما ذكره الاصحاح الحادى والعشرون • وقد تكررت الوقائع وتساجل النصر بين الفريقين دون نتيجة حاسمة ، وقد كاد داود يقتل فى احدى هذه الوقائع •

على ان المحن فى عهد داود لم تنته بما سلف • ففى الاصحاح الرابع والعشرين الذى هو اخر اصحاحات سفر صموئيل الثانى أن غضب الرب عاد فحمى على بنى اسرائيل وأغرى داود بتعدادهم فأرسل المحصين الى مختلف انحاء مملكته فى شرق الاردن وغربه الى صيدا شمالا وبئر السبع جنوبا ووادى جاد وأرض جلعاد شرقا • وقد بلغ عدد مستلى السيف من أسباطهم (٨٠٠٠٠٠) عدا رجال يهوذا الذين بلغوا وحدهم (٥٠٠٠٠٠) وأن الرب أرسل جاد النبى الى داود يخيره بين احدى ضربات ثلاث وهى سبع سنين جوعا أو هزيمة ثلاثة أشهر امام الاعداء أو وباء يموت فيه سبعون الفا فى ثلاثة أيام فاختار الوباء • ولم يذكر الاصحاح سببا لغضب الرب وعقوبته •

ومما جاء فى الاصحاح المذكور بعد ذلك أن النبى جاد أمر داود بأمر الرب أن يقيم مذبحا له فى بيدر شخص اسمه أرونه اليبوسى ــ واليبوسيون هم سكان أورشليم القدماء على ماذكرناه

فى مناسبة سابقة (١) ـ فاشترى البيدر وبنى المذبح وأصعد المحرقات والذبائح فرحم الرب بنى اسرائيل وكف يده عنهم •

وفى الاصحاحين الاول والثانى من سفر صموئيل الثاني او الملوك الثالث ـ والسفر فى اثنين وعشرين اصحاحا وينسحب عليه ما قلناه من سابقه ـ تكملة لسيرة داود •

وقد جاء فى الاول ان آدونيا بن داود وشقيق آبشالوم لما رأى أباه قد شاخ وطعن تصدى لفرض ملكه قائلا انا آملك واتخذ لنفسه مراكب وفرسانا وخمسين رجلا يجرون بين يديه وذبح غنما وبقرا ودعا جميع اخوته وجميع رجال يهوذا باستثناء ناثان النبى وصادوق الكاهن وبعض الزعماء الذين لا يطمئن اليهم • وجاء ناثان الى بتشابع ام سليمان ـ وزوجة أوريا الحثى السابقة ـ وأخبرها بما فعل أدونيا وأمرها بالذهاب الى داود ومطالبته بتنفيذ يمين يظهر أنه كان حلف به على أن يكون خليفته سليمان دون سائر اخوته ، فدخلت وكلمته ثم دخل ناثان عليه وأعلمه بما فعل أدونيا وسأله عما اذا كان ذلك بأمره • فكرر داود يمينه بخلافة سليمان وأمر ناثان وصادوق باركاب سليمان على بغلته ومسحه ملكا على اسرائيل • فنفذوا أمره وهتف الشعب بحياة سليمان ملكا فاستتب له الملك واستوى على العرش وسمع

فى الاصحاح الحادى عشر من سفر اخبار الأيام الأول أن اورشليم كانت تسمى يبوس وأن سكانها هم اليبوسيون •

أدونيا بما جرى فذعر وانطلق الى المذبح حيث أخذ بقرونه ولم ينفصل عنه حتى يحلف له سليمان بأن لا يقتله فقال سليمان ان كان ذا صلاح فلا تسقط منه شعرة فجاء اليه وسجد له وانصرف الى بيته • ثم ذكر الاصحاح الثانى وصية داود لسليمان حينما حضرته الوفاة حيث وصاه بالسلوك فى طريق الرب وحفظ رسومه ووصاياه وأحكامه على ما هو مكتوب فى التوراة وحتى يحقق الرب كلامه له ، ثم اضطجع داود مع آبائه ودفن فى مدينة داود • وكانت مدة ملكه اربعين سنة سبعا فى حبرون وثلاثة وثلاثين فى أورشليم • وبهذا تنتهى سيرة داود فى سفرى صموئيل •

وفى سفر أخبار الايام الاول أشياء كثيرة من هذه السيرة أكثرها متطابق مع ما ذكره السفران المذكوران مع شىء يسير أو كثير من الزيادة والنقص • وسنكتفى باقتباس المهم الجديد من ذلك •

فمن ذلك ما جاء فى الاصحاح الحادى عشر من أن اليبوسيين حاولوا منع داود من دخول المدينة حينما تمت له البيعة فقاتلهم ودخل المدينة عنوة ثم أقام فى حصن فيها وهو الذى سمى بمدينة داود وبنى حوله وجدد قائده يؤاب سائر المدينة •

وتدل العبارة من جهة وما ذكره الاصحاح الرابع والعشرون من سفر صموئيل الثانى من أن داود اشترى من أرونه اليبوسى

بيدره ليقيم عليه المذبح من جهة على أن اليبوسيين ظلوا مقيمين فى أورشليم وان كان من المحتمل أن يكونوا خضعوا لداود .

ومن ذلك ما جاء فى الاصحاح الحادى والعشرين مـــن أن الشيطان أغرى داود باحصاء بنى اسرائيل ففعل فساء ذلك فى عين الرب فضرب اسرائيل . والفرق بين هذه العبارة وعبارة الاصحاح الثامن عشر من صموئيل الثانى أن العبارة هناك تقول ان الرب أغوى داود وهنا تقول ان الشيطان أغراه . وعبارة أخبار الايام تنطوى على ايضاح لغضب الرب لانه استجاب لاغراء الشيطان .

واحصاء بنى اسرائيل فى اصحاح اخبار الايام يختلف عنه فى اصحاح صموئيل الثانى ، فهو فى أخبار الايام ألف ألف ومائــة الف مخترطى سيفه من أسباط اسرائيل عدا يهوذا و٤٧٠ الفا من يهوذا ولم يدخل اللاويون وبنيامين فى الاحصاء .

ومن ذلك ما جاء فى الاصحاح الثانى والعشرين من أن داود أمر بجمع الاجانب الذين فى أرض اسرائيل واقام نحاتين لنحت حجارة مربعة لبناء بيت الله . والعبارة قد تفيد أن النحاتين هم أولئك الاجانب . ثم يستمر الاصحاح فيقول : وجهز داود حديدا كثيرا للمسامير لمصاريع الابواب والوصل ونحاسا كثيرا يفــوت الوزن وخشب أرز لا يحصى أحضره له الصيدونيون والصــوريون ، قائلا : ان ابنى سليمان صبى غض والبيت الذى يبنى للرب عظيم جدا فانا اجهز له ، ثم دعا سليمان وأوصاه ببناء بيت للرب وقال

له انه كان فى نفسى أن أبنى بيتا للرب الهى غــير أن كلام الرب صار الى قائلا انك قد سفكت دما كثيرا على الارض أمامى وانه سيولد لك ابن يكون رجل سلام أريحه من جميع اعدائه وأمنح السلم والدعة لاسرائيل فى أيامه فهو يبنى لاسمى ويكون لى ابنا وأكون له أبا وأقر عرش ملكه على اسرائيل الى الابد : مما يلمح فيه أثر الوقائع كما هو المتبادر ؛ ومما حكى الاصحاح من أقوال داود لسليمان وصيته له بحفظ شريعة الرب والرسوم والاحكام التى أمر بها موسى حتى يفلح ، واخباره اياه بانه جهز لبيت الرب مائة الف قنطار من الذهب والف الف قنطار من الفضة ومن النحاس والحديد ما يفوت الوزن كثرة واخشابا وحجارة ، وصناعــا ونحاتين ونقاشى حجر وخشب وكل ماهر فى كل عمل ، ووصيته له بالعمل ووصيته لجميع رؤساء اسرائيل بمساعدة سليمان ابنه ، حيث يفيد هذا ـ بقطع النظر عما فى أوزان الذهب والفضــة والنحاس والحديد من مبالغة خيالية وعما فى السياق من أثــر واقع بناء البيت من قبل سليمان وما بذله فيه من عظيم الجهــد وطائل الاموال والنفقات على ما سوف نذكره بعد ـ أن داود كان معتزما بناء الهيكل فحالت مشاغله ومشاكله دون تحقيق ذلك . وهذا لا يمنع ان يكون قد وصى سليمان ببناء الهيــكل وزوده بتعليماته فى صدده .

ومن العجيب أن الاصحاحات الثالث والعشرين والثامــن

والعشرين والتاسع والعشرين من أخبار الايام الاول حكت مرة بعد أخرى وبصيغ متنوعة تعيين داود ابنه سليمان ملكا ووصاياه له وما جهزه للهيكل من ذهب وفضة وحجارة لعب الخيـــال فى أوصافها وأوزانها كذلك . ولا يفهم معنى هذا التكرار الا بفرض أن تكون الاصحاحات باقلام عديدة . ولاســـيما ان الاوزان والاوصاف متغايرة

ففى الاصحاح الثالث والعشرين أن داود لما شاخ وشبع أياما أقام سليمان ابنه ملكا على اسرائيل . ولم تذكر حركة أدونيا كأن تعيين سليمان كان أمرا طبيعيا وعاديا .

وفى الاصحاح الثامن والعشرين أن داود قال لبنى اسرائيـل ان الرب اصطفى سليمان ابنى ليجلس على عرش ملك الرب ووعده بأن يكون له أبا وان يقر ملكه الى الابد ان ثبت على وصاياه ، وانه وصاه بتقوى الله واتباع وصاياه وبناء بيت له وأعطاه رسم الرواق والبيوت والخزائن والغرف والمخادع وأعطاه بالوزن ذهبا وفضة لكل ما يجب عمله من ذهب أو فضة من أوان وأمتعةومنائر وسرج وموائد ومناشل وجامات وكؤوس واقـداح ومذابـح البخور والعجلة والكروبين الباسطين اجنحتهما المظللتين لتابوت عهد الرب قائلا ان جميع ذلك تلقينه مكتوبا بيد الرب لافهـم جميع أعمال الرسم ، وأكد عليه العمل بحكمة وطمأنه بان فرق

الكهنة واللاويين والرؤساء وجميع الشعب يكونون تحت أمره فـــه ..

وفى الاصحاح التاســـع والعشرين أن داود قال : ان ابنى سليمان الذى اختاره الله وجده صغيرا غضا وان عمل الهيكل عظيم لانه للرب وانه جهز بكل وسعه لبيت الاله ، الذهب لمـــا هو ذهب والفضة لما هو فضة والنحاس لما هو نحاس والحديـد لما هو حديد والخشب لما هو خشب وحجارة الجزع وحجـــارة الترصيع وحجارة كحلاء ورقما ءوكل نوع من الحجارة الكريمة وحجارة بكثرة من الرخام وانه وهب من ماله الخاص من الذهب والفضة علاوة على ذلك ثلاثة آلاف قنطار من ذهب أوفير وسبعة آلاف قنطار فضة مصفاة لتصفيح جدران البيت ، وانه قال للناس من كان متطوعا فليملأ يده للرب اليوم فأدى الرؤســاء والآباء لخدمة بيت الله من الذهب خمسة آلاف قنطار وعشرة آلاف درهم ومن الفضة عشرة آلاف قنطار ومن النحاس ثمانية عشر الف قنطار ومن الحديد مائة الف قنطار ومن وجد عنــده حجارة أداهـــا لخزينة الرب ، وان الشعب فرح لهذه التبرعات ، وان داود بارك الرب بصيغة شيقة من التقديس والتمجيد والشـــكر والدعاء للشعب ولابنه سليمان ، ثم أصعد محرقات للرب الف ثور وألف كبش وألف جمل وذبح ذبائح كثيرة أخرى للشعب فأكلوا وشربوا بفرح عظيم وأقاموا سليمان بن داود ملكا مرة ثانية ومســحوه

للرب قائدا وصادوق كاهنا فجلس على عرش الرب ملكان مكان أبيه فألح وأطاعه جميع اسرائيل وجميع الرؤساء والابطال وكل بنى الملك داود خضعوا له وعظم الـرب سليمان جدا فى عيـون جميع اسرائيل وجعل عليه من جلال الملك مالم يكن على ملك من قبله فى اسرائيل • ثم مات داود بشبعة صالحة وقد شبع من الايام والغنى والمجد • وانتهى الاصحاح بقوله : وأخبـار داود الملك الاولى والاخيرة مكتوبة فى كلام صموئيـل الرائى وناثان النبى وجاد الرائى • وهذه العبارة قد تفيـد أنه كان أسفار لناثان وجاد استقى منها الكتاب ما كتبوه عن عهد داود كما هو المتبادر •

هذا ، واذا أردنا أن نقول كلمـة اجماليـة عن عهـد داود استنتاجا مما ذكرته الأسفار نقول : ان هذا العهد قد تقلب على حالات فكان مضطربا فى أوله ثم استقام واستطاع داود أن يتغلب على ما حوله من الشعوب والممالـك فى شرق الأردن وغربه (١) ، ثم عاد فاضطرب وظل مضطربا الى آخر أيامه• وقد تمكن الفلسطينيون فى حقبة الوهن والاضطراب من التفلت من سيادة داود واستؤنف القتال بينهم وبين بنى اسرائيـل وان لم يصل الى نتيجة حاسمة • واذا كان لا يوجد فى الاسفار ما يمكن الاستناد اليه فى معرفة ما كان من أمر البلاد والشعوب الأخرى

(١) وبعض البلاد الاردنية فى شمال شرق الاردن •

التي خضعت لداود فالارجح أنها تغلتت هي الأخرى في تلك الحقبة . وفي سيرة سليمان التي سوف نوردها بعد ، ما قد يؤيد ذلك .

ومع احتمال أن يكون عهد داود بالاجمال عهد نشاط اقتصادي ورخاء وثروة فان استعانته بأرباب المهن الاجانب تدل على ضعف البراعة الصناعية والعمرانية .

ولم يخل عهده من انحرافات خلقية ودينية ، حتى أنه وأولاده لم ينجوا منها .

ولقد كانت أمور مصر في حقبة عهد داود التي نخمن انها كانت في أوائل القرن العاشر قبل الميلاد (١٠١٠-٩٧٠ ق.م) مرتبكة (١) فخفت هيمنتها التي كانت لها على فلسطين وبلاد الشام وكانت أمور الدولة الأشورية كذلك مرتبكة في هذه الحقبة فكان ذلك مما هيأ لداود شيئا من حرية الحركة والنشاط والتبسط وممارسة السيادة على ما هو المتبادر .

وينسب الى داود سفر المزامير . وفيه مائة وخمسون مزمورا . وهي أناشيد استغاثة واستغفار وتمجيد وتقديس وتسبيح رائعة الاسلوب والمعنى تدل على ما كان يعتمل في نفس

---

(١) العقد الثمين لاحمد كمال ص ١٥٢ وتاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد ص ٣٥٣ وتاريخ كلدة وآشور ج ١ ص ٥٧ وما بعدها .

داود من اخلاص واتجاه نحو ربه وشعور بعظمته وربوبيته وسمو صفاته وفضائله •

ومع ذلك فقد سجلت الاسفار ماكان من استجابته لاغراءات الشيطان وما كان من هياج غضب الرب عليه وعلى بنى اسرائيل فى أواخر عهده بالاضافة الى ما سجلته من اثمه العظيم فى حادثة زوجة أوريا الحثى وزوجها •

- ٤ -

وسيرة سليمان الذى تولى الملك بعد داود تقصها الاصحاحات من الثانى الى الحادى عشر من سفر الملوك الأول حسب النسخة البروتستانتية والثالث حسب الكاثوليكية ثم الاصحاحات من الاول الى التاسع من سفر اخبار الايام الثانى • ومع ما فى هذه الاصحاحات من غلو وخيال ففيها على ما نرجح حقائق كثيرة من هذه السيرة •

ولقد ذكرنا قبل قليل كيفية أيلولة العرش الى سليمان فى حياة أبيه فليس من ضرورة الى اعادتها هنا •

ويستفاد من الاصحاح الثانى من سفر الملوك الأول ـ الثالث أن سليمان دشن حكمه بقتل أخيه أدونيا بحجة طلبه

الزواج من سرية أبيه ، ثم قتل يؤاب رئيس جيش أبيه وعزل أبياثار الكاهن الاكبر لتحزبهما لأخيه المذكور ، وعين للقيادة نبايا بن يوياداع وللكهانة صادوقا .

ومما جاء فى الاصحاح الثالث أن سليمان صاهر فرعون ملك مصر وأتى بزوجته الى مدينة داود وأقام فيها الى أن تم بناء بيته وبيت الرب فى أورشليم . ويستفاد من كتاب تاريخ مصر من أقدم العصور (١) أن الفرعون الذى صاهره سليمان هو شيشق أول ملوك الاسرة الثانية والعشرين ، وأن هذا الفرعون صعد الى جازر وأخذها وأحرقها بالنار وقتل أهلها ووهبها لسليمان مهرا لابنته ومعنى هذا أن مصر عادت فتنويت فمارست سيادتها على فلسطين فى زمن حكم سليمان ، وقد وصف بريستيد (٢) سليمان بأنه كان بمثابة وال تحت السيادة المصرية بناء على ذلك ، وان كان من المحتمل أن تكون هذه الممارسة خفيفة الظل أولا وانها كانت فى أواخر عهد سليمان ثانيا . فقد كان بدء حكم شيشق حوالى (٩٤٥ ق.م) بينما يخمن بدء عهد سليمان فى الثلث الاول من القرن العاشر حوالى (٩٧٠ ق.م) ؛ ولقد كانت حالة مصر قبل شيشق مرتبكة امتدادا لما كان فى عهد داود على ما ذكرناه قبل ، فكان ذلك مما جعل

---

(١) تاليف بريستيد ص ٣٥٧ وما بعد .
(٢) المصدر السابق .

سليمان يتمتع هو الآخر بحرية النشاط والسيادة فى معظم أيام حكمه ..

ومما جاء فى الاصحاح الثالث من سفر الملوك الاول ـ الثالث أن الشعب فى عهد سليمان كان ؛ رب ذبائحه على المشارف لانه لم يكن قد بنى بيت للرب ؛ وأن سليمان احب الرب وسلك فى سنن أبيه ولكنه كان يذبح ويقتر على المشارف أيضا ، وأنه انطلق الى جبعون ليذبح هناك لانها كانت هى المشرف الاعظم وأصعد ألف محرقة ؛ وأن الرب تجلى له فى الحلم وقال له اطلب فاعطيك فسأله أن يه قلبا فهما ليتمكن من حكم شعبه والتمييز بين الخير والشر . فأجابه الى طلبه وقال له بما انك لم تطلب لنفسك شيئا فأنا اعطيك علاوة على ذلك الغنى والمجد حتى لا يكون رجل مثلك فى الملوك ..

ومما جاء فى الاصحاح الرابع أن سليمان كان مالكا على جميع اسرائيل وانه كان له اثنا عشر وكيلا يختارون له ولبيته بنوبة شهرية ، وأن يهوذا واسرائيل كانوا كثيرين مثل الرمل الذى عند البحر يأكلون ويشربون ويفرحون . وأن سليمان كان متسلطا على جميع الممالك من النهر الى أرض فلسطين والى تخم مصر يحملون اليه الهدايا وخاضعين له كل أيام حياته ، وكان طعامه فى كل يوم ثلاثين كرا من السميذ وستين كرا من الدقيق وعشرة ثيران مسمنة وعشرين ثررا من المرعى ومائة من الشاة

غير الأيائل والظباء واليحامير وسمان الطير ، لانه كان متسلطا على جميع عبر النهر من تفساح الى غزة وكان بينه وبين جميع من يليه سلم وأقام يهوذا واسرائيل مطمئنين كل واحد تحت كرمته وتينه ، من دان الى بئر سبع . وكان لسليمان أربعون الف مذود لخيل مراكبه واثنا عشر الف فارس . وآتى الله سليمان حكمة وفهما ذكيا جدا وسعة صدر ففاقت حكمته جميع أهل المشرق وحكمة مصر . وكان أحكم من جميع الناس من آيتان الأزراحى وهيمان وكلكول ودردع بنى ما حول . وشاع اسمه بين جميع الامم فى كل وجه . وقال ثلاثة آلاف مثل وكانت أناشيده الفا وخمسة اناشيد . وتكلم فى الشجر من الأرز الذى على لبنان الى الزوفى التى تخرج فى الحائط وتكلم فى البهائم والطير والزحافات والسمك وكان يرحل اليه من جميع الشعوب لسماع حكمته ومن جميع ملوك الارض .

وعبارة « كان سليمان متسلطا على جميع الممالك من النهر الى أرض فلسطين .. » ثم عبارة « كان متسلطا على جميع عبر النهر من تفساح الى غزة وكان بينه وبين جميع من يليه سلم » تفيد أن سلطان سليمان كان مقصورا على غرب الأردن بل وتفيد أن الفلسطينيين فى غزة وما بعدها كانوا فى نجوة من هذا السلطان ، وأنه كان فى غرب الاردن ــ عبر النهر ــ ممالك وملوك لشعوب أخرى كانوا يمارسون سلطانهم المحلى مع

هدايا أو جزية يقدمونها لسليمان وحسب . وهذا يؤيد ما قلناه قبل من أن الممالك والشعوب التى كان داود أخضعها فى شرق الاردن وسورية الآرامية تفلتت من سيادته كما تفلت منهـــا الفلسطينيون وكل هؤلاء وأولئك يمارســون ســـيادتهم ولم يتحرش بهم سليمان وكان معهـــم على وئام وســــلام .. وفى الاصحاح جملة قد تدل على أن بلاد مملكتى حشبون وبيت شان التى سكنها سبطان ونصف من بنى اسرائيــل فى شرق الأردن كانت داخلة فى سلطان سليمان وحكمه حيث ذكر أنه كان لــه وكلاء للميرة فيها أسوة بسائر أنحاء غرب الاردن الخاضعـــة له والمسكونة من أسباط بنى اسرائيل الأخرى .

ومما جاء فى الاصحاح الخامس أن حيرام ملك صور أرسل عبده الى سليمان لتهنئته بالملك لانه كان محبا لداود . فأرسل سليمان اليه يقول ان أبى لم يقدر أن يبنى بيتا للرب بســبب الحروب التى أحاطت به وقد أراحنى الرب من كل الجهات فليس من فاتن ولا حادثة شر وانى نويت أن أبنى بيتا للرب ، ثم طلب منه أن يأمر بقطع أرز من لبنان بواسطة عبيد الطرفين على أن يؤدى اليه أجرة عبيده حسب ما يرسم وقد لبى حيرام طلـــب سليمان فكان يرسل اليه بخشب الارز وخشب السرو حســب ما أراد ، وأدى سليمان الى حيرام مقابل ذلك عشرين ألف كر من الحنطة طعاما لبيته وعشرين ألف كر من الزيت كل ســنة .

وتعاهد الملكان على السلم . ثم سخر سليمان ثلاثين ألف رجل وقسمهم الى ثلاث مجموعات وكان يرسلهم الى لبنـــان على دورات شهرية كل شهر ثلثهم . ثم سخر سبعين ألف رجل لحمل الاثقال وثمانين الفا لقطع الاحجار . وقد بلغ عـــدد الرؤساء والوكلاء والمراقبين ثلاثة آلاف وثلاثمائة على ما ذكره الاصحاح نفسه . وفى الارقام مبالغة ظاهرة . وقد انتهى الاصحاح بقوله ان الملك ـ سليمان ـ أمر بقلع حجارة كبيرة ثمينـــة لتأسيس البيت بالحجارة المنحوتة فنحتها بناءو سـليمان وبناءو حـيرام والجبليون وهيأوا الاخشاب والحجارة لبناء البيت .

وقد ذكر الاصحاح السادس أن سليمان بدأ ببناء الهيكل فى السنة الرابعة من ملكه . وذكر الاصحاح السابع أنه أتمه فى السنة الحادية عشرة من ملكه . وقد ذكر الاصحاح السابـــع أن سليمان أنشأ بالاضافة الى الهيكل قصرا فيه قســم لسـكناه وآخر للقضاء والحكم وسماه غابة لبنان وأتمه فى السنة الثالثة عشرة من حكمه وأنه أنشأ كذلك بيتا لزوجته بنت فرعون .

ولقد احتوى الاصحاحان وصفا للهيكل والقصر ممزوجـا بكثير من الخيال والمبالغة وخاصة فى مقادير الذهب التى وضعت فى الهيكل حتى لكأنه كان سبيكة من الذهـب فالمحراب الذى بطول عشرين ذراعا وعرض عشرين ذراعا وسمك عشرين ذراعا مغشى بالذهب والمذبح القائم امامه مغشى بالذهب وداخل البيت

مغشى بالذهب والسلاسل الممتدة أمام المحراب من الذهب وجميع البيت بتمامه مغشى بالذهب (وهذه عبارة الاصحاح) والكروبين التى سمك كل منها عشرة أذرع وكل جناح من أجنحتها خمسة أذرع مغشاة بالذهب وأرض البيت داخلا وخارجا مغشاة بالذهب (وهذه عبارة الاصحاح ايضا) والمصراعان مغشيان بالذهب . وجميع الادوات من مذبح ومائدة ومنائر وسرج وأزهار ومقاط وطسوت ومقاريض وجامات وصحون ومجامر ومفاصل مصاريع قدس الاقداس من ذهب خالص !

وقد أطنب الاصحاح السابع فى الاعمال والزخارف النحاسية التى قام بصنعها فنان من صور اسمه حيرام استحضره سليمان خصيصا لذلك ووصفه بانه كان ممتلئا حكمة وفهما ومعرفة فى كل صنعة من النحاس .

وأسلوب الوصف يوهم أنه من شاهد عيان لسير الاعمال غير أن فى الاصحاح الثامن جملة تدل على أنه متأخر جدا عن ظرف البناء حيث جاء فيها فى صدد وصف موضع التابوت وانبساط أجنحة الكروبين « وهى هناك الى هذا اليوم » .

وهذه الاعمال البنائية هى الوحيدة التى وصفت فى الأسفار وأثرت عن جهود ملوك بنى اسرائيل العمرانية . ومهما يكن من أمر فالوصف يدل على أنها كانت ضخمة فخمة ، ويدل على عظيم الجهد والنفقة التى بذلها سليمان فى انشائها ثم على ما

كان من فراغ باله وسعة ثرائه ، غير أن ما ذكـــره الاصحاح السابع من أعمال الفنان الصورى وما ورد فى سفر اخبار الأيام الثانى عن براعة هذا الفنان مما سوف نذكره بعد ، يدل على أنه لم يكن لبنى اسرائيل جهد فنى أو براعة فنية فى العمل وأنهـم كانوا فى ذلك عيالا على الفينيقيين الكنعانيين •

وقد جاء فى الوصف فيما جاء فى صدد ضخامة البناء وتفرعاته أن أساساته وجدرانه كانت من حجارة ضخمة بعضها عشرة أذرع وبعضها ثمانية أذرع وكانت تنحت وتنشر فى المقالع ، وأن طول الهيكل ستون ذراعا وعرضه عشرون وسمكه ثلاثون (ولعـــل المقصود من كلمة سمك هنا وفى غير مكان ، هو الارتفاع لانــه لا يبدو معنى لسمك مثل هذا السمك فى التعبـــير عن ثخانــة الجدران) وكان أمامه رواق طوله عشرون ذراعا وعرضـه عشرة أذرع وعلى جوانبه طباق ثلاث وغرف محيطة به • وقد ســقف بجذوع وألواح من الارز وفرش بألواح من السرو • وأقيم فى مؤخرته محراب من ألواح الارز المزخرفة وكان طوله عشريـن ذراعا وعرضه عشرين وسمكه عشرين ، وكان يظلله كروبان مـن خشب العتم (١) سمك كل منهما عشرة أذرع وكل جناح فى كل منهما خمسة أذرع وقد انبسطت الاجنحة وتماســت فى وسط

---

(١) فى النسخة البروتستانتية بدلا من خشب العتم (من خشب الزيتون)

البيت . وقد نقش على جميع الجدران صور كروبين ونخيل وزهر ونقش مثل ذلك على المصاريع . وكانت الدار الداخلية ثلاثة صفوف من الحجارة المنحوتة وصف من جوائز الارز .

أما القصر فكان طوله مائة ذراع وعرضه خمسين وسمكه ثلاثين . وقد بنى على أربعة صفوف من عمد الارز عليها جوائز من الارز . وكان عدد غرفه خمسا وأربعين . وكان طول رواق العمد خمسين ذراعا وعرضه ثلاثين . وصنع رواق العرش ، حيث كان يقضى سليمان ، وهو رواق القضاء مصفحا بالارز من الارض الى السقف . وكان بيته الذى يسكنه على مثل هذه الصفة وبيت ابنة فرعون كذلك (وهذه عبارة الاصحاح ايضا) .

وفى الاصحاح الثامن وصف لتدشين الهيكل امتزج هو الآخر بالخيال والذكريات ومما ذكره الاصحاح ان سليمان جمع عظماء الآباء والشيوخ والرؤساء للاحتفال بنقل تابوت عهد الرب الذى كان فيه لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى فيه فى حوريب حيث عاهد الرب بنى اسرائيل عند خروجهم من مصر : وأن الكهنة حملوا التابوت وخباء المحضر وكل الامتعة المقدسة وسار الجميع فى موكب عظيم حتى أدخل التابوت الى مكانه فى المحراب تحت أجنحة الكروبين ، وأن الكهنة حينما خرجوا من قدس الاقداس ــ المحراب ــ ملأ الغمام بيت الرب فلم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب الغمام لان مجد الرب قد ملأ البيت ، وأن سليمان

حينئذ أقبل بوجهه وبارك كل جماعة اسرائيل الذين كانوا وقوفا وألقى خطابا طويلا قدس فيه الرب وشكره على نعمه عليه وعلى أبيه وبيته وعهده وطلب منه أن يستجيب لبنى اسرائيل حينما يدعونه فى هذا البيت فى ضائقة أو قحط أو غزوة عدو ، وأن يغفر لهم ذنوبهم اذا استغفروه فيه ووصى بنى اسرائيل بالاخلاص للرب وحفظ وصاياه ، وذبح فى ذلك اليوم ذبائح سلامة للرب ٢٢ ألف رأس من البقر و١٢٠ ألف رأس من الغنم ، وأقام عيدا عظيما امتد أربعة عشر يوما •

وقد حكى الاصحاح التاسع أن الرب تجلى لسليمان وقال له انى قد سمعت صلاتك وتضرعك وقد قدست هذا البيت الذى بنيته لاجعل اسمى فيه الى الابد وستكون عيناى وقلبى هنا كل الأيام • واذا سرت أنت امامى كما سار داود بسلامة القلب والاستقامة وعملت بجميع ما أمرتك به وحفظت رسومى وأحكامى أقر عرش ملكك على اسرائيل الى الابد كما كلمت داود أباك وان عدتم وزغتم أنتم وبنوكم ولم تحفظوا وصاياى ورسومى وعبدتم آلهة غريبة وسجدتم لها فانى أقرض اسرائيل عن وجه الارض وأنفى البيت الذى قدسته من حضرتى فيكون اسرائيل مثلا وأحدوثة بين الشعوب ويكون هذا البيت عبرة لكل من يمر به فيقول لماذا فعل الرب كهذا بهذه الارض وهذا البيت فيجاب لانهم تركوا الرب الههم ، مما يلمح فيه كما هو المتبادر الوقائع التى

وقعت فى أرض كنعان بعد سليمان وما حل فى بنى اسرائيل والهيكل من بلاء وتدمير .

ومما جاء فى هذا الاصحاح أن سليمان اعطى حيرام ملك صور عشرين مدينة فى أرض الجليل لقاء ما ساعده به من خشب أرز وسرو وذهب ، وكان الذهب الذى أرسله حيرام اليه مائة وعشرين قنطارا . وأن حيرام خرج من صور لينظر الى المدن التى أعطاها له سليمان فلم تحسن فى عينيه وسماها أرض كابول كما هو اسمها اليوم . (والعبارة تدل أيضا على ان الاصحاح وبالتالى السفر كتب بعد سليمان بأمد طويل) .

ومما جاء فى الاصحاح كذلك أن سليمان فرض أعمال السخرة على الأموريين والحيثيين والفرزيين والحوريين واليبوسيين الذين لم يستطع بنو اسرائيل أن يقتلوهم وظلوا ساكنين بين ظهرانيهم فى جميع ما أنشأه أو جدده أو عمره من مدن وقرى لمركباته وفرسانه فى كل أرض سلطانه ، وأن من جملة ما بناه مدن جازر وبيت حورون السفلى وبعلت وتدمر فى أرض البرية ، وأن فرعون مصر كان صعد الى جازر وأخذها وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين المقيمين فيها ووهبها مهرا لابنته زوجة سليمان ، وأن سليمان بنى سفنا فى عصيون جابر التى بجانب ايله عند شاطىء بحر القلزم فى أرض أدوم ، وأن حيرام (ملك صور) أرسل عبيده من الملاحين العارفين بالبحر مع عبيده

سليمان فأتوا وأخذوا من هناك أربعمائة وعشرين قنطارا من الذهب وأتوا بها سليمان .

والمتبادر أن هذه الاخبار ممتزجة بالخيال والذكريات والأساطير التى انتشرت فيما بعد وخاصة أمر بناء سليمان لتدمر ، فان الأسفار لم تذكر على ما شرحناه قبل انبساط سلطان سليمان الى خارج أرض كنعان بل لم يكن شاملا بلاد الفلسطينيين فى جنوب أرض كنعان فكيف يكون بنى مدينة تدمر وبعلت فى البرية .

وفى الاصحاح خبر زيارة ملكة سبأ لسليمان وقد جاء فيه أن ملكة سبأ سمعت بخبر سليمان فأتت لتمتحنه بموكب عظيم ومعها جمال موقورة اطيابا وذهبا وحجارة كريمة كثيرة ، وأنها كلمته بجميع ما جال فى خاطرها ففسر لها جميع كلامها وأنها رأت كل حكمة سليمان والبيت الذى بناه وطعام موائده ومسكن عبيده وقيام خدامه ولباسهم وسقاته ومحرقاته وأنها قالت له : ان الكلام الذى بلغنى فى أرضى عنك ولم أصدقه رأيت أنه نصف ما أخبرت به وباركت الرب الذى أجلسه على عرش اسرائيل والعبيد الذين يقومون بين يديه ودعت له بدوام ملكه الى الابد وأعطته مائة وعشرين قنطارا ذهبا وأطيابا كثيرة وحجارة كريمة وأن سليمان أعطاها كل ما سألته حسب كرمه وانصرفت الى أرضها .

ومع احتمال أن يكون الخبر قد شيب بالمبالغة والخيال فاننا لا نرى فى زيارة ملكة سبأ شيئا مستحيلا يستوجب الانكار كما

يجنح الى ذلك بعض الباحثين . ومن المحتمل أن يكون قد قام بين مملكة اسرائيل ومملكة سبأ المشرفة على سواحل البحر الأحمر الجنوبية صلات تجارية عن طريق هذا البحر فكان ذلك من بواعث او ممهدات هذه الزيارة .

ثم ذكر الاصحاح أن وزن الذهب الذى ورد على سليمان فى سنة واحدة كان ٦٦٦ قنطارا غير الوارد من المكاسين ومن تجارة التجار وجميع ملوك العرب وولاة الارض ، وأن سليمان صنع مائتى مجنب من ذهب مطروق للمجنب الواحد ستمائة مثقال وثلاثمائة مجن للمجن الواحد ثلاثمائة مثقال ، وعمل عرشا كبيرا من عاج وألبسه ذهبا ، وكان للعرش ست درجات ورأس العرش مدور من الوراء وعلى جانبيه يدان وأسدان واقفان عندهما ، واثنا عشر اسدا واقفة على الدرجات الست ، وأن جميع آنية شرب سليمان كانت ذهبا وجميع آنية بيت غابة لبنان كانت من ذهب خالص لم يكن فيها فضة لانها لم تكن تحسب شيئا فى أيام سليمان . وكان لسليمان فى البحر سفن مع سفن حيرام وكانت سفن ترشيش تأتى مرة فى كل ثلاث سنين حاملة ذهبا وفضة وعاجا وقردة وطواويس ، وأن سليمان عظم على جميع ملوك الأرض فى الغنى والحكمة ، وأن كل الارض كانت تلتمس مواجهته لتسمع حكمته ، وكل واحد يأتيه بهداياه من آنية فضة وآنية ذهب ولباس وسلاح وأطياب وخيل وبغال ، وأنه كان له ألف وأربعمائة

مركبة واثنا عشر ألف فارس ، وأنه جعل الفضة فى أورشليم مثل الحجارة وجعل خشب الارز مثل الجميز كثرة ، وأنه كان يجلب له الخيل من مصر ..

والخيال والمبالغة والذكريات بارزة فى هذه الاخبار التى دونت فى عهد متأخر جدا عن عهد سليمان على ما تدل عليه عباراتها ، وان لم يمنع ذلك من أن تكون فيها بعض الحقائق .

وفى الاصحاح الحادى عشر ما يدل على أن سليمان لم يحتفظ باستقامته حيث جاء فيه أنه أحب نساء غريبة كثيرة مع ابنة فرعون ، ومن المؤابيين والعمونيين والأدوميين والصيدونيين والحيثيين ومن الأمم التى قال الرب لبنى اسرائيل لا تختلطوا بهم، فتعلق بهن سليمان . وكان له سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية (والمبالغة عظيمة فى العدد والعبارة) فأزاغت نساؤه قلبه وأملنه الى اتباع آلهة غريبة فى شيخوخته فلم يكن قلبه مخلصا للرب ، وتبع عشتاروت الهة الصيدونيين وملكوم رجس بنى عمون وصنع الشر فى عينى الرب ؛ وبنى مشرفا لكاموش رجس مؤاب فى الجبل تجاه أورشليم ولمولك رجس بنى عمون وصنع كذلك لجميع نسائه الغريبات اللاتى كن يقترن ويذبحن لآلهتهن ، فغضب الرب عليه وقال له بما أنك لم تحفظ عهدى ورسومى فسأشق الملك عنك وأدفعه الى عبيدك ، ولكنى لا أفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبيك بل من يد ابنك ولا أشق الملك كله

ولكن أعطى لابنك سبطا واحدا من أجل داود عبدى وأورشليم مدينتى التى اخترتها •

ويلمح فى العبارة أثر الوقائع التى تمت بعد سليمان من انقسام مملكته واقتصار ملك ابنه على سبطى يهوذا وبنيامين على ما سوف نذكره بعد •

ثم قال الاصحاح : وأثار الرب فاتنا ـ متمردا ـ على سليمان وهو هدد الأدومى من نسل ملوك أدوم الذى هرب هو وبعض عبيد أبيه الى مصر فى أثناء غزوات جيش داود لأدوم فأواه فرعون وزوجه أخت امرأته وحظى برعايته ؛ فلما علم بموت داود طلب من فرعون أن يطلقه الى بلاده • ولم يذكر الاصحاح شيئا آخر فى صدده • ولكن جملة « أقام الرب فاتنا على سليمان » تدل على أن هدد جاء الى بلاده وأخذ يقف موقف المناوىء المزعج من سليمان كما هو المتبادر • وتفيد العبارة أن مواقف هدد كانت مبكرة أى بعد موت داود برغم أن الاصحاح أراد أن يربط بينها وبين زيغان سليمان فى شيخوخته ••

ثم قال الاصحاح ان الرب أثار فاتنا آخر على سليمان وهو رزون بن أليداع الذى كان من رجال هدد عزر ملك صوبة ـ وهو الذى مر خبر حروبه مع داود ـ خرج من صوبه وجمع اليه رجالا وصار رئيس غزاة عندما كان داود يدمرهم فانطلقوا الى دمشق وأقاموا بها ملكا وصار رزون فاتنا لاسرائيل كل أيام

سليمان وملك على أرام وأعنت اسرائيل بالاضافة الى ما كان من شر هدد . والعبارة تفيد أن الأراميين تفلتوا من سلطان داود وأخذوا بدورهم يزعجون بنى اسرائيل ، وتفيد كذلك أن هذه الحركة لم تكن فى شيخوخة سليمان كما يريد الاصحاح أن يوهم ذلك ويربط بينها وبين زيغان سليمان . وقد يتبادر أن هذه الحركة فى بدئها كانت بسبيل الصيال مع داود عن الممالك الأرامية فى سورية حينما نشط الى التغلب عليها ، ثم استمرت فى عهد سليمان وظلت تزعج الاسرائيليين فيه .

وهكذا لم تكن أيام سليمان أيام راحة وسلم شامل بينه وبين من حوله كما ذكر الاصحاح الرابع .

وبالاضافة الى هذين الخصمين الخارجين فان الاصحاح نفسه ذكر بعد خبرهما قصية يربعام بن نباط الذى رفع يده على سليمان . وهو من بنى افرائيم بن يوسف ومن سكان مدينة صريدة التى يحتمل ان تكون مكانها اليوم قرية صرده أو صرطه فى منطقة نابلس . وكان جبار بأس وقد أقامه سليمان على كل الأعمال المرتبة على آل يوسف . وكان من أمره الذى قصه الاصحاح أنه خرج من أورشليم لابسا رداء جديدا فلقيه آخيا النبى فقبض على الرداء ومزقه اثنتى عشرة قطعة وقال ليربعام خذ لنفسك عشر قطع لأن الرب قال هأنذا أمزق ملك سليمان وأعطيك عشرة أسباط ويكون له سبط واحد من أجل عبدى داود

ومن أجل أورشليم لانهم تركونى وسجدوا لعشتروت الهة الصيدونيين ولكموش اله المؤابيين ولملكوم اله بنى عسون ولم يسلكوا فى طريقى ويعملوا المستقيم فى عينى ، وأنت ـ الخطاب ليربعام ـ آخذك فتملك على كل ما تشتهى نفسك وتكون ملكا على اسرائيل واذا سمعت كل ما آمرك به وسلكت فى طرقى وعملت ما هو قويم فى عينى أكون معك وأبنى لك بيتا ثابتا . ثم يقول الاصحاح ان سليمان التمس قتل يربعام فهرب الى شيشق ملك مصر ومكث الى وفاة سليمان ، ولم يذكر الاصحاح شيئا غير ذلك ولكن العبارة تفيد أن يربعام خرج على سليمان ولكنه لم يتمكن من عمل شيء وطارده سليمان ففر الى مصر .

ويلمح فى القصة أثر ما وقع بعد موت سليمان مع احتمال صحة خبر تمرد يربعام على سليمان وفراره الى مصر .

وانتهى الاصحاح الحادى عشر بقوله : ان أيام ملك سليمان بأورشليم على كل اسرائيل أربعون سنة وانه دفن فى مدينة داود وان ابنه رحبعام ملك مكانه ، وان بقية أخباره وجميع ما عمل ووصف حكمته مكتوبة فى سفر اخبار سليمان ، وليس فى الاسفار المتداولة سفر بهذا الاسم كما لا يخفى حيث يصح أن يقال ان ما ذكر فى الاسفار المتداولة من سيرة سليمان مذكور فى هذا السفر الذى عدت عليه العوادى .

وفى الاصحاحات التسعة الاولى من سفر أخبار الايام الثانى

كثير مما ذكرته اصحاحات سفر الملوك السابقة من سيرة سليمان • ومعظمه متطابق وكثير منه متطابق فى العبارة مما يدل على أن كاتبى السفرين استقيا من مصدر واحد • ومما جاء فيها من الزيادة ما جاء فى الاصحاح الثانى من ان حيرام الفنان الصورى لم يكن خبيرا فى أعمال النحاس فقط بل كان كذلك فى أعمال الذهب والفضة والحديد والحجر والخشب والارجوان والبز والقرمز ، وأن سليمان أحصى الاجانب الذين هم فى أرض اسرائيل فكانوا مائة وخمسين ألفا وثلاثة آلاف وستمائة فجعل منهم سبعين الف حمال وثمانين الف قطاع فى الجبل وجعل الباقى مناظرين على الاعمال • أى أن الذين سخرهم سليمان لبناء الهيكل بقطع النظر عن المبالغة فى عددهم لم يكونوا اسرائيليين كما توهم عبارة الاصحاح الخامس من سفر الملوك الاول ــ الثالث ، بل كانوا من سكان البلاد القدماء ومما يتبادر للذهن ان كثيرا من هؤلاء وخاصة المشرفين خبراء فى مختلف أشغال البناء وبالتالى فان الفضل الاكبر فى الأعمال البنائية والفنية كان لغير الاسرائيليين وأن هؤلاء لم يكونوا بارعين فيها • ومن ذلك ما جاء فى الاصحاح الثامن من أن سليمان مضى الى حماة صوبة وتغلب عليها • ولعل هذا الخبر متصل بخبر أرزون بن أليداع الأرامى الذى ذكره الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الثانى وأوردناه قبل • فمن المحتمل أن يكون سليمان سير حملة على

أرزون الذى كان يعادى ويزعج اسرائيل فانتصرت عليه مرة من المرات ..

وقد انتهى الاصحاح التاسع من أخبار الأيام الثانى بقوله: وبقية أخبار سليمان الأولى والأخيرة مكتوبة فى كلام ناثان النبى وفى نبوة أخيا الشيلونى وفى رؤى معدو الرائى . وليس بين الأسفار المتداولة أسفار بهذه الاسماء كما لا يخفى حيث يصح أن يقال ان كتاب هذا السفر وصنوه الأول قد استقوا من أسفار قديمة عدت عليها العوادى كذلك .

وتنتهى سيرة سليمان وفى الوقت نفسه سيرة الدور الأول من دور ملوك بنى اسرائيل بنهاية الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول ــ الثالث والاصحاح التاسع من سفر أخبار الأيام الثانى .

واذا أردنا كذلك أن نجمل عهد سليمان بكلمة فمن الحق أن نقول ان سلطانه لم يتجاوز أرض كنعان ــ غرب الأردن ــ خلافا لأبيه فى دور من أدواره وان عهده كان أكثر استقرارا وهدوءا وأقل مشاكل من عهد أبيه وان لم يخل هو الآخر من مشاكل ومزعجات داخلية وخارجية . وفضلا عن ذلك فقد ظل الفلسطينيون وممالك الشعوب الأخرى فى أرض كنعان وما جاورها محتفظين بكياناتهم وقد كان ارتباك حالة مصر وأشور فى دور حكمه الأول مما ساعده على الاستمتاع بحرية النشاط

والسيادة . وكانت مصاهرته لفرعون مصر الذى يظن أنه شيشق والذى استعادت مصر فى عهده شيئا من حيويتها مما ساعده على الاستمرار على ذلك الاستمتاع . واذا كانت مصر ظلت تعتبر أرض كنعان من توابعها فالأرجح أن ذلك كان اسميا وخفيفا بسبب ذلك . ومن المحتمل أن يكون انشاء سليمان الهيكل خاصة جعل عهده رمز استقرار وثروة ومبعث صيت وخيال واطناب فى سيرته مع ما كان واضحا من فضل الصناع والفنيين غير الاسرائيليين فى ذلك وان كان من المحتمل أن يكون فيما ذكر له من حكمة وصيت وثروة ورخاء وسلم نسبى : شىء من الصحة كثير او قليل .

على أن من الواجب أن نشير فى هذه المناسبة الى جملة جاءت فى الاصحاح الثانى عشر من سفر الملوك الأول ـ الثالث وفى الاصحاح العاشر من سفر أخبار الايام الثانى ، على لسان زعماء اسرائيل حيث قالوا لرحبعام الذى خلف سليمان على العرش والذى طلب منهم البيعة ان أباك قسى نيرنا وان عليك أن تخفف من عبودية أبيك الشاقة ونيره الثقيل الذى وضعه علينا . حيث يفيد هذا أن عهد سليمان كان شديد الوطأة على بنى اسرائيل وأن مشاريعه قد حملتهم جهدا عظيما وتكاليف باهظة .

ومع احتمال أن يكون هناك مبالغة كبيرة فى عدد النساء اللاتى ذكر الاصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول ـ الثالث أنه

تزوجهن وتسرى بهن فان المعقول ألا يكون ذلك قد ذكر جزافا وبالتالى أن يكون سليمان مفرطا جدا فى هذا الباب .

ومع أن الأسفار لا تذكر لبنى اسرائيل انحرافات خلقية ودينية فى عهد سليمان كما ذكرت ذلك بالنسبة لداود فان النص الذى ذكر به زيغان سليمان فى شيخوخته ومجاراته لنسائه الوثنيات ، مثير بسعة نطاقه وبالغ مما يدل عليه من شدة الانحراف . والمتبادر أن سليمان لم يكن وحده فى هذا الامر وأنه كان قدوة لغيره فيه حيث ينطوى فى هذا من جهة شدة دلالة الانحراف وشموله ومن جهة استمرار التأثير القوى الاجتماعى والدينى للشعوب التى سكن بنو اسرائيل بين ظهرانيها أو فى جوارها .

وبين الأسفار سفران منسوبان الى سليمان وهما سفر الأمثال وسفر نشيد الأناشيد . والأول واحد وثلاثون اصحاحا وفيه مواعظ ووصايا وأمثال حكيمة خلقية واجتماعية ودينية بأسلوب بليغ رائع . والثانى ثمانية اصحاحات وفيه تخيلات رمزية فيها حكمة وموعظة وأسلوبها بليغ رائع هو الآخر .

ومع ذلك فقد سجلت الأسفار على سليمان تزوجه بالزوجات الوثنيات اللاتى احتفظن بأديانهن وتقاليدهن الوثنية ومارسنها ، وزيغان قلبه واتباعه آلهة غريبة مجاراة لهن ..

الدور الثانى لملوك بنى اسرائيل

- ١ -

يقص سيرة هذا الدور الاصحاحات من الثانى عشر من سفر الملوك الأول ـ الثالث الى نهايته التى تنتهى بالاصحاح الثانى والعشرين ثم سفر الملوك الثانى ـ الرابع الذى هو خمسة وعشرون اصحاحا ثم من الاصحاح العاشر من سفر أخبار الايام الثانى الى نهايته التى تنتهى بالاصحاح السادس والثلاثين .

وقد حكى الاصحاح الثانى عشر من سفر الملوك والعاشر من أخبار الايام الثانى أوليات ملك رحبعام الذى خلف أباه سليمان والذى قال الاصحاح الرابع عشر من سفر الملوك ان أمه عمونية واسمها نعمة . فقد أخذ اولا بيعة سبطى يهوذا وبنيامين اللذين كانا يقيمان فى المنطقة الجنوبية وحول أورشليم ثم ذهب الى شكيم ـ نابلس اليوم ـ حيث كان يجتمع زعماء الأسباط الأخرى ليأخذ بيعتها ويتتوج فيها ملكا على جميع اسرائيل. وكان يربعام بن نباط الذى رفع يده على سليمان ثم هرب الى مصر قد عاد من مصر حينما علم بموت سليمان بناء على دعوة تلقاها من

أسباط اسرائيل • فلما طلب رحبعام البيعة خاطبه يربعام وجميع الرؤساء قائلين ان آباك قسى نيرنا فعليك أن تخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نيره الثقيل ونصح الشيوخ رحبعام بالملاينة فلم يستمع لهم وحذره الاحداث من الملاينة وقالوا له قل للشعب ان خنصرى أغلظ من متنى أبى ، وان أبى حملكم نيرا ثقيلا وأنا أزيد ، وأبى أدبكم بالسياط وأنا أؤدبكم بالعقارب •

فأثار الشعب وجعلهم يقولون أى نصيب لنا مع داود وأى ميراث لنا مع ابن يسى ، الى خيامكم يا اسرائيل وتفرقوا • وأرسل رحبعام أدورام المراقب على التسخير فى المنطقة اليهم ليردعهم فرجموه بالحجارة حتى مات فعاد حينئذ الى أورشليم خائبا مهزوما ، ونادى الأسباط العشرة بيربعام ملكا • ولقد أراد رحبعام بعد رجوعه الى أورشليم أن يحشد جيشا لمحاربة الأسباط وارغامهم ولكن شمعيا النبى حذره على ما جاء فى الاصحاح وحذر سبطى يهوذا وبنيامين من القتال فاستمعوا وتفرقوا واكتفى رحبعام ببناء مدن دفاع محصنة وحشدها بالقوات والمؤن

وهكذا انقسمت المملكة الى مملكتين جنوبية وعاصمتها أورشليم واسمها يهوذا وقوامها سبط يهوذا وبنيامين ، وشمالية وعاصمتها شكيم واسمها اسرائيل وقوامها الأسباط الباقية •

- ٢ -

ولقد ذكر بريستيد (١) أن شيشق أول ملوك الاسرة العشرين المصرية هو الذى حرض يربعام الذى كان لاجئا عنده استهدافا لاعادة نفوذ مصر الفعلى الى فلسطين ، ولقد ذكر المطران الدبس (٢) أن شيشق كان ينوى غزو فلسطين وسورية فأرسل يربعام لشق المملكة اليهودية كما دس من اغتال ملك صور تمهيدا لذلك ، ولقد غزا هذا الملك فلسطين فعلا فى عهد رحبعام ويربعام وصعد على أورشليم ونهبها وبسط سيطرته على دولة يهوذا ثم على دولة اسرائيل • وقد امتد سلطانه الى الجليل ، وأيدت ذلك النقوش التى أمر بنقشها شيشق فى صدد غزوته لفلسطين على السور القبلى من هيكل الكارباك ، وفيها صورة لمائة وستة وخمسين رجلا من أرض كنعان كل منهم يرمز الى مدينة من المدن التى استولى عليها وقد كتب تحت كل رجل اسم المدينة التى يمثلها ومن الاسماء التى أوردها بريستيد مجدو وحوب وحفرايم وبيت شين وايالونا وجبيون وسكو وبيت أنون وشرحان ، وهى فى مختلف انحاء فلسطين الشمالية والجنوبية والشرقية (٣) •

---

(١) تاريخ مصر من أقدم العصور ص ٣٥٧ - ٣٦١ •
(٢) الجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سوريه ص ٢٩٩ •
(٣) المراجع السابقة والعقد الثمين لاحمد كمال ص ١٥٤-١٥٩ •

وقد ذكرت غزوة شيشق هذه فى الاصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الاول ـ الثالث حيث يبدو من هـذا كله اصبع شيشق فيما تم من انقسام المملكة اليهودية . واذا كانت المصادر المذكورة لم تذكر اشتباك شيشق مع يربعام فان ذلك لا يمنع أن يكون انبساط سيادته على مملكة يربعام صحيحا لان يربعام كان غرسته وصنيعته وأداة من أدواته على ما يستفاد من المصادر نصها . ولعل شيشق احترم صهره فما ان مات حتى نشط جعل سلطان مصر الاسمى فعليا على أرض كنعان وما وراءها .

- ٣ -

ومع أن دولة اسرائيل كانت تشل أكثرية الاسباط وكانت أوسع مساحة وأكثر قابلية مادية الا أنها كانت فى معظم حياتها مضطربة كثيرة الانقلابات بعكس دولة يهوذا التى كانت أكثر استقرارا وأطول عمرا وقد استمرت سلسلة ملوكها بدون انقطاع فى ذرية سليمان خلافا لسلسلة ملوك يهوذا التى كانت من أسر وأسباط مختلفة .

وقد تولى ملك يهوذا تسعة عشر ملكا هذه اسماؤهم ومدد حكمهم على ما ذكرته اصحاحات سفرى الملوك الاول والثانى ثم اصحاحات سفرى اخبار الايام الاول والثانى .

١ ــ رحبعام بن سليمان . . . . ومدة حكمه ١٧ سنة
٢ ــ ابعيام بن رحبعام . . . . ومدة حكمه ٣ «
٣ ــ أسا بن رحبعام . . . . .. ومدة حكمه ٤١ «
٤ ــ يهوشافاط بن أسا . . . . ومدة حكمه ٢٥ «
٥ ــ يهورام بن يهوشافاط . . . ومدة حكمه ٨ «
٦ ــ اخزيا بن يهورام . . مات قتلا ومدة حكمه ١ «
٧ ــ عتليا أم اخزيا . . ماتت قتلا ومدة حكمها ٦ «
يواش بن اخزيا . . مات قتلا ومدة حكمه ٤٠ «
٨ ــ امصيا بن يواش . . مات قتلا ومدة حكمه ٢٩ «
٩ ــ عزيا بن أمصيا . . . . . ومدة حكمه ٥٢ «
١٠ ــ يوثام بن عزيا . . . . . ومدة حكمه ١٦ «
١١ ــ احاز بن يوثام . . . . . . ومدة حكمه ١٦ «
١٢ ــ حزقيا بن احاز . . . . . ومدة حكمه ٢٩ «
١٣ ــ منسى بن حزقيا . . . . . ومدة حكمه ٥٥ «
١٤ ــ آمون بن منسى . . . مات قتلا ومدة حكمه ٢ «
١٥ ــ يوشيا بن أمون . . مات قتلا ومدة حكمه ٣١ «
١٦ ــ يهو احاز بن يوشيا . . . . ومدة حكمه ثلاثة اشهر
١٧ ــ يواقيم بن يوشيا . . . . . ومدة حكمه ١١ سنة
١٨ يهواكين بن يواقيم . . . . . ومدة حكمه ثلاثة اشهر
١٩ ــ صدقيا بن يواقيم . . . .

وقد عمرت هذه الدولة الى سنة ٥٨٦ ق٠م وسقطت على يد نبوخذ نصر (بختنصر) الملك الكلدانى البابلى الذى قتل صدقيا ونهب أورشليم ودمرها وسبى أهلها الى بابل وأقام عليها واليا من قبلـــه ٠

أما دولة اسرائيل فقد تولى ملكها كذلك تسعة عشر ملكـا وكانوا كما قلنا من أسر مختلفة حيث كان يتمرد متمرد على الملك الجالس فيخلعه ويجلس مكانه ويخلفه بعض أبنائه حينا ومتمرد آخر حينا ٠ وقد تقلب على عرش هذه المملكة ثمانى أسر وافنيت ثلاث أسر من ملوكها افناء تاما وعمرت الى ســـنة ٧٢٠ ق٠م وسقطت على يد سرجون الثانى ملك آشور ٠ وقد تبدلـــت عاصمتها اكثر من مرة بسبب ما كان يقوم فيها من انقلابات فكانت شكيم هى العاصمة أولا ثم صارت ترصه ثم شامر القريبة مــن شكيم والتى يقوم مكانها اليوم قرية اسمها سبسطية جـددت فى عهد الرومان وأخذت اسمها منهم ٠ وهذه أسماء ملوك هــذه الدولة مقتبسة هى الأخرى من أسفار الملوك وأخبار الايام ٠

١ ـ يربعام بن نبــاط الافرائيمى ٠ ٠ ٠ ومدة حكمه ٢٢ سنة
٢ ـ ناداب بن يربعـــام ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ومدة حكمه ٢ «
ثار عليه بعشا بن أخياس سبط يساكر وقتله وأباد نســل أبيه وجلس مكانه
٣ ـ بعشا ٠ المذكور آنفا ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ومدة حكمه ٢٤ سنة

٤ ـ ايله بن بعشا . . . . ومدة حكمه ٢ سنة
ثار عليه قائد زمري وقتله وأباد نسله وجلس مكانه
٥ ـ زمري . . . . ومدته سبعة أيام
زحف عليه قائد اسمه عمري وحاصره فأحرق نفسه وحينئذ
نودي بعمري ملكا
٦ ـ عمري . . . . ومدة حكمه ١٢ سنة
٧ ـ أخاب بن عمري . . . . ومدة حكمه ٢٢ »
٨ ـ اخزيا بن اخاب . . . . ومدة حكمه ٢ »
٩ ـ يورام بن أخاب . . . . ومدة حكمه ١٢ »
ثار عليه قائد اسمه ياهو بن يهو شافاط وقتله وأباد نسله
١٠ ـ ياهو بن يهوشافاط . . . . ومدة حكمه ٧ سنوات
١١ ـ يهواحاز بن ياهو . . . . ومدة حكمه ١٧ سنة
١٢ ـ يهواش بن يهواحاز . . . . . . ومدة حكمه ٤١ »
١٣ ـ يربعام بن يهواش . . . . ومدة حكمه ٤١ »
١٤ ـ زكريا بن يربعام . . . . ومدة حكمه ستة أشهر
ثار عليه قائد اسمه شلوم بن يابيش وقتله
١٥ ـ شلوم بن يابيش . . . . ومدة حكمه شهر واحد
ثار عليه مناحيم بن جاد وقتله
١٦ ـ مناحيم بن جاد . . . . ومدة حكمه ١٠ سنوات

١٧ ـ فقيحا بن مناحيم . . . . ومدة حكمه ٢ سنة
ثار عليه فقح بن رمليا وقتله
١٨ ـ فقح بن رمليا . . . . ومدة حكمه ٢٠ سنة
ثار عليه هوشع بن ايله وقتله
١٩ ـ هوشع بن ايله . . . .

وقد اعتقل الاخير سرجون الثانى ملك آشور ونفاه مع عدد كبير من أهل مملكته وجعل المملكة ولاية آشورية . وقد أرسل هو ثم حفيده أسر حدون بعده ، جماعات من العراق فسكنوا مكان المنفيين وهم الذين عرفوا بالسامريين على الارجح نسبة للسامرة التى كانت اسم عاصمة الدولة التى سكنوا فى أرضها. والغالب أنها تسمية اسرائيلية للتميز بينهم وبين بنى اسرائيل لانهم هم الآخرون اعتنقوا الشريعة الموسوية ولكنهم كانوا على خلاف ونزاع مع بنى اسرائيل .

ويرجح أن سليمان مات سنة ٩٣٥ ق.م وكان قيام الدولتين على أثر موته . وهكذا يبدو حساب الأسفار لمدد حكم الملوك مقاربا مع تاريخى انتهاء كل من الدولتين .

- ٤ -

والأسفار الثلاثة المذكورة احتوت كثيرا من أخبار دولتى

اسرائيل ويهوذا وأحوالهما الداخلية والخارجية ، وما ارتكست فيه الدولتان وملوكهما من فتن وحروب أهلية وانحرافات دينية وخلقية وما تعرضتا له من غزوات خارجية . ولم يكد يسجل لهما فيها الا حقب قصيرة من السيادة التامة او الانتصار على غيرهما كما أن ما سجلته من الصلاح والاستقامة لملوكهما وشعبيهما أقل بكثير مما سجلته عليهم من الانحرافات الدينية والاخلاقية .

(١) ونبدأ بذكر ما كانت عليه الصلات بين الدولتين فنقول :

انه قام بين يربعام ورحبعام الملكين الأولين للدولتين حالة حرب وعداء وقطيعة واندمج فى ذلك شعباهما . وقد ورد فى الاصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الاول (النسخة البروتستانتية) أنه كان حرب بين رحبعام ويربعام كل الأيام . ولم يرد شىء عن وقائع حربية فعلية بينهما حيث يرجح أن العبارة تعنى حالة الحرب والعداء التى قامت نتيجة للانقسام . وقد ذكرنا قبل أن رحبعام حشد قواته لمحاربة يربعام ثم كف عن ذلك واكتفى بتحصين مدنه ، وهذا وذاك من مظاهر هذه الحالة بطبيعة الحال .

ومما فعله يربعام أنه صنع عجلين من ذهب ووضع أحدهما فى بيت ايل وثانيهما فى دان وبنى عندهما مذابح وقال لشعبه هذه آلهتكم التى أصعدتكم من مصر فاذبحوا وعيدوا عندها ولا تصعدوا الى أورشليم فاستجاب له الشعب ، وقد فعل هذا

تفاديا من عواقب صعود شعبه الى أورشليم وتأثير دعاية رحبعام فيهم وجعلهم يقدمون على قتله على ما ذكره الاصحاح الثانى عشر من سفر الملوك الأول ــ الثالث •

وقد استمرت حالة العداء والقطيعة والحرب فى زمن أبيا بن رحبعام وكان لها وقائع فعلية • فقد ذكر الاصحاح الثالث عشر من سفر أخبار الأيام الثانى أن أبيا حشد أربعمائة الف مقاتل وزحف بهم على اسرائيل وخرج اليه يربعام بثمانمائة الف ورتبهم من أمام جيش أبيا وورائه ولكن الدائرة دارت عليه لصراخ يهوذا الى الرب وغضب الرب على يربعام لانحرافه عنه حتى قتل يهوذا من جيش اسرائيل (٥٠٠٠٠٠ رجل) ! واستولى أبيا نتيجة لذلك على مدن بيت ايل ويشانه وعفرون وتوابعها ــ وهى بين أورشليم وشكيم العاصمتين وأقرب الى شكيم •

واستمرت تلك الحالة بعد أبيا ويربعام ، حيث ذكر الاصحاح الخامس عشر من سفر الملوك الأول ــ الثالث ، والسادس عشر من سفر أخبار الايام الثانى أنه كان بين آسا بن أبيا وبين بعشا الذى قتل ناداب بن يربعام واستولى على عرش اسرائيل حرب كل أيامهما • وقد صعد بعشا على يهوذا وبنى الرامة لكيلا يدع أحدا يخرج أو يدخل الى آساملك يهوذا أى ضرب على المملكة نطاق الحصار • ولكن حركته وقفت عند هذا الحد لأن آسا أرسل ما فى بيت الرب وما فى خزائنه من ذهب وفضة الى

بنهدد ملك دمشق الأرامي وطلب منه نقض العهد الذي بينه وبين بعشا ، لأن بينه وبين أبيه عهدا ، حتى ينصرف عنه • واستجاب هذا فسير جيوشه على اسرائيل وضرب مدن عيون ودان وآبل وكناروت مع كل أرض نفتالي فكف بعشا عن حركته وأرسل آسا من هدم الرامة وحصونها •

ولا تذكر الاصحاحات من السادس عشر الى الحادى والعشرين من سفر الملوك الأول شيئ عن صلات الدولتين • ثم ذكر الاصحاح الثاني والعشرون أن يهوشافاط ملك يهوذا انحدر الى ملك اسرائيل وأن هذا قال له أتمضى معى للقتال الى راموت جلعاد التى هى فى يد ملك آرام وكانت لنا سابقا وأن يهوشافاط لباه وزحفا معا • وقد ذكر الاصحاح السابع عشر من أخبار الايام الثانى أن يهوشافاط استظهر على اسرائيل دون أى بيان آخر ثم ذكر الاصحاح الثامن عشر أن يهوشافاط صاهر أخاب (١) ملك اسرائيل وأنه انحدر اليه فذبح له وأغراه بالصعود معه الى راموت جلعاد • وهذا وذاك يدل على أن حالة الحرب والعداء انتهت بين الدولتين وقام بين مليكيهما صهارة ومحالفة وان لم يذكر السفران كيفية وأسباب ذلك •

وأخاب هو ابن عمرى رأس أسرة ملكية جديدة على اسرائيل

---

(١) يستفاد من الاصحاح الثامن من سفر الملوك الثاني - الرابع ان هذه المصاهرة كانت بزواج يهورام بن يوشافاط بابنة أخاب •

بعد ابادة نسل أسرتى يربعام وبعشا اللذين كانت حالة الحرب قائمة بينهما وبين أولادهما من ناحية وبين رحبعام وأولاده من ناحية ثانية . فالظاهر أن ذهاب الاسرتين قد ذهب أيضا بحالة العداء وأحل معها حالة الصفاء .

وظلت حالة الصفاء والمحالفة بين الدولتين بعد أخاب أيضا حيث اشترك يوشافاط ملك يهوذا مع يورام بن أخاب فى الزحف على مؤاب التى أعلنت تمردها على اسرائيل على ما جاء فى الاصحاح الثالث من سفر الملوك الثانى ـ الرابع وفى الاصحاح العشرين من أخبار الأيام الثانى وحيث اشترك أخزيا بن يهورام ابن يوشافاط ملك يهوذا مع يورام بن أخاب ملك اسرائيل فى قتال حزائيل ملك أرام على ما جاء فى الاصحاح الثامن من سفر الملوك الثانى ـ الرابع .

غير أن هذه الحالة تبدلت الى حالة عداء وحرب فى زمن أمصيا ابن أخزيا ملك يهوذا ويهواش بن يواحاز ملك اسرائيل على ما ذكره الاصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الثانى والاصحاح الخامس والعشرين من سفر أخبار الايام الثانى . وقد اشتبكت قوات الدولتين بقيادة الملكين فى بيت شمس التى هى فى مملكة يهوذا فانكسرت قوات يهوذا وانهزمت ووقع أمصيا أسيرا وزحف يواش على أورشليم فهدم أسوارها ونهب جميع الذهب والفضة

والآنية التى كانت فى بيت الرب وقصر الملك وعاد الى السامرة ويده ملأى بالغنائم والسبايا •

وفى الاصحاح الخامس والعشرين من أخبار الايام الثانى شىء من البيان حول هذا الحادث يفسر انقلاب الحالة الى عداء وحرب ، حيث ذكر أن أمصيا استأجر من اسرائيل مائة ألف جبار بأس بمائة قنطار من الفضة ليزحف بهم بالاضافة الى قواته التى كانت ثلاثمائة الف ــ بقطع النظر عن المبالغة الكبيرة فى الأرقام ــ على بنى سعير ــ الأدوميين ــ ولكن نبيا من أنبياء بنى اسرائيل نهاه عن اشراك الاسرائيليين معه فأعادهم وذهب بجيشه وضرب بنى سعير فى وادى الملح • وقد غضب الاسرائيليون من فعل أمصيا وأخذوا يعيثون فى مدن يهوذا قتلا ونهبا حتى قتلوا ثلاثة آلاف •

ويقول الاصحاح ان أمصيا عقد مشورة وبعث الى يواش يطلب منه المواجهة ــ والعبارة على الأغلب عنت الحرب ــ وان يواش أنذره بالسقوط ان أصر فلم يستمع وأصر فصعد يواش بجيشه والتقى بامصيا فى بيت شمس فكتبت الكسرة عليه على النحو المذكور آنفا •

ويظهر أن حالة العداء التى تجددت استمرت فى عهد خلفاء الملكين أيضا وان لم يذكر سفر الملوك الثانى ولا اخبار الأيام الثانى حوادث معينة فى زمن عزيا ويوثام ملكى يهوذا ويربعام

وزكريا وشلوم ومناحيم وفقيحا ملوك اسرائيل الذين ذكرت الأسفار تواليهم على عرشى الدولتين ، حيث ذكر الاصحاح السادس عشر من سفر الملوك الثانى ــ الرابع أن فقح بن رمليا ملك اسرائيل زحف مع رصين ملك دمشق الآرامى على أورشليم لقتال آحاز ملك يهوذا وحاصراه واستعان هذا بملك أشور تغلث فلاسر وأرسل اليه ما عنده من ذهب وفضة فزحف هذا على دمشق وقتل ملكها • ولقد ذكر ذلك الاصحاح الثامن والعشرون من سفر أخبار الأيام الثانى مع شىء من الخلاف ، فقال ان الرب أسلم آحاز الى يد ملك الأراميين فضربوه وأسروا منه جمعا عظيما وجاءوا بهم الى دمشق ثم أسلمه الى يد ملك اسرائيل فضربه ضربة عظيمة وقد قتل هذا الملك وهو فقح ابن رمليا من يهوذا (١٢٠٠٠٠) فى يوم واحد وسبى (٢٠٠٠٠٠)من النساء والأطفال وأخذ سلبا كثيرا وان تغلث فلاسر ملك أشور وفد عليه وضيق عليه ولم يؤيده • وعلى كل حال فالسفران متطابقان على قيام حالة الحرب بين الدولتين فى عهد هذين الملكين امتدادا لما قبلهما على الأغلب •

ولقد ثار هوشع بن ايلة على فقح بن رمليا وقتله وحل محله ولكن حالة العداء بين دولتى اسرائيل ويهوذا لم تزل على ما يستفاد من السفرين • وهوشع هذا هو آخر ملوك دولة اسرائيل • ولقد ذكر الاصحاح السابع عشر من سفر الملوك

الثانى انه تمرد على ملك أشور وامتنع عن اداء الجزية وأرسل رسلا الى ملك مصر امعانا فى التمرد فصعد عليه ملك أشور واعتقله ونسف دولة اسرائيل . وهكذا ظلت حالة العداء بين دولتى يهوذا واسرائيل قائمة من زمن امصيا ملك يهوذا ويهواش ابن يواحاز ملك اسرائيل الى النهاية ، وكانت كل من الدولتين فى جبهة ضد الاخرى . وهذا فضلا عما كان من حالة العداء والحرب بين الدولتين قبل أمصيا ويهواش والتى لم تتبدل الى حالة سلم وحلف الا ردحا قصيرا أى فى زمن حكم أسرة عمرى لدولة اسرائيل وحكم اسرة ياهو بن يهوشافاط لدولة يهوذا .

- ٥ -

ونأتى الآن الى ذكر ما كان بين الدولتين والدول والشعوب الأخرى فنقول :

أولا ــ انه كان بين الدولتين وملوك أرام أحداث عديدة . وكان أولاها استنجاد آسا بن أبيا ملك يهوذا بالملك بنهدد ملك دمشق حينما أخذ بعشا ملك اسرائيل يتهيأ لغزوه على ما ذكره الاصحاح الخامس عشر من سفر الملوك الاول ــ الثالث وقد ذكر أن آسا أخذ جميع ما تبقى فى خزائن بيت الرب وخزائن دار

الملك وارسله الى بنهدد بن طبريسون بن حزيون ملـك ارام فى دمشق وقال له ان بيني وبينك وبين أبى وأبيك عهدا فهلم فانقض عهدك مع بعشا فينصرف عنى فاستجاب ووجه رؤساء جيوشـه الى مدن اسرائيل وضرب عيون وداز وآبل بيت معكه وجميـع كنروت مع كل أرض نفتالى ؛ مما اضطر بعشا الى الكف عـن حركته .

والنص يفيد أن الصلات بين ملوك دمشق الأراميين ودولتى بنى اسرائيل أقدم من هذا الحادث وأنه كان عهد سلام بين كـل منها وبين بنهدد وأبيه من قبله ، وان لم يرد شيء من ذلك قبل .

وفى الاصحاح العشرين من سفر الملوك الاول ـ الثالث خبر زحف بنهدد على اسرائيل وحصاره للسامرة ومحاربته لهـا . والغالب على ما تفيده العبارة أن هذا زحف ثان لملك أرام على اسرائيل وأن بنهدد هذا هو غير بنهدد الاول الذى زحف تلبيـة لاستنجاد آسا والعبارة تفيد أنه ابنه . وقد جاء فى الخبر أنه كان مع ملك أرام اثنان وثلاثون ملكا وخيل ومراكب وأنه أرسل الى أخاب ملك اسرائيل يقول له فضتك وذهبك هما لى وأزواجـك وبنوك الحسان هم لى فأجابه أخاب كما قلت يا سيدى أنا وجميع ما هو لى هو لك ، فأرسل بنهدد يقول انه سيرسل عبيده للتفتيش وأخذ كل ما هو شهى فى عين الملك وأن أخاب دعا شيوخ اسرائيل وأخبرهم بما يريده ملك دمشق فرفضوا فأرسل أخاب يؤكـد

استعداده لاعطائه ذهبه وفضته ولكنه لا يستطيع السماح بالتفتيش على النحو الذى يريد فغضب بنهدد وزحف ، وجاء نبى الى أخاب يطمئنه باسم الرب بالنصر فتشجع واستعد واشتبك الطرفان فانهزم الأراميون وضربهم ملك اسرائيل ضربة شديدة . وقد نجا بنهدد فجمع شمل جيشه وكر ثانية فالتحم الفريقان فدارت الدائرة على الأراميين أيضا وقتل منهم كما يقول الاصحاح مائة الف وهرب الباقون الى أفيق والملك معهم ، ثم أرسل الى أخاب يعرض السلام والصلح على أن يرد المدن التى أخذها أبوه من أبيه ويجعل لاسرائيل سوقا فى دمشق كما فعل أبوه فى السامرة فوافق أخاب على ذلك وانعقد الصلح .

ومن عجيب ما ذكره هذا الاصحاح ا نالنبى جاء الى أخاب وأبلغه عتاب الرب له لأنه اطلق الملك الارامى وصالحه فى حين أنه كان قادرا على اهلاكه ، وأنذره بأن نفسه ستكون بدلا من نفس ذلك الملك وشعبه بدلا من شعبه ! حيث تبدو فى هذا روح القسوة والابادة التى كانت تسيطر على بنى اسرائيل فى صلاتهم مع الأمم الاخرى والتى تكررت مظاهرها .

والاصحاح الثانى والعشرون من سفر الملوك الأول ـ الثالث والاصحاح الثامن عشر من سفر الاخبار الثانى يذكران خبر اشتراك ملكى يهوذا واسرائيل يوشافاط وأخاب فى الهجوم على راموت جلعاد لاستخلاصها من يد ملك أرام . وهكذا بجحد

يوشافاط ما كان بين أبيه وجده وبين ملك أرام من عهد وما فعله هذا لانجاد أبيه آسا من أخاب . ولقد كان الاخفاق نصيب هـذا الهجوم . ومما ذكره الاصحاح الثانى والعشرون من سفر الملوك الاول أن أخاب قال ليوشافاط أنا أتنكر وأتقدم الى الحرب ونفذ ذلك فأصابه سهم كان فيه حتفه ونودى بالجيش للانصراف ونقل أخاب ميتا الى السامرة .

وفى الاصحاح الخامس من سفر الملوك الثانى ـ الرابع جملة جاء فيها أن قوم أرام خرجوا غازين فسبوا من أرض اسرائيل فتاة صغيرة حيث يدل ذلك على أن الأراميين كانوا يغيرون على أراضى اسرائيل بعد صلح أفيق .

وفى الاصحاح السادس من هذا السفر جملة جاء فيها «وكان ملك أرام يحارب اسرائيل » حيث يدل ذلك على أن الاشتباكات الحربية عادت ثانية بين الدولتين وان لم يذكر الاصحاح سببا وكيفية لذلك . ومما ذكر فى هذا الاصحاح ايضا أن بنهدد ملك أرام جمع عسكره وصعد الى السامرة وحاصرها حصارا شديدا فأصابها جوع شديد حتى صار رأس الحمار بثمانين من الفضة وربع القب من زبل الحمام بخمس من الفضةوأكل الناس أبناءهم. وقد ذكر فى هذا الاصحاح أيضا أن الأراميين فكوا الحصار وانهزموا تاركين خيامهم وأثقالهم ومؤنهم لانهم سمعوا أصوات خيل ومركبات وجيش عظيم فظنوا أن الاسرائيليين استنصروا

بالحيثيين والمصريين فغنم الاسرائيليون ما خلفوه غنيمة باردة . وقد جاء هذا عقب سياق طويل ذكر فيه خبر ظهور النبى أليشع ومعجزاته الكثيرة . وكأننا أورد فرار الأراميين وما سموه كمعجزة من معجزاته لانه حزن على ما حل فى اسرائيل من خوف وجوع ...

وفى الاصحاح الثامن من هذا السفر خبر خروج آخزيا ملك يهوذا مع يورام ملك اسرائيل لقتال حزائيل ملك أرام فى راموت جلعاد حيث يدل هذا على استمرار العداء والحرب بين الأراميين ودولتى يهوذا واسرائيل معا . وقد أصيب يورام بجرح كان فيه حتفه .

وفى الاصحاح العاشر من هذا السفر جملة « وفى تلك الايام ابتدأ الرب يقتطع من اسرائيل فضربهم حزائيل فى جميع التخوم من الأردن لجهة مشرق الشمس جميع أرض جلعاد الجاديين والراوبينيين والمنسيين من عروعير التى على وادى أرنون وجلعاد وباشان وذلك فى زمن ياهو ملك اسرائيل الذى ثار على يورام وقتله وأباد نسله وحل محله حيث يفيد هذا الخبر أن حزائيل بعد أن أخفق هجوم أخزيا ويورام على جلعاد كر على دولة اسرائيل وسيطر على قسم كبير من مشارقها .

وفى الاصحاح الثانى عشر من السفر نفسه خبر صعود حزائيل الى جت واستيلائه عليها ثم صعوده الى أورشليم فى زمن

ملكها يواش فأخذ هذا جميع الأقداس التى قدسها ملوك يهوذا ـ يريد جميع النذور والذخائر ـ وكل الذهب الموجود فى خزائن بيت الرب وبيت الملك وأرسلها الى حزائيل حتى انصرف عن أورشليم حيث يفيد هذا الخبر أن دولتى يهوذا واسرائيل كانتا فى هذا الوقت تحت رحمة وهيمنة ملك دمشق الأرامى •

وفى الاصحاح الثالث عشر أن غضب الرب اشتد على اسرائيل فى زمن يواحاز بن ياهو فاسلمهم الى يد حزائيل ملك أرام ثم الى يد ابنه بنهدد بعده جميع الايام • ومما جاء فى الاصحاح انه لم يكن بقى ليواحاز سوى خمسين فارسا وعشر مركبات وعشرة آلاف راجل لان ملك أرام أبادهم وجعلهم مثل التراب الذى يوطأ

وفى الاصحاح جملة غامضة جاء فيها أن يواحاز استعطف وجه الرب فاستجاب لأنه رأى ضيم اسرائيل من ملك أرام وأتى الرب اسرائيل مخلصا فخرجوا من تحت يد الأراميين دون ذكر كيفية ذلك • وقد جاءت فى نهاية الاصحاح نفسه جملة غامضة أخرى أيضا وهى « ثم مات حزائيل وملك بنهدد ابنه مكانه فعاد يواش ابن يواحاز وأخذ من يد بنهدد المدن التى كان أخذها هذا من أبيه وضربه يواش ثلاث مرات» دون ذكر كيفية ذلك •

وفى الاصحاح الرابع عشر هذه الجملة فى سياق ذكر ملك يربعام بن يواش ملك اسرائيل « وهو الذى رد تخوم اسرائيل من مدخل حماة الى بحر الغور » دون ذكر كيفية ذلك ، حيث

تفيد هذه العبارات أن دولة اسرائيل خلصت من سيطرة ملك دمشق الأرامى بالمرة •

وفى الاصحاح السادس عشر من السفر نفسه خبر صعود رصين ملك أرام وفقح بن رمليا ملك اسرائيل الى أورشليم ومحاصرتهما لها فى زمن الملك يواحاز ، حيث يفيد هذا أنه قام عهد صداقة وحلف بين ملكى أرام واسرائيل بعد بنهدد • وقد ذكر الاصحاح أن رصين استرد فى ذلك الزمن ايله للادوميين وطرد اليهود منها وأن آحاز أخذ ما وجده من فضة وذهب فى بيت الرب وبيت الملك وأرسله الى تغلث فلاسر ملك أشور قائلا له : أنا عبدك وابنك فاصعد وخلصنى من يد ملك أرام وملك اسرائيل فلباه وصعد الى دمشق فأخذها وسباها وقتل رصين •

ومن الجدير بالذكر أن الاصحاح الثامن والعشرين من سفر أخبار الايام الثانى يذكر هذا الخبر بصيغة أخرى تختلف فى السيرة والنتيجة عما ذكره الاصحاح السادس عشر من سفر الملوك الثانى • فقد جاء فيه أن الرب أسلم آحاز ــ وهو نفس يواحاز ــ الى يد ملك الاراميين فضربوه وأسروا منه جمعا عظيما وجاءوا بهم الى دمشق ثم أسلمه الى يد ملك اسرائيل فضربه ضربة عظيمة وأن آحاز أرسل الى ملوك أشور لينجدوه فوفد عليه تغلث فلاسر ملك أشور وضيق عليه ولم يؤيده فأخذ قسما من بيت الرب وبيت الملك ومن الرؤساء واعطاه لملك أشور فلم يغن ذلك عنه »

ومع ذلك فان مؤلفى كتاب تاريخ كلدة وأشور ومؤلف كتاب مقال فى العبرانيين يؤيدون سيرة الحادث ونتيجته على الوجه الذى جاء فى سفر الملوك الثانى والذى أوردناه آنفا (١) ٠

وقد ذكر الاصحاح الرابع والعشرون من سفر أخبار الايام الثانى خبر صعود جيش أرام على يهوذا وأورشليم فى عهد ملكها يواش واهلاكهم جميع رؤساء الشعب وارسالهم كل غنائمهم الى ملك دمشق ٠

ولم يرد ذكر أرام وصلتهم باليهود مرة أخرى الا فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر الملوك الثانى ـ الرابع وبعبارة مقتضبة جاء فيها أن الرب أرسل على يوياقيم ملك يهوذا وهو من أواخر ملوكها غزاة أرام فى جملة ما أرسله عليه من غزاة ٠

والعبارة عجيبة ٠ لأن دمشق غدت ولاية أشورية بعد قتل ملكها رصين من قبل تغلث فلاسر (٢) ٠ ولم يذكر أحد من المؤرخين فيما اطلعنا عليه أنه قام فيها ملك أرامى من جديد بعد ذلك ٠ ويصادف زمن هذه الغزوة لظروف سقوط الدولة الأشورية وقيام دولة بابل الأخيرة التى كان نبوخذنصر نجمها اللامع أى فى أوائل القرن السادس قبل الميلاد ٠ وقد اغتنمت بلاد

---

(١) تاريخ كلدة واشور لادى شرح ج ١ ـ ص ٨٤ـ٨٦ ومقال فى العبرانيين للمطران الدبس ص ٤٦٦ وما بعدها ٠

(٢) تاريخ كلدة واشور ج ١ ص ٨٠ـ٨٦ ٠

الشام ومصر فرصة الارتباك الذى ألم بالدولة الأشورية قبيل نهايتها فتفلتت من سيطرة أشور واغتنم نخو ملك مصر الفرصة فى الوقت نفسه فمد سلطانه على بلاد الشام الى الفرات ، غير أن ذلك لم يدم طويلا لأن نبوخذنصر زحف على بلاد الشام ومصر ووطد سلطانه عليها . ومما يخطر بالبال أنه كان هنالك ممالك آرامية فى بعض انحاء سورية لم تزل بالاكتساح الأشورى شأن ممالك فينيقية وشرق الأردن وغربه وهى التى اغتنمت الفرصة فتفلتت من سيطرة أشور ثم أخذت تنشط بسبيل التوسع والتبسط فكانت الغزوة المذكورة من آثار ذلك .

ومن الجدير بالذكر أنه ألم وهن وارتباك بمملكة مصر فى أوائل القرن التاسع كما ألم مثل ذلك فى نفس الظرف بمملكة أشور وامتد الوهن والارتباك فيهما نحو قرن ونصف على ما مر ذكره فى الجزءين الثانى والثالث فكان ذلك مما جعل مملكة دمشق الأرامية تبرز كأقوى دولة فى الشرق العربى وتحاول أن تمد سلطانها الى شرق الأردن وغربه وتنجح فى محاولتها مرة بعد مرة .

- ٦ -

وثانيا ـ ان سفرى الملوك الاول والثانى (الثالث والرابع)

وسفر أخبار الايام الثانى سجلت بعض أحداث جرت بين الدولتين الاسرائيليتين ومصر أيضا .

منها وهو أهمها ما ذكره الاصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الاول ـ الثالث والاصحاح الثانى عشر من سفر أخبار الأيام الثانى من زحف شيشق على دولة يهوذا فى عهد رحبعام ابن سليمان واستيلائه على مدن عديدة من مدن يهوذا ودخوله أورشليم وأخذه جميع ما وجده فى خزائن الملك والمعبد من ذخائر وفضة وذهب . ومما جاء فى الاصحاح الثانى عشر من سفر الأخبار الثانى أن شيشق صعد على أورشليم فى الف ومئتى مركبة وستين الف فارس وأعداد لا تحصى كثرة من اللوبيين والكوشيين والسكيين .

والاصحاحان لا يذكران بصراحة أن شيشق بسط سيطرته على دولة يهوذا او دولة اسرائيل غير أن شيشق قد سجل ذلك فى سياق تسجيله خبر غزوته على ما ذكره أحمد كمال وبريستيد (١) وأوردناه فى مناسبة سابقة . وقد ذكر أحمد كمال أن النقش على السور القبلى من هيكل الكرنك وأنه صور نفسه فيه متوجا بتاج الصعيد والبحيرة وبيده اليمنى سيف يقتل به جما غفيرا من اعدائه الخاضعين أمامه وأنه سجل أسماء المدن التى

---

(١) العقد الثمين لاحمد كمال ص :١٥٠-١٥٦ وتاريخ مصر من أقدم العصور ، بريستيد ص ٣٥٧ - ٣٦٢ .

فتحها مكتوبة فى ست وتسعين « خانة » وعلى كل منها صور الأعداء مرسومة لبيان أهل كل بلد • وبين صور الأسرى صورة ملك فلسطين موثق اليدين وقد ذكر بريستيد أن ملك بنى اسرائيل كان فى الحقيقة بمثابة وال على فلسطين تحت النفوذ المصرى الاسمى وأنه كان متزوجا ببنت شيشق ، وأن سلطان شيشق شمل جميع فلسطين أى دولتى يهوذا واسرائيل وأن فى نقوشه ١٥٦ صورة لرجال من أهل فلسطين كل منهم يرمز الى مدينة من المدن التى استولى عليها وقد كتب تحت كل رجل اسم المدينة التى يمثلها ومن جملة المدن مجدو ورحوب وحفرايم وبيت شين وايالونا وجيبون وسكو وبيت آنون وشرحان • وهذه المدن هى فى مختلف أنحاء فلسطين الشمالية والجنوبية والشرقية •

ثم ضعفت مصر بعد شيشق وخفت هيمنتها ثم زالت عن دولتى اسرائيل ويهوذا (١) وظل الامر كذلك من أوائل القرن التاسع الى اواخر القرن الثامن وبتعيين أدق الى بدء عهد الأسرة الخامسة والعشرين المصرية الأثيوبية التى كان حكمها بين سنة ٧١٢ و٦٦٣ ق•م حيث عادت مصر للاهتمام بالبلاد الشامية • وكان ذلك فى ظروف قوة مملكة أشور وامتداد سلطانها الى هذه البلاد فاخذينشب بين الدولتين منافسة وصيال كان النصر فيهما للاشوريين •

---

(١) العقد الثمين لاحمد كمال ص ١٥٤-١٥٩ .

وفى الاصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثانى ـ الرابع خبر مخالفة هوشع على شلمناصر ملك آشور وارساله رسلا الى سوا ملك مصر وعدم أدائه الجزية المفروضة عليه • ومن المحتمل كثيرا أن يكون سوا هذا هو شباقا أو سباقون أول الملوك الذين حكموا مصر من الأسرة الأثيوبية المذكورة • وقد ذكر أحمد كمال (١) فى سياق سيرة شباقا هذا أن ملوك فينيقية وفلسطين وبنى اسرائيل أرسلوا اليه يعرضون التحالف معه على ملك آشور شلمناصر وأنه وافق على ذلك على أمل بسط سلطانه على هذه البلاد كما كان الأمر فى عهد أسلافه ، واعتبر مساعدته لهم كمساعدة الرئيس للمرءوس ، وأدته مبالغته فى دعواه الى أن تقش على حيطان الكرنك أنه أخذ الجزية من بلاد الشام كمشاهير ملوك مصر • ولا ندرى هل ما سجله كان واقعيا او مبالغة كما يقول أحمد كمال •

وعلى كل حال فان هذا كان من أحداث الصلات بين مصر ودولتى يهوذا واسرائيل بعد انقطاع طويل • وقد أدى هذا الى نسف دولة اسرائيل من قبل ملوك آشور على ما سوف نذكره بعد • ومما ذكره أحمد كمال أن شباقا جاء على رأس جيشه الى غزة حينما زحف سرجون ونسف دولة اسرائيل ولكنه انهزم أمامه •

---

(١) العقد الثمين ص ١٧٦ـ١٧٨.

وفى الاصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الثانى ـ الرابع أن سنحاريب ملك أشور أرسل الى حزقيا ملك يهوذا يقول له ان مصر التى اتكأت عليها هى قصبة مرضوضة ويفيد هذا أن يهوذا كانت متحالفة مع مصر ضد أشور بعد نسف دولة اسرائيل • وقد كان طرهاقة أحد ملوك الاسرة الخامسة والعشرين الاثيوبية فى هذا الظرف يتصاول مع أشور ويتصل بملوك الشام بسبيل ذلك، وقد تغلب عليه الأشوريون (١) •

وفى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الملوك الثانى خبر صعود نكو ملك مصر فى زمن يوشيا ملك يهوذا • وقد ذكر هذا الخبر أيضا فى الاصحاح أن ملك مصر صعد لقتال كركميش فى الفرات فخرج عليه يوشيا ملك يهوذا فأرسل اليه مالى ومالك أنا لست عليه اليوم فلم يحول يوشيا وجهه عنه بل تشدد لمحاربته وجاء الى قتاله فى وادى مجدو فرمت رماة مصر نحو يوشيا فأصابه سهم فنقل الى أورشليم حيث مات • وقد نادى الشعب بيواحاز ابنه ملكا على يهوذا ولكن ملك مصر لم يقبل به وعزله وقبض عليه وأخذه معه الى مصر وأقام أخاه الياقيم ملكا وفرض على دولة يهوذا مائة قنطار فضة وقنطارا من الذهب •

---

(١) العقد الثمين لاحمد كمال ص ١٧٦ وما بعدها وتاريخ كلدة واشور لادى شير ص ٨٦ وما بعدها وتاريخ مصر من أقدم العصور لبريستيد ص ٣٦٣ وما بعدها •

ونكو هذا هو نخو الثانى ثانى ملـــوك الأسرة السادسة والعشرين المصرية التى انتعشت مصر فى عهدها انتعاشها القــوى الأخير وكان حكمها بين سنة ٦٦٣ و٥٢٥ ق٠م على مـــا ذكره برستيد (١) ٠

وقد ذكر أحمد كمال هــذا الحادث ٠ ومما قاله : ان نخو انتهز فرصة انحطاط مملكة أشور فزحف بجيش جرار على آسيا سنة ٦٠٣ ق٠م فتصدى له يوشيا ملك يهوذا فأصيب بسهم مات به فانبسطت سيرة نخو على فلسطين ثم زحف منها نحــو الشام فاستولى على كمدش ثم على قرقميش ثم واصل سيره حتى وصل الى الفرات ٠ وبلغه أن اليهود تظاهروا بالعصيان بعد أن نصبوا بوآحاز ملكا فاستدعاه وعزله وولى أخاه الياقيم مكانه وعاد بعد ذلك الى مصر وقد استولى على فلسطين وبلاد الشام حتى الفرات وبعد قليل زالت دولة أشور وقامت مقامها دولة بابل وأرســـل ملكها الجديد ابنه بختنصر لتوطيد سلطانه على بلاد الشام كما كان قبل فسارع نخو الى لقائه فى الفرات فانهزم شر هزيمة ؛ وفى هذه الأثناء مات الملك فعاد بختنصر الى بابل واغتنم نخو الفرصة فقوى أسطوله وجيشه وأخذ يحرض ملوك الشــــام وفلسطين والأردن على العصيان وكان أول العصاة يهوياقين ملك يهــوذا

---

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور ص٣٨٢ وما بعدها و٤٠٩ ٠

فزحف بختنصر على فلسطين وقهر ملك يهوذا وضرب عليه الجزية، وعاد نخو فحرضه على العصيان ووعده بالمساعدة فأعلن العصيان ثانية فزحف بختنصر عليه وعزله وأقام غيره ملكا ولم يف نخو بوعده . ومما ذكره احمد كمال ولم يشر اليه فى سفر أخبار الأيام الثانى ولا فى سفر الملوك الثانى أن صدقيا ملك يهوذا الذى أقامه بختنصر مكان يهوياقين استنجد بالملك وح أبرع من ملوك الأسرة المصرية المشار اليها على ملك بابل وعقد معه حلفا وحذا حذوه ملوك فينقية أيضا فزحف بختنصر للمرة الثالثة ونسف دولة يهوذا ثم زحف على مصر فاعتقل الملك المذكور وقتله . وقد طابق بريستيد فى جل ما ذكره أحمد كمال من هذا السياق (١). وكان هذا آخر ما جرى من صلات وأحداث بين دولتى يهوذا واسرائيل والمملكة المصرية القديمة .

- ٧ -

وثالثا ــ ان فى الأسفار الثلاثة اشارات عديدة الى ما كان يجرى من الأحداث بين دولتى يهوذا واسرائيل والفلسطينيين

---

(١) تاريخ مصر من أقدم العصور ص ٣٨٢ وما بعدها .

الساكنين فى الجنوب امتدادا لما كان بين الطرفين من صيال قبل قيام الدولتين على ما شرحناه قبل .

ففى الاصحاح السادس عشر من سفر الملوك الأول ـ الثالث أن ناداب بن يربعام ملك اسرائيل كان محاصرا لجبثون مدينة الفلسطينيين حينما ثار عليه بعشا وقتله وآباد نسله ونسل أبيه وحل محله حيث يدل هذا على أن الفلسطينيين أو بعضهم أخذوا يتحرشون ببنى اسرائيل بعد سليمان فى وقت مبكر .

وفى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر أخبار الأيام الثانى خبر تمرد لبنة على يورام بن يوشافاط ملك يهوذا وخروجها من يده ، وهى احدى المدن او الممالك الفلسطينية .

وفى الاصحاح نفسه خبر صعود الفلسطينيين مع العرب الذين هم بقرب الكوشيين على دولة يهوذا واتهابهم جميع ما وجدوه من مال فى بيت الملك وسبيهم أبناء الملك يورام ونساءه باستثناء أصغر بنيه يوآحاز الذى استطاعت أمه أن تخبئه . والخبر يدل على أن دولة يهوذا تعرضت لاكتساح جارف وخاطف .

وفى الاصحاح السادس والعشرين من هذا السفر خبر خروج عزيا ملك يهوذا ومحاربته للفلسطينيين وهدمه أسوار مدن جت وأشدود وبنائه مدنا فى أرض أشدود .

وفى الاصحاح الثامن والعشرين من السفر نفسه خبر انتشار

الفلسطينيين فى مدن السهل وجنوب يهوذا وأخذهم مدن بيت شمس وأيالون وجديروت وسوكو وتسنة وجسزو وتوابعها وسكناهم فيها وكان ذلك فى عهد يوآحاز حفيد عزيا ، حيث يفيد هذا أن أمر دولة يهوذا انتقض فاغتنم الفلسطينيون الفرصة وتمردوا وثأروا لأنفسهم على هذا الشكل الواسع •

وهكذا تدل النصوص على استمرار الصيال وتداول الأيام بين الفلسطينيين واليهود وعلى أن الفلسطينيين ظلوا يحتفظون بكيانهم وقوتهم فى زمن الدولتين الاسرائيليتين استمرارا لما قبل، بل ولقد ذكر الاصحاح الاول من سفر الملوك الثانى ـ الرابع خبر ارسال أحزيا ملك اسرائيل رسلا الى بعل زبوب اله عفرون يسألونه عما اذا كان يبرأ من مرض كان فيه حيث يدل هذا على ما كان للفلسطينيين من تأثير دينى فى بنى اسرائيل ابان الدولتين •

ولقد كان حادث انتشار الفلسطينيين فى مدن السهل وسكناهم فيها فى زمن يوآحاز آخر حادث ذكر فى الأسفار بين دولتى اسرائيل والفلسطينيين ؛ وكان ذلك فى أوائل القرن السابع قبل الميلاد • ولقد أخذت بلاد الشام ومن جملتها شرق الأردن وغربه تتعرض فى هذا الظرف لغزوات واكتساحات الملوك الأشوريين التى نسفت دولتى اسرائيل ثم يهوذا نتيجة لها فكان ذلك مما شغل الفلسطينيين وبنى اسرائيل عن بعضهم كما هو المتبادر •

- ٨ -

ورابعا ـ ان الاسفار الثلاثة ذكرت أحداثا عديدة بين دولتى يهوذا واسرائيل من جهة وبين دول شرق الأردن من جهة أخرى .

وأول ما جاء من ذلك جاء فى الاصحاح الاول من سفر الملوك الثانى ـ الرابع فى عبارة قصيرة وهى « وتمرد المؤابيون على اسرائيل بعد وفاة أخاب» ثم جاء فى الاصحاح الثالث اشارة ثانية الى ذلك مع شىء من البيان حيث قال ان ميشاع ملك مؤاب كان صاحب ماشية وكان يؤدى الى ملك اسرائيل مائة الف حمل ومائة الف كبش بصوفها فلما مات آحاب تمرد على اسرائيل فأرسل يورام بن أخاب الى يوشافاط ملك يهوذا يسأله عما اذا كان يمضى معه الى قتال مؤاب فأجابه الى ذلك فساروا وسار معهم ملك أدوم ، وسمع المؤابيون بصعودهم فاجتمعوا وهاجموا معسكر الحلفاء لأنهم ظنوا أن قتالا جرى بينهم فاشتبكوا مع الحلفاء ودارت عليهم الدائرة والهزيمة وهدم الحلفاء المدن وردموا العيون وقطعوا الاشجار ، ورأى ملك مؤاب اشتداد الحرب فأخذ معه سبعمائة رجل مخترطين السيوف ليخترقوا الى ملك أدوم فلم يقدروا فأخذوا ابنه البكر ـ والعبارة قد تفيد أن الابن المأخوذ ابن ملك أدوم وولى عهده وأصعدوه محرقة على السور فحنق اسرائيل حنقا شديدا وانصرفوا عنه الى أرضهم .

ويتضح من هذه العبارة أن النتيجة كانت خيبة واخفاقا للحلفاء ولا تتسق مع ما ذكرته فى البدء من ضربهم مؤاب وتهديمهم المدن •• ومن الجدير بالذكر أن سفر أخبار الايام الثانى الذى احتوى كثيرا من سيرة ملوك دولتى يهوذا واسرائيل لم يذكر هذا الحادث ، بل ان اصحاحه العشرين ذكر أن بنى عمون وبنى مؤاب ومعهم الادوميون جاءوا الى مقاتلة يوشافاط ملك يهوذا بعد أن ذكر الاصحاحان اللذان قبله قصة صعود يوشافاط ويورام الى راموت جلعاد لاستردادها من الأراميين واخفاق زحفهما وهلاك يورام على ما أوردناه قبل فى بحث الصلات بين دولتى يهوذا واسرائيل نقلا عن الاصحاح الثانى والعشرين من سفر الملوك الأول ـ الثالث والاصحاح الثانى عشر من سفر أخبار الايام الثانى حيث ينطوى فى هذا نقض بالنسبة للأدوميين خاصة لأنهم كانوا مع العمونيين والمؤابيين فى هذه الغزوة • والسفران متطابقان فى قصة صعود الملكين الى استخلاص راموت جلعاد على ما أوردناه قبل •

أما بالنسبة لتمرد ميشع الذى ذكره الاصحاحان الاول والثالث من سفر الملوك الثانى ـ الرابع فقد اكتشف فى ديبان وهى قرية فى البلقاء حجر عرف أنه نصب تذكارى أقامه ميشع نفسه ونقش عليه قصة تمرده على خليفة عمرى وتحريره مملكته

من سيادة دولة اسرائيل وانتصاراته واستيلائه على مواقع عديدة مما فى أيدى بنى اسرائيل فى شرق الأردن •

وهذه ترجمة النقش نقلا من تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنستون ص ١٠٦ وما بعدها :

« أنا ميشع بن لكموش ملك مؤاب الدبونى (١) • حكم والدى مؤاب ثلاثين عاما وملكت بعده • بنيت محلا عاليا للكموش (٢) فى فورخا لانه أنقذنى من جميع الملوك وجعلنى أزدرى أعدائى • وكان عمرى ملك اسرائيل اضطهد مؤاب عدة سنوات لان لكموش كان غاضبا على بلاده أثناءها • خلفه معاصرى ابنه الذى قال أيضا سأظلم مؤاب • لكنى أهلكته وبيته اسرائيل هلاكا أبديا • استولى عمرى على أرض ماديا وسكن عنيها هو وابنه لمدة أربعين سنة • لكن لكموش افتتحها فى عهدى وقد شيدت بعل ميوت وعملت فيها خزانا وأعدت بناء قبر جاثان• سكن رجال جاد (٣) أرض عطروت • فحاربت المدينة واستوليت عليها وقتلت جميع أهلها ليسر لكموش ومؤاب وحملت منها مذبح درده وسحبته أمام لكموش فى المدينة ثم أسكنت فيها

---

(١) نسبة الى دبون عاصمة مؤاب سابقا والتى يقوم مكانها اليوم قرية ديبان التى وجد فيها الحجر •

(٢) اسم اله مؤاب •

(٣) جاد احد أسباط بنى اسرائيل الذين اختصوا بأرض شرق الاردن على ما ذكر قبل •

رجال شارون وماخاروت • قال لى لكموش اذهب وافتح نبو(١) بالقرب من اسرائيل فذهبت اليها ليلا وحاربتها من الفجر حتى الظهر وتغلبت عليها وذبحت جميع سكانها (٧٠٠٠) رجل وولد وامرأة وفتاة وطفل (٢) لانني أوفقهم الى عشـور لكموش • وأخذت منها مذابح يهوا وجردتها على الأرض أمام لكموش • وقد بنى ملك اسرائيل جهاز وقطنها حين كان يعلن الحرب على لكن لكموش هزمه أمامى وافتتحت المدينة وضممتها الى دبون • أنا الذى بنيت فورخا والسور الخشبى والمتاريس وأعدت بناء بواباتها وأبراجها وشيدت قصر الملك وحفرت مجارى خزانات المياه فى المدينة • لم يكن فى فورخا صهريج • لهذا أمرت جميع الناس ليعمل كل منهم صهريجا فى بيته • وحفرت أقبية فورخا بواسطة أسرى اسرائيل • وقد أعدت بناء عروعير وعبدت الطرقات فى أرنون • وأعدت بناء بيت باروت لانها كانت تهدمت• أعدت بناء بيزر لأن كل دبون كانت خاضعة لسلطانى • وحكمت مئة المدينة التى ضممتها الى مملكتى أعدت بناء مادبا واستوليت على بيت ديلاتون وبيت بوميون • وأخذت هناك أصحاب الماشية والقطعان • وسكن الدبونيون فى حوروثان • قال لى لكموش

---

(١) نبو اسم جبل ومدينة فى شرق الاردن مما كان من مساكن بنى اسرائيل فيه •

(٢) يظهر ان عدوى الابادة سرت الى هؤلاء مقابلة بالمثل لان بنى اسرائيل كانوا يعملون ذلك •

اذهب وحارب حوروناث فأطعت وسكن لكموش فيها مدة عهدى»

والنقش يغاير ما ذكره الاصحاح الثالث من سفر الملوك الثانى ـ الرابع من حيث السير والنتيجة كما يفيد أن الحرب بين ميشع ودولة اسرائيل كانت فى عهد خليفة عمرى وابنه وهو أخاب وليس فى عهد يورام بن أخاب . والنقش أوثق لانـــه دون فى ظروف الحوادث ليكون تذكارا للانتصار فى حين أن السفر دون بعـد السبى أى بعد الحوادث ببضع مائة من السنين بحيث يسـوغ القول ان فى روايته خلطا أو غلطا أو تحريفا .

ومفاد النقش ومفاد نص اصحاحات سفر الملـوك الثانى ـ الرابع ـ أن مؤاب كانت تحت سيادة دولة اسرائيل ـ ومفـاد النقش أن هذه السيادة كانت منبسطة فى عهد عمرى فى حين أنـه لم يذكر فى الأسفار أن عمرى حارب مؤاب وفرض سيادته عليها. وكل ما ذكر أن داود فرض سيادته عليها ؛ ولا يمكن الجزم بما اذا كانت هذه السيادة ظلت قائمة منذ ذلك الوقت الى زمن ميشع أم أن عمرى بسطها فى ظرف ما وان لم تذكر الاسفار ذلك . ونحن نرجح هذا لأن سيادة داود لو كانت استمرت على مؤاب وعمون وأدوم لكان ذكر ذلك فى سيرة سليمان مع ان عبارة الاسفار فى هذه السيرة صريحة بأن سلطانه كان قاصرا على أرض اسرائيـل فى غرب الأردن ومنازل اسرائيل فى شرقه فقط . وليست مؤاب وعمون وأدوم منها .

ولقد أشرنا الى ما ذكره الاصحاح العشرون من سفر أخبار الايام الثانى من مجيء بنى عسون وبنى مؤاب والأدوميين الى مقاتلة يوشافاط . وقد جاء فى الخبر أن قوما أتوا وأخبروا يوشافاط بخروج جمهور كثير عليه من عبر البحر من أدوم ــ البحر هو البحر الميت ــ وهم فى حصون تامار التى هى عين جدى . فخاف يوشافاط خوفا شديدا ونادى بالصوم للرب فى جميع يهوذا واجتمع يهوذا فى كل المدن ليبتهلوا للرب ، واستغاث يوشافاط باله اسرائيل وذكر ما كان من سابق عنايته بشعبه منذ خروجه من مصر وقال له هؤلاء بنو عسون والمؤابيون وأهل جبل سعير آتون لطردنا من ميراثنا الذى ورثتنا اياه . وليس لنا قوة ازاء جمعهم العظيم ولا نعلم ماذا نصنع وانما عيوننا اليك ، وأوحى الرب على لسان نبى اسمه يحزئيل فطمأنهم وشدد من عزيمتهم وقال لهم لا تخافوا واخرجوا فى وجوههم ولا تحاربوهم ويكون الرب معكم . فسجدوا شكرا وبكروا بالخروج وهم يبتهلون للرب ويسبحونه وينفخون بالابواق ، وأثار الرب الفتنة بين الغزاة فسلط المؤابيين والعمونيين على أهل جبل سعير حتى أهلكوهم ثم أثارها فيما بينهم فأخذ يقتل بعضهم بعضا ونظر يهوذا الى البرية فاذا الجميع صرعى لم يكد ينجو منهم أحد فتقدموا واستلبوا أمتعتهم وأموالهم التى كانت اكثر مما أمكنهم حمله حتى لقد ظلوا ثلاثة أيام وهم يجمعون ثم

رجعوا مهللين مستبشرين الى أورشليم ثم دخلوا الى بيت الرب باحتفال عظيم ، وحل رعب الله على جميع ممالك الأرض لما سمعوا أن الرب حارب أعداء اسرائيل ، واستراحت مملكة يوشافاط لأن الهه أراحه من كل جهة ..

وأثر الخيال قوى فى هذا السياق كما هو واضح . ومن العجيب أن يحكى عن يوشافاط هذا الهلع الشديد فى حين أن اصحاحين قبل هذا الاصحاح أى الاصحاحين السابع عشر والثامن عشر من سفر أخبار الايام الثانى نفسه أطنب اطنابا عظيما فيما كان عليه يوشافاط من قوة وعظمة ومجد وكثرة محاربين بلغ مجموعهم (٧٢٠) ألفا ، والعبارة الاخيرة تفيد أن الادوميين تحرروا من سلطان دولة يهوذا وظلوا متحررين الى النهاية لأن هذه الاسفار قد دونت فى أثناء السبى أو بعده وأن ضرب يورام للأدوميين كان بمثابة معركة من المعارك لم ينتج عنها اعادة سلطانه عليهم .

ومع هذا فانه يبدو فى خبر خروج الأدوميين فى عهد يورام مناقضة معما ذكره الاصحاح الثالث من سفر الملوك الثانى ـ الرابع الذى ذكر خبر زحف يورام ويوشافاط على مؤاب لتمردها حيث ذكر فى سياقه أن ملك أدوم مضى معهما لقتال مؤاب وحيث يفيد هذا أنه كان لأدوم ملك قائم فى عهد يورام ويوشافاط

ومتحالف معهما . كذلك فى الخبر مناقضة لما ذكره الاصحاح العشرون من سفر أخبار الأيام الثانى الذى يذكر أن بنى مؤاب وبنى عمون ومعهم الأدوميون جاءوا لقتال يوشافاط ملك يهوذا ، حيث يفيد هذا أن الأدوميين لم يكونوا تحت حكم يهوذا فى زمن يورام بن يوشافاط بل ولا تحت حكم أبيه قبله ، وحيث يسوغ القول أن الخيال لعب فى هذه القصة أيضا كما لعب فى سابقة لها .

ولقد ذكر الاصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الثانى — الرابع أن أمصيا بن يواش وهو حفيد يورام قتل من الأدوميين فى وادى الملح عشرة آلاف وأخذ الصخرة بالحرب . وهذا الخبر ذكر فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر أخبار الأيام الثانى مع تسمية الأدوميين باسمهم الثانى بنى سعير والصيغة التى ورد بها الخبر فى هذا الاصحاح تختلف حيث جاء فيها أن أمصيا كسر من بنى سعير عشرة آلاف وأسر بنو يهوذا عشرة آلاف أحياء واتوا بهم رأس الصخرة وطرحوهم منها فتحطموا بأجمعهم . ويفيد الخبر مع ما فيه من قسوة فظيعة أن الأدوميين ظلوا فى حالة حرب وعداء ضد دولة يهوذا الى ما بعد يورام بمدة طويلة . والمعقول أنه كان لهم ملك . وهذا ما يستفاد من خبر ذكره الاصحاح السادس عشر من السفر نفسه حيث ذكر أن رصين ملك آرام استرد ايله للأدوميين وطرد اليهود منها وجاء الأدوميون

فأقاموا هناك الى هذا اليوم (١) ، ثم من خبر ذكر فى الاصحاح الثامن والعشرين من سفر أخبار الايام الثانى جاء فيه أن الأدوميين زحفوا وضربوا يهوذا وأخذوا سبيا . وكان ذلك فى عهد الملك آحاز وهو بعد أمصيا بمدة طويلة ايضا .

ومما ذكرته الأسفار من أحداث بين دولتى اليهود ودولة شرق الاردن ما ذكره الاصحاح السادس والعشرون من سفر أخبار الأيام الثانى من أن العمونيين قد أدوا الجزية الى عزيا الذى امتد اسمه الى مدخل مصر وكان قويا للغاية ، ومنها ما ذكره الاصحاح السابع والعشرون من السفر نفسه من قتال يوتام بن عزيا لملك بنى عمون وتغلبه عليه وأدائه جزية سنوية قدرها مائة قنطار فضة وعشرة آلاف كر من الحنطة ومثلها من الشعير حيث يفيد هذا أن ملك عمون تمرد عليه فقاتله فخضع له ومنها ما ذكره الاصحاح الثامن والعشرون من السفر نفسه كذلك من زحف الأدوميين وضربهم يهوذا وأخذهم سبيا منها فى عهد الملك آحاز بن يوتام حيث يفيد هذا انتقاض أمر دولة يهوذا بعد يوتام وتجرؤ الأدوميين عليها بالاضافة الى الأراميين والفلسطينيين أيضا مما ذكرناه قبل ، واحتمال تفلت عمون فى هذا الظرف من سيطرتها .

---

(١) قد تفيد العبارة أن ايله ظلت فى يد الآدوميين الى ما بعد السبى لان سفر الاخبار دون بعد السبى على ما ذكرناه قبل .

وآخر ما ذكرته الاسفار من أحداث بين دول شرق الأردن واليهود ما ذكره الاصحاح الرابع والعشرون من سفر الملوك الثاني ـ الرابع بعبارة مقتضبة وهى أن الله أرسل على يواقيم ملك يهوذا غزاة مؤاب وغزاة بنى عمون فى جملة من أرسلهم عليه من الغزاة . وهذا الظرف يصادف ظروف سقوط الدولة الاشورية وقيام دولة بابل التى كان نبوخذ نصر نجمها اللامع ، وبالتالى لظروف الارتباك الذى ألم بالدولة الاشورية واغتنام بلاد الشام للفرصة وتفلتها من سيطرتها لفترة قصيرة .

والخبر يؤيد استنتاجنا السابق من تفلت العمونيين من سلطان دولة يهوذا كما هو واضح .

وعلى كل حال فالنصوص تدل على أن دول شرق الاردن الثلاث مؤاب وعمون وأدوم كانت وظلت تحتفظ بكيانها فى عهد دولتى اليهود وكان يقوم بينها وبين هاتين الدولتين صيال تتداول فيه الايام بينهما .

هذا ، وفى الاصحاح الرابع عشر من سفر أخبار الايام الثانى خبر زحف الكوشيين بزعامة ملكهم زارح على دولة يهوذا فى عهد آسا بألف ألف مقاتل وثلاثمائة مركبة ووصولهم الى مريشة ، ومع أن هذا السفر ذكر قبل ذكر هذا الخبر مباشرة أنه كان لآسا جيش قوامه (٣٠٠٠٠٠) حامل رمح وترس من يهوذا و(٢٨٠٠٠٠) حامل قسى وترس من بنيامين فقد ذكر أن آسا ارتاع من الزحف

وطلب من ربه نصر عدده القليل على عدد الزاحفين الكثير وأن الله استجاب له فانهزم الكوشيون فطاردهم آسا بجيشه الى جرار وفتك بهم « حتى لم يكن حى » ثم ضرب جميع المدن حول جرار ونهبوها ونهبوا مقادير عظيمة من الماشية ايضا •

وفى الخبر والارقام خيال كبير كما هو المتبادر • وهو متناقض مع خبر آخر جاء فى الاصحاح السادس عشر من السفر نفسه حيث ذكر أن بعشا ملك اسرائيل صعد على آسا وضرب عليه حصارا فى الرامة فأرسل آسا ما عنده من ذهب وفضة الى بنهدد ملك الآراميين واستنجد به على بعشا • فدولة عندها كل القوة الحربية الهائلة وقد تمكنت من كسر زحف بقوة عظيمة تذعر من زحف بعشا وترسل فتستنجد بملك آرام !

وجرار عاصمة مملكة قديمة جدا كانت قائمة قبل طروء ابراهيم • وكان اسم ملكها أبيمالك فى عهد ابراهيم واسحق وكانت فى شرق خان يونس وهى المعروفة اليوم باسم أم الجرار على ما مر بيانه فى بحث سابق • والخبر يفيد على كل حال أن هذه المملكة ظلت قائمة فى عهد مملكة داود وسليمان ثم فى عهد دولتى يهوذا واسرائيل وأخذت تناوىء اليهود وتحاول ازعاجهم فى جملة من كان يناوئها ويزعجها من سكان البلاد الأولين فى شرق الاردن وغربه •

وقد ألحقنا هذا الزحف بسلسلة الاحداث بين دول شرق الاردن ودولتي اليهود لأنه من بابها •

- ٩ -

وخامسا ــ وقد سجلت الاسفار والمأثورات الاشورية التاريخية معا أحداثا عديدة بين دولتي اليهود وبين الأشوريين والكلدانيين من بعدهم الذين ورثوا مملكتهم ، وقد اتصلت هذه الاحداث الى أن قضت على هاتين الدولتين •

وأول ما ذكر فى الاسفار من هذه الأحداث ما ورد فى الاصحاح الخامس عشر من سفر الملوك الثانى ــ الرابع من أن فول ملك آشور جاء على الارض فأعطاه مناحيم ملك اسرائيل ألف قنطار (وزنه) فضة حتى تكون يده معه لاقرار الملك فى يده • ومناحيم هذا استولى على الملك عنوة بعد قتله لشلوم بن بابيش • واسم فول ليس بين الأسماء المأثورة لملوك أشور • وظروف حكمه مصادفة لظروف بروز وحكم تغلث فلاسر الثالث الذى سجل له نشاط كبير وسلطان على بلاد الشام ، حيث يمكن أن يكون هو الملك المعنى •

ثم ذكر الاصحاح نفسه خبر قدوم تغلث فلاسر فى أيام فقح

ابن رمليا الذى أخذ الملك عنوة من فقيحا بن مناحيم المذكور وقتله اياه وأخذه مدن عيون وآبل بيت معكة ويانوح وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وجميع أرض نفتالى وجلاهم الى أشور . وقد يكون هذا مؤيدا لاحتمال كون الملك الذى أرسل اليه مناحيم الهدايا هو تغلث ، وقد يكون زحف تغلث للانتقام من فقح الذى أخذ الملك عنوة من ابن مناحيم الذى من الممكن أن يكون تغلث اعتبره فى حمايته منذ عهد أبيه . ثم ذكر الاصحاح السادس عشر خبر استنجاد آحاز ملك يهوذا بتغلث فلاسر بسبب تحالف فقح بن رمليا مع رصين ملك دمشق عليه وزحفهما على بلاده وارساله ما كان فى بيت الرب وخزائن الملك من فضة وذهب اليه هدية . وقد أجابه ملك أشور وصعد الى دمشق فأخذها وسباها وقتل رصين . وذهب آحاز الى دمشق لمقابلته . وهكذا تكون دولتا اليهود قد دخلتا فى سلطان أشور فعلا منذ حكم تغلث فلاسر الثالث ، واستمر ذلك الى النهاية .

ثم ذكر الاصحاح السابع عشر صعود شلمناصر ملك أشور على هوشع ملك يهوذا واخضاعه له وأدائه الجزية . وقد ذكر الاصحاح أن ملك أشور علم أن هوشع مخالف عليه وأنه أرسل رسولا الى سوا ملك مصر (هو شباقا على الارجح) وتأخر عن أداء الجزية المعتادة فقبض عليه وأرسله مكتوفا الى السجن وصعد على السامرة وحاصرها ثلاث سنين واستولى عليها وجلا

اسرائيل الى أشور وأسكنهم فى وادى نهر الخابور ومدائن مادى وكان ذلك فى السنة التاسعة من ملك هوشع فكان ذلك نهاية دولة اسرائيل على ما تفيده عبارة الاصحاح •

ثم ذكر الاصحاح الثامن عشر أن سنحاريب صعد على مدن يهوذا المحصنة وأخذها فى عهد الملك حزقيا فأرسل اليه حزقيا أنى أخطأت فانصرف عنى ومهما تضرب على أنفذه لك فضرب عليه ثلاثمائة قنطار أو وزنه فضة وثلاثين قنطار ذهب فأداها اليه حتى أنه نزع الذهب عن أبواب الهيكل ودعائه لذلك • ومما ذكره الاصحاح أن ملك أشور أرسل من لاكيش حيث كان يقيم ـ وهى احدى مدن يهوذا المحصنة ـ جيشا عظيما بقيادة ثلاثة من قواده وهم ترتان وربساريس وربشاقا فأتوا الى أورشليم ونادوا الملك فخرج اليهم الياقيم قيم بيت الملك وشينا كاتبه ويواخ المسجل فقال لهم ربشاقا قولوا لحزقيا ان الملك يقول لك ما هذا الاتكال الذى اتكلته حتى تمردت على انك انما اتكلت على مصر وهى قصبة مرضوضة فهلم الى الحرب مع سيدى وأنا أقدم لك ألفى فرس ان وجدت لك فرسانا ـ والاسلوب أسلوب الهازىء المتحدى ـ لقد قال لى الرب اصعد على هذه الارض واخربها فقال له وفد الملك كلم عبيدك بالآرامية فانا نفهمها ولا تكلمنا باليهودية على مسامع الشعب القائمين على السور فقال لهم ربشاقا ان سيدى ارسلنى لاقول هذا الكلام للرجال القائمين

على السور أيضا ليأكلوا عذرتهم ويشربوا بولهم معكم ثم رفع ربشاقا صوته وأخذ يوجه الخطاب باليهودية للرجال مندداً بحزقيا مهدداً متحدياً • فعاد الوفد وقد مزقوا ثيابهم الى حزقيا وأخبروه بما حصل فمزق هو الآخر ثيابه ودخل الى بيت الرب للاستغاثة وأرسل الى أشعيا النبى يستنجد به فأرسل هذا اليه بلسان الرب مطمئنا داعيا الى عدم الخوف واعدا بضرب ملك أشور مذكرا بما كان من تأييد الرب لاسرائيل فاستبشر حزقيا وأخذ يسبح ويقدس الرب • ويقول الاصحاح ان ملاك الرب خرج فى الليل فقتل من جيش أشور مائة وخمسة وثمانين الفا وحينئذ ارتحل سنحاريب راجعا الى نينوى حيث وثب عليه شخص واغتاله •

ثم ذكر الاصحاح العشرون أن بروداك بلادان ملك بابل أرسل الى حزقيا هدايا يحملها وفد وأن حزقيا أطلع الوفد على جميع ذخائره ونفائسه • ولقد كان بلادان من المتمردين على سلطان أشور والساعين فى التأليب عليه على ما شرحناه فى الجزء الثالث حيث يحتمل أن تكون هذه الحركة منه بسبيل ذلك ، وحيث يكون ذكر هذا من دلائل صحة كثير مما احتواه السفر من الأخبار •

ثم ذكر الاصحاح الرابع والعشرون والاصحاح الخامس والعشرون أن نبوخذنصر ملك بابل صعد الى فلسطين فصار له يواقيم عبدا ثلاث سنين ، ثم تمرد عليه • وأن عبيد نبوخذنصر

صعدوا على يوياكين الذى صار له الملك بعد وفاة يوياقيم أبيه وضربوا الحصار على أورشليم ثم جاء نبوخذنصر نفسه فخرج اليه يوياكين هو وأمه وعبيده ورؤساؤه وخصيانه فأخذهم جميعا وأخرج جميع كنوز بيت الرب وجميع كنوز بيت الملك وكسر جميع آنية الذهب التى عملها سليمان وأخذها وأجلى جميع أورشليم وجميع الرؤساء والمقتدرين وجميع الأقيان والمحصنين وجميع عظماء الارض وجميع رجال البأس وهم سبعة آلاف وجميع الأقيان والمحصنين وهم ألف أبطال حرب الى بابل ولم يبق الا المساكين ، وأقام متيا عم يوياكين ملكا وسماه صدقيا ، وأن هذا تمرد على ملك بابل فصعد نبوخذنصر على أورشليم وضرب عليها الحصار حتى اشتد الجوع على السكان فثغروا المدينة (١) وهرب جميع رجال الحرب من الباب الذى بين السورين فجرى جيش الكلدانيين فى أثرهم وأدركوا الملك فى صحراء أريحا فأخذوه الى نبوخذنصر الذى ذبح ابنيه امامه ثم فقأ عينيه وأوثقه بسلسلتين من نحاس وأرسله الى بابل . ثم قدم نبوزردان رئيس شرط ملك بابل الى أورشليم فأحرق بيت الرب وبيت الملك وجميع بيوت اورشليم وجلا من بقى من الفئات المهمة ولم يترك الا المساكين الكرامين والفلاحين . وقد حمل معه الى

---

(١) العبارة قد تفيد انهم شغبوا وثاروا وقد تفيد انهم فتحوا ثغرة فى السور.

بابل أعمدة النحاس وقواعد النحاس وأحواض النحاس التى كانت فى بيت الرب والقدور والمجارف والجامات والصحون وجميع أدوات النحاس والمجامر والمقاريض من ذهبية ونحاسية . وكان طول العمود الواحد ثمانى عشرة ذراعا وعليه تاج سمكه ثلاثة أذرع وعلى التاج حبيكة ورمان . وأخذ معه الكاهن الاول والثانى وحفظة الاعتاب وخصيا من الذين كانوا يتولون الحرب وخمسة رجال ممن يشاهدون الملك الذين وجدوا فى المدينة وكاتب رئيس الجيش الذى كان يجمع شعب الارض وستين رجلا من شعب الارض الذين وجدوا فى المدينة وسيرهم الى ملك بابل فى ربلة فى أرض حماة فضربهم وقتلهم وجلا يهوذا من أرضهم . وولى ملك بابل على من أبقاهم فى الأرض جدليا بن أخيقام بن شافان . فكان فى ذلك نهاية دولة يهوذا لاحقة بدولة اسرائيل .

وجل ما ورد من أحداث بين العراق ودولتى اليهود ورد فى سفر الملوك الثانى ولم يرد فى سفر أخبار الايام الثانى الذى احتوى كثيرا من سيرة ملوك الدولتين الا نتف يسيرة ، منها المتطابق مع ما ذكره سفر الملوك الثانى ومنها المتغاير .

وقد ذكر الاصحاح الثامن والعشرون منه خبر استنجاد آحاز بملوك أشور لينجدوه وقال ان تغلث فلاسر ملك أشور وفد عليه وضيق عليه ولم يؤيده فأخذ قسما من بيت الملك وقسما من بيت الرب وقسما من الرؤساء (يقصد ذهبا أو مالا كما هو

المتبادر) وأعطاه لملك أشور فلم يغن عنه ذلك ، وهذا مناقض لما جاء فى الاصحاح السادس عشر من سفر الملوك الثانى • وقد ذكر الاصحاح الثاني والثلاثين خبر وفود سنحاريب على يهوذا قاصدا حربها بصيغة تختلف بعض الشيء عما ذكر فى الاصحاح الثامن عشر من سفر الملوك الثانى ـ الرابع وتفيد أن حزقيا وجماعته لم يرتاعوا بالصورة التى صورها هذا الاصحاح من تحديد سنحاريب وتنديده ، وأن حزقيا صلى لله وقدسه فكانت المعجزة التى هلك بها جيش سنحاريب وقد ذكر الاصحاح الثالث والثلاثون خبر صعود جيش أشور وأخذهم ملك يهوذا منسى موثقا بالاصفاد الى بابل ثم خبر عودته الى أورشليم بمعجزة ربانية • وهذا الخبر لم يرد فى سفر الملوك الثانى • وقد ذكر الاصحاح السادس والثلاثون وهو الاخير خبر صعود نبوخذنصر ملك بابل على يوياقيم ثم اعتقال يوياكين ثم صدقيا وتدمير أورشليم وقتله مختارى سكانها بالسيف وأخذه جميع آنية بيت الرب والملك والرؤساء واحراق بيت الرب وجميع القصور واتلاف كل نفيس واجلاء من نجا من السيف الى بابل بما يقارب ما جاء فى سفر الملوك مع بعض الخلاف ، وقد انتهى الاصحاح بالقول ان المسبيين صاروا عبيدا لملك بابل وبنيه حتى ملكت دولة فارس لكى يتم ما تكلم به الرب بفم أرميا حتى استوفت الارض سبوتها الى تمام سبعين سنة • وفى السنة الاولى لكورش ملك فارس

نبه الرب روحه فأطلق نداء فى مملكته قائلا هكذا قال كورش ملك فارس جميع ممالك الارض قد أعطانيها الرب اله السموات وأوصانى بأن أبنى له بيتا فى أورشليم التى بيهوذا فمن كان منكم من شعبه أجمع فالرب الهه معه فليصعد •

وهذه العبارة تدل دلالة حاسمة على أن هذا السفر قد كتب بعد السبى كما هو واضح •

وفى المأثورات الاشورية أحداث عديدة منها ما لم يرد فى السفرين ومنها ما ورد متطابقا مع ما فيهما قليلا أو كثيرا ومنها ما ورد متغايرا قليلا او كثيرا •

والمستفاد منها أن أول من سجل للملوك أشور نشاط وغزوات نحو بلاد الشام هو أشور ناصر بال الثالث (٨٨٥ ــ ٨٦٠ ق٠م) وقد سيطر على هذه البلاد داخلها وساحلها وفينيقية وذكر ذلك فى نقوشه (١) • ومع أن نقوشه لم تذكر دولتى اليهود فالمتبادر أنه لا يعقل أن تكونا ظلتا فى نجوة من هذه السيطرة • ثم كانت السيطرة لابنه شلمناصر الثالث (٨٦٠ ــ ٨٢٥) • ومما ذكرته المأثورات (٢) خبر اشتراك أخاب ملك اسرائيل بمائتى عربة وعشرة آلاف مقاتل مع الجيوش المتحالفة تحت قيادة بنهدد ملك

---

(١) تاريخ كلدة واشور ج آ ص ٥٨ــ٧٦ وتاريخ بابل وآشور لجميل المدور ص ٨٧ و٨٨ والمجلد الاول الجزء الاول من تاريخ سورية للدبس ص ١٩٣ــ١٩٤ •

(٢) تاريخ كلدة واشور ج ١ ص ٥٨ــ٧٦ •

دمشق ضد أشور ، وقد كانت الغلبة لشلمناصر عليها حيث يدل هذا على أن دولة اسرائيل كانت من جملة من اندمج فى حركة المناوأة وبالتالى من جملة من كان خاضعا للسيطرة الأشورية فى أواسط القرن التاسع ، وحيث يعرض بشىء من القوة أن دولة يهوذا كانت كذلك هى الاخرى . وقد ذكرت المأثورات أن الياهو ملك اسرائيل أرسل هداياه الى شلمناصر الثالث مع وفد خاص معلنا له الولاء حينما قدم الى بلاد الشام فى رحلاته اليها حيث يؤيد هذا ما استنتجناه .

ومما ذكرته المأثورات (١) أن سورية فينيقيـة تمردت على أشور فى عهد أدادنيرى (٨١٢ـ٧٨٣) فتمكن من اخضاعها وقد قرىء فى نقش له خبر خضوع أرض عمرى وبلاد الفلسطينيين له بصراحة (٢) . وأرض عمرى هى أرض دولة اسرائيل نسبة للاسرة المالكة فى تلك الظروف .

وبعد هذا الملك ألم بالدولة الأشورية شىء من الارتباك استمر الى أن برز تغلث فلاسر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق.م) الذى وطد سيطرة دولته على بلاد الشام ومن جملتها دولتى اليهود على ما تفيده المأثورات (٣) التى تؤيدها نصوص سفر الملوك

---

(١) تاريخ كلدة وآشور ج ١ ص ٥٨ـ٧٦ .
(٢) مقال فى العبرانيين للمطران الدبس ص ٤٥٧ـ٤٥٨)
(٣) تاريخ كلدة وآشور ج ١ ص ٨٠ـ٨٦ .

الثانى التى أوردناها قبل • وقد قرىء فى نقش له أنه أخضع لسلطانه اثنين وأربعين شعبا ومن جملتهم فلسطين وسورية وفينيقية وبلاد العرب • وقرىء فى نقش آخر له انه استولى على مدن جلعاد وآبل معكة وأخضع حنون ملك غزة وأرض بيت عسرى واجلاء وجهاء قومها الى آشور وقتل فقح ملكها وآقام هوشع مكانه وأخذ من هذا عشر وزنات من الذهب وألف وزنة من الفضة (١) •

وخلف هذا على عرش آشور شلمناصر الثالث (٧٢٧ــ٧٢٢) وحركت مصر اسرائيل على سلطان آشور فتمردت فزحف هذا الملك عليه فقدم له هوشع ملكها هدايا كثيرة ولكنه لم يكد يعود الى نينوى حتى تمرد ثانية فزحف ثانية وضرب الحصار على السامرة ومات قبل فتحها وتم ذلك لخليفته سرجون (٧٢٢ ــ ٧٠٥) الذى قضى فى الوقت نفسه على دولة اسرائيل وسبى من أهلها (٢٧٢٨٠) الى بلاده وأرسل مكانهم خلفا من مملكته وآقام على البلاد واليا أشوريا • وقد ذكر هذا فى أحد نقوشه ايضا (٢) ولما مات سرجون عادت مصر فحركت ملوك بلاد الشام ضد أشور فتمردوا وكان حزقيا ملك يهوذا من جملتهم • فزحف سنحاريب

---

(١) مقال فى العبرانيين للدبس ص ٤٥٧ ــ ٤٥٨

(٢) انظر تاريخ كلدة واشور ج ١ ص ٨٦ــ٨٨ ومقال فى العبرانيين للدبس ص ٤٧٤ •

الذى صار له الملك بعد أبيه سرجون (٧٠٥ـ٦٨١ ق٠م) ووطد سلطانه عليها واستولى على ست وأربعين مدينة من مدن يهوذا المحصنة مع عدد كبير من قراها ونهبها وسبى ٢٠١٥٠ من أهلها ثم حاصر أورشليم فذعر حزقيا وأرسل اليه يستغفره ويعلن استعداده لأداء ما يأمر به فأخذ منه ثلاثين وزنة ذهب وثمانمائة وزنة فضة ومقادير كبيرة من الحجارة الكريمة والعاج والثياب والاسلحة ٠ وقد ذكر ذلك فى أحد نقوش سنحاريب ٠ وكان الحادث سنة ٧٠٣ ق٠م وفيه مطابقة لما ذكره سفر الملوك الثانى مع خلاف فى عدد وزنات الفضة ٠ وعادت مصر الى التحريك فعاد حزقيا الى التمرد فأرسل سنحاريب جيشا حاصر أورشليم ثم اضطر الى العودة الى نينوى بسبب وباء وقع فى جيشه ٠ وقد سجل اعماله فى نقوش طويلة ذكر فيها ما كان منه ازاء دولة يهوذا وأوردنا خلاصته آنفا (١) ٠

وخلف هذا ابنه أسرحدون (٦٨٠ـ٦٦٧ ق٠م) وقد وطد سيطرته على بلاد الشام ومن جملتها دولة يهوذا التى ظلت فى نطاق حدودها بعد زوال دولة اسرائيل مع بقاء بلاد هذه الدولة الزائلة تحت ادارة وال آشورى ٠ وقد ذكر أسرحدون فى نقوشه

---

(١) تاريخ كلدة وآشور ج ٢ ص ١٠١ـ١١٤ وانظر ايضا تاريخ بابل وآشور ص ١٠١ وما بعدها والجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للدبس ص ٣١٢ـ٣١٣ ومقال فى العبرانيين له ص ٩ ٤٠

منسى ملك يهوذا فى جملة من قدم عليه من الملـــوك فى احدى رحلاته وقدموا له الولاء والهدايا •

وحركت مصر بلاد الشام فتمردت وكان من الجملة منسى ملك يهوذا فسير أسرحدون جملة تمكنت من اخضاعهـا وأسر منسى وارساله مكبلا الى بابل وهناك تعهد بالولاء والخضوع فأعيـد الى عرشه • ويتطابق هذا مع ما جاء فى الاصحاح الثالث والثلاثين من أخبار الايام الثانى (١) •

وقد خلف أسرحدون أشور بابنيـال (٦٦٧ ـ ٦٢٧ ق٠م) فتمكن من توطيد سيطرته على بلاد الشام ومن جملتها دولة يهوذا ثم على مصر أيضا (٢) مع بقاء أراضى دولة اسرائيل الزائلة تحت حكم وال أشورى •

وبعد هذا ألم بالدولة الاشورية ارتباك ثم تحالـــف عليها البابليون والماديون فنسفوها وتقاسموها وقامت على أنقاضهـا فى بابل دولة جديدة (٦٠٨ ـ ٥٣٨ ق٠م) كان نجمها اللامـع نبوخذنصر • وقد اغتنم نخو ملك مصر الفرصة فمد سلطانه على بلاد الشام فى فترة الارتباك ومن جملتها دولة يهـــوذا فزحف نبوخذنصر فى عهد أبيه ملك بابل ووطد سيطرته على بلاد الشام

---

(١) تاريخ كلدة واشور ١ ـ ص ١١٢ ـ ١٢٤ وتاريخ بابل واشور ص ٦١ وما بعدها والجزء الاول من المجلد الاول من تاريخ سورية للدبس ص ٢١٤ـ٢١٥ •

(٢) تاريخ كلدة واشور ج ١ ص ١٢٢ ـ ١٢٥ •

ثم على مصر ، ومن جملتها دولة يهوذا التى أبقى على حكمها ملكها وكان يواقيم . والمتبادر أنه أبقى القسم الذى كان يقوم فيه دولة اسرائيل ولاية كما كان الامر فى عهد الاشوريين .

غير أن مصر عادت فحركت هذه البلاد ومن جملتهم يواقيم ملك يهوذا فزحف على أورشليم وكان قد صار ملكا بعد ابيه (٦٠٤ـ٥٦٢ ق.م) سنة ٥٩٩ وأخذ الرهائن من يواقيم الذى أعلن خضوعه ، ثم حركت مصر بلاد الشام ثانية فاستجاب يوباكين ملك يهوذا الذى خلف أباه للتحريض فزحف بختنصر على أورشليم ونهبها وأجلى كثيرا من أهلها وقبض على يوباكين ونفاه مع جماعة كبيرة من نسائه وأخصائه وأقام ملكا جديدا سماه صدقيا ووصفه مؤلف كتاب تاريخ كلده وأشور بأخى يوياكين خلافا لسفر الملوك الثانى الذى وصفه بأنه عمه ، وعادت مصر الى التحريض فاستجاب صدقيا فزحف بختنصر لثالث مرة سنة ٥٨٩ وفى هذه المرة قتل الملك وأبناءه ودمر مدينة أورشليم وأسوارها وهيكلها وأحرقها بالنار ونهب خزائنها وأجلى عددا عظيما من أهلها فكان ذلك نهاية دولة يهوذا أيضا (١) .

وينتهى هنا ما أمكن اثباته من تفصيل الصلات بين دولتى بنى اسرائيل والدول والشعوب الأخرى .

---

(١) تاريخ كلدة وآشور ج ١ ص ١٢٩ ـ ١٥٢ وتاريخ بابل وآشور ص ١٢٠ وتاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد ص ٣٨٢ ـ ٤٠١ هـ

ويبدو من السلسلة أن هذه الصلات من ناحية بنى اسرائيل كانت حسب الظروف عدائية او عدوانية أو مذبذبة أو غادرة أو فى صورة خضوع وذلة ، وان الشعوب الاخرى عاملتهم بالمثل وكالت لهم بشل كيلهم ، فكانوا فى معظم مدة وجودهم فى عداء وحروب مع الغير وعرضة للغزوات والغارات والسيطرة والاذلال ثم انتهى الامر الى نسف دولتهم واجلائهم عن بلادهم لان الأشوريين والكلدانيين رأوا ذلك هو العلاج الحاسم لما كان منهم من غدر ومراوغات وتذبذب ومحامرات .

- ١٠ -

والآن نأتى الى وصف ما كانت عليه حالة كل من الدولتين الداخلية مما اهتمت به الاسفار اهتماما غير يسير أيضا . ويلحظ أن الاسلوب المتميز الذى كتبت به الأسفار هو ربطها بين الاحداث وبين هذه الحالة ربطا شديدا بحيث كانت دائما تربط بين ما كان يصيب كلتا الدولتين من مصائب داخلية وخارجية ومن نجاح ورفاه وقوة فى الداخل والخارج وبين ما كانت تتقلب عليه حالتهما الاخلاقية والدينية من انحراف واستقامة ، مع شىء من التناقض .

وكانت الانحرافات أكثر من الاستقامة بل كانت تلك هى

الأصل وهذه الاستثناء ، فانتهت الدولتان بسبب ذلـك الدمار والبوار ، مترافقتين مع لعنات وتنديدات شديدة على ألسنة أنبياء بنى اسرائيل للملوك المنحرفين والشعب وانذارات قارعة بعذاب الله وبلائه ونكاله جزاء ما اقترفوه واليك التفصيل :

١ ـ ذكر الاصحاح الثانى عشر من سفر الملـوك الاول ـ الثالث أن يربعام بنى شكيم فى جبل افرائيم ـ لعله جددها لانها قديمة كنعانية على ما مر بيانه قبل ـ ثم خرج من هناك وبنـى فنوئيل • وقال فى نفسه اذا صعد الشعب الى أورشليم ليذبـح فى بيت الرب ترجع قلوبهم نحو رحبعام ويقتلوننى • فاسـتشار وعمل عجلين من الذهب وقال للشعب لا حاجة لكم بالصعود الى أورشليم فهذه آلهتكم التى أخرجتكم من مصر وجعل أحدهما فى بيت ايل ـ فى منطقة نابلس اليوم ـ والآخر فى دان ـ فى شمال فلسطين ـ فكان أفراد الشعب يذهبون اليهما وبنى بيت المشارف وأقام كهنة من لفيف الشعب ليسوا من اللاويين وأقام عيدا فى كل من دان وبيت ايل وذبح للعجلين • وهكذا دشن يربعام عهـده بانحراف دينى خطير تفاديا من السماح لشـعبه بالذهاب الى أورشليم فاستجاب الشعب له • وقد كان هذا عثرة ، وكان اثم بيته وعلة ابادته واستئصاله عن وجـه الارض على ما ذكـره الاصحاحان الثانى عشر والثالث عشر •

والمستفاد من العبارة ان أسـباط بنى اسرائيـل العشرة

استجابت لتوجيه يربعام . غير أن الاصحاح الحادى عشر من أخبار الايام الثانى ذكر أن الذين وجهوا قلوبهم لالتماس الرب اله اسرائيل منهم كانوا يأتون الى اورشليم ليذبحوا فيها وعاضدوا مملكة يهوذا وآزروا رحبعام بن سليمان ثلاث سنين لانه سار فى طريق داود وسليمان ثلاث سنين . وذكر الاصحاح ايضا أن الكهنة اللاويين الذين كانوا فى دولة اسرائيل والذين خلعهم يربعام وجعل محلهم كهنة من لفيف الشعب تركوا أملاكهم ومحاجرهم ونزحوا الى دولة يهوذا .

على أن العبارة التى ذكرت ذهاب المستقيمين من شعب دولة اسرائيل الى أورشليم تفيد أن الذين ذهبوا هم أقلية ضئيلة .

وقد ذكر الاصحاح الرابع عشر أن يربعام أرسل امرأته الى نبى اسمه أخيا بسبب مرض ابنه فحملها هذا رسالة بلسان الرب فيها تنديد بفعله وانذار له جاء فيه : انى جالب على بيت يربعام الشر وقارض ليربعام كل بائل بحيط ومنقص بيته حتى يفنوا ومن مات منهم فى المدينة تأكله الكلاب وفى الصحراء تأكله الطيور .

٢ ــ وخلف يربعام ابنه ناداب فصنع الشر وسلك طريق أبيه فسلط الله عليه بعشا وضربه وقتله وملك مكانه وقتل كل نسمة من بيت يربعام حسب كلام الرب لأجل خطايا يربعام التى أثم بها

وآثم اسرائيل على ما جاء فى الاصحاح الخامس عشر من السفر المذكور .

والخبر ينطوى على حادث تمرد داخلى فى دولة اسرائيل هو الأول من نوعه بعد تمرد يربعام على رحبعام وقد تكرر كثيرا . وبعشا هو من سبط يساكر وكان ناداب محاصرا مع قواته لمدينة جبتون الفلسطينية حينما ثار عليه بعشا . وقد اتخذ هذا مدينة ترصة عاصمة له دون السامرة ويظهر انه فعل هذا زيادة فى التوقى

٣ ــ وظل بعشا سائرا على طريقة يربعام المنحرفة فى أمــــر العجلين واقامة الطقوس والأعياد الكبرى عندهما . وقد أنذره الرب بلسان النبى ياهو باستئصال ذريته على ما جاء فى الاصحاح السادس عشر . ثم ذكر الاصحاح خبر ثورة قائد اسمه زمرى على ايلة بن بعشا تسليطا من الرب وتنفيذا لوعيده ودخل عليــه وقتله بينما كان يسكر ، وجلس مكانه وضرب جميع بيت بعشا وأباده بسبب ذنوب بعشا وابنه ايلة . وهذا هو التمرد الانقلابى الثانى . وكان فى ظروف حصار جيش اسرائيل لمدينة جبتون ايضا . ولكن زمرى لم يحكم الا سبعة أيام حيث نادى الجيش بقائده عمرى ملكا وتحول من جبتون الى ترصة وحاصر فيهــا زمرى فأحرق هذا القصر وهو فيه مفضلا الانتحار حرقا على التسليم . وقد قال الاصحاح ان هذا كان عقوبة له من أجــل خطاياه التى

ارتكبها ومسيره فى طريق يربعام وخطيئته . وقد انقسم الشعب حيث آيد فريق منه شخصا اسمه تبنى وآيد فريق آخر عمرى وكانت الغلبة لهذا فى النهاية .

٤ ــ وبقى عمرى فى ترصة ست سنين ثم ابتاع جبل السامرة وبنى عليه مدينة سماها شامر واتخذها عاصمة . وقد صنع الشر وكان أعظم شرا من جميع من تقدمه وسار فى طريق يربعام واثمه على ما ذكره الاصحاح السادس عشر من سفر الملوك الاول ــ الثالث ولكنه مات مع ذلك بدون عقوبة !

٥ ــ وخلفه ابنه أخاب . وصنع هو الآخر الشر أكثر من جميع من تقدمه (٥٥٠ ق.م) على ما ذكرته الاصحاحات السادس عشر الى التاسع عشر من سفر الملوك الاول . ومما جاء فى هذه الاصحاحات فى سياق عجيب فيه كثير من الخيال أن ايزابل طاردت انبياء الرب حتى قرضتهم ولم ينج منهم الا من اختفى واذ نبيا اسمه ايليا جاء الى آحاب ووبخه وأنذره بلسان الرب فغضب عليه آحاب وقال له أنت مقلق اسرائيل فأجاب : انه أنت وأبوك بترككم وصايا الرب واقتفائكم البعليم ، وحاول آخاب قتله ففر من وجهه ، ونفذ الرب وعيده فمنع المطر والندى عن اسرائيل فكان جوع شديد . ثم ظهر ايليا وجاء الى آحاب وطلب منه دعوة جميع اسرائيل الى جبل الكرمل وانبياء البعل الاربعمائة والخمسين

وأنبياء العشتروت الاربعمائة الذين يأكلون على مائدة ايزابل مع الانبياء المختفين . فلبى طلبه ولما تم الجميع خاطبهم ايليا منددا الى متى تعرجون بين الجانبين ، فان كان الرب الهكم فاتبعوه وان كان البعل فاتبعوه ثم قال لنأت بثورين وتقطعهما ونضعهما على الحطب ، وأنا أدعو وأنبياء البعل يدعون فأيهما يستجيب اليه الرب ويورى النار يكون هو الحق فقبلوا وبدأ أنبياء البعل بالدعاء والاستنجاد وكانوا يضربون أجسامهم بالسيوف حسب عادتهم حتى سالت دماؤهم . وذهب كل جهدهم سدى . ثم تقدم ايليا ورتب المذبح والحطب واللحم وأخذ يهتف باسم اله ابراهيم واسحاق واسرائيل فهبطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة حتى لحست الماء الذى فى القناة . وحينئذ أمر ايليا الشعب بأن يقبضوا على أنبياء البعل ، ولا يفلتوا أحدا منهم ، وأخذهم الى نهر قيشون فذبحهم فلم تلبث السماء أن امتلأت بالسحب وأخذ المطر ينهمر منها .

وهذا يلفت النظر الى العدد العظيم لأنبياء البعل وعشتروت وما يدل عليه من استشراء عبادة معبودى الكنعانيين الفينيقيين فى دولة اسرائيل فى هذا العهد وما كان من قوة ونفوذ ايزابل بنت ملك صور . ومع ذلك فان الاصحاح التاسع عشر ذكر أن أخاب وايزابل ظلا على ما هما عليه وأن ايزابل أقسمت على قتل ايليا انتقاما لأنبيائها مما جعله يفر من وجهها .

ومع كل ما فعله أخاب وزوجته وارتكسوا فيه ومع كل مـا كان من نذر الرب له فان هذا لم يمنع الرب على ما زعمه الاصحاح العشرون من ارسال نبى اليه يطمئنه بالنصر على بنهدد ملك أرام حينما زحف عليه هو والملوك الاثنان والثلاثون خلفاؤه على مـا أوردناه قبل وبنصره فعلا بعدة قليلة جدا .

ومن طرائف ما جاء فى سياق ذلك ان الرب استاء من أخـاب لانه صالح ملك أرام ولم يقتله وأنذره قائلا بمـا أنك اطلقت رجلا قد ابسلته ـ يسرت لك قتله ـ فنفسك تكون بدلا مـن نفسه وشعبك بدلا من شعبه ..

وفى كل هذا من التناقض والخيال ما فيه .

وقد سجل الاصحاح الحادى والعشرون من سفر الملوك الاول ـ الثالث على أخاب حادثا فيه ظلم وبغى شديدان حيث ذكر خبر طمعه فى كرم شخص اسمه نابوت اليزرعيلى ، واباء هذا بيع الكرم واغتمام أخاب بسبب ذلك . وقد قص أخاب الامر على زوجته فكتبت الى شيوخ مدينة نابوت وأشرافها تأمرهم بعقد مجلس واستشهاد شاهدين على نابوت بالتجديف على الرب والملـــك ورجمه حتى يموت فنفذوا الامر وأرسلوا الى ايزابل علما بذلك مما ينطوى فيه صورة لما كان من انهيار فى الاخلاق ومسارعـة الى تنفيذ أمر ايزابل الظالم ، وقالت ايزابل لزوجها قم فرث الكرم .

ولما دخل الكرم جاءه النبى منددا قائلا له : انك قتلت وورثت وان الرب حكم عليك ان تلحس الكلاب دمك فى الموضع الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت وانه جالب عليك الشر ومبيد نسلك كما فعل بيربعام وبعشا وان الكلاب ستأكل ايزابل أيضا ، لانه لم يكن أحد كأخاب باع نفسه لعمل الشر وأغوته امرأته وبالغ فى الرجس جدا باقتفائه أقذار الاصنام . ففزع أخاب ومزق ثيابه وصام وأعلن التوبة فقال الرب من أجل أنه ذل أمامى لا أجلب الشر على بيته فى أيامه ولكن فى أيام ابنه . ومع ذلك فقد ذكر الاصحاح الثانى والعشرون الذى ذكر قصة سر أخاب ويهوشافاط لاسترداد رامات جلعاد التى أوردناها قبل أن أخاب أصيب بسهم مات به فلحست الكلام دمه حسب كلام الرب !

ومما ذكره الاصحاح بعبارة خاطفة أن أخاب صنع بيتا من عاج وبنى مدنا كثيرة ، وأرجع ذلك الى أخبار الأيام للملوك اسرائيل وهو سفر غير موجود فى التداول ويرجح انه مصدر من مصادر أسفار الملوك وأخبار الايام المتداولة .

٦ ــ وفى نهاية الاصحاح المذكور ذكر أن الملك صار بعد أخاب لابنه أخزيا وأن هذا صنع الشر فى عين الرب وسار فى طريق أبيه وأمه فعبد البعل وسجد له وأغاظ الرب . ثم ذكر الاصحاح الاول من سفر الملوك الثانى سقوط أخزيا من عليته وارساله رسلا

الى بعل زبوب اله عفرون على سبيل الاستشفاء والاستفسار ومقابلة ايليا النبى للرسل وأمره لهم بالعودة وانذار أخزيا بالموت ولم يلبث أن مات ولم يكن له وريث من صلبه فجلس على العرش أخوه يورام •

٧ ـ وصنع يورام الشر ولكن أقل من أبيه وأمه وأخيه • وقد أزال تمثال البعل الذى أقامه ابوه • وظل مستمرا على خطيئة يربعام على ما ذكره الاصحاح الثالث من سفر الملوك الثانى ـ الرابع • ومع ذلك فقد انصبت عقوبة الرب لآل عمرى واخاب على رأسه ، حيث ذكر الاصحاح التاسع أن الرب ألهم ياهو بن يوشافاط بالثورة على يورام وأمه فثار وتمكن من قتل يورام ، ودخل على ايزابل ليقتلها هى الأخرى فقابلته متكحلة متزينة لاغرائه ولكن ذلك لم يجدها حيث أمر ياهو رجاله بطرحها فطرحوها وداستها الخيل ثم أكلت الكلاب جثتها حسب كلام الرب • وكان لاخاب سبعون ولدا فأرسل ياهو الى شيوخ السامرة يطلب منهم القبض عليهم وقطع رءوسهم وارسالها اليه فى سلال فنفذوا أمره ثم قتل هو جميع الباقين من بيت أخاب وجميع غلمانه ومعارفه وكهنته حتى لم يبق منهم باقيا • ثم جاء الى السامرة ليجلس على العرش • وفى الطريق صادف اخوة أخزيا ملك يهوذا فقبض عليهم وذبحهم ايضا وكانوا اثنين وأربعين رجلا على ما جاء فى الاصحاح العاشر •

٨ ــ وبعد أن جلس ياهو على العرش ، أقام وليمة عظيمة دعا اليها جميع أنبياء البعل وكهنته وعباده وقتلهم ثم أخرج تماثيل البعل وكسرها وحرق بيوتها مما سر الرب وجعله يبشر ياهو بأن بنيه سيجلسون على العرش الى الجيل الرابع •

ويلحظ أن عبادة البعل استشرت ثانية حتى صار له بيوت وأنبياء برغم ما حل فيهم على يد ايليا النبى •

وقد ظل ياهو مع ذلك على طريقة يربعام المنحرفة فسلط الله عليه حزائيل ملك أرام فصار يقتطع من اسرائيل ، عقوبة على هذا الانحراف على ما ذكره الاصحاح العاشر من سفر الملوك الثانى ــ الرابع •

٩ ــ وخلف ياهو ابنه يوآحاز فصنع الشر وظلّ سالكا فى طريق يربعام فاشتد غضب الرب على اسرائيل وأسلمهم الى يد حزائيل ملك أرام • واستعطف يوآحاز الرب فعطف وخلصهم منه الا أنهم ظلوا على خطة يربعام على ما جاء فى الاصحاح الثالث عشر •

١٠ ــ وخلف يوآحاز ابنه يوآش • وصنع الشر وظل سالكا فى طريق يربعام على ما جاء فى الاصحاح المذكور •

١١ ــ وخلف يوآش ابنه يربعام وصنع الشر وظل سالكا فى

نفس الطريق • ومع ذلك فالرب ساعده على رد تخوم اسرائيل من مدخل حماه الى بحر الغور لانه رأى ضيق اسرائيل على ما جاء فى الاصحاح الرابع عشر !!

١٢ ـ وخلف يربعام ابنه زكريا وصنع الشر وظل سائرا فى طريق يربعام فسلط الرب عليه شلوم بن يابيش فضربه وقتله وملك مكانه • ولكن هذا لم يهنأ بالملك لان شخصا اسمه مناحيم ابن جادى من ترصة قتله وملك مكانه على ما جاء فى الاصحاح الخامس عشر • ولقد ضرب هذا مدينة تفساح وكل ما بها وتخومها من ناحية ترصة لأنهم لم يفتحوا له ثم دخلها عنوة وشق جميع من فيها من الحوامل !

١٣ ـ لما تم لمناحيم الملك صنع الشر وظل على طريقة يربعام فجاء فول ملك أشور (١) على الأرض كعقوبة له فأعطاه ألف قنطار فضة • وقد وزعها على أغنياء الشعب فأصاب كل واحد خمسين مثقالا على ما ذكره الاصحاح المذكور ايضا •

١٤ ـ وخلفه ابنه فقيحا وصنع الشر وظل على طريقة يربعام فأثار الرب عليه فقح بن رمليا فضربه وقتله وحل مكانه •

---

(١) لا يوجد ملك أشورى اسمه فول فى هذه الحقبة • والمتبادر انه تغلث فلاسر الذى يذكر مقطع اسمه الثانى احيانا بلاسر هـ

١٥ ـ وهذا أيضا صنع الشر ولم يعدل عن خطة يربعام فجاء تغلث فلاسر ملك أشور وأخذ مدن الجليل ونفى أهلها الى أشور • ثم ثار عليه هوشع بن ايلة وقتله وملك مكانه كما ذكر الاصحاح نفسه •

١٦ ـ وصنع هذا الشر أيضا ولكن لا كملوك اسرائيل قبله ـ دون تفصيل • ومع ذلك فاز سلمناصر ملك أشور صعد عليه فصار عبدا له يؤدي اليه الجزية ثلاث سنين ثم تحالف مع ملك مصر وامتنع عن أداء الجزية فقبض عليه ملك أشور وسجنه وحاصر السامرة ثلاث سنين • وفى السنة التاسعة لملكه أخذ ملك آشور ـ دون ذكر اسم وهذا هو سنحاريب على ما ذكرناه قبل ـ السامرة وأجلى اسرائيل الى آشور وأسكنهم فى حلاح وخابور نهر جوزان ومدائن مادى وأرسل بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفروائيم فأسكنهم فى مدن السامرة مكانهم فامتلكوها واستوطنوا فيها على ما جاء فى الاصحاح السابع عشر فكان فى ذلك نهاية دولة اسرائيل •

ومما ذكره الاصحاح أن المهاجرين الجدد لم يتقوا الرب فأرسل عليهم أسودا كانت تقتل منهم فكلموا ملك أشور بذلك فأمر بارسال أحد كهنة بنى اسرائيل المنفيين ليقيم عندهم ويعلمهم كيف يتقون الرب • وقد أخذت كل أمة منهم تعمل آلهتها وتضعها

فى بيوت المشارف التى عملها بنو اسرائيل ، كل فى المدن التى سكنها . فعمل أهل بابل تمثالا لالههم سكوت بنوت وأهل كوت تمثالا لنرجال وأهل حماة تمثالا لأشيما والعويون تمثالا لبنحار وترتاق والسفرائيميون تمثالا لأدرملك وعنملك وكانوا يحرقون لهما أبناءهم ، فكانوا يخلطون حيث يتقون الرب ويعبدون آلهتهم الخصوصية معا وهم يفعلون ذلك الى هذا اليوم أى الى ما بعد السبى لان السفر كتب بعد السبى .

ويبدو من هذا الاستعراض أن دولة اسرائيل ملوكا وشعبا انحرفوا منذ البدء وظلوا منحرفين وأن الانقلابات فيها تعددت وكانت تؤدى الى سفك دماء غزيرة وابادة أسر مالكة برمتها فى سبيل الحكم والسلطان كما أن الدولة ظلت عرضة للغزوات الخارجية ولم يكد يسجل لها استقلال واستقرار الا حقبا قصيرة.

ولقد احتوى الاصحاح السابع عشر تعقيبا قويا عجيبا تضمن التنديد باسرائيل وآثامها التى أدت بها الى الانهيار فجاء فيه « وكان بنو اسرائيل قد خطئوا الى الرب الههم الذى أخرجهم من أرض مصر من تحت يد فرعون ملك مصر واتقوا آلهة أخرى وجروا على سنن الامم التى طردها الرب من وجه بنى اسرائيل وعلى ما سنته ملوك اسرائيل ، وعمل بنو اسرائيل فى الخفاء أمورا غير مستقيمة فى حق الرب الههم وابتنوا لهم مشارف فى جميع

مدنهم من برج الحراس الى المدينة المحصنة وأقاموا لهم أنصابا وغابات على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء • وقتروا(١) هناك مثل الامم الذين جلاهم الرب من وجههم وفعلوا أفعالا سيئة لاسخاط الرب • وعبدوا الاصنام التى قال لهم الرب عنها لا تفعلوا هذا الامر • فأشهد الرب على اسرائيل ويهوذا على ألسنة جميع أنبيائه وكل راء (٢) قائلا توبوا عن طرقكم السيئة واحفظوا وصاياى ورسومى على حسب جميع الشريعة التى أوصيت بها آباءكم والتى آتيتكم اياها على ألسنة عبيدى الانبياء• فلم يسمعوا وصلبوا رقابهم مثل رقاب آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب الههم • ورذلوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم والشهادات التى أشهدها عليهم واقتفوا الباطل وصاروا باطلا وراء الامم الذين حواليهم ممن أمر الرب أن لا يفعلوا مثلهم • وتركوا جميع وصايا الرب الههم وصنعوا لهم عجلين من المسبوكات • وأقاموا غابا وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل وأجازوا بنيهم وبناتهم فى النار وتعاطوا العرافة والفأل

---

(١) تتروا اى حرقوا ذبائحهم • وكان بنو اسرائيل قد امروا بحرق ذبائحهم فى مذبح بيت الرب فقط فخالفوا وابتنوا المذابح فى كل مكان واهملوا بيت الرب ، واعتبر ذلك منهم انحراف وثنى •

(٢) يظهر ان النبى شىء والرائى شىء اخر وان النبى ارقى رتبة عند الله من الرائـــى •

وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عينى الرب لأجل اسخاطه فغضب الرب جدا على اسرائيل ونفاهم من وجهه ولم يبق الا سبط يهوذا فقط . ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الرب الههم وسلكوا فى سنن اسرائيل التى سنوها فرذل الرب جميع ذرية اسرائيل وأذلهم وأسلمهم الى أيدى الناهبين حتى نبذهم من وجهه لانه شق اسرائيل عن بيت الرب وأوقعهم فى اثم عظيم وجرى بنو اسرائيل على جميع خطايا يربعام التى صنع ولم يحولوا عنها حتى نفى الرب اسرائيل من وجهه (١)

وليس فى سفر أخبار الايام الثانى شىء ذو بال متصل بحالة دولة اسرائيل الداخلية يمكن أن يضاف الى ما اقتبسناه من سفرى الملوك . ومن الجدير بالذكر أن هذين السفرين لم يحتويا شيئا ذا بال عن حالة دولة اسرائيل الاقتصادية والعمرانية حيث يمكن أن يقال انه لم يكن فيها مظاهر نشاط وازدهار قوية فى مجال هذه الحالة تستحق الذكر والتنويه .

وفى السفرين صور عديدة لنشاط ومعجزات أنبياء بنى اسرائيل فى نطاق دولة اسرائيل ليس لها كبير دلالة على حالة الدولة الداخلية . ولذلك صرفنا النظر عن اثباتها .

هذا ، وفى النسخة الكاثوليكية سفر باسم نبوءة طوبيا .

---

(١) العبارة هى عبارة النسخة الكاثوليكية

وطوبيا هذا من المجليين الى أشور فى زمن سلمناصر • فرأينا أن نشير اليه فى هذا المقام لانه مما يعود الى دولة اسرائيل •

والسفر أربعة عشر اصحاحا فى ثمانى عشرة صفحة • وليس فيه شيء ذو بال بالنسبة للتاريخ ، وكل ما احتواه هو تعريف بطوبيا ، وقصة جلائه مع امرأته وابنه وجميع عشيرته الى نينوى وسكناهم فيها وتقواه للرب ونواله حظوة لدى سلمناصر واطلاق هذا له الحرية فى الطواف على المجليين فى آشور ومساعدتهم ، وتجليات الرب وملاكه له ولابن له اسمه كاسمه ، ثم هتاف لبنى اسرائيل بالتوبة الى الرب • والاعتراف بمجده وقدرته وتعريف الامم به وطلب رحمته بالخلاص بعد أن أدبهم من أجل آثامهم ، وتنبؤ بدنو دمار نينوى وعودة بنى اسرائيل الى أرض اسرائيل وتلألؤ مجد أورشليم •

ومن المحتمل أن يكون هذا الرجل قد شهد أخريات أيام مملكة أشور وانحطاطها حيث عمر أكثر من مائة سنة على ما يفيده السفر فتنبأ بما تنبأ به • واذا كانت نينوى قد دمرت حقا فى حياته فان ذلك لم يؤد الى عودة المسبيين الى أرض اسرائيل ولا الى تلألؤ مجد أورشليم • لأن بابل ورثت نينوى وبسطت سلطانها على دولة يهوذا ثم نسفتها ودمرت أورشليم على ما ذكرناه قبل •

- ١٠ -

وثانيا ــ نورد فيما يلى سلسلة من أحداث وحالة دولة يهوذا الداخلية • ونتبه على أن سفر أخبار الايام الثانى قد احتوى أشياء كثيرة من ذلك بالاضافة الى سفرى الملوك الاول والثانى او الثالث والرابع •

١ ــ ذكر الاصحاح الرابع عشر من سفر الملوك الاول بعد ذكر ملك رحبعام أن يهوذا أيضا صنع الشر فى عينى الرب وكانت اغاظتهم له أشد من جميع ما عمل آباؤهم بما ارتكبوه من الخطايا وأقاموا هم أيضا مشارف وأنصابا وغابات على كل ربوة عالية وتحت كل شجرة خضراء • وكان فى أرضهم أيضا مخنثون ــ وفى النسخة البروتستانتية بدلا من كلمة مخنثين كلمة مأبونين ــ وعملوا جميع رجاسات الامم الذين طردهم الرب من وجه اسرائيل فصعد عليهم شيشق • وهكذا سجل الاصحاح على يهوذا الانحراف الدينى والخلقى منذ بدئها كاسرائيل • وقد ايد الاصحاح الثانى عشر من أخبار الايام الثانى هذه الحالة وأشرك رحبعام فيها حيث قال « وكان لما استتب ملك رحبعام وتقوى أنه ترك شريعة الرب هو وجميع اسرائيل معه » •

٢ ــ وخلف رحبعام ابنه أبيام فجرى على جميع خطايا أبيه

التى عملها ولم يكن قلبه مخلصا للرب (الاصحاح الخامس عشر) فكانت حرب بينه وبين يربعام كل أيام حياته •

٣ ـ وخلف ابيام ابنه آسا • فصنع ما هو قويم فى عينى الرب على ما جاء فى الاصحاح المذكور آنفا • وقد نفى المخنثين وأزال أقذار الاصنام التى صنعها آباؤه ونزع عن أمه لقب الملك لأنها صنعت تمثالا لعشتروت وكسره وأحرقه • ومع ذلك فان المشارف لم تزل وظل الشعب يقتر عليها • فكان بين آسا وبعشا ملك اسرائيل حرب كل أيامهما •

وفى الاصحاح الثانى عشر من سفر أخبار الايام الثانى زيادة على ما تقدم فى سيرة آسا حيث ذكر أنه أمر الشعب باتباع وصايا الرب وأزال من جميع مدن يهوذا المشارف وتماثيل الشمس فاستراحت المملكة فى عهده وبنى مدنا محصنة بأسوار وأبراج ومغاليق • وكان له جيش من يهوذا يحملون المجانب والرماح عددهم (٣٠٠٠٠٠) ومن بنيامين يحملون القسى والمجان عددهم (٢٨٠٠٠٠) ، وأن روح الرب حلّ على عزريا بن عوديد فجاء الى آسا وقال له الرب معكم ما دمتم معه وكلما طلبتموه وجدتموه واذا تركتموه ترككم فتشدد آسا بهذا الكلام وأزال الرجاسات من جميع الأرض ومن المدن التى أخذها من جبل افرائيم وجدد مذبح الرب وأقام فصحا عظيما ذبح فيه (٧٠٠) ثور و (٧٠٠٠)

شاة وتعاهد مع الشعب على اتباع الرب بقلوبهم • وينتهى الاصحاح بالقول « وأما المشارف فلم تزل الا أن قلب آسا كان مخلصا كل أيامه » وهذا من عجيب التناقض •

ومما فيه تناقض عجيب أيضا ما ذكره الاصحاح السادس عشر من أخبار الايام الثانى عن آسا حيث ذكر أن رائيا اسمه حنانى وفد على آسا وقال له « انه من أجل اتكاله على ملك أرام دون الرب فان يده فرغت من جيش ملك أرام وانه قد فعل حماقة فى ذلك وانه يكون عليه من الآن فصاعدا حروب ، وأن آسا غضب على الرائى وقيده ، وانه اخترم بعضا من الشعب فى ذلك الوقت، وأنه اعتل فى رجليه واشتدت علته حتى أهلكته ، وأنه لم يلتمس فى علته الرب أيضا بل التمس الاطباء • وعتاب الرب بلسان الرائى هو على استنجاد آسا بملك أرام حينما حشد بعشا ضده وضرب عليه الحصار على ما ذكرناه قبل • وقد ذكر الاصحاح أن آسا اضطجع بعد موته فى سرير مملوء أطيابا وأصنافا عطرة وعمل له حريقة عظيمة جدا • مما فيه صورة من تقاليد ذلك الزمن

٣ ــ وخلف آسا ابنه يوشافاط • وقال الاصحاح الثانى والعشرون من سفر الملوك الاول انه سار على طريقة ابيه وصنع ما هو قويم فى عين الرب ولكن المشارف لم تزل وظل الشعب يذبح ويقتر عليها وأنه نفى بقية المخنثين ــ أو المأبونين من أرضه•

ومما ذكره الاصحاح أن يوشافاط صنع سفنا لتذهب الى وفير وتجلب الذهب ولكنها انكسرت فى عصيون جابر وعرض عليه آخزيا بن آخاب أن تخرج عبيده مع عبيده على السفن فأبى. هذا فى حين أن الاصحاح العشرين من أخبار الايام الثانى ينقض الخبر بالشكل الوارد حيث يقول ان يوشافاط صادق أخزيا لعمل سفن تذهب الى ترشيش فعملا السفن فى عصيون جابر ولكنها انكسرت ولم تذهب وكان ذلك عقوبة ليوشافاط لانـــه صادق آخزيا الذى كان سيء النية والعمل .

وفى الاصحاح السابع عشر من آخبار الايام الثانى شيء غير يسير متصل بسيرة يوشافاط زيادة او تفصيلا ، ومما جاء فيه أن يوشافاط سلك طرق داود ولم يلتمس البعل وأزال المشارف والغابات ــ وسفر الملوك يقول انها لم تزل ــ وأرسل رسلا يطوفون مدن يهوذا ومعهم فريق من اللاويين ليعلموا الشعب ، وانه كان له غنى ومجد عظيم وكان رعب الرب منه على جميع ممالك الارض التى حول يهوذا . ومن الفلسطينيين من حمل اليه هدايا وجزية فضة ، وساق العرب اليه من الشاة ٧٧٠٠ كبش و٧٧٠٠ تيس وبنى فى يهوذا أبراجا ومدنا للخزن وكانت أعمال كثيرة فى مدن يهوذا وكان له جبابرة حرب فى أورشليم من سبط يهوذا (٣٠٠٠٠٠) برئاسة القائد عدنه و٢٨٠٠٠٠ برئاسة القائد

يوحانان و٢٨٠٠٠٠ برئاسة القائد عمسا ومن سبط بنيامين ٢٠٠٠٠٠ بالقسى والتروس برئاسة الياداع و١٨٠٠٠٠ برئاسة يوزاباد وهؤلاء غير الذين فى المدن المحصنة .

وفى الاصحاح التاسع عشر من أخبار الايام الثانى أن يوشافاط خرج الى الشعب بين بئر السبع الى جبل افرائيم وردهم الى الرب وأقام قضاة فى جميع المدن ووصاهم بتقوى الرب وعدم المحاباة والرشوة والجور وأقام من اللاويين ورؤساء آباء اسرائيل قضاة للرب وأوصاهم كذلك بتقوى الرب وجعل الرئاسة عليهم للكاهن أمريا ووصاهم بانذار من يرفع قضية أمامهم بعدم الاثم لئلا يكون غضب من الرب عليهم وعلى اخوتهم .

ومع ما ذكر من قوة وعظمة يوشافاط فى الاصحاحات المذكورة من سفر أخبار الايام الثانى ، فان الاصحاح العشرين يقول ان بنى مؤاب وبنى عمون ومعهم الأدوميون أتوا الى مقاتلته ، وان قوما جاءوا فأخبروه بذلك قائلين انه خرج عليك جمهور كثير من عبر البحر من أدوم وهاهم فى حصون تامار التى هى عين جدى ، وان يوشافاط خاف وأخذ يستعطف الرب ويستغيث به ويذكره بما كان من نعمه على بنى اسرائيل وتأييده لهم ، ويقول له ها ان بنى عمون والمؤابيين وأهل جبل سعير جاءوا لطردنا من ميراثك الذى ورثتنا اياه ، ثم ذكر الاصحاح ما كان من المعجزة الربانية

التى جعلت الغزاة يقتلّ بعضهم بعضا ويسر ليوشافاط وجيشه أن يستولوا على غنائمهم بدون حرب ولا قتال على ما أوردناه فى مناسبة سابقة مما فيه كثير من الخيال والتناقض •

٤ ـ وخلف يوشافاط ابنه يورام وسار فى طريق ملوك اسرائيل حسب ما صنع بيت أخاب لانه كان متزوجا بابنة أخاب وصنع الشر فى عينى الرب على ما ذكره الاصحاح الثامن من سفر الملوك الثانى ـ الرابع •

وفى الاصحاح الحادى والعشرين من أخبار الايام الثانى أن يورام بعد ما ملك قتل اخوته كلهم بالسيف مع جماعة من رؤساء اسرائيل وأقام مشارف فى جبال يهوذا وحمل سكان أورشليم على الفجور وأغرى يهوذا فجاءه من النبى ايليا رسالة انذار بلسان الرب ثم أخذت الفتوق تنفتق عليه من كل ناحية ، فخرجت من يده أدوم وغزا مملكته الفلسطينيون والعرب ودخلوا أورشليم ونهبوها وسبوا بنى الملك ونساءه ثم ضربه الرب فى أمعائه بمرض عضال ومات بأدواء خبيثة ولم يعمل له شعبه حريقة كأبيه وذهب غير مأسوف عليه • وهذه عبارة الاصحاح •

وكذلك جاء فيه فى سياق خلافة يورام ليوشافاط أن يوشافاط أعطى بنيه الآخرين عطايا كثيرة من الذهب والفضة

والتحف والمدن المحصنة كتعويض لهم عن الملك الذى اختص به يورام .

٦ ــ وملك بعد يورام ابنه أخزيا وسار فى طريق بيت أخاب لأنه كان مصاهرا له بالاضافة الى أن أمه هى بنت أخاب . وصنع الشر فى عين الرب . وتحالف مع يورام بن آخاب فى حرب راموت جلعاد ضد الأراميين ولم ينجحا . ولما ثار ياهو على يورام وقتله كان أخزيا عنده فهرب فلحق به وقتله هو الآخر . ولما علمت عتليا أمه بموت ابنها أهلكت جميع النسل الملكى وفرضت حكمها . وأخفت ابنة يورام أخا صغيرا لها اسمه يوآش من أم أخرى وأطلعت أحد رؤساء الجيش على الامر فتضامن معها على الدفاع عنه وحراسته وأخذ يحشد الانصار والأولياء الى أن استوثق فاخرج الصبى من مخبئه ووضع التاج على رأسه . وحاولت عتليا احباط الحركة فاخفقت ثم قتلت فاستتب الملك ليوآش . وحينئذ دخل الشعب بيت البعل وهدموه وحطموا مذابحه وتماثيله وقتلوا كاهنه امام المذبح على ما جاء فى الاصحاحات من الثامن الى الحادى عشر من سفر الملوك الثانى ــ الرابع .

٦ ــ ويقول الاصحاح الثانى عشر ان يوآش عمل ما هو قويم فى عين الرب ورمم بيته بما رتبه من نذور وضرائب على الشعب الا أن المشارف لم تزل وظل الشعب يذبح ويقتر عليها

فصعد حزائيل ملك أرام فدافعه بالذهب والفضة التى كانت فى خزائنه وخزائن بيت الرب . وكان مصيره القتل حيث تحالف عليه فريق من عبيده .

وفى الاصحاح الرابع والعشرين من أخبار الايام الثانى فى صدد سيرة يوآش أن رؤساء يهوذا بعد وفاة يوياداع الكاهن أقبلوا وسجدوا للملك فسمع لهم وتركوا بيت الرب الههم وعبدوا العشتروت والاصنام فكان غضب الرب على يهوذا وأورشليم وأرسل اليهم الانبياء فلم يسمعوا ووقف زكريا بن يوياداع وقد شمله روح الله يندد بالشعب فرجموه بالحجارة بأمر الملك وفى دار بيت الرب فعاقبهم الله بصعود جيش أرام الذى أهلك رؤساء الشعب وأخذ غنائمهم وقد جاءوا بعد قليل فدفع الرب الى أيديهم جيشا عظيما جدا وأمضوا فى يوآش أحكام هوان . ثم تحالف عليه عبيده من أجل دم بنى يوياداع وقتلوه على سريره

٧ ــ وملك بعده ابنه أمصيا وانتقم لأبيه فقتل المتآمرين عليه . وصنع ما هو قويم فى عين الرب ولكن المشارف لم تزل وظل الشعب يذبح ويقتر عليها فنشب نزاع فحرب بينه وبين يوآش ملك اسرائيل انكسر فيها وزحف هذا على أورشليم فهدم أسوارها ونهب ما فى بيت الرب وبيت الملك من ذهب وفضة وآنية ، وأسر الملك فى جملة من أسره على ما جاء فى الاصحاح

الرابع عشر من سفر الملوك الثانى ـ الرابع . ويظهر ان يوآش أطلق سراح أمصيا لان الاصحاح نفسه قال ان أمصيا عاش بعد يواش خمس عشرة سنة ثم ثار عليه ثائرون فهرب الى مدينة لاكيش فتبعوه وقتلوه هناك .

وفى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر آخبار الايام الثانى زيادة فى سيرة أمصيا منها أن أمصيا أحصى رجال حربه فبلغوا ثلاثمائة ألف يحملون الرمح والمجنب وأنه بعد أن رجع من غزوته للادوميين ـ وقد ذكرناها فى بحث آخر ـ جاء بآلهتهم واتخذها آلهة له وسجد وقتر لها فغضب الرب عليه وأرسل ينذره على لسان نبى ثم كانت عقوبته انكساره فى الحرب بينه وبين يوآحاز ملك اسرائيل ثم القتل بيد الثوار .

٨ ـ وملك بعده ابنه عزريا . ويقول الاصحاح الخامس عشر من سفر الملوك الثانى انه صنع ما هو قويم فى عين الرب ولكن لم تزل وظل الشعب يقتر عليها فضرب الرب الملك بالبرص الى آخر حياته وأقام فى بيت المرض وكان ابنه يوثام يحكم نيابة عنه . وهو الذى بنى ايلت واستردها ليهوذا كما أنه بنى الباب الاعلى لبيت الرب .

وفى الاصحاح السادس والعشرين من أخبار الايام الثانى فى صدد سيرة هذا الملك أنه التمس الرب فأنجحه وأعانه على

الفلسطينيين والعرب والعمونيين ، وأنه بنى ابراجا فى أورشليم وفى البرية وحفر آبارا كثيرة وكان له ماشية كثيرة فى الساحل والسهل وحراثون وكراموز فى السهل والجبال وكان محبا لاعمال الارض وأنه احصى جيشه فبلغ عدده ٣٠٧٥٠٠ وعدد رؤسائه ٢٦٠٠ وأنه جهزهم بالمجان والرماح والخوذات والدروع والقسى وحجارة المقاليع وعمل فى أورشليم منجنيقات اخترعها رجال حذاق ووضعها على الابراج والزوايا لرمى السهام والحجارة العظيمة وامتد اسمه الى بعيد • ولكنه لما تمكن طمح قلبه الى الفساد وتعدى على الرب ودخل هيكل الرب ليقتر بنفسه على المذبح فدخل عزرا الكاهن ومعه ثمانون كاهنا ليمنعوه من ذلك فحنق عليهم فما لبث أن لمع البرص فى جبهته فأخرجوه وظل أبرص الى يوم وفاته •

٩ ــ وملك بعده ابنه يوثام وصنع القويم فى عين الرب على ما جاء فى الاصحاح الخامس عشر من سفر الملوك الثانى ولكن المشارف لم تزل وظل الشعب يذبح ويقتر عليها • وقد ذكر الاصحاح السابع والعشرون من سفر أخبار الايام الثانى أنه صنع ما صنع عزيا أبوه الا أنه لم يدخل الهيكل وكان الشعب لا يزال يعمل الفساد • وبنى مدنا فى جبل يهوذا وحصونا وأبراجا فى الغياض •

١٠ ــ وملك بعده ابنه آحاز فجرى على طريق ملوك اسرائيل

حتى انه أجاز ابنه فى النار حسب عادة الامم التى طردها الرب من وجه اسرائيل وقتر على المشارف والآكام وتحت كل شجرة خضراء على ما ذكره الاصحاح السادس عشر من سفر الملــــوك الثانى وحينئذ صعد عليه رصين ملك أرام وفقح ملك اسرائيـــــل • فاستنجد بتغلث فلاسر وذهب الى مقابلته فى دمشق وهناك رأى مذبح دمشق فأعجبه وأخذ رسمه وأمر الكاهن أوريا بصنع مثله فى بيت الرب • وفى الاصحاح الثامن والعشرين من سفــر أخبار الايام الثانى زيادة عما ذكر أنه عمل تماثيل مسبوكة للبعليم وقتر فى وادى هنوم (١) وأحرق بنيه بالنار فكان ما كان من صــعود الأراميين ثم فقح وزحف الادوميين وانتشار الفلسطينيين فى بلاد يهوذا وتضييق تغلث فلاسر مما أوردناه فى بحوث سابقة • ومما ذكره هذا الاصحاح ان نبيا فى السامرة اسمه عوديد خرج للقاء جيش فقح بعد عودته من يهوذا ويده ملأى بالغنائــم والاسرى وقال لهم انه من أجل غضب الرب أسلم يهوذا الى أيديكم • فلا تتخذوا أسراكم عبيدا واماء بل ردوهم لان غضب الرب مضطرم عليكم وأيده فى ذلك جماعة من رؤساء افرائيم وحينئذ تخلــى الجيش على الاسرى فالبسهم الرؤساء وأطعموهم ودهنوهـــم وحملوا ضعفاءهم على حمير وجاءوا بهم الى أريحا مدينـــة

---

(١) هذا الوادى فى ضواحى القدس ويسمى اليوم وادى جهنم •

النخل (١) حيث سلموهم الى اخوتهم • كذلك مما ذكره هذا الاصحاح ان آحاز زاد فى وقت ضيقه تعديا على الرب فذبح لآلهة دمشق وقال بما أن آلهة ملوك أرام نعينهم فأنا أذبح لهما لتعينني • وجمع آنية بيت الرب وكسرها وأغلق ابوابه وعمل مذابح فى كل زاوية فى أورشليم وفى كل مدينة وأقام مشارف ليقتر عليها للآلهة الغريبة فأغضب بذلك الرب اله آبائه •

١١ وملك بعده حزقيا وصنع القويم فى عين الرب وأزال المشارف وحطم الأنصاب وقطع الغابات وسحق حية النحاس التى كان صنعها موسى وكان بنو اسرائيل يقترون لها ويسمونها ونحشتان ووثق بالرب ولم يكن مثله قبل وبعد ولم يمل عن الرب وحفظ وصاياه فكان الرب معه وحيثما توجه تصرف بحكمه• وتمرد على ملك أشور ولم يتعبد له ، وضرب الفلسطينيين الى غزة وتخومها • وفى السنة الرابعة عشرة لملكه صعد سنحاريب ملك أشور بعد نسف دولة اسرائيل على دولة يهوذا وأخذ مدنها المحصنة ثم أرسل وفده الى أورشليم فكان ما كان من المعجزة التى هلك فيها جيشه على ما جاء فى الاصحاحين الثامن عشر والتاسع عشر من سفر الملوك الثاني وأوردنا تفصيله قبل • وقد ذكر الاصحاح العشرون من السفر نفسه أن حزقيا مرض فدعا الله فبشره بالشفاء وطول العمر على لسان أحد الانبياء وبانقاذه من

---

(١) هى نفس اريحا فى الغور وبظهرانه كان فيها بساتين نخل كثيرة

ملك آشور وحماية مدينة آورشليم • والى هذا الملك ارسل ملك بابل الهدايا التى كانت وسيلة للقربى والصلة بين الملكين • وكان ملك بابل يناصب أشور العداء •

وفى الاصحاح التاسع والعشرين من آخبار الايام الثانى زيادات فى سيرة حزقيا وأحداث عهده لا تخلو من تناقض مع ما ذكره سفر الملوك • ومما جاء فيه أن حزقيا فتح أبواب بيت الرب ورمسها وطلب من اللاويين تقديس انفسهم واخراج الرجاسات ـ الوثنية ـ من قدس الاقداس ففعلوا ما آمرهم به وجمع بعد ذلك رؤساء المدينة وجاء بسبعة ثيران وسبعة آكباش وسبعة حملان وسبعة تيوس عن الخطاء فى المملكة بالاضافة الى سبعين ثورا ومائة كبش ومائتى حمل قدمها رؤساء الجماعات ذبحت على مذبح بيت الرب حسب الشريعة باحتفال دينى عظيم• وتستمر الاصحاحات الثلاثون والحادى والثلاثون والثانى والثلاثون فى نفس السيرة فتقول اذ حزقيا أرسل الى جميع اسرائيل ويهوذا والى افرائيم ومنسى ودعا الجميع الى آورشليم لاقامة فصح للرب فقابل كثير من بقايا الاسباط ـ فى أرض اسرائيل التى زالت منها الدولة وغدت ولاية آشورية ـ بالهزء والسخرية عدا جماعة من افرائيم ومنسى وزبولون حيث خشعوا وجاءوا الى أورشليم ، وتعاون الجميع على ازالة المذابح فى أورشليم وجميع أوانى التقتير غير الشرعية وأقاموا فصحا حسب

الشريعة باحتفال عظيم وكان فرح عظيم لم يكن مثله من أيام سليمان . وقد قدم حزقيا الف ثور وسبعة آلاف شاه وقدم الرؤساء الف ثور وعشرة آلاف شاة . وقضى الجميع معيدين أربعة عشر يوما . ثم خرجوا وكسروا الاصنام ودكوا المشارف والمذابح وقطعوا الغابات من جميع مدن يهوذا وبنيامين وافرائيم ومنسى . ورتب حزقيا فرق الكهنة ورتب مالا للمحرقات اليومية والاسبوعية والشهرية والاعياد وأمر الشعب باعطاء الكهنة حصصهم حسب شريعة الرب ففعلوا . وهكذا صنع حزقياالصلاح والاستقامة والحق ملتمسا الهه بكل قلبه فأفلح ، والاصحاح الثانى والثلاثون يقص قصة صعود سنحاريب وموقف حزقيا منه بأسلوب يختلف بعض الشيء عما قصه سفر الملوك حيث يفيد أن حزقيا استعد للدفاع وطلب من الشعب عدم الجزع وطمأنهم بأن الله معهم ولم يعبأ بتهديد الوفد الذى أرسله سنحاريب وصلى هو والنبى أشعيا للرب وهتفا له فأرسل الرب ملاكا قتل كل جبار بأس وقائد فى محلة ملك أشور حتى عاد بخزى وجه الى أرضه ، ومما قاله هذا الاصحاح ان حزقيا عظم بعد ذلك فى عيون جميع الامم وكان له غنى ومجد عظيم جدا . وعمل خزائن للفضة والذهب والحجارة الكريمة والاطياب والمجان ولكل متاع نفيس ومخازن لغلة البر والخمر والزيت ومرابض لكل نوع من الدواب وحظائر للماشية وأنشأ مدنا واقتنى عددا جزيلا

من الغنم والبقر ورزقه الله مالا كثيرا جدا • وهو الذى سد مجرى الماء الاعلى فى جيحون وأجراه أسفل الى غربى مدينة داود ونجح فى أعماله كلها ولما مات صنع له يهوذا وسكان أورشليم مجدا عظيما •

١٢ ـ وملك بعده ابنه منسى فصنع الشر فى عين الرب حسب رجاسات الامم • وأعاد المشارف التى هدمها أبوه وأقام مذابح للبعل ونصب الغابات كما فعل أخاب وسجد لجميع جند السماء وعبدها وبنى لها فى بيت الرب مذابح وأجاز بنيه فى النار ورصد الاوقات وتفاءل واستخدم أصحاب جان وعرافين وأكثر من صنع الشر فى عين الرب لاجل اسخاطه ووضع تمثالا لعشتاروت فى بيت الرب وعمل أقبح من شر الامم الذين محقهم الرب ! فأرسل الرب نذره على ألسنة عبيده الانبياء قائلا : من أجل ما صنعه منسى ، أنا جالب على أورشليم ويهوذا شرا كل من سمع به تطن أذناه وأمسحها كما يمسح الصحن وأخذل بقية ميراثى وأسلمهم الى أيدى اعدائهم على ما جاء فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الملوك الثانى • ومما جاء فى هذا الاصحاح أن منسى سفك دما زكيا كثيرا جدا حتى ملأ أورشليم من الجانب الى الجانب ـ بدون تفصيل وأسباب ـ بالاضافة الى خطاياه التى أثم بها يهوذا •

وفى الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر اخبار الايام الثانى

شيء من سيرة منسى فيه بعض الزيادة منها أن منسى أغوى يهوذا وسكان أورشليم فجلب عليهم الرب قواد أشور وأخذوا منسى موثقا بالسلاسل الى بابل ــ نينوى ــ وأنه فى منفاه صلى للرب وتخشع فاستجاب اليه ورده الى ملكه وانه لما عاد أزال الآلهة الغريبة من بيت الرب وجميع المذابح التى عملها فيه وفى أورشليم ورمم مذبح الرب ولكن المشارف لم تزل وظل الشعب يقتر عليها للرب !

١٣ ــ وملك بعده ابنه آمون وصنع الشر كما صنع ابوه وعبد الاصنام وسجد لها على ما جاء فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الملوك الثانى فتحالف عليه عبيده وقتلوه . وثار الشعب على المتآمرين فقتلوهم ونصبوا يوشيا ابنه مكانه .

١٤ ــ وصنع هذا القويم فى عين الرب ولم يعدل عن طرق داود يمنة ولا يسرة واجتهد فى ترميم بيت الرب على ما جاء فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر الملوك الثانى . ومما جاء فى هذا الاصحاح وبالتالى له انه وجد فى بيت الرب أثناء الترميم سفر الشريعة فأثار ذلك اهتماما عظيما لان الشعب قرأ فيه وصايا الرب وتبين مقدار ما كان من انحراف بنى اسرائيل عنها . وبعث الملك حلقيا الكاهن الى نبية اسمها خلدة على رأس وفد فقالت لهم بلسان الرب: من أجل أن أهل هذا المكان تركونى وقتروا لآلهة غريبة فانا جالب شرا عليهم، ولكن بما أن هذا الملك لان قلبه وخشع

فانه لا يرى هذا الشر . وقد جمع الملك جميع شيوخ يهودا وأورشليم فى بيت الرب مع الكهنة والانبياء وتلا عليهم السفر وطلب منهم ان يقطعوا معه عهدا باتباع الرب وحفظ وصاياه ففعلوا . ثم أمر باخراج جميع الادوات التى كانت مصنوعة للبعل والعشتاروت وجنود السماء فأخرجت واحرقت . ثم استأصل كهنة الاصنام الذين أقامهم ملوك يهوذا ليقتروا على المشارف وكانوا يقترون للبعل والشمس والقمر والابراج ولجميع جند السماء . وأخرج العشتاروت من بيت الرب وقوض المشارف التى كان الكهنة يقترون عليها من جبع الى بئر سبع ونجس توفه التى فى وادى هنوم لكيلا يجيز احد ابنه أو ابنته فى النار لمولك ـ أحد آلهة الكنعانيين الذى كان من طقوسه تقديم الابناء ضحايا للنار امامه على ما شرحناه فى بحث الكنعانيين الفينيقيين ـ وأزال التماثيل التى اقامها ملوك يهوذا للشمس فى مدخل بيت الرب وأحرقها بالنار وقوض المذابح التى انشأها ملوك يهوذا فى دار بيت الرب والمشارف التى تجاه أورشليم الى يمين جبل الهلاك التى بناها سليمان لعشتاروت قذر الصيدونيين وكموش رجس المؤابيين وملكوم رجس بنى عمون وحطم الانصاب وقطع الغابات وقوض المذبح الذى أقامه يربعام فى بيت ايل الذى أثم به اسرائيل . وفعل كذلك فى جميع المشارف التى فى مدن السامرة التى بناها ملوك اسرائيل وذبح جميع كهنتها ثم اقام فصحا لم

يعمل مثله حسب سفر الشريعة منذ أيام القضاة ولا فى أيام ملوك اسرائيل ويهوذا • ويبدو من هذا الشرح عظيم الانحراف الذى كان بنو اسرائيل يهوذا واسرائيل مرتكسين فيه وقوة تأثير الشعوب المجاورة لهم فيهم دينيا واجتماعيا •

ثم قال الاصحاح الثالث والعشرون : ولكن الرب لم ينثن عن غضبه العظيم على يهوذا لاجل ما أسخطه به منسى فقال أقصيهم من وجهى كما أقصيت اسرائيل وآخذ هذه المدينة التى اخترتها والبيت الذى قلت يكون اسمى عليه هناك ؛ مع أن منسى تاب ورضى الرب عنه حسب ما جاء فى الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر اخبار الايام الثانى ! وكانت نهاية يوشيا القتل فى مجدو فى المعركة التى دارت بينه وبين نخو ملك مصر على ما شرحناه فى بحث سابق •

وسيرة يوشيا فى الاصحاحين الرابع والثلاثين والخامس والثلاثين من سفر أخبار الايام الثانى متطابقة مع ما ذكره سفر الملوك الثانى مع شيء من الاختلاف فى الصيغة لا أهمية له •

١٥ ــ وخلفه ابنه يوآحاز وصنع الشر فى عين الرب ــ أى أن توبة يهوذا القوية لم تلبث أن فسدت مما يدل على قوة الفساد الذى تأصل فى نفس بنى اسرائيل ــ فكتفه فرعون نخو فى ربلة من أرض حماة وغرم الارض ــ دولة يهوذا ــ مائة قنطار فضة وقنطارذهب وأقام الياقيم ابنه مكانه باسم يوياقيم وأخذ الاب معه

أسيرا حيث مات فى مصر على ما جاء فى الاصحاح الثالث والعشرين من سفر الملوك الثانى •

١٦ ــ وصنع الملك الجديد الشر فى عين الرب حسب جميع ما فعل آباؤه فصعد نبوخذنصر عليه فصار له عبدا ثلاث سنين وأرسل الرب عليه بالاضافة الى ذلك : غزاة من أرام وآخرين من مؤاب وعمون وغزة ليهلكوا يهوذا . حسب قول الرب على السنة الانبياء ، لاجل خطايا منسى والدم الزكى الذى أراقه وملأ به أورشليم ولم يشأ أن يغفر ، على ما جاء فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر الملوك الثانى • وقد تمرد يوياقيم على بابل ومات قبل أن تنتقم منه بابل فاتقمين من خلفه •

١٧ ــ وهذا الخلف هو ابنه يوياكين الذى صنع الشر أيضا فصعد عليه نبوخذنصر وعزله ونفاه مع أبنائه ونسائه وعظماء مملكته الى بابل وعين عمه مينا باسم صدقيا ملكا مكانه • وقد صنع هذا الشر ايضا وتحالف مع مصر مرة بعد مرة فصعد عليه نبوخذنصر مرة بعد مرة وفى المرة الثانية قتله وقتل أبناءه وجماعات كثيرة من رجاله وأهل مملكته وسبى الطبقات البارزة الى بابل وبذلك قضى على دولة يهوذا حسب التفصيل الذى أوردناه قبل مقتبسا من الاصحاح الرابع والعشرين والخامس والعشرين من سفر الملوك الثانى أيضا •

ويتطابق الاصحاح السادس والثلاثون من سفر أخبار الايام الثانى اجمالا مع ما ذكره سفر الملوك ، غير أنه قال فى النهاية ان صدقيا صلب عنقه وقسا قلبه عن الرجوع الى الرب وان جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا من التعدى حسب جميع رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب فأرسل اليهم الرب على ألسنة رسله ينذرهم اشفاقا على شعبه فسخروا من رسل الله وازاروا كلامه وهزأوا بأنبيائه حتى ثار غضب الرب على شعبه فأصعد عليهم ملك الكلدانيين فقتل مختاريهم فى بيت مقدسهم ولم يشفق على فتى أو عذراء ولا شيخ وأخذ أوانى بيت الرب وخزائن بيت الملك ورؤساءه الى بابل وأحرقوا بيت الرب وهدموا السور وأحرقوا جميع القصور وأتلفوا كل نفيس . والذين نجوا من السيف أجلوا الى بابل حيث صاروا عبيدا لملك بابل وبنيه .

وواضح من هذا العرض أن حالة دولة يهوذا كانت أحسن — فى الجملة — من حالة دولة اسرائيل سواء من ناحية الاستقرار أم من ناحية الصلاح ، وأن الاسفار سجلت لبعض ملوكها نشاطا غير يسير فى مختلف المجالات ، ونوهت بما كان لهم من مجد وغنى وقوة مثل يوشافاط وحزقيا ويوشيا ، غير أنها سجلت كذلك مظاهر انحراف وتضعضع شديدة شاملة . وكانت فترات ذلك أطول من فترات الاستقامة والصلاح وكان عدد الملوك المنحرفين هم الاكثر فهم رحبعام وأبيا ويورام وأخزيا وأمصيا وآحاز

ومنسى وآمون ويوآحاز ويوياقيم ويوياكين وصدقيا والمستقيمون هم آسا ويوشافاط ويوآش ويوثام وحزقيا ويوشيا . وهؤلاء أيضا لم يكونوا أو لم يكن معظمهم مستقيمين استقامة كاملة بل سجلت الاسفار عليهم انحرافات أيضا وان كانت غير خطيرة كالأولين ، بحيث يمكن أن يقال ان الانحراف والضعف الناتج عنه ونتائجهما فى هذه الدولة كان أيضا هو الاصل والاستقامة والقوة هما الاستثناء . وكان الانحراف الدينى شاملا شمولا عجيبا فى معظم حقبها حتى كان بيت الرب مملوءا بالرجاسات والاصنام والمشاهد الوثنية ومسرحا لاقامة الطقوس الوثنية فضلا عن الاماكن الاخرى وفى كل ناحية من أنحاء الدولة .

هذا ، وفى النسخة الكاثوليكية سفر باسم يهوديت يحتوى قصة تضحية وبطولة لامرأة يهودية جميلة اسمها يهوديت فى ظروف غزوة الكلدانيين ونبوخذنصر ليهوذا . رأينا أن نشير اليه ونلخصه فى هذا المقام لانه متصل بظروف دولة يهوذا وأخريات أيامها .

وملخص القصة أن نبوخذنصر سير جيشا عظيما بقيادة قائد له اسمه أليفانا للاستيلاء على ما بين النهرين وسورية وكليكن الى حدود الحبشة ، وأن ملوك هذه البلاد فزعوا أشد فزع وأعلنوا خضوعهم لسلطان نبوخذنصر وفتحوا لجيشه بلادهم ، وان بنى اسرائيل فى يهوذا لما سمعوا بذلك خافوا هم أيضا وارتعدت

فرائصهم ولكنهم آخذوا يستعدون للدفاع لأنهـم سمعوا أن الجيش الغازى يدمر البلاد وينهبها ولو أعلنت خضوعها له ، وأن أليفانا علم بعزمهم على الدفاع فاشتد حنقه عليهم وكانـت أول مدينة جاء اليها من مدنهم مدينة اسمها بيت فلوى فضرب عليها الحصار وقطع عنها الماء حتى جهد أهلها العطش والخوف وأخذوا يجنحون الى الاستسلام ، وكان فى المدينة أرملة اسمها يهوديت جميلة وغنية ومتيقنة معا فصعب عليها فكرة الاستسلام فخرجت الى معسكر الغزاة متزينة متحلية وهى معتزمة أمـرا بعد ان تفاهمت على ذلك مع أمير المدينة ، ولما قابلت أليفانا قالت له انها خرجت حانقة على حاكم المدينة وشيوخها لانهم يأبون الاستسلام ويستخفون بالغزاة ويعرضون بذلك المدينة للتدمير وأهلهـا للشقاء وانها رأت أن تأتى اليه وتعلمه باسرار المدينة ومداخلهـا حتى يتمكن من فتحها فصدقها ووثق بها وأحلها فى داره مكرمة منعمة وجعلها نديمته حتى اذا وجدت غرة منه فى وقت سـكره احتزت رأسه وحملته وتمكنت من الخروج من المعسكروالوصول الى المدينة سالمة ثم أمرت بتعليـق الرأس على الاسـوار ، والاستعداد للهجوم على الاعداء حينما يكتشفون الامر ويـدب الاضطراب فيهم ، وقد وقع ذلك فعلا فاضطربوا أشد اضطراب ولم يكن لهم هم الا الفرار والنجاة تاركين أثقالهم ، وخرج بنو اسرائيل وراءهم فأهلكوا من أدركوه وملأوا أيديهم بما وجدوه

من غنائم لا تحصى فى المعسكر . وكان فــرح وأعيـــاد عظمى وصلوات وابتهالات للرب الذى يسر لهم هذا النصر .

والقصة مناقضة للواقع التاريخى الذى ذكره ســفر الملوك الثانى وأخبار الايام الثانى وشرحناه قبل فضلا عن أسفار عديدة أخرى مؤيدة له على ما سوف يأتى بعد ، وأثر الخيال فيها ظاهر. والسفر طويل مؤلف من ستة عشر اصــحاحا فى ثلاث وعشرين صفحة وحينما يقرأه القارىء يتجسم له الخيال والمبالغة والمفارقات بصورة قوية . وكل ما يمكن أن يكون على أوسع الفروض أن تكون سرية من سرايا الحملة منيت بهزيمة أمام مدينــة من مدن يهوذا .

- ١١ -

ولقد احتوت أسفار عديدة منسوبة الى أنبياء عاشوا فى أيام بعض ملوك يهوذا واسرائيل تنديدات وتقريعــــات وتنبــؤات ورؤى متنوعة يبرز من خلالها صور قوية لما كانت عليه الدولتان من انحرافات خلقية ودينية واجتماعية ، وما قاساه اهلهما مــن بلاء شديد معللا بانه كان نتيجة لهذه الانحرافات ، وفيها اشارات الى أحداث مختلفة وقعت فى الدولتين ، وفى بعضهـــا بشارات

ومواعظ ونصائح أخلاقية ودينية واجتماعية بليغة ، ودعوة الى التوبة ووعود حسنة لبنى اسرائيل اذا ما عادوا الى الرب وكفوا عن آثامهم • وفى بعضها تقريعات وانذارات بحق الامم الاخرى التى كانت تغزو دولتى يهوذا واسرائيل وتسيطر عليهما وتسومهما الخسف (١) •

وأول هذه الأسفار فى الترتيب سفر آشعيا أو نبوءة آشعيا كما تسميه النسخة الكاثوليكية • وهو ستة وستون اصحاحا أو فصلا فى ثمانين صفحة • ويحتوى معظم الصور التى عددناها آنفا . ومع أنه ذكر فى اصحاحه الاول أن أشعيا عاش فى أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا من ملوك يهوذا فان فى اصحاحاته الأخيرة اشارة الى تدمير أورشليم وذكرا لكورش ملك الفرس الذى أعاد اليهود المسبيين الى فلسطين حيث يدل ذلك على أنه كتب أو أعيدت كتابته بعد السبى وأدخل عليه ما لم يشهده أشعيا بنفسه • ولعل تلك الانذارات والتقريعات والشتائم ضد الامم الاخرى فيه ، قد أدخلت عليه بعد السبى ونتيجة لما بعثته العودة

(١) من الواضح ان فى الانذارات والتقريعات للامم الاخرى شيئا من التناقض مع منطق الاسفار التى كانت تورد ما كان يقع من هذه الامم على بنى اسرائيل على اعتبار انه تسليط من الرب مقوبة لهم على ما كانوا يرتكسون فيه من انحرافات • ومرد هذا التناقض الى تلك الروح التعصبية التى كثيرا ما بدت آثارها فيما احتوته الاسفار السابقة مما نبهنا عليه اكثر من مرة •

من السبي . في نفوس بني اسرائيل من آمال وجددته من ذكريات وآلام وأحقاد .

وقد جاء في اصحاحه الاول (١) : اسمعي ايتها السموات وأصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم . اني ربيت بنين وبنات ورفعتهم فعصوا على . الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه لكن اسرائيل لم يعرف وشعبي لم يفهم . ويل للأمة الخاطئة الشعب الموقر بالاثم ذرية المجرمين البنين الفجار . انهم تركوا الرب واستهانوا بقدوسه وارتدوا على الأعقاب . علام تضربون بعد اذا ازددتم زيغا . الرأس كله مريض والقلب بجملته سقيم . من أخمص القدم الى الرأس لا صحة فيه . بل كلوم وحبط وجراحة طريئة لم تعصر ولم تعصب ولم تلين بدهن . أرضكم خراب ومدنكم محرقة بالنار وحقلكم يأكله الغرباء أمامكم والخراب كتدمير الغرباء . ما فائدتي من كثرة ذبائحكم قد شبعت من محرقات الكباش وشحم المسمنات . لا تعودوا تأتوني بتقدمة باطلة . انما البخور رجس لدى . رءوس شهوركم وأعيادكم كرهتها . فحين تبسطون أيديكم أحجب عيني عنكم وان أكثرتم من الصلاة لا أستمع لكم لان ايديكم مملوءة من

---

(١) عبارة النبذ التي ستسرد هنا وما بعد هي عبارة النسخة الكاثوليكية وقد فضلنا ايراد عبارة الاسفار كما فعلنا كثيرا في الفصول السابقة لانها أقوى تمثيلا للمراد ولاسلوب الزمن الذي كتبت به ودارت عليه .

الدماء . كيف صارت المدينة الامينة زانية . قد كانت مملوءة انصافا وفيها كان مبيت العدل أما الآن فانسا فيها القتلة . فضتك صارت خبثا وصرفك مزج بماء . رؤساؤك عصاة وشركاء للسراق كل يحب الرشوة ويتتبع الاجور . لا ينصفون اليتيم ودعوى الأرملة لا تبلغ اليهم . فلذلك قال السيد رب الجنود لاريحن نفسى من معاندى وأنتقم من أعدائى وأرد يدى عليك وأحرق خبثك بالحرض وأنزع قصديرك كله .

وجاء فى الاصحاح الثالث : هوذا السيد رب الجنود يزيل من أورشليم ومن يهوذا العماد والعمدة . كل عماد الخبز وكل عماد الماء . الجبار ورجل الحرب . القاضى والنبى والعراف والشيخ. قائد الخمسين والوجيه والمشير والحكيم فى الصنائع وفاهم كلام الأسرار . وأجعل الصبيان رؤساء لهم وأهل الحقارة يتسلطون عليهم . ويثب الشعب الواحد منهم على الآخر والانسان على قريبه ويصول الصبى على الشيخ واللئيم على الكريم . ان أورشليم منصرعة ويهوذا ساقطة لان على الرب السنتهم وأفعالهم اغضابا لعينى جلاله (١) ووقاحة وجوههم تشهد عليهم فانهم يجاهرون بخطيئتهم . كسدوم لا يسترونها . فويل لهم انهم يجزون انفسهم شرا . شعبى مسخروه أولاد والنساء يتسلطن

(١) الجملة (من ان اورشليم الى جلالة) فى الطبعة البروتستانتية جاءت بهذه الصيغة لان اورشليم عثرت ويهوذا سقطت لان لسانهما وافعالهما ضد الرب لاغاظة عينى مجده .

عليه . يا شعبى ان مرشديك هم يضلونك ويعفون طريق مذاهبك . يقول الرب اذ قد اختالت بنات صهيون فيمشين متلعات الأعناق غامزات بالعيون ويقاربن الخطو فى مشيتهن . ويجلجلن بخلاخل أقدامهن . فيصلع السيد هامات بنات صهيون ويعرى الرب سوآتهن . يزيل السيد فى ذلك اليوم فخر الخلاخل والأهداب والأهلة والنطفات والأسورة والرعل والعصائب والمصاعيد والمناطق وآنية الطيب والأحراز والخواتم وأخراص الانوف والخلع والعطف والمحازم والاكياس والوذائل والاقمصة والتيجان والأزر (١) . ويكون لهن النتن بدل الطيب والرمة بدل المنطقة والقرع بدل تجعيد الشعر وحزام المسح بدل الوشاح والكى بدل الجمال . يسقط رجالك بالسيف وأبطالك فى القتال وتئن أبوابها نائحة وهى تضحى خاوية لاطئة بالارض . ويستمر السياق فى الاصحاح الرابع فيقول : وفى ذلك اليوم تتمسك سبع نساء برجل واحد ويقلن انا نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا انما نسمى باسمك فاكشف عنا عارنا (٢) .

وجاء فى الاصحاح الخامس : ويل للقائمين من الغداة فى طلب المسكر المستمرين الى العتمة والخمر تلهيهم . وفى مآدبهم

---

(١) فى هذه السلسلة صورة لادوات الزينة النسائية فى ذلك الوقت طريفة وعجيبة .

(٢) فى العبارة انذار ناصم بسوءالمصير بسبب الانتصار الدينى والاخلاقى والاجتماعى كما هو واضح .

الكنارة والعود والدف والمزمار والخمر لا يلتفتون الى عمل الرب ولا يتأملون فى صنع يديه . لذلك سبى شعبى (١) لعدم المعرفة وأصبح عظماؤه ذوى مجاعة . وفحلت عامته من الظمأ . ويل للذين يجرون الاثم بحبال الباطل والخطيئة بمثل أمراس العجلة . ويل للقائلين للشر خيرا وللخير شرا الجاعلين الظلمة نورا والنور ظلمة الجاعلين المر حلوا والحلو مرا . ويل للذين هم حكماء فى أعين أنفسهم عقلا أمام وجوههم . ويل للذين هم جبابرة فى شرب الخمر ذوو بأس فى مزج المسكر . المزكين المنافق لاجل رشوة ، المحرفين على الصديق حقه . كذلك كما يأكل لهيب النار العصافة وكما يفنى الحشيش الملتهب يكون أصلهم كالعود النخر وزهرهم يتناثر كالتراب . لانهم نبذوا شريعة رب الجنود واستهانوا بكلمة قدوس اسرائيل . فاضطرم غضب الرب على شعبه فمد يده عليه وضربه فرجفت الجبال وصارت جثثهم كالزبل فى وسط الشوارع . وفى هذا كله لم يرتد غضبه ويده لا تزال ممدودة . فيرفع راية للامم من بعيد ويصفر لامة من أقصى الارض فاذا بها مقبلة بسرعة وخفة ليس فيها رازح ولا ساقط . سهامها محددة وكل قسيها مشدودة تحسب حوافر خيلها صوانا وعجلاتها اعصارا لها زئير كاللبوة وهى تزأر كالاشبال وتزمجر وتخطف الفريسة وتستخلصها وليس من ينقذها .

---

(١) كانت دولة اسرائيل قد زالت وسبى شعبها الى اشور فى هذه الظروف

وجاء فى الاصحاح السادس : فى السنة التى مات فيها الملك عزيا رأيت السيد جالسا على عرش عال رفيع وأذياله تملأ الهيكل من فوقه السرافون قائمون ستة أجنحة لكل واحد ، باثنين يستر وجهه وباثنين يستر رجليه وباثنين يطير وكان هذا ينادى وذاك يقول قدوس قدوس رب الجنود. الارض كلها مملوءة من مجده. فقلت ويل لى قد هلكت لانى رجل دنس الشفتين وأنا مقيم بين شعب دنس الشفاه . وسمعت صوت السيد قائلا من أرسل ومن ينطلق لنا ؟ فقلت هأنذا فأرسلنى فقال انطلق وقل لهؤلاء الشعب اسمعوا سماعا ولا تفهموا وانظروا نظرا ولا تعرفوا . غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه وأغمض عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى فقلت الى متى أيها السيد ؟ فقال الى ان تصير المدن خربة بدون ساكن والبيوت بغير انسان والارض خرابا مقفرة .

وجاء فى الاصحاح التاسع : سيعلم الشعب كله افرايم وسكان السامرة القائلون بزهو وقلب مستكبر اللبن تساقط لكنا سنبنى بحجارة منحوتة . الجميز قطع لكنا نعتاض عنه بالأرز . سينهض الرب عليه أضداد رصين ويسلح أعداءه . آرام من الشرق وفلسطين من الغرب فيأكلون اسرائيل بكل أفواههم . مع هذا كله لم يرتد غضبه . ولم تزل يده ممدودة . بما أن الشعب لم يثب الى من ضربه ولم يلتمسوا رب الجنود فسيقطع

الرب من اسرائيل الرأس والذنب السعف والبردى فى يوم واحد ، الشيخ والوجيه هو الرأس والنبى الذى يعلم بالكذب هو الذنب والمرشدون لهذا الشعب هم يضلونـــه والمرشدون منه يبادون فلذلك لا يرضى السيد عن منتخبيهم ولا يرحم يتاماهم ولا أراملهم لان الجميع كفرة وفاعلو سوء وكل فم ينطق بالسفه • مع هذا كله لم يرتد غضبه ولم تزل يده ممدودة • ان النفاق يحرق كالنار • يأكل القتاد والشوك ويشتعل فى جدار الغابة • بغضب رب الجنود تضطرم الارض فيكون الشعب مثل وقود النار لا يشفق واحد على أخيه •

وجاء فى الاصحاح العاشر : ويل للذين يشترعون شرائع الظلم والذين يكتبون كتابة الجور ، ليحرفوا حكم المساكين ويسلبوا حق بائسى شعبى لتكون الارامل مغنما لهم وينهبــوا اليتامى • فماذا تصنعون يوم الافتقاد وفى الهلاك الآتى من بعيد والى من تلجأون للنصرة واين تخلفون ثروتكم ؟ انهم بدونى يذلون بـين الأسرى او يسقطون بين القتلى • مع هذا كله لم يرتد غضبـــه ولم تزل يده ممدودة •

وجاء فى الاصحاح السابع والخمسين : هلك الصديق ولـم يكن من تأمل فى قلبه • وضم أهل التقوى ولم يفطن احد انـــه من وجه الشر ضم الصديق • السالكون باستقامتهم يدخلــون فى السلام ويستقرون فى مضاجعهم ــ أما أنتم فاقتربوا الى هنـا

يا بنى السامرة نسل الفاسق والزانية • بمن تسخرون وعلى من تفغرون أفواهكم وتدلعون ألسنتكم • ألستم أولاد المعصية ونسل الزور • المتوهجين الى الاصنام تحت كل شجرة خضراء الذابحين أولادهم فى الأودية تحت كهوف الصخر •

وجاء فى الاصحاح التاسع والخمسين أن يد الرب لا تقصر عن الخلاص • وأذنه لا تثقل عن السماع • لكن آثامكم فرقت بينكم وبين الهكم وخطاياكم حجبت وجهه عنكم فلا يسمع • اذ قد تلطخت أكفكم بالدم وأصابعكم بالاثم وشفاهكم نطقت بالزور • والسنتكم هذت بالاثم ليس من داع بالعدل ولا محاكم بالحق • يتكلون على الخواء وينطقون بالباطل • يحبلون بالضرر ويلدون الاثم • يتفقون بيض الارقم وينسجون خيوط العنكبوت • وبيضهم من أكل منه يموت وما حضن منه ينشق عن أرقم • خيوطهم لا تصير ثوبا ولا يكتسون بأعمالهم لان اعمالهم اعمال الباطل وفعل الجور فى أكفهم • أرجلهم تسعى الى الشر وتسارع الى سفك الدم الزكى • أفكارهم أفكار الباطل وفى مسالكهم دمار وحطم • لم يعرفوا طريق السلام • ولا انصاف فى مناهجهم • قد جعلوا لهم سبلا معوجة كل من سلك فيها لا يعرف السلام لذلك ابتعد الانصاف عنا ولم يدركنا العدل • نترقب النور فاذا بالظلمة ، والضياء فاذا بنا سالكون فى الديجور • نتحسس الحائط كالعمى وتتلمس كمن لا عينين له • نعثر فى الظهيرة كما فى

العتمة ونحن فى الاصحاء كأنا أموات • لأن معاصينا قد كثرت وخطايانا شاهدة علينا • العصيان والكذب على الرب والارتداد من وراء الهنا والنطق بالجور والكفر والحيل بكلام الــزور والهذيذ به •

وجاء فى الاصحاح الثالث والستين : ان ابراهيم لم يعرفنا واسرائيل لم يعلم بنا • أنت يا رب أبونا وفادينا منذ الدهر اسمك • لم أضللتنا يا رب عن طرقك • وقسيت قلوبنا عن خشيتك • ارجع الينا من أجل عبيدك أسباط ميراثك • أعداؤنا داسوا مقدساتك • صرنا كالذين لم تتسلط عليهم منذ الدهر ولم يدعوا باسمك •

وجاء فى الاصحاح الرابع والستين : ليتك تشق السماوات فتسيل الاطواد من وجهك • كما تضرم النار الهشيم وتغلى النار المياه لكى تعرف اضدادك اسمك فترتعد الامم من وجهك • ها أنك غضبت لانا أخطأنا • منذ الدهر نحن فى الخطايا • وكنا كلنا كالنجس • ولم يبق من يدعو باسمك ولا ينتبه ليتمسك بك حتى حجبت وجهك عنا وجعلتنا نذوب بيد اثمنا • والآن يا رب • أنت أبونا • نحن للطين وأنت جابلنا • ونحن جميعا عمل يدك • لا تغضب يا رب كل الغضب • ولا تذكر الاثم الى الابد • أنظر انا جميعا شعبك • قد صارت مدن قدسك قفرا • صهيون صارت قفرا • وأورشليم استوحشت بيت قدسك وفخرنا الذى سجلت

فيه آباؤنا قد أحرق بالنار وجميع مشتهياتنا صارت خرابا . ألعند هذا تتمنع يا رب وتصمت وتعنتنا كل الاعنات .

وجاء فى الاصحاح الخامس والستين : انى اعتلنت لمن لم يسألوا عنى ووجدت ممن لم يطلبونى . قلت هأنذا لامة لم تدع باسمى . بسطت يدى النهار كله نحو شعب عاص يسلكون طريقا غير صالح . شعب يغضبوننى فى وجهى كل حين يذبحون فى الجنات ويبخرون على الآجر . يجلسون فى القبور ويبيتون فى المدافن . يأكلون لحم الخنزير وفى آنيتهم مرق أرجاس . هوذا كتب أمامى انى لا أصمت بل أجازى أجعل جزائى فى أحضانهم آثامكم وآثام آبائكم معا الذين بخروا على الجبال فأكيل أولا عملهم الى أحضانهم . وأنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسى الذين يهيئون المائدة لجد ويعدون الممزوج لمناة فأعينكم للسيف وتجثون جميعكم للذبح لانى دعوت ولم تجيبوا تكلمت ولم تسمعوا . وصنعتم الشر فى عينى وما لم أشأ اياه آثرتم . لذلك هكذا قال السيد الرب . ها ان عبيدى يأكلون وأنتم تجوعون . عبيدى يشربون وأنتم تعطشون . عبيدى يفرحون وأنتم تخزنون . عبيدى يترنمون من طيب القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب وتولولون من انكسار الروح . وتخلفون اسمكم لعنة مختارى ويقتلك السيد الرب ويدعو عبيده باسم آخر .

ويأتى بعد سفر أشعيا سفر ارميا أو نبوءة أرميا وهو طويل أيضا واصحاحاته اثنان وخمسون فى ثلاث وتسعين صفحة . وقد وصف أرميا فى الاصحاح الاول منه أنه من الكهنة وكانت اليه كلمة الرب فى أيام يوشيا بن أمون ملك يهوذا ثم فى ايام يوياقيم ويوياكين وصدقيا . وشهد زحف نبوخذنصر على أورشليم وتدميرها وسبى أهلها . وقد وصف فى بعض اصحاحاته بانه نبى كما ذكرت بعض اصحاحاته أنه تعرض لغضب الشعب وغضب صدقيا بسبب تنديداته وانذاراته وتنبؤاته بمصير أورشليم ويهوذا السيء عقوبة على آثامهم وقد سجنه صدقيا مدة من الزمن .

وفى هذا السفر ما فى سابقه من انذارات وتنديدات وبشارات ووعود ودعوة الى التوبة والانابة ووصف لحالة اليهود وسكانها كما فيه انذارات وتنديدات ضد الامم الاخرى .

ولقد جاء فى الاصحاح الثانى منه : انطلق واصرخ على مسامع أورشليم . اسمعوا كلمة الرب يا آل يعقوب ويا جميع عشائر آل اسرائيل . هكذا قال الرب ماذا وجد فى آباؤكم من الظلم حتى ابتعدوا عنى واقتفوا الباطل وصاروا باطلا . ولم يقولوا أين الرب الذى أخرجنا من مصر وسار بنا فى البرية فى أرض قفار وحفر فى أرض قحل وظلال موت ، فى أرض ما جاز فيها انسان ولا سكنها بشر . فقد أدخلتكم أرض كرمل لتأكلوا ثمارها وطيباتها لكنكم دخلتم ونجستم أرضى وجعلتم

ميراثي نجسا • الكهنة لم يقولوا أين الرب ودارسو الشريعة لم يعرفوني والرعاة عصوني والانبياء تنبأوا بالبعل وذهبوا وراء ما لا فائدة فيه • فلذلك اخاصمكم يقول الرب وأخاصم بني بنيكم • هل استبدلت أمة آلهتها مع أنها ليست بآلهة • أما شعبي فاستبدل مجده بما لا فائدة فيه • اندهلي أيتها السموات من هذا واقشعري وانتفضي جدا • فان شعبي صنع شرين وتركوني أنا ينبوع المياه الحية واحتفروا لهم آبارا مشققة لا تمسك الماء • اعبد اسرائيل او تليد البيت • ما باله صار نهبا • زأرت الأشبال عليه وأطلقت أصواتها وجعلت أرضه بلقعا • مدنه احترقت فلا ساكن فيها • ألم تجلبي هذا عليك بأنك تركت الرب الهك • ان خبثك يؤدبك وارتدادك يبكتك فاعلمي وانظري ان تركك الرب الهك شر ومر • وان مهابتي ليست فيك • انك منذ الدهر كسرت نيرك وقطعت ربطك وقلت لا أتعبد فانك على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء اضجعت زانية • كما يخزى السارق حين يوجد كذلك خزى آل اسرائيل هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وانبياؤهم بقولهم للخشب أنت أبي وللحجر أنت ولدتني انهم قد ولوني أقفيتهم لا وجوههم وفي وقت ضرهم يقولون قم وخلصنا • فأين آلهتك الذين صنعتهم لك فليقوموا لعلهم يخلصونك في وقت ضرك فان آلهتك يا يهوذا كانوا على عدد مدنك • لماذا تبررين طريقك طلبا للمحبة وقد علمت طرقك ايضا

الفجور • وفى ذيالك ايضا وجد دم المساكين والازكياء • ما أبعد ضلالك بتغييرك الطريق • انك ستخزين من مصر (١) كما خزيت من آشور • من هناك أيضا تخرجين ويداك على رأسك لان الرب رذل ثقاتك فلا تنجحين فيها •

وقد جاء فى الاصحاح الثالث : يقال اذا سرح الرجل امرأته فذهبت من عنده لرجل آخر فهل يرجع اليها من بعد • ألا تتدنس تلك الارض تدنسا • وأنت فقد زنيت مع أخلاء كثيرين فارجعى الى • يقول الرب • ارفعى طرفك الى الروابى وانظرى هل من مكان لم توطئى فيه لقد قعدت لهم كالاعرابى فى البادية ودنست الارض بزناك وفجورك فامتنع رذاذ المطر • وصارت لك جبهة امرأة زانية وأبيت أن تستحيى • أما دعوتنى منذ ذلك الوقت : يا أبت انت مرشد حياتى . هل يحقد الى الابد ؟ هكذا تكلمت ثم صنعت الشر ما استطعت وفى أيام يوشيا الملك قال لى الرب : هل رأيت ما فعلت المرتدة اسرائيل كيف انطلقت الى كل جبل عال والى تحت كل شجرة خضراء وزنت هناك • وبعد أن صنعت ذلك كله قلت ارجعى الى فلم ترجع • فرأت أختها الغادرة يهوذا • انى بسبب زنى المرتدة اسرائيل قد سرحتها ودفعت اليها كتاب الطلاق فلم تخش الغادرة يهوذا اختها بل ذهبت وزنت هى أيضا ولاستسهالها

(١) فى هذا السفر خبر نزوح معظم من بقى بعد تدمير اورشليم الى مصر مما سوف نشرحه فى سياق تاريخ بنى اسرائيل بعد انهيار دولة يهوذا •

الزنى نجست الأرض وزنت مع الحجر ومع الخشب • ومع هذا كله فلم ترجع الى أختها الغادرة يهوذا بكل قلبها ولكن بالكذب •

وقد جاء فى الاصحاح الخامس : طوفوا فى شوارع أورشليم وانظروا وتفرسوا وفتشوا فى ساحاتها هل تجدون انسانا هل يوجد من يجرى الحكم ويطلب الحق فاعفوا عنها • فانهم وان قالوا حى الرب انما يحلفون زورا • قد ضربتهم فلم يحزنوا أتلفتهم فأبوا أن يقبلوا التأديب وصلبوا وجوههم أكثر من الصخر وأبوا ان يتوبوا فقلت انهم مساكين حمقى فيجهلون طريق الرب فانطلق الى العظماء وأكلمهم لانهم يعرفون طريق الرب فاذا هؤلاء جميعا قدكسروا النيروقطعوا الربط• معاصيهم تكاثرت وانداداتهم تعاظمت • كيف اصفح وقد تركنى بنوك وحلفوا بما ليس الها وحين أشبعتهم فسقوا والى بيت الزانية تبادروا • صاروا حصنا معلفة هائمة كل يصهل على امرأة قريبه • أفلا افتقد على هذه يقول الرب ولا تنتقم نفسى من أمة مثل هؤلاء • اصعدوا على اسوارها وافسدوا • انتزعوا اغصانها فانها ليست للرب فقد غدر بى غدرا آل اسرائيل وآل يهوذا • جحدوا الرب وقالوا ليس هو اياه فلاينزل بنا شر ولا نرى سيفا ولا جوعا • هأنذا أجلب عليكم أمة من بعيد يا آل اسرائيل امة قوية أمة قديمة أمة ليست تعرف لسانها ولا تفهم ما تتكلم به • جعبتها كقبر مفتوح • كلهم جبابرة • فيأكلون حصادك وخبزك وغنمك وبقرك وكرمك وتينك

ويدمرون بالسيف مدنك الحصينة . آثامكم وخطاياكم منعت الخير عنكم لانه وجد بين شعبى منافقون يرصدون وهم لابثون كالصيادين . قد نصبوا الفخ فيقتنصون الناس . كذلك بيوتهم امتلأت من الغش . أعلى هذه لا أفتقد ومن أمة مثل هؤلاء لا تنتقم نفسى . قد حدث فى الأرض امر مدهش فظيع . الانبياء يتنبأون زورا والكهنة يتسلطون بأيديهم وشعبى يحب مثل هذه الأمور .

وقد جاء فى الاصحاح السابع ، هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل ، اصلحوا طرقكم وأعمالكم . لا تتكلوا على قول الكذب . انكم ان أصلحتم طرقكم وأعمالكم . وأجريتم الحكم بين الرجل وقريبه . ان لم تجوروا على الغريب واليتيم والارملة ولم تسفكوا الدم الزكى ولم تتبعوا آلهة اخرى فانى أسكنكم فى هذا الموضع . ها أنكم تتكلون على كلام الكذب . أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون بالزور وتقترون للبعل وتتبعون آلهة اخرى ثم تأتون وتقفون بين يدى فى هذا البيت الذى دعى باسمى وتقولون قد انقذنا حتى تصنعوا جميع تلك الأرجاس . أفصار هذا البيت الذى دعى باسمى مغارة للصوص ، والآن بما انكم عملتم هذه الأعمال وقد كلمتكم مبكرا فى كلامى ولم تسمعوا فسأصنع بهذا البيت الذى دعى باسمى كما صنعت بشيلو . وأنبذكم عن وجهى كما نبذت جميع اخوتكم .

وقد جاء فى الاصحاح الثامن ما بال شعب أورشليم قد أصر على ارتداده انهم تمسكوا بالغرور وأبوا أن يتوبوا . كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا . ان قلم الكتبة الكاذب قد حولها الى الكذب لذلك أعطى نساءهم لآخرين وحقولهم لوارثين . لانهم جميعا من صغيرهم الى كبيرهم يحرصون على السحت وهم جميعا من النبى الى الكاهن يأتون الزور .

وقد جاء فى الاصحاح الحادى عشر : قال لى الرب قد وجدت فتنة فى رجال يهوذا وسكان اورشليم . قد رجعوا الى آثام آبائهم الاولين الذين أبوا ان يسمعوا لكلماتى فهم ايضا اتبعوا آلهة أخرى ليعبدوها ونقض آل اسرائيل وآل يهوذا عهدى الذى عاهدت به آباءهم لذلك ها أنذ أجلب عليهم شرا لا يستطيعون التخلص منه فيصرخون الى ولا أسمع لهم . فتنطلق مدن يهوذا وسكان أورشليم ويصرخون الى الآلهة التى هم مقترون لها فلا تخلصهم فى وقت ضرهم . فانه على عدد مدنك كان عدد آلهتك يا يهوذا . وعلى عدد شوارع أورشليم نصبتم مذابح للخزى مذابح لتقتروا للبعل . وأنت فلا تصل عن هذا الشعب ولا ترفع لاجلهم دعاء ولا صلاة فانى لا أسمع لهم وقت صراخهم الى من ضرهم .

وقد جاء فى الاصحاح الخامس عشر : وقال لى الرب لو أن موسى وصموئيل وقفا أمامى لما توجهت نفسى الى هذا الشعب

فأطرحهم عن وجهى وليخرجوا . واذا قالوا لك الى أين نخرج فقل لهم هكذا قال الرب الذين للموت فالى الموت والذين للسيف فالى السيف والذين للجوع فالى الجوع والذين للجلاء فالى الجلاء . وأوكل بهم أربعة أصناف : السيف للقتل والكلام للتمزيق وطير السماء وبهائم الارض للاكل والاتلاف وأدفعهم الى العنف فى جميع ممالك الارض من أجل منسى بن حزقيا ملك يهوذا وما صنع فى أورشليم . من يشفق عليك ويرثى لك يا أورشليم . انك رفضتنى يقول الرب وارتددت الى الوراء فأمد يدى عليك وأتلفك فقد مللت من العفو عنك .

وقد جاء فى الاصحاح الخامس والعشرين : قد أرسل الرب اليكم كل عبيده الانبياء مبكرا فلم تسمعوا ولم تميلوا مسامعكم . قلت ارجعوا كل واحد عن طريقه الشرير وعن شر أعمالكم واسكنوا الارض التى أعطاها الرب لكم . ولا تتبعوا آلهة أخرى فلم يسمعوا . لذلك ها أنا أرسل وآخذ جميع عشائر الشمال ونبوخذنصر ملك بابل عبدى وآتى بهم على هذه الارض وعلى جميع سكانها وعلى هذه الأمم من حولها وأبسلهم وأجعلهم دهشا وأخربه .

وقد جاء فى الاصحاح الثانى والثلاثين : هأنذا أجعل هذه المدينة فى أيدى الكلدانيين وفى يد نبوخذنصر ملك بابل فيأخذها الكلدانيون ويضرمون النار فيها ويحرقونها هى وبيوتها التى

قتروا على سطوحها للبعل وسكبوا سكبا لآلهة أخر يسخطوننى. فان بنى اسرائيل وبنى يهوذا هم صانعو شر فى عينى منذ حياتهم.

ولأرميامراثى بليغة وحزينة على ما صارت اليه حالة يهوذا وأورشليم ، لها سفر خاص جاء عقب سفر نبوءته فيها توكيد لما ارتكس فيه بنو اسرائيل من انحرافات كانت سبب ما صاروا اليه من مصير .

وهذه نماذج منها : من الاصحاح الاول :

كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب ، صارت كأرملة العظيمة فى الأمم . السيدة فى البلدان صارت تحت الجزية .

تبكى بكاء فى الليل ودموعها على خديها . لا معزى لها من جميع محبيها . كل اخلائها غدروا بها وصاروا لها أعداء . جلبت يهوذا للبؤس وشدته للعبودية سكنت فى الامم ولم تجد راحة . جميع طارديها أدركوها بين المضايق .

طرق صهيون نائحة لعدم القادمين الى الأعياد . وجميع أبوابها متهدمة . كهنتها متنهدون . وعذاراها متحسرات وهى فى مرارة . زال عن بنت صهيون كل بهائها . صار رؤساؤها كايائل لم تجد مرعى فساروا ولا قوة لهم أمام وجه الطارد .

كل شعبها متنهدون ملتمسون طعاما . قد بذلوا مشتهياتهم للاكل ورد النفس ، انظر يا رب وتأمل كيف صرت مزدراة .

انظر يا رب فانى فى ضيق . أحشائى جائشة وقلبى مختبط فى

باطنى لانى عصيت عصيانا . السيف يثكل فى الخارج والموت فى البيت

ومن الاصحاح الثانى :

محق السيد جميع مساكن يعقوب ولم يشفق . هدم بسخطه حصون بنت يهوذا وألصقها بالارض . نجس الملك والرؤساء .

قطع فى شرة غضبه كل قرى لاسرائيل . رد يمينه الى الوراء من أمام العدو وأضرم فى يعقوب مثل نار ملتهبة أكلت ما حولها .

صار السيد كعدو . محق اسرائيل . محق جميع قصورها ودمر حصونها . أكثر فى بنت يهوذا النوح والنحيب .

كلت عيناى من الدموع وجاشت احشائى . كبدى أريقت على الأرض من أجل حطم بنت شعبى . اذ غشى على الطفل والمرضع فى ساحات القرية . قالوا لامهاتهم أين البر والخمر . اذ غشى عليهم كالجرحى فى ساحات المدينة . اذ أريقت نفوسهم على حضون أمهاتهم .

انظر يا رب وتأمل . من صنعت به هكذا أتأكل النساء ثمرتهن أطفال الحضانة أيقتل فى مقدس السيد الكاهن والنبى .

ومن الاصحاح الرابع :

كانت قتلى السيف أحسن حالا من قتلى الجوع . لان هؤلاء كانوا يذوبون بطعنة قحط الارض .

أيدى النساء الشديدات الحنو طبخت أولادهن فكانوا لهن طعاما فى حطم بنت شعبى .

أنجز الرب سخطه وصب شرة غضبه فأضرم نارا فى صهيون فأكلت أسسها .

لاجل خطايا أبنائها وآثام كهنتها الذين سفكوا فى وسطها دم الصديق . تاهوا كعميان فى الشوارع تلطخوا بالدم حتى لم يطق أحد أن يلبس ملابسهم . نادوهم أن تنحوا ايها الانجاس . تنحوا تنحوا لا تلمسوا . فلما هربوا لم يزالوا تائهين فى الامم لا يعودون الى مساكنهم .

ومن الاصحاح الخامس : وهو معنون بعنوان صلاة أرميا :

اذكر يا رب ما حل بنا . انظر وعاين عارنا . قد انقلب ميراثنا الى الغرباء وبيوتنا الى الاجانب . صرنا يتامى لا أب لنا وأمهاتنا كأرامل . بالفضة شربنا ماءنا وبالثمن يؤخذ حطبنا . بالعصا على أعناقنا طردنا . قد أذلوا النساء فى صهيون والعذارى فى مدن يهوذا . أيديهم علقت الرؤساء ولم يحترموا وجوه الشيوخ . أخذوا الشبان للطحن والصبيان سقطوا تحت الخشب . قد انقطع سرور قلوبنا وانقلب رقصنا مناحة . سقط تاج رأسنا . ويل لنا لانا خطئنا . أنت يا رب ثابت الى الأبد وعرشك الى جيل فجيل . لماذا تنسانا على الدوام وتخذلنا طول الايام . أعدنا

يا رب اليك فنعود • جدد أيامنا كما كانت فى القدم لكنك رذلتنا رذلا وغضبت علينا جدا •

ويلى سفر مراثى أرميا أسفار باروك ـ وهو من زوائد النسخة الكاثوليكية وحزقيال ودانيال • وأصحاب الاسفار الثلاثة عاشوا فى أثناء السبى • ثم يأتى سفر هوشع الذى عاش فى أيام يربعام بن يواش ملك اسرائيل ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا • والسياق يقتضى تقديم تلخيص هذا على الأسفار الثلاثة السابقة له •

وهو أربعة عشر اصحاحا فى ثلاث عشرة صفحة • وفيه ما فى سفرى أشعيا وأرميا من موضوعات •

وقد جاء فى اصحاحه الأول : أن الرب قال لهوشع انطلق فاتخذ لك امرأة زنا وأولاد زنا فان الارض تزنى زنى عن الرب• فانطلق واتخذ جومر بنت دبلائيم فحبلت وولدت له ابنا ، فقال الرب سمه يزرعيل فانى بعد قليل افتقد دماء يزرعيل فى آل ياهو وأزيل مملكة آل اسرائيل • ثم حبلت ثانية وولدت بنتا فقال له سمها غير مرحومة فانى لا أعود أرحم آل اسرائيل بل أذهب بهم ذهابا • ثم حبلت وولدت ابنا فقال سمه ليس بشعبى فانكم لستم بشعبى ولا أنا لكم •

وقد جاء فى الاصحاح الرابع : اسمعوا كلمة الرب يا بنى اسرائيل فان للرب خصومة مع سكان الارض اذ ليس فى الارض

حق ولا رحمة ولا معرفة الله بل اللعنة والكذب والقتل والسرقة والفسق قد فاضت والدماء تلحق بالدماء على حسب كثرتهم ٠

وجاء فى الاصحاح الخامس : اسمعوا هذا أيها الكهنة واصغوا يا آل اسرائيل وأصيخوا يا آل الملك فان عليكم القضاء اذ قد صرتم فخا لمصفاة وشبكة مبسوطة على تابور ٠ لقد توغل الزائغون فى الذبح وان كنت مؤدبا لجميعهم ٠ انى عرفت افرائيم ولم يخف عنى اسرائيل ٠ انك الآن زنيت يا افرائيم ٠ لقد تنجس اسرائيل ٠ انهم لا يوجهون أعمالهم للتوبة الى الههم لان روح الزنى فى وسطهم ولم يعرفوا الرب ٠ وصلف اسرائيل يشهد عليه فى وجهه واسرائيل وافرائيم يسقطان باثمهما ويسقط يهوذا ايضا معهما ٠

وجاء فى الاصحاح السادس : ماذا أصنع اليك يا افرائيم ٠ ماذا أصنع اليك يا يهوذا ٠ ان رحمتكم كسحابة الصبح وكالندى الذى يزول باكرا ٠ لذلك نحستهم بالانبياء وقتلتهم بأقوال فمى ٠ هم كآدم تعدوا عهدى : غدروا بى ٠ ان جلعاد مدينة فاعلى الاثم منجسة بالدم ٠ وكما يرصد اللصوص انسانا كذلك زمرة الكهنة يقتلون فى طريق شكيم ٠ لانهم صانعو الفجور ٠ انى رأيت فى آل اسرائيل ٠ ما يقشعر منه هناك زنى افرائيم وتنجس اسرائيل ولك أيضا يا يهوذا جعل حصاد عندما أرد جلاء شعبى ٠

وجاء فى الاصحاح التاسع : لا تفرح يا اسرائيل طربا

كالشعوب لانك زنيت عن الهك . قد أتت أيام الافتقاد . أتت أيام الجزاء . سيعلم اسرائيل ان النبى سفيه ورجل الروح مجنون لكثرة اثمك وشدة الحنق . جميع مساوئهم فى الجلجال . هنالك أبغضتهم . انى لسوء أعمالهم أطردهم من بيتى . ان جميع رؤسائهم عصاة .

ومن الاسفار التى نحن فى صددها سفر عاموس . وقد عاش فى أيام عزيا ملك يهوذا ويربعام بن يوآش ملك اسرائيل . وهو مثل سابقه صغير . فان اصحاحاته تسعة وصحفه احدى عشرة . وفى اصحاحه الثانى : انى لاجل معاصى يهوذا لا أرده ــ العذاب ــ لانهم نبذوا شريعة الرب ولم يحفظوا رسومه وأضلتهم أكاذيبهم التى اتبعها آباؤهم فارسل نارا على يهوذا فتأكل قصور اورشليم . انى لاجل معاصى اسرائيل لا أرده لانهم باعوا الصديق بالفضة والمسكين بنعلين .

وقد جاء فى الاصحاح الخامس : لقد أبغضوا الموبخ فى الباب ونعتوا المتكلم بالاستقامة . لذلك بما أنكم تطؤون المسكين وتأخذون منه حمل بر فأنتم تبنون بيوتا من حجر منحوت ولا تسكنون فيها وتغرسون كروما شهية ولا تشربون خمرها . فانى عالم بمعاصيكم الكثيرة وخطاياكم العظيمة . تضايقون الصديق وتأخذون الاجر وتحرفون حق المساكين فى الباب .

وقد جاء فى الاصحاح السادس : انكم تستبعدون يوم السوء

وتدنون مجلس العنف • وتضجعون على أسرة من عاج وتنبسطون على جمالكم • وتأكلون الحملان من الغنم والعجول• وتغنون على صوت العود وتشربون الخمر بالجامات وتدهنون بالادهان النفيسة ولا تكتئبون لانكسار يوسف لذلك يجلون الآن فى رأس الجلاء فيزول صياح المتبسطين • لقد أقسم السيد الرب بنفسه انى أكره زهو يعقوب وأبغض حضوره • فلأسلمن المدينة ومليئها • هأنذا أقيم عليكم يا آل اسرائيل أمة فيضايقونكم من مدخل حماة الى وادى الغور •

وقد جاء فى الاصحاح السابع : رأيت السيد قد وقف على حائط مبنى على المطمار وبيده مطمار • فقال لى ما أنت راء يا عاموس فقلت مطمارا (١) ؟ فقال : هأنذا أجعل المطمار فى وسط شعبى اسرائيل ولا أعود أعفو من بعد فتدمر مشارف اسحق وتخرب مقادس اسرائيل وأقوم على بيت يربعام بالسيف •

وقد جاء فى الاصحاح الثانى : قد أقسم الرب على زهو يعقوب انى لا أنسى عملا من أعمالهم الى الابد• أفلاترجف الأرض لأجل ذلك ، وينوح كل ساكن فيها ، وتطمر كلها وتطفح كنهر ثم تنضب كنهر مصر • ويكون فى ذلك اليوم يقول السيد الرب : انى أغيب الشمس عند الظهيرة وأجلب الظلمة على الأرض فى

---

(١) فى الطبعة البروتستانتية كلمة زيج بدل مطمار وتفيد العبارة انها آلة بناء أو هدم •

النهار الضاحى وأحول أعيادكم نواحا ، وجميع أغانيكم رثـاء • ان الذين يقسمون باثم السامرة ويقولون حى الهك ياداں وحية طريقة بئر السبع يسقطون ولا يقومون من بعد •

وقد جاء فى الاصحاح التاسع : رأيت السيد واقفا على المذبح فقال أضرب النجران فتتزلزل الاعتاب وليحل سـحنتهم على رءوسهم جميعهم وانى سأقتل أواخرهم بالسيف فلا يهرب منهم هارب ولا يفلت منهم ناج • ان نقبوا الى الجحيم فمن هنـاك تأخذهم يدى أو صعدوا الى السماء فمن هناك أنزلهـم • وان اختبأوا فى رأس الكرمل فمن هناك آخذهم أو استتروا من أمام عينى فى قعر البحر فمن هناك آمر الحية فتلسعهم وان ذهبوا الى الجلاء امام وجوه اعدائهم فمن هنا آمر السيف فيقتلهم وأجعـل عينى عليهم للشر لا للخير •

ومن الاسفار التى نحن فى صددها سفر ميخا الذى عاش فى أيام يوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا وهو سبعة اصحاحـات فى ثمانى صفحات •

وقد جاء فى اصحاحه الثانى : ويل للذين يفكرون فى الاثم ، ويخترعون الشر فى مضاجعهم ثم فى نور الصباح يصنعونه اذ هو فى طاقة ايديهم • يشتهون حقولا فيغتصبونها وبيوتا فيحوزونها ويظلمون الرجل وبيته والانسان وميراثه • لذلك هكذا قال الرب هأنذا مفكر على هذه العشيرة بشر لا تحولون عنـه أعناقكم

ولا تشون متشامخين لانه زمان سوء • فى ذلك اليوم يتخذ عليكم مثل ويرثى رثاء أى رثاء ويقال لقد دمرنا تدميرا • ويدل على نصيب شعبى كيف حول عنى وقسمت للآنب حقولنا •

وجاء فى الاصحاح الثالث : وقلت اسمعوا يا رؤساء يعقوب وحكام آل اسرائيل أما ينبغى لكم أن تعرفوا الحكم أيها المبغضون الخير والمحبون الشر النازعون جلودهم عنهم ولحومهم عن عظامهم الذين يأكلون لحوم شعبى ويسلخون جلودهم عنهم ويهشمون عظامهم ويقطعونهم كما فى القدر وكاللحم وسط المقلى حينئذ يصرخون الى الرب فلا يجيبهم بل يحجب وجهه عنهم فى ذلك الزمان على حسب اساءة أعمالهم • هكذا قال الرب على الأنبياء الذين يضلون شعبى ويعضون بأسنانهم وينادون بالسلام والذى لا يلقمهم فى اخوانهم يقدسون عليه القتال • انه لذلك يكون لكم الليل عوض الرؤيا والظلمة عوض العرافة وتضرب الغرب الشمس على الأنبياء ويدلهم عليهم النهار • فيخزى الراؤون ويخجل العرافون وجميعهم يلثمون شفاههم لانه ليس جواب من الله ؛ اسمعوا يا رؤساء آل يعقوب وحكام آل اسرائيل الذين يمقتون العدل ويعوجون كل استقامة الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالاثم ؛ رؤساؤها يحكمون بالرشوة وكهنتها يعلمون بالاجرة وأنبياؤها يتخذون العرافة بالفضة ويعتمدون على الرب قائلين أليس الرب فى وسطنا فلا يحل بنا شر لذلك ستحرث

صهيون بسببكم وتصير أورشليم رجما وجبل البيت مشارف غاب

ومن هذه الأسفار سفر صفنيا الذى كان فى أيام يوشيا بن أمون ملك يهوذا وهو ثلاثة اصحاحات فى أربع صفحات • وقد جاء فى اصحاحه الاول : لأحشدن الجميع حشدا عن وجه الارض يقول الرب : أحشد البشر والبهائم وطير السماء وسمك البحر مع المنافقين واستأصل البشر عن وجه الأرض ، وأمد يدى على يهوذا وعلى جميع سكان أورشليم واستأصل من هذا الموضع بقية البعل أسماء سدنة الهياكل مع الكهنة ، والذين يسجدون على السطوح لجنة السماء والذين يسجدون للرب ويحلفون به ويحلفون بملكوم • والذين ارتدوا عن الرب والذين لم يطلبوا الرب ولم يلتمسوه •اصمتوا فان يوم الرب قريب وقد أعد الرب ذبيحة وقدس مدعويه فيكون فى يوم ذبيحة الرب أنى افتقد الرؤساء وبنى الملك وكل لابس لباسا غريبا وكل الذين يثبون من فوق الاسكنة الذين يملأون بيت سيدهم جورا ومكرا • قريب يوم الرب العظيم وسريع جدا صوت يوم الرب مر • هناك يصرخ الجبار يوم حنق ذلك اليوم يوم ضرر وضيق يوم ابادة واتلاف • يوم ظلمة وديجور •يوم غمام وضباب • يوم بوق وهتاف على المدن المحصنة والبروج الشامخة ، وأضايق البشر فيمشون كالعمى لانهم خطئوا الى الرب • وتهال دماؤهم كالتراب ولحومهم كالرجيع فلا تقدر فضتهم ولا ذهبهم على انقاذهم فى يوم غضب

الرب بل بنار غيرته ستؤكل جميع الأرض لانه يوقع فناء سريعا على جميع سكان الارض •

وجاء فى الاصحاح الثالث : ويل للمتمردة الدنسة المدينة الجائرة . انها لم تسمع الصوت ولم تقبل التأديب • ولم تتكل على الرب ولم تتقرب الى الهها • رؤساؤها فى وسطها أسود زائرة وقضاتها ذئاب مساء لا يبقون شيئا الى الصباح • أنبياؤها ذوو خلاعة وخيانة وكهنتها دنسوا القدس وتعدوا الشريعة •

تحسين القناة فى برنامج السنوات الخمس

وافقت اللجنة العليا للتخطيط أخيرا على الاستثمارات التى ستخصص فى خطة التنمية الاقتصادية لمشروعات تحسين القناة التى ستنفذ خلال خمس السنوات القادمة ، وقد قدرت تكاليف المشروعات الخاصة بها خلال هذه الفترة بحوالى ٣٨ مليون جنيه ونصف تقريبا سيمول جزء منها من قرض البنك الدولى وبعض النقد الاجنبى والباقى بالعملة المحلية ·

وقد تضمنت التقديرات التى عرضت على اللجنة المشار اليها حقائق هامة عن القناة :

- فقد زاد متوسط حمولة ناقلات البترول التى تمر بالقناة ٣٠ ٪ عنها فى عام ١٩٥٥ ·
- بدأت الهيئة فى تنفيذ المرحلة الاولى فى مشروع ناصر التى تشمل :
- تنفيذ مشروع الارشاد الاجبارى فى غاطس السويس ·
- انشاء أرصفة عميقة بميناء بور سعيد وتوسيع المساحة المائية والارضية للميناء لتساعد على انعاش الحركة التجارية فى المنطقة ولتسهيل عبور السفن المارة فى القناة بالسماح لها بالمرور فى الاتجاهين ·
- انشاء حوض عائم فى بور سعيد للاصلاحات اللازمةللسفن
- تنفيذ مشروع ترسانة هيئة قناة السويس ·

مطابع شركة الاعلانات الشرقية



اخترنا لك - ٨٧

تاريخ بني اسرائيل

من اسفارهم

بقلم
محمد عزة دروزه

الجزء الثالث

إخترنا لك ٨٧

تاريخ بني إسرائيل

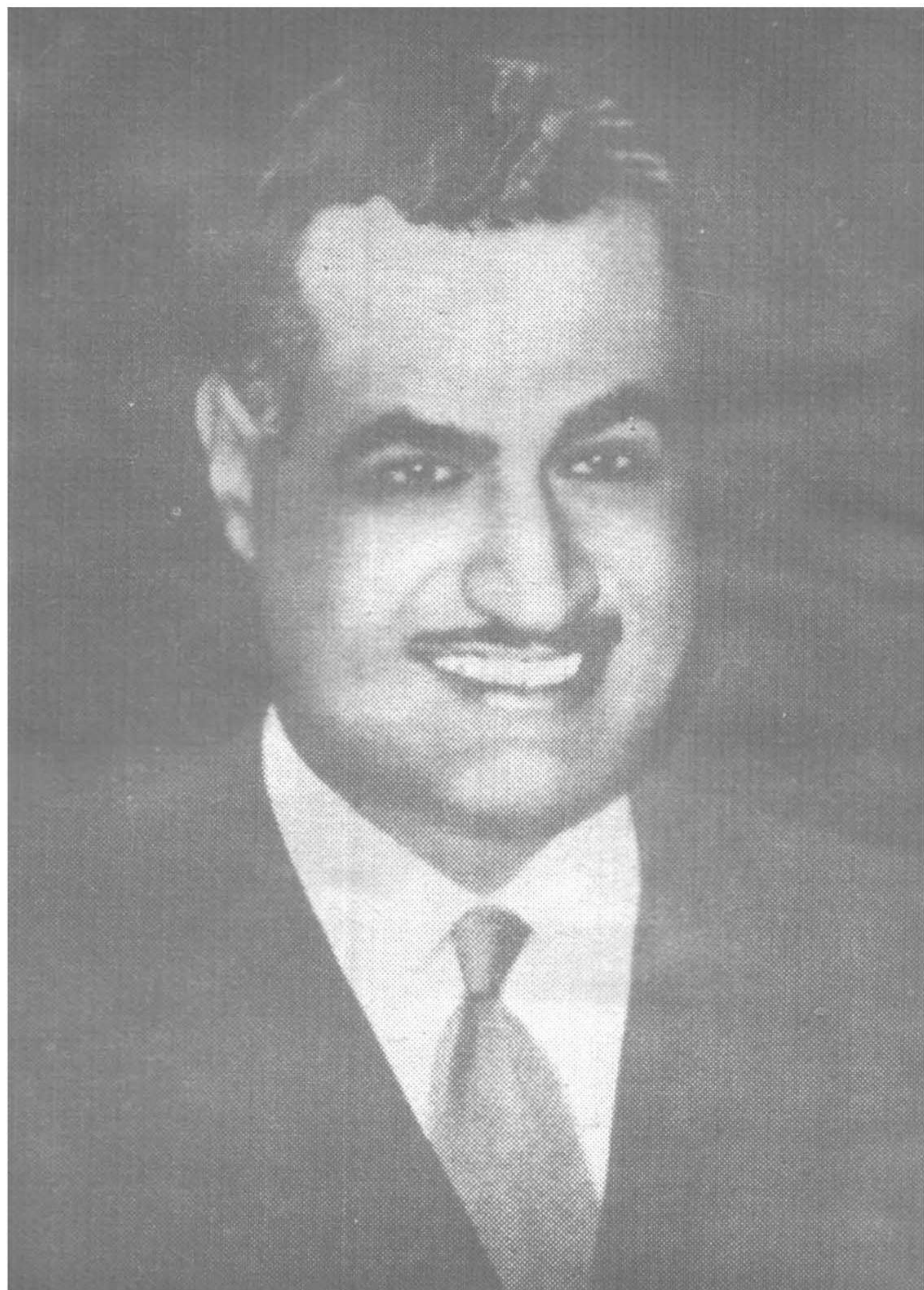
من أسفارهم

بقلم

محمد عزه دروزة

الجزء الثالث

مطابع شركة الاعلانات الشرقية



الرئيس جمال عبد الناصر

تاريخ بنى اسرائيل بعد السبى

الى دور المكابيين

- ١ -

والآن نأتى الى تاريخ بنى اسرائيل بعد سبى أورشليم وتدميرها .

وفى آخر اصحاحات سفر الملوك الثانى نبذة تحتوى ما جرى عقب هذا التدمير . وفى سفر أرميا فصول عديدة فيها بيانات أوفى فى صدد ذلك لان أرميا شهد حادث التدمير وعاش بعده أمدا ، فى فلسطين ومصر . ثم هنالك أسفار عديدة منسوبة الى أشخاص عاشوا فى حقبة السبى وبعدها واحتوت أشياء كثيرة عنها . وهى أسفار عزرا ونحميا واستير وحزقيال ودانيال ويوئيل وحجى وزكريا ويهوديت وطوبيا وباروك والمكابيين . والاربعة الاخيرة هى من زوائد النسخة الكاثوليكية .

وأسفار عزرا ونحميا واستير ويهوديت وطوبيا تغلب عليها السمة التاريخية دون البقية التى هى رؤى وتنبؤات وتجليات وتنديدات بما كانت عليه حالة اليهود فى هذه الحقبة وقبلها وما

كان من غضب الله عليهم وضربهم وتشتيتهم ، ومواعظ وبشارات لهم بالعودة واستئناف الحياة ثانية فى أرض كنعان ، وتقريعات للامم الاخرى التى كانت تغزو وتزعج دولتى يهوذا واسرائيل واليهود عامة وتسيطر عليهم وتستعبدهم وتذلهم وتذكيرات بما حل بها من دمار وبلاء مما ينسحب عليه ما قلناه قبل من التناقض مع منطق الاسفار والروح التعصبية الضيقة وما بعثته العودة من السبى فى نفوس بنى اسرائيل من آمال وجددته من آلام وأحقاد وفى خلال ذلك بعض بيانات وصور قوية عن حالة اليهود فى حقبة السبى وما بعده والمتبادر ان ما جاء فى هذه الاسفار عن حالة بنى اسرائيل وتاريخهم قبل السبى مستمد من أسفار اخرى، وفيها تطابق لما جاء فى أسفار اخبار الايام والملوك • وسنورد العبارة اذا اقتضى الامر بصيغتها الواردة فى النسخة الكاثوليكية كما فعلنا قبل لأنها كما قلنا أقوى تمثيلا وأشد صلة للزمن الذى تذكر أحداثه وتعطى صوره •

ولقد جاء فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر الملوك الثانى ـ الرابع وهو آخر اصحاحاته أن نبوخذنصر ولى على من بقى من شعب يهوذا جدليا بن أحقيان بن شافان ـ وهو من بنى اسرائيل ـ وأن رؤساء الجيوش وهم اسماعيل بن تتنيا ويوحانان ابن قاريح وسرايا بن تنحومت النطوفى ويازنيا بن المعكى لما سمعوا بذلك أتوا مع رجالهم الى جدليا فى المصفاة ـ موقع فى

غور أريحا ـ فحلف هذا لهم وقال لاتخافوا من عبودية الكلدانيين . اسكنوا الارض وتعبدوا لملك بابل فيكون لكم خير ، وأنه فى الشهر السابع جاء اسماعيل بن تنيا بن أليشاماع من النسل الملكى وعشرة رجال معه وضربوا جدليا فمات وضربوا اليهود والكلدانيين الذين معه فى المصفاة فقام جميع الشعب من الصغير الى الكبير ورؤساء الجيوش وأتوا مصر لانهم خافوا من الكلدانيين .

ولقد جاء فى الاصحاح الاربعين من سفر أرميا ان جدليا قال لرؤساء الجيوش المذكورة أسماؤهم ولرجالهم انى ساكن فى المصفاة (١) لأقف أمام الكلدانيين الذين يأتون الينا . أما انتم فستغلوا الخمر والحصيد والزيت وأوعوها فى آنيتكم واسكنوا فى مدنكم التى أخذتموها . وكذلك جميع اليهود الذين فى مؤاب وبين بنى عمون وفى أدوم والذين فى كل الأراضى ، لما سمعوا تولية جدليا رجعوا من جميع الاماكن التى دحروا اليها وأتوا الى أرض يهوذا وأخذوا يستغلون من الخمر والحصيد شيئا كثيرا . وجاء يوحانان بن قاريح وجميع رؤساء الجيوش الذين فى الصحراء الى جدليا وقالوا له ان بعليس ملك بنى عمون أرسل اسماعيل بن تتنيا وطلب منه يوحانان أن يأذن له بقتله قائلا : لماذا

---

(١) المصفاة هى المكان الذى يقال له اليوم شعفاط فى ضواحى القدس على ما ذكره المطران الدبس .

يقتلك فيتبدد جميع اليهود المجتمعين اليك وتهلك بقية يهوذا فأبى ولم يصدق وقال ليوحانان انك تتكلم على اسماعيل افتراء . ولكن اسماعيل جاء فى الشهر السابع مع عشرة رجال الى جدليا فى المصفاة وأكلوا على مائدته ثم ضربوه وقتلوه على ما جاء فى الاصحاح الحادى والاربعين وقتلوا جميع اليهود والكلدانيين الذين كانوا معه ، وفى طريقهم صادفوا ثمانين رجلا محلقى اللحى ممزقى الثياب وهم مخدشون وبأيديهم تقدمة ولبان ليقربوها الى بيت الرب فذبحهم وألقاهم فى وسط جب . وكان بينهم عشرة رجال قالوا لاسماعيل لا تقتلنا فان لنا كنوزا فى الصحراء من حنطة وشعير وزيت وعسل فاستبقاهم . وسبى اسماعيل جميع بقية الشعب الذين فى المصفاة وبنات الملك الذين وكلهم نبوز رادان رئيس شرط بابل الى جدليا وانطلق عابرا الى بنى عمون . وسمع يوحانان وجميع رؤساء الجيوش بكل الشر الذى صنعه اسماعيل فأخذوا جميع الرجال وانطلقوا ليقاتلوه ولكنه استطاع أن يفلت منهم واضطر الى التخلى عن المسبيين فأخذ يوحانان وجميع رؤساء الجيوش الذين معه ، كل بقية شعب المصفاة الذين استردهم من اسماعيل واتجهوا صوب مصر فرارا من وجه الكلدانيين لانهم خافوا منهم بسبب قتل اسماعيل لجدليا

ويقول الاصحاح الثانى والاربعون انهم تقدموا لارميا ليصلى الى الرب لأجلهم ووعدوه بفعل كل مايأمرهم به بلسان الرب .

فوعدهم بالصلاة • وبعد عشرة ايام دعاهم وقال لهم ان الرب يقول ان سكنتم فى هذه الأرض فانا أبنيكم ولا أنقض وأغرسكم ولا أقلع لانى قد ندمت على الشر الذى صنعته بكم • لا تخافوا من ملك بابل فانى معكم لاخلصكم وانقذكم من يده • وان قلتم لا نسكن فى هذه الارض ولم تسمعوا لصوت الرب وثبتم وجوهكم لتذهبوا الى مصر فالسيف الذى تخافون منه يدرككم هناك والجوع الذى تخشونه يتعقبكم وهناك تموتون • ولا يبقى لمن يفعل ذلك شريد ولا مفلت وكما انصب غضبى وسخطى على سكان أورشليم ينصب سخطى عليكم اذا ذهبتم الى مصر فتكونون سبة ودهشا ولعنة وعارا ولا ترون هذا الموضع بعد ، هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل •

ويقول الاصحاح الثالث والاربعون ان عزريا بن هوشعيا ويوحانان وجميع الرجال العتاة قالوا بعد ما فرغ من خطابه انك تكلمت افتراء على الرب وان باروك بن نيريا يغريك بنا لنجعل فى أيدى الكلدانيين ونقتل ونجلى الى بابل • وأخذوا كل بقية يهوذا الرجال والنساء والاطفال وبنات الملك وانطلقوا الى مصر وانتهوا الى تحفيس احدى مدن مصر على ما يستفاد من سياق الكلام ولعلها من مدن الدلتا — ويظهر أن أرميا ذهب معهم لان الاصحاح يقول ان الرب أمر أرميا فى تحفيس بان يأخذ حجارة كبيرة ويطمرها فى موضع التلبين عند مدخل بيت فرعون بتحفيس

على عيون رجال من اليهود ويقول لهم هكذا قال الرب هأنذا أرسل وآخذ نبوخذنصر ملك بابل عبدى وأجعل عرشه فوق هذه الحجارة ويبسط ديباجه فوقها فيقبل ويضرب أرض مصر فيصير الذين للموت الى الموت والذين للسبى الى السبى والذين للسيف الى السيف وأضرم نارا فى بيوت آلهة مصر وهو يحرقها ويسبيها ويلبس أرض مصر كما يلبس الراعى ثوبه ويخرج من هناك بسلام ويكسر أصنام بيت الشمس التى فى أرض مصر ويحرق بيوت آلهة مصر بالنار .

وهكذا تشرد جميع سكان يهوذا تشردا شاملا ، والذين نجوا من الموت أجلوا الى بابل والذين لم يجلوا نزحوا الى مصر .

ويظهر أن النازحين الى مصر لم يلبثوا ان انحرفوا الى الديانة المصرية . فقد جاء فى الاصحاح الرابع والاربعين من سفر أرميا أن أرميا خاطب جميع اليهود الساكنين فى أرض مصر الذين يسكنون مجدول وتحفيس ونوف وأرض فتروس بلسان الرب قائلا : يقول رب الجنود قد رأيتم كل الشر الذى جلبته على أورشليم ومدن يهوذا وهى الآن خربة لا ساكن فيها بسبب شرهم الذى صنعوه يسخطوننى اذ ذهبوا ليقطروا ويعبدوا آلهة اخرى. وقد أرسلت اليهم عبيدى الانبياء ، قائلا لا تصنعوا رجسا مثل هذا فانى أمقته فلم يسمعوا فانصب سخطى وغضبى عليهم فلماذا تصنعون هذا الشر العظيم العائد عليكم لينقرض منكم الرجل

والمرأة والصبى والمرضع ولتسخطونى باعمال ايديكم مقترين لآلهة آخرى فى أرض مصر التى أتيتموها لتتغربوا فيها وتنقرضوا وتصيروا لعنة وعارا فى جميع أمم الارض • أنسيتم شرور آبائكم وشرور ملوك يهوذا وشرور نسائهم ونسائكم التى صنعت فى أرض يهوذا وفى شوارع أورشليم فهأنذا آجعل وجهى عليكم للشر ولانقراض جميع يهوذا الذين انطلقوا الى أرض مصر فيسقطون بالسيف والجوع ويفنون من الصغير الى الكبير ويصيرون سبة ودهشا ولعنة وعارا • فأجاب الرجال العارفين أرميا أن الكلام الذى كلمتنا به باسم الرب لا نسمع لك فيه بل نعمل بحسب كل كلام يخرج من أفواهنا مقترين لملكة السماء وسالكين لها كما عملنا نحن وآباؤنا وملوكنا ورؤساؤنا فى مدن يهوذا وشوارع أورشليم فشبعنا خبزا وكنا بخير ولم نر شرا • ولكن منذ أهملنا التقتير لملكة السماء صرنا محتاجين الى كل شىء وفنينا بالسيف والجوع • فأجابهم أرميا : ان التقتير الذى قترتموه والذى حظره الرب عليكم جمله لا يستطيع الاحتمال فصارت أرضكم خرابا ودهشا ولعنة لا ساكن فيها كما هى اليوم فاسمعوا كلمة الرب ها أنا قد أقسمت باسمى العظيم أن اسمى لا يذكر من بعد فى فم أحد من يهوذا فى جميع أرض مصر • هأنذا أسهر عليهم للشر لا للخير فيفنى كل رجال يهوذا الذين فى أرض مصر بالسيف والجوع • انى سأفتقدكم فى هذا الموضع لكى تعلموا

أن كلامى عليكم للشر يقوم ، هأنذا أجعل فرعون خفرع ملك مصر فى أيدى أعدائه كما جعلت صدقيا فى يد نبوخذنصر ملك بابـل .

- ٢ -

وسفر نبوءة باروك ـ وهو من زوائد النسخة الكاثوليكية ستة اصحاحات فى اثنتى عشرة صفحة ، ومحتوياته متصلة بحقبة غزو الكلدانيين لاورشليم ، وكاتبه من قافلة المسبيين الأولى من أورشليم الى بابل على ما يستفاد منه . ويقول اصحاحه الأول ان هذا كلام الكتاب الذى كتبه باروك بن نيريابن معسيا بن صدقيا بن حسديا بن حلقيا فى بابل ، فى السنة الخامسة حين أخذ الكلدانيون أورشليم وأحرقوها بالنار وتلاباروك كلام هذا الكتاب على مسامع يكينا بن يوياقيم ملك يهوذا وبنى الملوك والشيوخ وجميع الشعب من الصغار الى الكبار الساكنين فى بابل على نهر سود ، فبكوا وصاموا وصلوا أمام الرب وجمعوا من الفضة قدر ما استطاعت يد كل واحد وبعثوها الى يوياقيم بن حلقيا بن شلوم الكاهن والكهنة والشعب الذين معه فى أورشليم، وقالوا انا ارسلنا اليكم فضة فابتاعوا بها محرقات وذبائح للخطيئة

ولبانا واصنعوا تقادم وقدموها على مذبح الرب الهنا وصلوا من أجل حياة نبوخذنصر ملك بابل وحياة بيلشصر ابنه لكى تكون أيامهما كأيام السماء الارض فيؤتينا الرب قوة وينير عيوننا ونحيا تحت ظل نبوخذنصر ملك بابل وظل بيلشصر ابنه وتتعبد لهما أياما كثيرة ونحن نائلون لديهما حظوة وصلوا من أجلنا الى الرب الهنا فانا قد خطئنا اليه ولم يرتد سخطه وغضبه عنا الى هذا اليوم واتلوا هذا الكتاب الذى أرسلناه اليكم لينادى به فى بيت الرب فى يوم العيد وفى أيام المحفل • وقولوا للرب الهنا العدل ولنا خزى الوجوه كما فى هذا اليوم لرجال يهوذا وسكان أورشليم ولملوكنا ورؤسائنا وكهنتنا وأنبيائنا وآبائنا ، من يوم أخرج الرب آباءنا من أرض مصر الى هذا اليوم ما زلنا نعاصى الرب الهنا ونعرض عن استماع صوته فلحق بنا الشر واللعنة اللذان أمر الرب موسى عبده ان يوعد بهما يوم أخرج آباءنا من أرض مصر ليعطينا أرضا تدر لبنا وعسلا فلم نسمع لصوت الرب الهنا ولا لجميع كلام الانبياء الذين أرسلهم الينا ومضينا كل واحد على اضرار قلبه الشرير عابدين آلهة أخر صانعين الشر أمام عينى الرب الهنا •

وتستمر حكاية كلام بنى اسرائيل لاخوانهم فى أورشليم فى الاصحاح الثانى حيث جاء فيه : فأقام الرب كلامه الذى تكلم به علينا وعلى قضاتنا الذين يقضون فى اسرائيل وعلى ملوكنا

ورؤسائنا وعلى رجال اسرائيل ويهوذا ، جالبا علينا شرا عظيما بحيث لم يحدث تحت السماء بأسرها مثل ما أحدثه فى أورشليم على حسب ما كتب فى شريعة موسى ، حتى أكل بعضنا لحم ابنه والآخر لحم بنته وأخضعهم تحت أيدى جميع الممالك التى حولنا وجعلهم عارا ودهشا فى جميع الشعوب الذين شتتهم الرب بينهم .

ثم يتغير سياق الكلام فى الاصحاح حيث يحكى خطاب الاسرائيليين أصحاب الكلام السابق الى الرب فيعترفون بما كان منهم من خطأ ونفاق واثم ومخالفة لكل رسوم الشريعة ويلتمسون منه الاصغاء لصلاتهم وتضرعهم لينقذهم وينيلهم الحظوة أمام الذين أجلوهم ، ويقولون انهم يرفعون تضرعهم أمام الرب لا لأجل بر آبائهم وملوكهم بل لانه أرسل سخطه وغضبه عليهم وفقا لما تكلم به على ألسنة عبيده الانبياء حيث قال : احنوا مناكبكم وتعبدوا لملك بابل فتسكنوا فى الارض التى أعطيتها لآبائكم وان لم تسمعوا لصوت الرب بأن تتعبدوا لملك بابل فانى أبطل من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الطرب وصوت الفرح صوت العروس والعروسة وتكون كل الارض مستوحشة لا ساكن فيها . فلم نسمع لصوتك بأن تتعبد لملك بابل فأقمت كلامك الذى تكلمت به على ألسنة عبيدك الانبياء أن تخرج عظام ملوكنا وعظام آبائنا من مواضعها

وها انها مطروحة لحر النهار وقرس الليل وقد ماتوا فى أوجاع أليمة بالجوع والسيف والطرد وجعلت البيت الذى دعى باسمك كما فى هذا اليوم لاجل شر آل اسرائيل وآل يهوذا (١) ، وقد عاملتنا أيها الرب بكل رأفتك ورحمتك العظيمة وتكلمت على لسان عبدك موسى يوم أمرته أن يكتب شريعتك قائلا ان لم تسمعوا لصوتى فان هذا الجمع العظيم الكثير يصير نفرا قليلا فى الامم الذين أشتتهم بينهم ، فانى عالم بأنهم لا يسمعون لى لانهم شعب قساة الرقاب لكنهم سيرجعون الى قلوبهم فى أرض جلائهم ويعلمون انى أنا الرب الههم وأعطيهم قلوبا وآذانا سامعة فيسجوننى فى أرض جلائهم ويذكرون اسمى ويتوبون عن صلابة رقابهم وشر أعمالهم لانهم يتذكرون طريق آبائهم الذين خطئوا أمام الرب وأعيدهم الى الارض التى خلقت عليها آباءهم . وأقيم لهم عهدا أبديا فأكون لهم الها ويكونون لى شعبا ولا أعود أزعزع شعبى اسرائيل من الارض التى أعطيتها لهم .

والمتبادر أن العبارة الاخيرة متأثرة بما كان من واقع العودة وما أثارته فى نفوس بنى اسرائيل من آمال . ولا سيما أن هذا

---

(١) هذا الكلام فى معرض التذكير بما كان من غزوة نبوخذنصر الاولى وخضوع ملك يهوذا له ثم تمرده المرة بعد المرة حتى جعله يأتى ويدمر اورشليم كما هو المتبادر

العهد الابدى الذى ذكره الاصحاح باسم الرب قد انتقض بما كان من تدمير أورشليم تدميرا شاملا أكثر من تدمير نبوخذنصر وتشريد من كان فيها من بقايا اليهود من قبل الرومان على ما سوف نشرحه بعد .

وفى اصحاحات السفر الثالث والرابع والخامس تضرعات وصلوات للرب وهتاف له بالاصغاء اليهم ورحمتهم وعدم ذكر آثام آبائهم . ودعوة الى التوبة واتباع شريعة الرب ، وبشرى برحمة الله وتيسير العودة الى أورشليم ، وهتاف لهذه المدينة بأن تخلع حلة النوح والمذلة وتلبس بهاء المجد وتستقبل أبناءها العائدين الذين ذهبوا عنها راجلين يسوقهم الاعداء ثم يعيدهم الله راكبين بكرامة كمن هو على عرش الملك .

والمتبادر كذلك أن هذا متأثر بما كان من واقع العودة وآثارها .

أما الاصحاح السادس فانه نسخة الرسالة التى أرسلها أرميا الى الذين كان ملك بابل مزمعا أن يسوقهم فى الجلاء الى بابل يخبرهم بما أمره الله به ، مما يبدو أنه لا صلة بينه وبين السفر لان باروك كان فى الجلاء بينما هذه الرسالة موجهة الى بنى اسرائيل فى أرض يهوذا قبيل الجلاء ، الا أنه من المحتمل أن يكون باروك نفسه هو الذى ألحقها بما كتبه وسجله .

والرسالة طويلة استغرقت أربع صفحات ، وفيها تذكير بما كان من آثام بنى اسرائيل وعقوبة الرب عليها باجلائهم الى بابل ودعوة الى عبادة الله وحده وتحذير من السجود لآلهة البابليين الذهبية والفضية والخشبية وعدم الخوف من أبهتها وما تثيره زخارفها وملابسها وصناعتها وما فى أيديها من سيوف وصولجانات وما لها من كهان وهياكل ، فهى لا تستطيع أن تفعل شيئا ولا تملك لاحد نفعا ولا ضرا ولا نجاة ولا حماية ولا نصرا بل ولا تستطيع أن تحمى نفسها من سرقة اللصوص وأخذهم ما عليها من ثياب وحلى الخ ؛ وكل هذا بعبارة قوية متنوعة الصياغة .

- ٣ -

وسفر دانيال أربعة عشر اصحاحا فى خمس وثلاثين صفحة وبعض مقاطع من بعض اصحاحاتها مفقودة على ماتذكره النسخة الكاثوليكية .

ويستفاد منه أن صاحبه من انبياء بنى اسرائيل وانه كان فى قافلة المسبيين التى سباها نبوخذنصر الى بابل مع الملك يوياكين أو يوياقيم أى قبل تدمير أورشليم النهائى وانه ظل فى المنفى الى

عهد كورش وداريوس بن أحشو بريش على ما جاء فى اصحاحه الاول .

وقد احتوى هذا السفر قصصا كثيرة فيما جرى له مع نبوخذنصر وبيلشصر ملكى بابل الكلدانيين وداريوس بن أحشو بريش المادى وكورش الفارسى وما تعرض له مع بعض رفاقه من بلاء وامتحانات بسبب امتناعهم عن السجود لغير الله رغم أمر الملك وما كان من عناية الله بهم وانقاذهم من النار التى ألقوا فيها والاسود التى طرحوا فى جبها عقوبة لهم وما كان من تأثير ذلك فى الملوك وحظوته عندهم وما كان من رؤى رآها فى مصير المملكة الكلدانية وقيام الدولة الفارسية المادية وما كان من رؤى رآها الملوك وفسرها لهم بعد أن عجز المعبرون عن ذلك الخ .. وفى ما احتواه من ذلك كثير من الخيال والمفارقات والخلط التاريخى ، مثل جعل داريوس هو الذى قتل آخر ملوك الكلدانيين واستولى على مملكته ونعته بالمادى وجعل كورش يأتى بعده ونعته بالمادى، حيث يسوغ ذلك كله أن يكون السفر مما كتب مؤخرا من مذكرات أو ذكريات أو قصص معزوة الى دانيال وليس فيها مع ذلك شىء ذو بال مما يتصل بتاريخ اليهود وحالتهم . غير أن الاصحاح التاسع من السفر احتوى تضرعات ودعوات لدانيال موجهة للرب لانقاذ شعبه وحكاية ظهور جبريل له مبشرا مشجعا مطمئنا معلما .

وقد احتوى الاصحاح وصفا لآثام بنى اسرائيل التىسببت لهم السبى والخزى •

وجاء فيه فيما جاء فى سياق ابتهالات دانيال وتضرعاته : أيها السيد الاله العظيم الرهيب ، حافظ العهد والرحمة للذين يحبونك ويحفظون وصاياك • انا خطئنا وأثمنا ونافقنا وتمردنا وزغنا عن وصاياك وأحكامك • ولم نسمع لعبيدك الانبياء الذين كلموا باسمك ملوكنا ورؤساءنا وآباءنا وجميع شعب الارض • لك أيها السيد العدل ولنا خزى الوجوه كما فى هذا اليوم لرجال يهوذا وسكان أورشليم ولجميع اسرائيل لدانيهم وقاصيهم فى جميع الاراضى التى دحرتهم اليها لاجل تعديهم الذى تعدوا عليك وللسيد الهنا الرحمة والمغفرة لانا تمردنا عليه • فتعدى جميع اسرائيل شريعتك وزاغوا غير سامعين لصوتك فانصبت علينا اللعنة والحلف المكتوب فى توراة موسى عبد الله لاننا خطئنا اليه • فأقام كلامه الذى تكلم به علينا وعلى قضاتنا الذين قضوا بيننا جالبا علينا شرا عظيما بحيث لم يحدث تحت السماء بأسرها مثل ما حدث فى أورشليم • وكما كتب فى شريعة موسى حل علينا جميع هذا الشر ونحن لم نستعطف وجه الرب الهنا تائبين عن آثامنا وفاهمين حقك • فسهر الرب على الشر وجلبه علينا لان الرب الهنا عادل فى جميع أعماله التىعملها

ونحن لم نسمع لصوته • والآن أيها السيد الهنا الذى أخرج شعبه من أرض مصر بيد قديرة وأقام له اسما • أيها السيد لينصرف غضبك وحنقك عن مدينتك أورشليم جبل قدسك فانه لخطايانا وآثام آبائنا صارت أورشليم وشعبك عارا عند جميع الذين حولنا • فالآن اسمع يا الهنا صلاة عبدك وتضرعاته وانظر أخربتنا والمدينة التى دعى اسمك عليها فانا لسنا لاجل برنا نلقى تضرعاتنا أمامك بل لاجل مراحمك الكثيرة • أيها السيد اسمع • أيها السيد اغفر • أيها السيد اصغ واصغ ••

- ٤ -

وسفر حزقيال ثمانية وأربعون اصحاحا فى أربع وثمانين صفحة • ويستفاد منه أنه هو الآخر من أنبياء بنى اسرائيل وأنه كان من المسبيين ، وكان يقيم عند نهر خابور •

وقد احتوى سفره قصصا عديدة عن تجلى الله وملاكه له ورؤى عديدة رآها فى حالة ومصير بنى اسرائيل وغيرهم من الامم ، وفى وصف ما كانت عليه حالة بنى اسرائيل قبل السبى وفى أثنائه ، وفى ارساله من قبل الرب الى بنى اسرائيل فى الجلاء منذرا وواعظا ومنددا بما ظلوا عليه من انحراف وقسوة قلب

وتمرد وعصيان وفيه مواعظ وأمثال ونصائح دينية وخلقيـــة واجتماعية •

ومما جاء فى اصحاحه الثانى : أن الرب قال له يا ابن البشر انى مرسلك الى بنى اسرائيل الذين تمردوا على وعصونى هـــم وآباؤهم الى هذا اليوم • انى مرسلك الى البنين الصـــلاب الوجوه القساة القلوب فتقول لهم هكذا قال الرب لعلهم يسمعون ويكفون ويعلمون أن بينهم نبيا

ومما جاء فى اصحاحه الثالث أن الرب قال له يا بن البشرانطلق الى آل اسرائيل وكلمهم بكلامى ، لست مرسلا اياك الى شعب غامض اللغة وثقيل اللسان بل الى آل اسرائيل ولو أنى أرسلتك الى غيرهم لسمعوا لك ولكن آل اسرائيل يأبون أن يسمعوا • ثم رفعنى الروح وذهب بى الجهلاء الى الساكنين على نهر كبار، ثم كلمنى الرب قائلا انى جعلتك رقيبا عليهم فاســـمع كلمتى وأنذرهم عنى اذا قلت للمنافق انك تموت موتا ولم تنذره فانه يموت فى اثمه ولكنى من يدك أطلب دمه • أما اذا أنذرته ولم يتب من نفاقه ومن طريقه الشرير فهو يموت فى اثمه ولـــكنك تكون قد خلصت نفسك •

ومما جاء فى اصحاحه الخامس : هكذا قال الســـيد الرب هذه أورشليم قد جعلتها وسط الامم ومن حولهـــا الارض •

ونصت أحكامى بنفاقها أكثر من الامم ورسومى أكثر من الاراضى التى من حولها . نبذوا أحكامى ولم يسلكوا رسومى لذلك هكذا قال الرب بما أنكم تذمرتم أكثر من الامم التى من حولكم ولم تسلكوا فى رسومى ولم تعملوا حسب أحكامى فهأنذا عليك وسأجرى أحكاما فى وسطك أمام عيون الامم وأفعل بك ما لم أفعله وما لا أعود أفعل مثله لاجل جميع أرجاسك . فالآباء يأكلون البنين فى وسطك والبنون يأكلون آباءهم ، وأجرى فيك أحكاما ، وأذرى جميع بقيتك لكل ريح بما أنك نجست مقدسى بجميع ممقوتاتك وجميع أرجاسك فأنا أيضا أقطع ولا ترثى عينى ولا أشفق . فقلت يموتون بالوباء ويفنون بالجوع فى وسطك وثلث يسقطون بالسيف من حولك وثلث أذريهم لكل ريح واستل السيف وراءهم فيتم غضبى وأريح حنقى منهم وأتعزى . وأجعلك خرابا وعارا ولعنة وعبرة ودهشا للامم التى من حولك .

وفى اصحاحاته من السابع الى السابع عشر رؤيا رآها حزقيال تجلى فيها الرب له وأراه ما كان ارتكس فيه بنواسرائيل من الوثنية والرجاسات فى المعبد وفى الخلوات مما كان السبب فى ثوران غضب الله وسخطه عليهم وما كان من تسليطه ملك بابل عليهم وجعله يوغل فيهم تدميرا وفتكا ونهبا وسبيا .

ثم احتوى الاصحاح الثامن عشر كلاما بمثابة التعقيب جاء فيه فيما جاء ما بالكم تتمثلون بالمثل قائلين الآباء أكلوا الحصرم وأسنان البنين ضرست • ان جميع النفوس هي لي • النفس التي تخطيء هي التي تموت • فالانسان اذا كان صديقاوأجرى الحكم والعدل ولم يأكل على الجبال ولم يرفع طرفه الى أصنام آل اسرائيل ولم ينجس امرأة قريبة ولم يدن من امرأة طامث ولم يعسف أحدا ورد على المديون رهنه ولم يختلس خلسة وأعطى خبزه للجائع وكسا العريان ثوبا ولم يعط بالربى ولم يأخذ ربحا وكف يده عن الاثم وأجرى قضاء الحق بين الانسان والانسان وسلك في رسومي وحفظ أحكامي عاملا بالحق ، يحيا حياة • فان ولد ابنا لصا سفاكا للدماء يصنع ضد جميع ما ذكر فانه يموت موتا ويكون دمه عليه • فاذا هو ولد ابنا فرأى جميع خطايا أبيه التي صنعها لكنه لم يصنع مثلها فانه لا يموت باثم أبيه بل يحيا حياة • اذ ارتد البار عن بره وصنع الاثم وعمل جميع الارجاس فان جميع البر الذي صنعه لا يذكر وبتعديه الذي تعدى وخطيئته التي خطيء يموت • ستقولون ان طريق السيد ليس بمستقيم • أليست طرقكم التي هي غير المستقيمة لذلك أدينكم يا آل اسرائيل كل واحد عن طرقه • توبوا واستتيبوا عن معاصيكم فلا يكون الاثم معثرة لكم • انبذوا

عنكم جميع معاصيكم واصنعوا لكم قلبا جديدا وروحا جديدة فلا تموتون •

ومما جاء فى الاصحاح التاسع عشر :

وأنت فارشد برثاء على رؤساء اسرائيل • وقل كيف امك اللبوة ربضت بين الاسود وربت جراءها فى وسط الاشبال ، وأعلت واحدا من جرائها فصار شبلا وتعلم افتراس الفريسة وأكل الناس فسمعت به الامم فأخذ فى هوتهم فقادوه ببرة الى أرض مصر فلما رأت أنها قد انتظرت وهلك رجاؤها أخذت آخر من جرائها وأقامته شبلا فتعلم افتراس الفريسة وأكل الناس وعرف أراملهم وخرب مدائنهم ، فاستوحشت الارض وملئها من صوت زئيره فخرجت عليه الامم بما حوله من البلاد وبسطوا عليه شركهم فأخذ فى هوتهم فجعلوه فى قفص ببرةوأتوا به الى ملك بابل وطرحوه فى الحصون لئلا يسمع صوته من بعد على جبال اسرائيل •

ومما جاء فى الاصحاح العشرين :

أتى رجال من شيوخ اسرائيل ليسألوا الرب فجلسوا أمامى فكانت الى كلمة الرب قائلا عرفهم أرجاس آبائهم وقل لهم قال الرب انى يوم اخترت اسرائيل ورفعت يدى لذرية آل يعقوب

وتعرفهم اليهم فى أرض مصر ورفعت يدى لهم قائلا أنا الرب الهكم ورفعت يدى لهم على أن أخرجهم من أرض مصر الى الارض التى ارتدتها لكم التى تدر لبنا وعسلا وهى فخر جميع الاراضى فقلت لهم انبذوا كل واحد أرجاس عينيه ولا تتنجسوا بأصنام مصر فتمردوا على وأبوا أن يسمعوا الى فقلت انى أصب حنقى عليهم وأتم غضبى فيهم فى أرض مصر لكنى عملت لئلا يتدنس اسمى على عيون الامم الذين هم بينهم فأخرجتهم وأتيت بهم الى البرية وأعطيتهم رسومى وأعلمتهم أحكامى لكنهم تمردوا على فى البرية فلم يسلكوا فى رسومى ورفضوا أحكامى ودنسوا سبوتى فقلت انى أصب حنقى عليهم فى البرية لكنى عملت لاجل اسمى لئلا يتدنس على عيون الامم وأشفقت عينى عليهم من التدمير فلم أفنهم فى البرية فقلت لبنيهم فيها لا تسلكوا فى رسوم آبائكم ولا تحفظوا أحكامهم ولا تتنجسوا بأصنامهم لكن البنين تمردوا على ولم يسلكوا فى رسومى وأحكامى ودنسوا سبوتى فقلت انى أصب حنقى عليهم لاتم غضبى عليهم فى البرية لكنى رددت يدى وعملت لاجل اسمى ورفعت يدى لهم فى البرية على أن أشتتهم بين الامم وأذريهم فى الاراضى لانهم لم يعملوا بأحكامى ورفضوا رسومى ودنسوا سبوتى وما كانت عيونهم وراء أصنام آبائهم . لذلك قل لبنى

اسرائيل أتكونون تتنجسون بطـريق آبائكم وتزنون باتبـاع أرجاسهم وبتقديم عطاياكم واجازة بينكم فى النار وتتنجسـون مع جميع أصنامكم الى اليوم وأجيب عن سؤالكم يا آل اسرائيل حى أنا ، يقول السيد الرب لا أجيبن عن سؤالكم وما خطر على قلوبكم لا يكون البتة •

ومما جاء فى الاصحاح الحادى والعشرين :

يا ابن البشر اجعل وجهك الى أورشليم وأفض نحو مقدسهم وتنبأ نحو أرض اسرائيل وقل لها هكذا قال الرب هأنـذا أجرد سيفى من غمده وأقرض منك الصديق والمنافق • وأنت أيهـا النجس المنافق رئيس اسرائيل الذى أتى يومه عنـد بلوغ الاثم غايته انى أنزع العمامة وأرفع التاج وأجعل انقلابا على انقلاب •

ومما جاء فى الاصحاح الثانى والعشرين :

وأنت يا ابن البشر هلا تدين مدينة الدماء وتعلمها بجميـع أرجاسها • قل أيتها المدينة التى تسفك الدم فى وسطها ليـأتى وقتها وتضر نفسها بصنع أصنام تتنجس بها • لقد أثمت بدمك الذى سفكته وتنجست بأصنامك التى صـنعتها فأدنيت أيامك أيامك ولذلك قد جعلتك عارا للامم وسخرة لجميـع الاراضى الدانيات منك والقاصيات عنك يسخرن منك أيتها المنجسـة

الاسم الكثيرة الهرج ، فيك أهانوا أبا وأما وفى وسطك عاملوا القريب بالجور وفيك اعسفوا اليتيم والارملة، لقدازدريت أقداسى ودنست سبوتى رجال نميمة كانوا فيك لسفك الدم وفيك أكلوا على الجبال وفى وسطك صنعوا الفجور • فيك من كشف سوءة أبيه وفيك أذلت المتنجسة بطمثها • واحد صنع مع امرأة قريبه ما هو رجس وواحد نجس كنته بفجور • وواحد أذل فيك أخته بنت أبيه • فيك أخذت الرشوة لسفك الدم • وأنت أخذت الربا والربح وجرت على قريبك بالسحت ونسيتنى • فهأنذا ضربت كفى على سحتك الذى اتخذته وعلى الدم المسفوك فى وسطك • فهل يثبت قلبك أو تقوى يداك أيام أجرى معك أمرى أنا الرب تكلمت وسأفعل • أشتتك بين الامم وأذريك فى الاراضى فتعلمن انى أنا الرب • يا بن البشر ان آل اسرائيل قد صاروا لدى خبثا فجميعهم نحاس وقصدير وحديد ورصاص فى الكور وهم خبث فضة • لذلك قال الرب هأنذا أجمعكم فى وسط أورشليم فى غضبى وحنقى وأدعكم هناك وأنفخ عليكم نار وغرى • فتعلمون أنى أنا الرب صببت حنقى عليكم • يا بن البشر قل لها انك أرض غير مطهرة لم تمطر فى يوم السخط • فى داخلها فتنة أنبيائها كأسدزائر مفترس فريسة قدالتهموا النفوس وأخذوا المال والنفيس وكثروا الارامل فى وسطها • كهنتها تعدوا

شريعتى ودنسوا أقداسى ولم يميزوا بين المقدس والمدنس ولم يعلموا الفرق بين النجس والطاهر وحجبوا عيونهم عن سبوتى فتدنست فى وسطهم • رؤساؤها فى وسطها كالذئاب المفترسة الفريسة سافكين الدم مهلكين النفوس لكى يكسبوا سحتا وأنبياؤها طينوا لهم بردىء الملاط برؤياهم الباطل وعرافتهم لهم بالكذب قائلين هكذا قال الرب والرب لم يتكلم • جاروا جورا على شعب الارض واختلسوا خلسة وأعسفوا البائس والمسكين وجاروا على الغريب بغير حق • وقد طلبت من بينهم رجلا يشيد جدارا ويقف على الثلمة أمامى مدافعا عن الارض لكى لا أدمرها فلم أجد • فصببت عليهم سخطى وأفنيتهم بنار وغرى وجعلت طريقهم على روسهم •

وفى الاصحاحين الثالث والعشرين والرابع والعشرين اشارة الى ما كان من تسلط آشور وبابل على دولتى يهوذا واسرائيل بسبب ما كان منهما من انحراف وما كان من تدميرهما بأسلوب آخر فيه تكرار للمعانى السابقة •

وفى الاصحاحات الخامس والعشرين والسادس والعشرين والسابع والعشرين والثامن والعشرين والتاسع والعشرين والثلاثين والحادى والثلاثين والثانى والثلاثين والخامس والثلاثين خطاب لحزقيال بوصفه ابن البشر يأمره بأن يجعل وجهه نحو

بني عمون وصور وفرعون مصر وجبل سعير والادوميين والفلسطينيين ويتنبأ بما سوف يحل فيهم من خراب ونكال وذلك لانهم تشامخوا واستكبروا ومنهم من أظهر الشماتة ببني اسرائيل لما حل بهم من بلاء وشتات وحل بأرضهم من خراب وتدمير ، مما فيه مناقضة لما ذكرته الاصحاحات السابقة • ومما نرجح أنه من جهة ترديد لما حل فعلا فى هذهالاقوام وبلادهامن غزو نبوخذنصر ونكاله وسيطرته به ، ومن جهة نتيجة لما بعثته عودة بني اسرائيل فى نفوسهم من آمال وأحقاد على ماذكرناه قبل •

وفى الاصحاح الثالث والثلاثين عود على بدء فى صدد التنديد باليهود وحالتهم قبل السبى وانذار المسبيين ووعظهم به وغالبه تكرار لعبارة الاصحاح الثامن عشر • وفيه الى هذا عبارة تفيد أنه كان يأتى الى بلاد الكلدانيين أحيانا أشخاص من الذين بقوا فى أورشليم حيث جاء فيه : فى السنة الثانية عشرة من جلائنا أتى الى المفلت من أورشليم قائلا قد ضربت المدينة ، مما يمكن أن يفيد أن حركة تمردية قامت فيها فقمعها الوالى بضربة شديدة•ويقول الاصحاح بعد هذه العبارة بلسانحزقيال: وقد كانت على يد الرب فى المساء قبل أن أتى المفلت وفتح الرب فمى وكانت كلمته لى يا بن البشر ان سكان تلك الاخربة فى أرض اسرائيل يتكلمون قائلين كان ابراهيم واحدا وورثالارض

ونحن كثيرون فقد أعطيت الارض لنا ميراثا • فقل لهم انــكم تأكلون بدم وترفعون طرفكم الى أصنامكم وتسفكون الدم ، أفترثون الارض ؟ انكم اعتمدتم على سيوفكم وصنعتم الرجس ونجستم كل رجل امرأة قريبة أفترثون الارض ؟ قل لهم قال السيد الرب ان الذين فى الاخربة يستعلون فى السبق والذى على وجه الصحراء جعلته مأكلا للوحش والذين فى الحصون والمغاور يموتون بالوباء • وأجعل الارض خربة ومستوحشة وأنسـخ كبرياء عزتها فتصير جبال اسرائيل لا عابر فيها (١) •

وأنت يا ابن البشر ان بنى شعبى يتقاولون عليك بجـانب الجدران وفى أبواب البيوت ويتكلم الواحد مع الآخر والرجل مع أخيه قائلا :

هلموا فاسمعوا الكلمة الخـارجة من لدن الرب •ويدخلون اليك ويجلسون أمامك ويسمعون كلامك لكنهم لا يعملون به لانهم بأفواههم يبدون حبا لكن قلوبهم تتبع السحت (٢) •

وفى الاصحاحات الرابع والثلاثين ثم السادس والثلاثين الى الثامن والاربعين وهو آخرها تنبؤات ورؤى فيها بشـارات بالعودة والبعث ومواعظ بما يجب أن يسير عليه بنو اسرائيل

---

(١) فى العبارة صورة لما كانت عليه فلسطين من خراب وتدمير كما هو المتبادر.

(٢) الكلام يعنى اليهود المسبيين كما هو المتبادر •

حيث يتم ذلك سواء فى صدر الهيكل والطقوس أو السيرة والسلوك وتوزيع البلاد على الاسباط الخ الخ .. مما فيه تناقض عجيب مع ما سبقهما من الاصحاحات التى تستبعد أن يرثوا الارض مع ما كان منهم من انحرافات شديدة خلقية ودينية . ومما نرى أنه هو الآخر نتيجة لما بعثته عودة بنى اسرائيل فيهم من آمال .

وسفر يوئيل ثلاثة اصحاحات فى خمس صفحات . ولايعرف منه ما اذا كان صاحبه من المسبيين أم كان من جملة من بقى فى فلسطين . واصحاحاته تتضمن هتافات لبنى اسرائيل بالتوبة والندم وبشرى العودة من السبى . وفى بعضها تقريع بصور وصيدون وبقية بقاع فلسطين ومصر وأدوم وانذار لهم بسوء المصير لانهم أخذوا فضة الرب وذهبه . وأدخلوا نفائسه الفاخرة الى هياكله وباعوا بنى يهوذا وبنى أورشليم لبنى الياوانيين ليقصوهم الى تخمهم وأعسفوا بنى يهوذا وسفكوا الدم الزكى فى أراضيهم ، مما فيه هو الآخر أثر من آثار ما بعثته عودة بنى اسرائيل فيهم من آمال وأحقاد .

- ٦ -

وسفر عزرا يقص قصة عودة بعض المسبيين من بابل الى

أورشليم فى زمن الملك كورش وما جــرى معهم • وهو عشر اصحاحات فى ثمانى عشرة صفحة • ويبدو أن فيه حقائق تاريخية كثيرة مشوبة مع ذلك بكثير من الخيال والمفارقات •

وقد جاء فى اصحاحه الاول أن الرب نبه روح كورش ملك فارس فأطلق نداء فى مملكته كلها قائلا ان الرب اله الســموات أعطانى جميع ممالك الارض وأوصانى بأن أبنى له بيتا فى أورشليم التى بيهوذا فمن كان منكم من شعبه فليصعد الى أورشليــم ويبنى بيت الرب اله اسرائيل • وكل من بقى فى أحد المواضــع حيث هو متغرب فليمدده أهل موضعه بالفضة والذهــب والمال والبهائم فضلا عما يتطوعون به لبيت الله الذى فى أورشليم • فقام رؤساء آباء يهوذا وبنيامين والكهنة واللاويون مع كل من نبه الله وروحه ليصعدوا لبناء البيت فى أورشليم وأمدهم من كان حولهم بآنية من الفضة وبالذهب والمال والبهائم وأشياء ثمينة فضلا عن كل ما تطوعوا به وأخرج الملك كورش آنيــة بيت الرب التى كان أخرجها نبوخذنصر من أورشليم ووضعها فى بيت آلهته وسلمها لشليمناصر رئيس يهوذا بواسطة الخازن متردات • وكان عددها ثلاثون طستا من الذهب وألف طست من الفضة وتسعة وعشرون سكينا وثلاثون جاما من الذهب وأربعمائة وعشرة جامات مــن الفضة من الرتبة الثانية وألف آنية أخرى مما بلغ مجموعه خمسة آلاف وأربعمائة •

وفى الاصحاح الثانى احصاء للصاعدين العائدين حسب عشائرهم وأسباطهم • ولم نر ضرورة لذكر الانساب والاسماء • وقد بلغ عددهم ٤٢٣٦٠ غير عبيدهم وامائهم الذين كان عددهم ٧٣٢٧ وغير المغنيين والمغنيات الذين بلغ عددهم مائتين • وكان معهم من الخيل ٧٢٦ والبغال ٢٤٥ والجمال ٤٣٥ والحمير ٦٧٢٠ وقد صعد من تل مصح وتل حرشاكروب وادان وامير بعض عشائر بلغ عدد أفرادها ٦٥٢ لم يثبتوا أنسابهم فى اسرائيل فخلعوا من الكهنوت وأمروا بأ نلا يأكلوا من قدس الاقداس الى أن يقوم كاهن للنور والحق (١) •

وفى نهاية الاصحاح أن بعض رؤساء الآباء لما وفدوا الى بيت الرب تطوعوا ليشيدوه مكانه وأعطوا لخزينة العمل واحدا وستين ألف درهم من الذهب وخمسة آلاف منا من الفضة ومئة قميص للكهنة وسكن الكهنة واللاويون وبعض من الشعب والمغنون والبوابون والنتينيون فى مدنهم واسرائيل كافة فى مدنهم •

وعبارة الاصحاح تفيد أن كثيرين من المسبيين تخلفوا عن الصعود وبقوا حيث هم •

---

(١) فى النسخة البروتستانتية بدل كلمتى للنور والحق كلمتا «للاوريم والتميم» ويبدو انهما اسماء للطوائف العربية التى اعتنقت اليهودية .

ولما كان الشهر السابع اجتمع الشعب كرجل واحد فى أورشليم على ما جاء فى الاصحاح الثالث وبنى يشوع بن يوصاداق الكاهن واخوته وزربابل (١) ابن شالتيل واخوته ، مذبحا للرب وأصعدوا عليه المحرقات ــ الذبائح ــ وعملوا عيد المظالة • وذلك قبل تأسيس هيكل الرب ثم أعطوا للنحاتين والنجارين فضة وطعاما وشرابا وزيتا للصيدونيين والصوريين ليأتوا بخشب الارز من لبنان الى بحر يافا وفى السنة الثالثة شرعوا فى البناء باحتفال دينى عظيم وهتافات متصاعدة الى عنان السماء بتسبيح الرب وتمجيده •

وقد جاء فى الاصحاح الرابع أن أعداء يهوذا وبنيامين سمعوا أن بنى الجلاء ــ المسبيين العائدين ــ يبنون بيتا للرب فأقبلوا على زربابل ورؤساء الآباء وقالوا لهم نحن نبنى معكم لاننا نطلب ــ نعبد ــ الهكم مثلكم ونذبح له من أيام آسر حدون الذى صيرنا الى هنا ، حيث يبدو أن هؤلاء هم الجماعات التى أرسلت من العراق وأسكنت فى مساكن المسبيين من بلاد دولة اسرائيل وأنهم تدينوا بالديانة اليهودية بواسطة الكهنة اللاويين الذين أرسلهم ملك آشور على ما ذكره الاصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثانى ــ الرابع وأوردناه سابقا • غير أن زربابل وسائر

(١) فى الاصحاح الثانى من سفر حجي وصف زربابل هذا بانه حاكم يهوذا ويظهر انه كان واليا من قبل الفرس وانه كان من بنى اسرائيل •

رؤساء آباء اسرائيل رفضوا وقالوا ليس البيت الذى نبنيه بأمر كورش لكم ولنا وانما نبنيه للرب اله اسرائيل . وهكذا بلغت الانانية فيهم الى أن لا يرضوا بمشاركة من يدين بدينهم من غير جنسهم فى بناء معبد للاله المشترك بدعوى أن الرب رب اسرائيل والمعبد معبدهم الخاص ! وهذه من عقدهم الرئيسية التى كانت وظلت تعقد حياتهم على ما نبهنا عليه أكثر من مرة .

ونقول استطرادا ان موقف بنى اسرائيل العجيب من هؤلاء الشعوب المتهودة التى عرفت فى التاريخ باسم السامريين، أدى الى توطد القطيعة والعداء بينهما على طول الزمن وكثيرا ما كان يؤدى الى اشتباكات دموية بينهما فى سياق ما كان يلم بفلسطين من أحداث سياسية وحربية ذهبت فيها أرواح الالوف المؤلفة منهما . وقد تكونت للسامريين نتيجة لذلك شخصية دينية موسوية خاصة . فهم لا يعترفون الا بأسفار موسى الخمسة ككتب مقدسة ولا يسيرون وفق التفسيرات التلمودية كما أنهم متحفظون ازاء ما كان من تطورات دينية عند بنى اسرائيل ومتزمتون فى المحافظة على التقاليد التوراتية القديمة . وقد أنشأوا معبدا فى جبل جرزيم وهو جبل نابلس الجنوبى يقيمون عنده طقوسهم وأعيادهم الكبرى . وما تزال بقية قليلة ضعيفة منهم الى اليوم فى نابلس يحتفظون بكل هذه المظاهر والتقاليد والشخصية الموسوية الخاصة .

وهكذا قدر لليهود أن يكونوا منقسمين دينيـــا شماليين وجنوبيين فى أيام دولتى يهوذا واسرائيل ثم بعـــد السبى وان اختلفت البواعث . والباعث فى الفرقة الاخيرة أنانية بنى اسرائيل وفكرتهم الاختصاصية بأن الاله الههم وحدهم واليهودية دينهم وحدهم والمعبد معبدهم وحدهم . والباعث على الفرقة الاولى سياسية شخصية وبالتالى أنانية كذلك حيث اجتهد يربعام وخلفاؤه ملوك دولة اسرائيل بأن الوحدة الدينية والطقسية قد تقضى على دولتهم وتؤدى الى وحدة اليهود تحت حكم ملوك يهوذا الذين كان الهيـــكل فى عاصمتهم وقد تابعهم الاســباط العشرة فى اجتهادهم .

ونعود الى السياق فنقول ان عودة بنى اسرائيل ونشاطهم فى سبيل استئناف حياتهم واقامة هيكلهم فى أورشليم جعلت شعوب البلاد القدماء يتحركون ويتألبون ويبذلون جهودهم فى احبـاط حركتهم وازعاج بنى اسرائيل على ما جاء فى الاصحاح الرابع ، مما فيه تكرار لشعور التوجس الذى ساور أهل البلاد حينمـا جاء بنو اسرائيل اليها من مصر وجعلهم يقفون منهم موقف التجهم والعداء والمناوأة ، مع فارق واحد ؛ وهو أن الشعور الاول كان حسا قبل الوقوع أو مستندا الى السماع عما انطوت عليه روح بنى اسرائيل من بغى وعدوان وشره الى ما فى يد الغير وقصـد الى قلع جذور أهل البلاد والحلول محلهم فى حين أن الشعور

الجديد كان منبعثا عن تجربة واقعية وذكريات مريرة لكل هذه الصفات وقد استأجروا مشيرين ضدهم وظلوا يرفعون شكاواهم وتحذيراتهم جميع أيام كورش واستطاعوا أن يمنعوهم من البناء وأن يوقفوا نشاطهم ثم تابعوا مساعيهم فى أيام الملك أرتحشستا وكانت الشكوى الى هذا جماعية باسم واشتراك رحوم صاحب القضاءوشمشاى الكاتب وسائرصحابتهما الدينيين والافرستيكيين والطرفليين والافرسيين والاركويين والبابليين والشوشنكيين والدهاويين والعيلاميين وسائر الامم الذين جلاهم ملك آشور وجعلهم فى مدن السامرة وبقية الذين فى عبر النهر وقالوا فيها ان اليهود الذين وفدوا من عندكم الى أورشليم المدينة المتمردة الشقية يبنون ويرممون آسوارا وقد رمموا أساسها وانهم اذا بنوا هذه المدينة وتمت آسوارها سوف لا يؤدون الخراج ولا الجزية ولا الضريبة المعتادة •

فيتضرر الملك ، وعليه أن يبحث فى سفر آثار آبائه حيث يعرف ان هذه المدينة مدينة متمردة مسيئة الى الملوك والاقاليم وان اليهود قد أثاروا فيها شغبا فى قديم الدهر ولذلك خربت فاذا بنيت وتمت أسوارها لا يكون للملك نصيب فى عبر النهر هذا ، حيث يفيد هذا أن سكان شرق الاردن وغربه الاصليين أظهروا لبنى اسرائيل العائدين العداء وتحالفوا على ازعاجهم

والحد من نشاطهم مما مرده على ما هو المتبادر ، ما توارثه الابناء من الآباء من ذكريات سوء سيرة بنى اسرائيل •

وقد أرسل الملك اليهم جوابا قال فيه انه أمر بالبحث فوجد أن هذه المدينة قامت على الملوك وكان فيها تمرد وفتنة وانه كان عليها ملوك تسلطوا على جميع عبر النهر ـ غرب الاردن ـ ورفع اليهم الخراج والجزية والضريبة وانه يجب اعلان أمره بالكف عن البناء وبالتحذير من التهاون فى هذا الصدد لئلا يتفاقم الفساد •

ولما وصل الجواب بادر رحوم وشمشاى وصحابتهما الى الذهاب الى أورشليم ومنعوا اليهود بالذراع والقوة عن البناء وظل العمل منقطعا الى السنة الثانية من ملك داروس • وفى هذه السنة عادوا فشرعوا بالبناء بتحريض أنبيائهم حجاى وزكريا وباشراف زربابل بن شالنيل ويشوع بن يوصاداق على ما ذكره الاصحاح الخامس فجاءهم الوالى تتناى وزعيم آخر اسمه شتربزناى وأصحابهما يسألونهما عمن سمح لهم بالبناء ثم اتفقوا على الكتابة الى داريوس وكانت الرسالة من الوالى والزعيم وأصحابهما • وقد قال فيها ان اليهود يبنون بيتا لله بحجارة ضخمة وانهم يرممون أسوار أورشليم بسرعة وقوة استنادا الى أمر كورش الذى سمح لهم بالعودة والبناء وطلبوا

منه الامر بما يلزم • وحينئذ أمر بالبحث فى بيت الاسفار حيث كانت الخزائن موضوعة فى بابل فوجد درج كتب فيه أن الملك كورش ابرز أمرا فى السنة الاولى من ملكه ببنـاء بيت الله فى أورشليم فى مكانه القديم يكون سمك اسـمـتين ذراعا وعرضها ستين ذراعا بثلاثة صفوف من الحجارة العظيمة وصف من خشب جديد وتكون النفقة على بيت الملك ، ويرد آنية بيت الله الذهب والفضة التى أخرجها نبوخذنصر من الهيكل الى أورشليم لتوضع فى بيت الله ، وحينئذ أصدر أمرا الى الوالى وأصحابه بالـكف عن المعارضة حتى يبنى اليهود بيت الله فى مكانه وباعطـائهم نفقة البناء وما يحتاج اليه القائمون عليه من عجول وكبـاش وحملان وحنطة وملح وخمر من خراج عبر النهر يوما فيوما حتى لا يفتروا عن تقريب ذبائح رضى لاله السموات ويصلوا لاجل حياة الملك وبنيه ، وبقلع الخشب من بيت كل من يخالف الامر وتعليقه مصلوبا •

فنفذ الوالى الامر وأطلق يد اليهود حتى أكملوا البنـاء ودشنوه فى السنة السادسة من ملك داريوس باحتفال عظيـم على ما جاء فى الاصحاح السادس •

ولا يذكر الاصحاح صفة داريوس هذا مع انه تولى العرش فى زمن خضوع بلاد الشام ومن جملتها فلسطين للحكم الفارسى

ثلاثة بهذا الاسم . ولما كان أرتحشستا الاول وأحشوبريش الاول قد ملكا بعد داريوس الاول واحشو بريش هو الذى أمر بمنع اليهود من البناء فيكون الذى سمح لهم به هو داريوس الثانى.

ومما جاء فى الاصحاح السابع من السفر أن عزرا الذى يتصل نسبه بهرون والذى نشأ فى المنفى وكان كاتبا ماهرا فى توراة موسى صعد من بابل الى أورشليم باذن الملك ارتحشستا ورضاه ومعه قوم من بنى اسرائيل من الكهنة واللاويين والمغنين والبوابين والنتينيين ، وكان يحمل معه رسالة من الملك موجهة اليه يقول فيها ان لكل من شاء من شعب اسرائيل وكهنته فى مملكته الرجوع الى أورشليم معه الاذن بذلك . وانه قد أرسله مع مشيريه الى أورشليم ليرشد يهودا أورشليم حسب شريعة الهه التى بيده ، ويأخذ معه الفضة والذهب الذين تطوع بهما لمسكنه فى أورشليم ويأخذ كل ما يتطوع به الشعب فى بلاد بابل أيضا من ذهب وفضة ليشترى بذلك ثيرانا وكباشا وحملانا مع تقادمها وسكبها ويقربها على مذبح بيت الهه . وانه يسمح له بعمل كل ما يحسن عنده وعند اخواته أن يعملوه بما يفضل من الفضة والذهب معه لاجل الههم ، وله أن ينفق كل ما يحتاج اليه من بيت خزائن الملك ، وانه يأمر جميع الخزان الذين فى عبر النهر باعطائه كل ما يطلبه منهم عاجلا الى مائة قنطار فضة ومائة

كر قمح ومائة بث خمر ومائة بث زيت • وانه يأمر بعدم ضرب خراج ولا جزية ولا ضريبة على أى واحد من الكهنة واللاويين والمغنين والبوابين والنتينيين وخدام بيت الله ؛ وانه يأذن له أن يقيم قضاة وحكاما يقضون بين جميع الشعب الذين فى عبر النهر من العالمين بشريعة الهه ، وان كل من لا يعمل بهذه الشريعةيقضى عليه عاجلا اما بالموت أو النفى أو غرامة مال أو حبس •

والمتبادر أن ارتحشستا هذا هو الثانى أو الثالث ، والثانى ولى بعد داريوس الثانى والثالث ولى بعد أرتحشستا الثانى •

وفى الاصحاح الثامن احصاء للذين صعدوا مع عزرا الى أورشليم وأسماء رؤسائهم وعشائرهم وقد بلغ مجموع ذكورهم الفا وثمانمائة • وعبارة الاصحاح تفيد أنه ظل كثير من سبى اسرائيل ويهوذا حيث هم فى المنفى ولم يعودوا الى أورشليم مع العائدين ، والغالب انهم اندمجوا فى حياة العراق الدينية والاقتصادية والاجتماعية •

ثم يقص الاصحاح ما فعله عزرا فحكى عنه أنه استحيى أن يطلب من الملك جيشا وفرسانا لخفر الصاعدين فى الطريق لانه قال له ان يد الهه على جميع طالبيه للخير وبأسه وسخطه على جميع تاركيه ، وانه نادى بصوم عند نهر أهوى وتذللوا أمام الله ليجعل الطريق مستقيما لهم ولصغارهم وأموالهم ، ثم فرز اثنى عشر

كاهنا من رؤساء الكهنة وسلمهم ما تجمع معه من الملك ومشيريه والمتطوعين من بنى اسرائيل من فضة وذهب وآنية مما بلغ وزنه ٦٥٠ قنطارا فضة ومائة قنطار من أوانى الفضة ومائة قنطار من الذهب وعشرين جاما من الذهب وزنها ألف درهم واناءين من نحاس أصفر ثمين كالذهب وطلب منهم السهر عليها وحفظها الى أن يصلوا أورشليم ويضعوها فى مخادع بيت الرب على مرأى من رؤساء الكهنة واللاويين ورؤساء آباء اسرائيل • وان يد الههم كانت عليهم فأنقذهم من يد العدو الكامن فى طريقهم حتى وصلوا الى أورشليم •

ثم ذكر الاصحاح التاسع أن رؤساء اليهود تقدموا الى عزرا قائلين ان شعب اسرائيل والكهنة اللاويين لم ينفصلوا عن شعوب الارض من الكنعانيين والحيثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والمؤابيين والمصريين والآموريين وانهم اتخذوا من بناتهم لانفسهم ولبنيهم زوجات واختلط النسل الطاهر بأمم الارض بل وكانت يد الرؤساء والعظماء فى ذلك الاولى ، مما ينطوى فيه دلالة على استمرار فكرة التعالى والاختصاص فى بنى اسرائيل ضد الشعوب الاخرى مهما كانت حالتهم من الضعف والهوان ورغبتهم عن التعامل والتمازج معهم ومما كان وظل يثير عليهم ثائرة هذه الشعوب ويدفعهم الى الوقوف منهم موقف العداء والحقد ،

ويدل فى الوقت ذاته على أن سكان فلسطين الاصليين ظلـوا يحتفظون بكياناتهم فى أثناء السبى وبعده كما كانوا قبله أيضا كأصحاب البلاد وسكانها • ثم على أن بنى اسرائيل العائدين رغم ذلك لم يلبثوا أن وقعوا تحت تأثيرهم ثانيـة كما كان شأن آبائهم من قبل •

والراجح أن هذا كان شأن البقية الضعيفة التى لم يشملها السبى • واذا كان الفلسطينيون لم يذكروا فى السلسلة هنا فقد ذكروا فى سفر زكريا بأسلوب يدل على أنهم كانوا ذوى قوة وكبرياء فى زمنه أى فى عهد دارا كما ذكروا فى سفر نحميا باسم الاشدوديين على ما سوف نورده بعد •

وفى الاصحاح التاسع الذى يذكر هذا حكاية عن عزرا جاء فيها أنى حينما سمعت هذا الكلام مزقت ثوبى وردائى ونتفت شعر رأسى ولحيتى ولبثت متحيرا فاجتمع الى كل من جزع من اله اسرائيل من أجل تعدى أهل الجلاء وفى المساء جثوت على ركبتى بعد التقـدمة وبسطت يدى الى الله قائلا انى لمستح خجلا أن أرفع اليـك وجهى لان ذنوبنا تكاثرت وتفاقم اثمنا • انا من أيام آبائنا نحن فى اثم عظيم الى هذا اليوم ولاجل ذلك أسلمنا نحن وملوكنـا وكهنتنا الى أيدى ملوك الارض للسيف والجلاء والنهب والخزى • فماذا نقول يا الهنا الآن بعد اذ أهملنا وصاياك التى أمرت بها على ألسنة عبيدك الانبياء

بأن لا تعطوا بناتكم لابناء شعوب الارض ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا تطلبوا سلمهم ولا خيرهم الى الابد لكى تتمكنوا وتأكلوا خبز الارض وتورثوا أعقابكم مدى الدهر . وقد عاقبتنا بعد كل اثمنا العظيم بأقل من ذنوبنا وآتيتنا نجاة فكيف نعود وننقض وصاياك ونصاهر أمم هذه الرجاسات ولا تغضب علينا ولا تكون بقية ولا نجاة ؟ وكان عزرا يدعو ، وجمع كثير جدا من الرجال والنساء والاولاد يستمعون، فبكوا بكاءا شديدا واعترفوا بذنوبهم ثم عاهد الرؤساء والكهنة عزرا على العمل حسب الشريعة فأطلقوا نداء فى يهوذا وأورشليم الى جميع بنى الجلاء ليجتمعوا فى أورشليم وان كل من يتخلف تبسل أمواله ويفرز عن أهل الجلاء فجاءوا مسرعين مرتعدين على ما حكاه الاصحاح العاشر واحتشدوا فى ساحة المعبد فندد بهم عزرا وطلب منهم التوبة واعتزال أمم الارض والنساء الغريبات لنيل مرضاة الرب اله آبائهم فقالوا له بصوت واحد نفعل كما قلت وطلبوا منه المهلة وتوكيل الرؤساء والقضاه فى كل مدينة لتنفذ ذلك وقد نفذوه فعلا وظهر أن كثيرا من العائدين وفى جملتهم بنو الكهنة وقد اتخذوا نساء غريبات ومنهن من أنجبن أولادا .

- ٧ -

ومن أسفار حقبة السبي وبعدها سفر نحميا ، وصــــاحبه من الذين تخلفو عن العودة وكان ساقيا للملك أرتحشستا الذى نرجح أنه الثانى أو الثــالث . والسفر ثلاثة عشر اصـــــحاحا فى خمس وعشرين صفحة .

وقد جاء فى اصحاحه الاول أن أحد اخونه قدم هو ورجال من يهوذا فاستخبرهم عن اليهود الذين نجوا ومن بقى بعد الجلاء عن أورشليم فقالوا لى أن البقية التى بقيت هناك فى ضنك شديد وأن سور أورشليم مهدوم وأبوابها أحرقت بالنار فحــزن وناجى ربه واعترف بما كان من قومه من مخــالفات لوصاياه وطلب الصفح عنهم والهام الملك خيرا بحقهم . وجــاء فى اصحاحه الثانى أنه لما وقف أمام الملك كئيبا وهو فى خــدمته سأله عن كئابته فحكى له حالة أورشليم ويهودها وطلب منه السماح بالسفر لترميمها واعطائه رسائل للولاة لمساعدته على ذلك فأجابه الى ما طلب وأرسل معه قوادا وفرسانا . ولما جاء الى فلسطين وأخذ يسعى فى انجاز المهمة وقد التف حوله الكهنة والاشراف . وسمع بذلك سنبلط الحورونى وطوبيا العبد العمونى وجاشم العربى فاستــاءوا مساءة عظيمــة وجاءوا اليه يسخرون منه ويسألونه عماذا وعما اذا كانوا يريدون

التمرد على الملك فأجابهم نحن عبيد اله السموات نقــوم ونبنى وليس لهم من حظ ولا ذكر فى أورشليم •

وقد ذكر الاصحاح الثالث والاصحاح الرابع أن اليهود توزعوا العمل فيما بينهم فى ترميم أسوار المدينة وساروا فيه بهمة ونشاط ، حتى أنجزوا نصف الســور • وسمع سنبلط وطوبيا والعــرب والعمونيون والاشدوديون ـ والاخيرون من الفلسطينيين ـ بذلك وحنقوا حنقا شديدا وتحالفوا يدا واحدة على الاتيان الى أورشــليم ومحاربتها وانزال الشر فيها ، وجاء الخبر الى نحميا فأخــذ يبث الشجاعة والقوة فى النفوس • وقسم الرجال قسمين قسما ســلحهم بالرماح والتروس والقسى والزرود وقسما جعلهم يستمرون على البناء والعمل وظلوا يواصلون ليلهم بنهارهم حتى لم يكن يجد هو واخوته وغلمانه ورجال الحرس الذين وراءه وقتا لنزع الثياب أو الاغتسال •

ومع ذلك فقد ذكر الاصحاح الخامس أنه ثارت ضجة عظيمة من الشعب ونسائهم فمن داع الى امتياز الحنطة وقائل انا رهنا حقولنا وكرومنا وبيوتنا لنمتار حنطة من الجوع ومن قائل انا اقترضنا فضــة لخراج الملك على حقولنا وكرومنا ونحن نبذل بنينا وبناتنا للعبــودية ولاسعة فى أيدينا ، وحقولنا وكرومنا أصبحت لغيرنا ، وأن نحميا لما سمع صراخهم شق عليه الامر وأخذ يعنف العظماء والولاة لانهم

يأخذون الربا وقال لهم انا افتدينا اخواننا اليهود الذين بيعوا للامم وأنتم تبيعون اخوانكم وطلب منهم رد الحقول والكروم والزيتون والبيوت الى أصحابها والتنازل عن الواحد من المائة الذى يطلبونه منهم من الفضة والحنطةوالخمر والزيت التى معهم فوعدوا بذلك، فدعا الكهنة وحلفهم على أن يفعلوا بمقتضى هذا الكلام ثم نفض حجره قال هكذا ينفض الله كل انسان لا يقوم بهذا الكلام فآمنت الجماعة على قوله .

ويستفاد من عبارة جاءت فى هذا الاصحاح أن نحميا كان يعتبر نفسه قائدا فى أرض يهوذا حيث جاء فيه أنى منذ يوم أمرت أن أكون قائدا فى أرض يهوذا من السنة العشرين الى السنة الثانية والثلاثين لارتحششتا لم آكل أنا ولا اخوتى خبز القائد ـ أى مخصصاته ـ وأما القواد الاولون الذين كانوا قبلى فثقلوا على الشعب وكانوا يأخذون منهم من الخبز والخمر والفضة مايزيد على اربعين مثقالا من الفضة بل كان غلمانهم أيضا يظلمون الشعب . ولم أفعل مثل ذلك خشية لله ولم أشتر حقلا وانما تعلقت على عمل السور وكان على مائدتى من اليهود والولاة مائة وخمسون رجلا فضلا عمن قدم الينا من الامم من حولنا وكان يهيأ لى كل يوم ثور وستة من خيار الغنم ما خلا الطير ، وشىء كثير من جميع انواع الخمر فى كل عشرة أيام ومع هذا لم أطلب خبز القائد لان العبودية قد ثقلت على الشعب

وطلب نحميا من الله فى نهاية الاصحاح أن يذكره بالخير على جميع ما صنعه الى الشعب •

وجاء فى الاصحاح السادس أن سنبلط وطوبيا وجاشم العربى وسائر الاعداء لما سمعوا أن نحميا بنى السور ولم يبق فيه ثلمة ولم يكن بعد قد أقام المصاريع فى الابواب بعث سنبلط وجاشم اليه يطلبان اللقاء فى قرى سهل أونو وقد أضمرا له سوءا فلم يستجب اليهما وأرسل فأخبرهما أنه مشغول ويخشى تعطل العمل، فعاودوا الطلب أربع مرات وكان يرد بمثل جوابه • وحينئذ بعث سنبلط مع غلامه رسالة مفتوحة مكتوبا فيها أنه قد سمع فى الامم أنك ــ الخطاب لنحميا ـ أنت واليهود مضمرون التمرد وأنك تبنى السور لتكون ملكا عليهم وهذا الخبر سوف يسمع عند الملك فهلم لنأتمر معا• فرد نحميا عليه أنه يختلق هذا اختلاقا• وبدأ الناس يخوفون نحميا من العاقبة ويقولون ان أيديهم قد ضعفت عن العمل وقال له زعيم اسمه شمصيا تعال لنجتمع فى دار الهيكل ونغلق الابواب علينا لانهم آتون ليقتلوك فى الليل فرفض وقد ظهر له أن طوبيا وسنبلط قد استأجرا هذا الزعيم لتخويف نحميا ولاساءة سمعته • وظل مثابرا الى أن تم السور فى اثنين وخمسين يوما وسمع جميع الاعداء ورأى جميع الامم الذين حولهم ذلك ، فسقطوا فى أعين أنفسهم • ومما جاء فى الاصحاح أن طوبيا كان يتبادل الرسائل مع عظماء يهوذا وكان له فيهم خلفاء كثيرون لانه كان صهر شكنيا بن آرح ومتزوجا بابنته.

وكان حلفاؤه هؤلاء يثنون على حسناته أمام نحميا وينقلون كلامه اليه وكان يرسل رسائل لتخويفه •

ومما جاء فى الاصحاح السابع أن نحميا بعد أن بنى السور وأقام المصاريع ورتب البوابين عين أخاه حنانى على أورشليم وجعل صفيا رئيس القصر مساعدا له • وأوصاهم بعدم فتح الابواب الا بعد أن تحمى الشمس وجعل حراسا من سكان أورشليم كل واحد فى محرسه وكل واحد قبالة بيته • وكانت المدينة واسعة وعظيمة والشعب قليلا فى وسطها ولم تكن البيوت قد بنيت ، وأنه جمع العظماء والولاة والشعب للانتساب بالهام الله ووجد سفر نسب الذين صعدوا أولا - من المنفى - ثم يأخذ الاصحاح بذكر أسماء وعشائر وأنساب واعداد الصاعدين لاول مرة حسب ما ذكر فى سفر عزرا وأوردنا خلاصته قبل •

ومما جاء فى الاصحاح الثامن أن الشعب كله اجتمع فى ساحة المعبد وتكلموا مع عزرا الكاتب - وهذا يدل على أن مجىء نحميا كان بعد مجىء القافلة الثانية مع عزرا وفى حياة عزرا - باحضار سفر توراة موسى فأحضرها وأخذ يتلوها أمام الجماعة بعد أن سبح عزرا الرب ومجده وخر الشعب للرب بوجوههم خشوعا لسفر التوراة التى أمر بها الرب اسرائيل •

وكان نحميا وعزرا الكاهن الكاتب واللاويون يفهمون الشعب

معانى التوراة . ثم أقاموا عيد المظال حسب ما جاء فى السفر وكان فرج عظيم واستمرت التلاوة والاحتفالات سبعة أيام .

ومما جاء فى الاصحاح التاسع أن بنى اسرائيل بعد ذلك اجتمعوا ونادوا بصوم عام ولبسوا المسوح وانفرد نسلهم عن جميع بنى الغرباء ووقفوا واعترفوا بخطاياهم وآثام آبائهم وأخذوا يسبحون الرب ويمجدونه ويذكرون ما كان من آياته لهم ونعمته عليهم وسعة صدره وعدم افنائه لهم لانه حنان رحيم ثم كتبوا ميثاقا على أنفسهم السير وفق شريعة الرب وحفظ جميع وصاياه وأحكامه .

وقد ذكر الاصحاح العاشر أسماء الزعماء والآباء الذين ختموا الميثاق وفى مقدمتهم نحميا الذى وصف بوصف الترشاتا وعزرا ودخل الشعب فى العهد والميثاق .

ومما جاء فى الاصحاح الحادى عشر أن رؤساء الشعب سكنوا فى أورشليم واتفقوا على أن يسكن عشر الشعب فيها كذلك ويسكن الاعشار التسعة الباقية فى المدن ، ثم ذكر الاصحاح أسماء وأنساب وأعداد الجماعات الذين سكنوا فى أورشليم والذين سكنوا المدن الاخرى وقراها .

ومما جاء فى الاصحاح الثالث عشر أنه حينما قرىء فى سفر موسى وجد فيه أن لا يدخل العمونيون ولا المؤابيون فى جماعة الله الى الابد لانهم لم يتلقوا بنى اسرائيل بالخبز والماء بل استأجروا

عليهم بلعام ليلعنهم . فلما سمع الشعب ذلك فرزوا كل دخيل من اسرائيل حيث يدل هذا على أنه كان قد اندمج فى اليهودية طوائف من العمونيين والمؤابيين فى حقبة السبى وفى الجماعة الذين بقوا فى الارض أو الذين عادوا من السبى .

وفى هذا الاصحاح ما يدل على أن نحميا عاد الى العراق بعد بناء السور ثم عاد ثانية الى أورشليم باذن الملك أرتحشستا حيث جاء فيه أنه وجد حين عودته الكاهن الياشيب قد هيأ لنفسه مخدعا فى مكان يوضع فيه التقادم واللبان والآنية وعشور الحنطة والخمر والزيت ، وكان هذا الكاهن ذا قرابة لطوبيا ـ العمونى على الارجح ـ فساء ذلك نحميا وأمر بطرح آنية بيت طوبيا من المخدع وتطهير المخادع واعادة ماكان فيها اليها ، وانه وجد قوما فى يهوذا يدوسون فى المعاصر فى السبت ويأتون بأكداس من العنب والتين والخمر فيبيعونها فى السبت كما وجد الصوريين المقيمين فى أورشليم يأتون بالسمك فيبيعونه لبنى يهوذا فى السبت أيضا كما وجد يهوذا قد تزوجوا نساء أشدوديات وعمونيات ومؤابيات حتى لقد كان أولادهن لا يحسنون التكلم باليهودية ، وقد حكى الاصحاح ما كان من حنق نحميا وغضبه على ذلك وتنديده بالمخلين بالسبت وتذكره بما كان من غضب الرب على آبائهم لتدنيسهم السبت ، وأمره بغلق أبواب أورشليم مساء الجمعة وعدم فتحها الا صباح الاحد وتهديده للذين يأتون لبيع السلع

يوم السبت بالحبس ولعنته الذين تزوجوا من النساء الغريبات وضربة بعضهم ونتفه شعرهم واستحلافه الناس بأن لا يعطوا بناتهم لبنهم ، ولا يأخذوا بناتهم لهم أو لبنيهم وذكره بما كان من آثام آبائهم وسليمان الملك فى الجملة فى هذا الباب وما سوف يجلبونه على أنفسهم من شر به ، وطرد أحد بنى يوياداع بن الياشيب الكاهن العظيم لانه كان مصاهرا لسنبلط الحوروني ، حيث يدل هذا على سرعة انحراف بنى اسرائيل عن وصايا شريعتهم بعد تلك التوبة الطنانة والمواثيق والايمان المغلظة كما كان شأنهم فى معظم حقب تاريخهم .

- ٨ -

ومن أسفار حقبة السبى سفر أستير نسبة الى امرأة يهودية بهذا الاسم وهو ستة عشر اصحاحا فى ثلاث وعشرين صفحة فى النسخة الكاثوليكية وعشرة اصحاحات فى تسع صحف فى النسخة البروتستانتية . وقد ذكرت النسخة الكاثوليكية أن الزيادات التى فيها هى فى النسخة العامية وغير موجودة فى النسخة العبرانية . والسفر يقص قصة لاستير كان فيها نجاة اليهود وفوزهم أثناء السبى بعد أن أحدق بهم خطر شديد .

ومما جاء فى السفر الاول أن الملك أحشويرش غضب على زوجته لرفضها تنفيذ أمره بالظهور أمام مجلس شرابه بزينتها وأخذ يبحث عن بديلة لها فسميت له فتاة من اليهود الذين تخلفوا عن العودة الى أورشليم وكانت فى حضانة ابن عم لها اسمه مردخاى ولما رآها نالت حظوة لديه وغدت زوجة له وملكة . وقد كتمت جنسيتها عنه حسب توصية مردخاى . أخذ هذا يراقبها ويهتم لامرها ويلازم باب الملك بسبيل ذلك .

وقد وقف على مؤامرة لاغتيال الملك فأخبر بذلك استير وأخبرت بدورها الملك وبحث هذا الامر فظهر صدق الخبر فامر الملك بتسجيل اسم مردخاى فى سجل الملك وعظم شأنه وشأن استير فى عينيه .

وفى هذه الاثناء برز هامان أحد رجال أحشويرش على أقرانه بدهائه فنال حظوة الملك حتى وصى بأن يكون كرسيه فوق سائر الرؤساء وأن يسجد له الناس فى خروجه ودخوله . غير أن مردخاى تمرد على هذا الامر فأثار غضب هامان وعزم على الانتقام منه ومن قومه الذين عرف حقيقتهم ، ثم استسنح مناسبة فقال للملك انه يوجد شعب مشتت فى جميع بلاد مملكته وسننه مغايرة لجميع الشعوب ولا يعمل بوصاياه ، وطلب أن يكتب الى جميع الولاة بمطاردته وابادته وتعهد له بتوريد عشرة آلاف وزنة من الفضة الى خزائنه من

هذه العملية فأجابه الملك وان الفضة والشعب لك فافعل فيهما ما يحسن بعينيك وحينئذ كتبت أوامر باسم الملك وأرسلت مع سعاة باهلاك جميع اليهود في كل بلد من بلاد المملكة من الغلام الى الشيخ مع الاطفال والنساء في يوم معين ـ وهو الثالث عشر من آذار ـ وبمصادرة أموالهم . وعلم مردخاي واليهود بالامر فعظم همهم وأخذوا يقيمون المناحات العظمى ويلبسون المسوح ويذرون على أنفسهم الرماد ويصومون ويبتهلون الى الله . وقد اهتم هامان بنوع خاص لامر نكال مردخاي الذي تكبر عليه فأمر بنصب مشنقة ارتفاعها خمسون ذراعا ليشنق عليها في اليوم المعين .

ووصل الخبر الى أستير فعظم همها كذلك واستشارت مردخاي فأشار عليها بالتكلم مع الملك وألح عليها بذلك ولو تعرضت لغضبه لانه لا يجوز لها أن تفكر بنفسها بينما يهلك جميع شعبها . فأطاعته وتعرضت للملك فحسنت في عينيه وطلب منها أن تسأله أي حاجة فتقضى ولو كانت نصف ملكه فكانت حاجتها أن يحضر وليمة أعدتها له ولهامان ، وأقيمت الوليمة . وقلق الملك في الليل فأمر باحضار سجل الاخبار وقراءته عليه فكان مما قرىء خبر مؤامرة اغتياله وكشفها من قبل مردخاي . وسأل عما فعل له فأجيب بأنه لم يفعل له شيء . ودخل هامان على الملك في هذه الاثناء فسأله الملك عما يجب عمله لرجل كان سببا لحياة الملك فأشار بالباسه لباسا سلطانيا ووضع

تاج سلطانى على رأسه واشهار اسمه لتكريمه من قبل جميع الشعب فأمره أن ينفذ ذلك لمردخاى

ودعت أستير الملك وهامان لوليمة أخرى فطلب الملك منها أن تسأله أى حاجة ولو كانت نصف ملكه فطلبت منه الحياة لنفسها ولشعبها وقالت له أنه قد تقرر قتله وابادته فسألها عمن فعل ذلك فقالت له : انه هامان • فثارت ثائرة الملك فمال الى سرير الملكة وظن الملك أن هامان يريد خيانته فى زوجته فاشتد هياجه وقال له وتريد أيضا أن تكبس الملكة معى فى البيت؟ وأمر خصيانهفأخذوه وصلبوه علىالمشنقةالتى هيأها لمردخاى ووهببيتهامان لاستيره وأخبرت أستير الملك بصلتها بمردخاىفأحضره وسلمه خاتمه الذى أخذه من هامان• وطلب أستير ارسال أوامر مضادةللاوامرالسابقة فىحقشعبهافأمر بذلكوأرسلت الرسائلالىجميع الاقطاروالامصار بالكف عن اليهود وبتخويلهم قتل واهلاك كل شعب وكورة تضادهم حتى الاطفال والنساء ومصادرة أموالهم • وخرج مردخاى من حضرة الملك بلباس ملكى وتاج ذهبى • وكان لليهود نور وفرح وبهجة وكرامة فى شوشن العاصمة وفى كل بلد • وتهود كثير من شعوب الارض لان رعب اليهود وقع عليهم • وأخذ اليهود يتسلطون على مبغضيهم ورؤساء البلاد والمرازبة والولاة الذين ساعدوهم عليهم وضربوا جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا وشنقوا أولاد وأقارب هامان •

وبلغ عدد من قتلهم اليهود من الاعداء فى المملكة خمسة وسبعين ألفا وكان ذلك فى نفس اليوم الذى عينه هامان لابادة اليهود وصار اليوم التالى أى ١٤ آذار عيدا من أعياد اليهود الى اليوم .

وما أوردناه هو تلخيص للاسفار العشرة الاولى من سفر أستير التى تتفق فيها النسختان الكاثوليكية والبروتستانتية. وفى الزوائد على قصته وقصة أستير وهامان ، ثم نسخة من الامر العام الذى أرسل باسم الملك الى جميع أنحاء المملكة بشأن الشعب المشتت الذى يحتقر أوامر الملك ويفسد نظام الامم ويتشبث بشرائع خاصة مخالفة لعادات جميع الامم وأمره بابادته بدون رحمة فى الرابع عشر من الشهر الثانى عشر الذى هو آذار حتى يذهب هؤلاء الخبثاء الى الجحيم ويستقر السلام فى المملكة ، ونسخة من أمر الملك الثانى المضاد للامر الاول الذى كتب بخداع ودسيسة وشنق الخادع الدساس وتمكين اليهود من قتل مضطهديهم فى نفس اليوم المعين واعتبار هذا اليوم عيدا ، وتكرار بصيغة أخرى لما كان من ابتهالات مردخاى وأستير واليهود الى الرب وما كان من حزن أستير وتذليلها عبدها ومخاطبتها للملك الخ ..

ولا تخلو القصة التى احتواها السفر من صنعة وخيال ولكنها لا تخلو من حقيقة أيضا فيما نرجح . وفى سلسلة ملوك الماديين الفرس اثنان يحملان اسم أحشويريش . ولما كان الاول هو الذى منع

اليهود من انشاء الهيكل وأورشليم فالمرجح أنه الثانى • وليس من المستبعد أن أستير قد أنجبت أولادا وان لم يرد اشارة ما الى ذلك • ودارياش الثانى الذى أذن لليهود بانشاء الهيكل ، وأرتحشستا الثانى الذى ساعد نحميا على ما مر بيانه ، قد توليا بعد أحشو بريش الثانى• ومما يتبادر الى الذهن أن تكون أستير أما أو جدة لهما فجنحا الى مساعدة اليهود وأبطلا أوامر الملوك السابقين •

ومما قد تفيده القصة أن اليهود الذين تخلفوا عن العودة الى أورشليم كثيرون جدا وأنهم كانوا منتشرين فى أنحاء المملكة الواسعة التى كانت تضم مائة وسبعة وعشرين اقليما وتمتد من الهند الى الحبشة على ما ذكره الاصحاح السادس عشر من زوائد النسخة الكاثوليكية ؛ وأنه كان لهم أعداء ومبغضون كثيرون أينما وجدوا فكانوا يتحينون كل فرصة للايقاع بهم واضطهادهم مما مرده روح الاثرة والشر والتعصب التى كانت مسيطرة عليهم ضد الغير على ما نبهنا عليه فى مناسبات سابقة • وتفيد كذلك أن كثيرا من شعوب المملكة تهود فى ظرف اقبال سنح لليهود ولم تبق اليهودية اسرائيلية الجنس والدم •

- ٩ -

ومن أسفار حقبة السبى وبعده سفر حجى أو حجاى وهو

اصحاحان فی ثلاث صفحات • ویستفاد منه أنه من أنبیاء بنی اسرائیل وأنه ظهر بعد مدة ما من عودة من عاد من السبی •

وقد جاء فیه أن الرب أمر حجای لیکلم زربابل بن شألتیل حاکم یهوذا ویشوع بن یو صادق الکاهن الاکبر منددا ببقاء بیته خرابا وبقولهم انه لم یحن وقت بنائه بینما هم صاروا یسکنون فی بیوت مسقفة ، وداعیا ایاهم الی جعل قلوبهم مع الرب وقائلا لهم علی سبیل التبکیت انهم زرعوا کثیرا وجنوا قلیلا وأکلوا ولم یشبعوا وشربوا ولم یرتووا واکتسوا ولم یدفأوا ، ومن أخذ منهم أجرا ألقاه فی کیس مثقوب ، وان السماء قد امتنعت عن الندی والارض منعت خیراتها بسبب حیدانهم عن طریق الرب، وطالبا جعل قلوبهم معه وتهیئته ما یلزم من الخشب وبناء بیته حتی یرضی عنهم ، وقد نبه روح الرب زربابل ویشوع وأرواح بقیة الشعب فأخذوا یباشرون العمل لبناء بیت الرب ، علی ما جاء فی اصحاح السفر الاول • أما فی اصحاحه الثانی فقد تکررت حکایة وحی الله لحجای بتوجیه الخطاب الی زربابل ویشوع وبقیة الشعب بالاهتمام بالعمل ووعدهم بالتأیید کما أیدهم منذ خروجهم من مصر وزلزلة جمیع الامم وملء البیت بمجده اذا هم ساروا حسب وصایاه وجعلوا قلوبهم معه، وذکرهم بما کان من ضرباته لهم بسبب انحرافاتهم وعدم توبتهم •

ومن هذه الاسفار سفر زکریا وهو أربعة عشر فصلا فی خمس

عشرة صفحة • وصاحبه من أنبياء بنى اسرائيل وقد ظهر فى زمن ملك دارا الاول الذى سمح ببناء المعبد على ما شرحناه قبل على ما تفيد نصوص سفره •

وقد جاء فى اصحاحه الاول أنه فى الشهر الثامن من السنة الثانية لداريوس كانت كلمة الرب الى زكريا قائلا : ان الرب غضب على آبائكم وقد ناداهم الانبياء فلم يسمعوا ولم يرتدعوا عن طرقهم وأعمالهم الشريرة فارجعوا الى ولا تكونوا مثلهم •

وفى الاصحاح الاول قصة رؤيا رآها زكريا سمع فيها حوارا بين الله وأحد ملائكته الذى سأله : الى متى يا رب لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التى غضبت عليها هذه السنين السبعين(١) ؟ فأجابه بكلام خير وتعزية وقال الملاك لزكريا : ناد قائلا هكذا قال رب الجنود انى قد غرت على أورشليم وصهيون غيرة عظيمة وانى رجعت على أورشليم بالمراحم فيبنى فيها وان مدنى ستعود تفيض خيرا ، ويعود الرب فيعزى صهيون ويختار أورشليم • وتستمر قصة الرؤيا والحوار فى الاصحاح الثانى الى آخر الاصحاح السادس وفيها بشائر وتطمينات وصور لما سوف يكون عليه هيكل الرب من رواء

---

(١) تكرر الاسفار ذكر السبعين سنة كمدة للسبى الذى بدأ فى عهد نبوخذنصر مع ان هذا السبى كان سنة ٥٨٩ ثم انتهى سميا فى السنة الثانية من قضاء كورش على مملكة بابل اى سنة ٥٣٨ حيث أمر بالنداء فى مملكته بالاذن لمن يريد ان يعود الى اورشليم من اليهود فكانت عودة القافلة الاولى عقب ذلك.

وفخامة وما يكون عليه يهوشع بن يهو صادق الكاهن العظيم من منظر فخم وسلطان قوى •

وفى الاصحاح السابع أن كلمة الرب صارت لزكريا فى السنة الرابعة لداريوس فى مناسبة سؤال أهل بيت ايل للكهنة عما اذا كان يجب أن ينوحوا فى الشهر الخامس كما كانوا يفعلون طيلة سنى السبى ، حيث أمره أن يقول للشعب والكهنة : حين كنتم تصومون وتنوحون فى تلك السنين هل كان صيامكم لى أنا وحين تأكلون وتشربون ألا تأكلون وتشربون لانفسكم ؟ أليس هذا هو ما نادى به الرب على ألسنة الانبياء الاولين حين كانت أورشليم آهلة مطمئنة هى ومدنها من حولها • احكموا حكم الحق واصنعوا الرأفة والمراحم ولا تظلموا الارملة واليتيم والغريب والبائس ولا يفكر أحد بشر على أخيه ، فأبوا أن يصغوا ووقروا آذانهم لئلا يسمعوا وجعلوا قلوبهم كالسامور لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذى أرسله الرب على ألسنة الانبياء فكان غضب عظيم عليهم وكما ناداهم فلم يسمعوا نادونى فلم أسمع بل فرقتهم كالزوبعة فى كل أمة لم يعرفوها فاستوحشت الارض من بعدهم لا جائز فيها ولا عائد وصارت الارض الشهية قفرا •

وفى الاصحاح الثامن بشرى بغيرة الرب على صهيون ورجوعه الى أورشليم وتخليص شعبه من أرض المشرق وأرض المغرب • وفى

الاصحاح التاسع انذار بسوء مصير الفلسطينيين ومدنهم غزة وأسقلون وعقرون واشدود وبشرى بحسن مصير أورشليم واسرائيل • ويستمر الاصحاح العاشر والحادى عشر والثانى عشر ببشارات مماثلة فى صور صيغ متنوعة • وفى الاصحاح الثالث عشر توكيد بقطع الاصنام من الارض وازالة الروح النجس والانبياء الكاذبين منها • وفى الاصحاح الرابع عشر انذار بمجئ يوم تجمع فيه الامم على حرب أورشليم فيتمكنون من أخذها ونهبها وهتك أعراض نسائها وسبى نصف سكانها ثم يخرج الرب ويحارب تلك الامم ويقف قدماه على جبل الزيتون فينشق الجبل بدوى عظيم ولا يكون فى ذلك اليوم نور ويضرب الرب كل الشعوب التى تجندت على أورشليم وتحارب معه يهوذا وتتجمع فى يدها ثروة كل الامم من ذهب وفضة وملابس وخيل وبغال وجمال وحمير ، ويصعد كل من بقى من الامم على أورشليم سنة بعد سنة ليسجدوا للملك رب الجنود ويعيدوا عيد المظال ولا ينزل مطر على من لم يصعد ويسجد •

وقد شاب اصحاحات هذا السفر خيال كثير وتأثرت فيما هو المتبادر من واقع عودة من عاد من بنى اسرائيل من السبى ونجاحهم فى بناء المعبد وانبعاث النشاط والحيوية فيهم ثانية •

وبقى بضعة أسفار صغيرة ليس فيها شيء ذو بال فى صدد تاريخ بنى اسرائيل وسيرتهم • منها سفر ناحوم وهو ثلاثة اصحاحات فى

خمس صفحات • ومن الممكن أن تدل بعض عباراته على أن صاحبه من سبى دولة اسرائيل الى آشور وأنه شهد سقوط المملكة الاشوريه• ويبدأ بعبارة «وقر نينوى بسفر رؤيا نحوم الانفوشى(١)» • وقد حمل السفرعلى نينوى ووصفها بمدينة الدماء وتساءلعمن يرثىلها ويعزيها ، وعما اذا كانت خيرا من مدن أخرى دمرت وسبى أهلها وأطفالها ، وخاطب يهوذا بقوله يا يهوذا عيد أعيادك وأوف نذورك فانه لا يعود يمر بك بعد رجال بليعال فقد انقرضوا جميعا • حيث يبدو من هذه العبارات الاستبشار والشماتة بما حل فىنينوى وخلاص يهوذا من سلطانها •

ومنها سفر حبقوق وهو كذلك ثلاثة اصـــحاحات فى خمس صفحات • ومن الممكن أن تدل بعض عباراته على أن صاحبه شـــهد غزوات الكلدانيين ليهوذا • ويبدأ اصحاحه الاول بعبارة «الوقر ــ أو الوحى ــ الذى رآه حبقوق النبى ، ثم يحكى مناجاة حبقوق لربه التى تساءل فيها : الى متى يا رب أستغيث ولا تستجيب وأضرع اليك من الظلم ولا تخلص • لماذا ترينى الاثم وتشهدنى الاصر ويجـــرى قدامى الاغتصاب والظلم ويحدث الخصام ويقام النزاع • لذلك تفتر الشريعة ولا يبرز الحكم فائزا لان المنافق يحصر الصديق فيبرز الحكم معوجا ، انظروا بين الامم وأبصروا • تعجبوا وتحيروا• فان عملا

(١) هذه الجملة فى النسخة البروتستانتية هكذا « وحى على نينوى بسفر رؤيا نحوم الانفوشى » .

يعمل فى أيامكم اذا حدث به لا تصدقونه • فهأنذا أثير الكلدانيين الامة المرة التى تسير فى رحاب الارض لترث مساكن ليست لها • انها مرهوبة هائلة ومنها يبرز حكمها ووقرها • خيلها أخف من النمر وأحد من ذئاب الماء وفرسانها ينتشرون ويزحفون من بعيد ويطيرون كالنسر المسرع الى طعامه • يأتون كلهم للخطف وجملة وجوههم الى قدام فيجمعون السبى كالرمل •

وفى اصحاحه الثانى اشارة الى رؤيا رآها حبقوق وأمر الرب بكتابتها وفيها تنديد بالمكثر مما ليس له وانذار للسالب بأن أمما كثيرة ستسلبه ، وتقريع لمن يحرص على سجن شرير لبيته ليجعل عشه فى العلو ويسلم من قبضة الشر ، وانذار بالويل لمن يبنى مدينة بالدماء ويؤسس قرية بالاثم ويسقى صاحبه ويسفح له مرارته ويسكره لينظر الى سوأته • وفى اصحاحه الثالث صلاة وتسابيح وابتهالات من حبقوق للرب •

ومنها سفر عوبديا وهو اصحاح واحد فى صفحتين ويوصف فى أوله بأنه رؤيا عوبديا ويسجل خطابا للرب الى أدوم منددا بما كان منها من تجبر ومنذرا بابادة وقرض كل رجل من جبل عيسو لان الادوميين أبناء عيسو جاروا على أبناء يعقوب - بنى اسرائيل - يوم سباهم الغرباء ودخلوا عليهم بل كانوا كواحد منهم مع أنه كان يجب عليهم أن لا يشمتوا بهم فى يوم هلاكهم ، حيث يدل هذا على أن

الادوميين وربما جميع شعوب شرق الاردن وغـــربه من مؤابيين وعمونيين وفلسطينيين وكنعانيين وغيرهم كانوا فى موقف الشماتة بما حل فى دولتى اسرائيل ويهوذا من نكال وتدمير • وهو ما احتـــوت بعض الاسفار اشارات اليه أيضا على ما أوردناه قبل • وفى آخـــر الاصحاح بشرى بنجاة آل يعقوب وارثهم للذين ورثوهـم ويكونون نارا ولهيبا ويكون آل عيسو عصافة فيضرمونهم ويأكلونهم ولا تكون بقية منهم •

ومن هذه الاسفار سفر ملاخى • وهو أربعة اصحاحات فى خمس صفحات وترتيبه فى النسخة البروتستانتية آخر الاسفار وليس بعده فى النسخة الكاثوليكية الا أسفار المكابيين التى هى من زوائد هذه النسخة • وليس فى السفر ما يمكن الاستدلال به على الحقبـــة التى كان فيها صاحبه • وفيه تنديدات بآثام اسرائيل ويهوذا وكهنة يهوذا وفيه انذار بيوم عظيم رهيب واخبار بأن الرب سيرسل النبى ايليا الى بنى اسرائيل قبل مجىء هذا اليوم •

ويبدأ اصحاحه الاول بعبارة « وقر الرب الى اسرائيل على لسان ملاخى(١) » ثم يذكر بلسان الرب ما كان من عنايته باسرائيل وهـو يعقوب وتفضيله على أخيه عيسو وغضبه على هذا الاخ وجعله يسكن الجبال المستوحشة ، ثم يندد بالكهنة لازدرائهم اسمه لانهم يقربون

---

(١) فى النسخة البروتستانتية عبارة « وحى الرب لاسرائيل من يد ملاخى »

على مذبحه المغصوب والاعرج والاعمى والسقيم • ولذلك فانه غير راض عن تقدمهم •

وفى اصحاحه الثانى انذار للكهنة بأنهم ان لم يسمعوا ويجعلوا مجد الرب فى قلوبهم فانه يرسل عليهم لعنته ويزجر عنهم الزرع ويذرى فرث أعيادهم على وجوههم • ثم يقول لهم ان عهد الرب مع لاوى كان للحياة والسلام والتقوى وشريعة الحق وسار هو على ذلك • أما أنتم فعدلتم عن الطريق • وشككتم كثيرين فى الشريعة • ونقضتم عهد لاوى معى • لذلك أنا أيضا جعلتكم مزدرين وأدنياء عند جميع الشعب • لقد غدر يهوذا وصنع اسرائيل الرجس • ان يهوذا دنس فى أورشليم قدس الرب الذى أحبه وتزوج بنت اله غريب • فالرب يستأصل الذى يصنع هذه الآثام• لقد أسأتم الرب بقولكم : كل من يصنع الشر فهو صالح فى عينى الرب •

وفى اصحاحه الثالث بشارة بمجىء السيد الذى يلتمسونه والذى سيكون ممحصا ومنقيا ويكون الرب شاهدا حينئذ على الفاسقين والمتفائلين والحالفين زورا والظالمين الاجير والارملة واليتيم والصيادين الغريب ولا يخشوننى ، يقول الرب : أنا الرب لا أتغير يا بنى يعقوب• وأنتم لا تفنون • من أيام آبائكم زغتم عن رسومى ولم تحفظوها • توبوا الى أتب عليكم • أيسلب البشر الله • تقولون ماذا سلبناك العشور والقرابين ، قد لعنتم لعنا ثم أنتم تسلبوننى • أنتم الامة كلها•

هاتوا جميع العشور الى بيت الخزانة ليكون في بيتى طعام وجربونى، ألا أفتح لكم كوى السماء وأفيض عليكم بركة وأزجر الآكل فلا يفسد لكم ثمر الارض ولا يكون الكرم عقيما . فتغبطكم جميع الامم لانكم تكونون أرضا شهية . لقد اشتدت على أقوالكم . تقولون بم تكلمنا عليك . انكم قلتم عبادة الله باطلة . وما المنفعة في حفظنـــا محفوظاته وفي مشينا بالحداد أمامه . الآن نحن نغبط المتكبرين . فان صانعي النفاق ابتنوا . جربوا الله ونجحوا .

وفي اصحاحه الرابع انذار باليوم الآتي المضـــطرم كالتنور . فيكون به جميع المتكبرين وصانعي النفاق عصافة يحرقون فيه فلا يبقى لهم جرثومة ولا أفنان . وتشرق للمتقين لاسم الرب شـــمس البر والشفاء ويطأون المنافقين وهم رماد تحت أخامص أقدامهم يوم أعمل أنا . قال رب الجنود : اذكروا شريعة موسى عبدى . هأنذا أرسل اليكم ايليا النبى قبل أن يجئ يوم الرب العظيم الرهيب .

- ١٠ -

وبسفر ملاخى تنتهى الاسفار الواردة في النسخة البروتستانتية من أسفار العهد القديم . وفي النسخة الكاثوليكية يأتى بعده سفر

المكابيين وهما من زوائد النسخة غير أنهما متصلان بحقبة مابعد الحكم الفارسي الذى خضعت له بلاد الشام ومصر ومن جملتها شرق الاردن وغربه منذ سنة ٥٣٨ الى سنة ٣٣٢ ق.م باستثناء فترات قصيرة كانت البلاد وخاصة مصر تتمرد عليه وتمارس سيادتها فيها •

والمستفاد من نصوص الاسفار السابقة والمصادر التاريخية الاخرى التى أشرنا اليها فى ثنايا فصول سيرة دولتى يهوذا واسرائيل أن المنفيين من بنى اسرائيل الى آشور أولا من دولة اسرائيل والى بابل ثانيا فى دولة يهوذا عقب نسف الدولتين لم يعودوا جميعهم الى فلسطين بل ان العائدين كانوا أقل من المتخلفين، وان معظم العائدين سكنوا فى أورشليم ومنطقتها التى صارت تعرف بالهودية ، وأن منطقة السامرة ظلت مشغولة بالاقوام الذين أرسلهم سنحاريب وأسرحدون الاشوريين وأسكناهم فيها مكان المسبيين من دولة اسرائيل ، وان الفلسطينيين ظلوا يحتفظون بكياناتهم وممالكهم فى الاقسام الجنوبية ، وأن أنسال الشعوب الاخرى العربية الجنس التى كانت موجودة قبل مجىء بنى اسرائيل من مصر مما سمتهم الاسفار الكنعانيين والاموريين والحويين واليبوسيين والفرزيين الخ ظلوا هم الآخرون يعيشون فى مختلف أنحاء فلسطين محتفظين بشخصياتهم وتقاليدهم فى أثناء قيام دولتى يهوذا واسرائيل وبعد انهيارهما ثم بعد عودة من عاد من بنى اسرائيل من المنفى •

- ١١ -

وليس فى أسفار العهد القديم شىء عن تاريخ بنى اسرائيل تحت حكم الفرس الا ما اقتبسناه وأوردناه من أسفار عزرا ونحميا وأستير من نتف تمتد الى عهد دارا الثانى وأرتخشستا الثانى ، ولما كان تاريخ بنى اسرائيل فى فلسطين استمر بعد عودتهم من السبى أمدا غــير قصير أى نحو ستة قرون ٥٣٨ ـ ق٠م ـ ٧٠ ب٠م فان تكملة سيرتهم ضرورية لربط لاحقها بسابقها • وليس من بد من التعويل فى ذلك على مصادر تاريخية أخرى بالاضافة الى سفرى المكابيين اللذين يحتويان شيئا من هذا التاريخ عهد سلطان السلوقيين اليونانيين الذى امتد من أواخر القرن الرابع الى أواسط القرن الاول قبل الميلاد (٣١٢ ــ ٦٤ ق٠م)

وقد عولنا فى ذلك بالدرجة الاولى على كتاب مقال فى العبرانيين للمطران الدبس ثم على كتابه الكبير تاريخ ســورية ، ثم على تاريخ يوسيفوس اليهودى • والدبس يستند فى كتابه الى مصادر يونانيــة ورومانية وانكليزية وافرنسية قديمة وحديثة بالاضــافة الى تاريخ يوسيفوس وأسفار المكابيين بالنسبة للحقبة التى نحن فى صددها • وتاريخ يوسيفوس مدون فى القرن الاول بعد الميلاد ومؤلفه من رجالات اليهود الذين لعبوا دورا على المسرح السياسى • ومع أنه

شيب بكثير من الخيال والمفارقات فان فيه على ما هو المتبادر حقـــائق تاريخية كثيرة أيضا (١) •

ولقد تعاقبت على عرش مملكة الفرس خلال الحقبة التى كانت بلاد الشام ومصر ومن جملتها اليهودية خاضعة لحكم الفرس كورش وقمبيز وخومـــاتا ودرباش الاول « دارا » واحشوبريش الاول وارتحنستا الاول وأحشوبريش الثانى وسغديان ودرياش الثـــانى وأرتحشستا الثالث وأرسيس ودرياش الثالث(٢) •

وكانت هذه البلادتدار من قبل ولاة عامين من الفرس يستندون فى سيطرتهم الى حاميات فارسية • ويظهر أن الفرس كانوا يعينون ولاة أقاليم محليين من شعوب البلاد حيث عرف أن سنبلط الذى مر ذكره كان من أهل السامرةوواليا عليها (٣) وأن نحمياكانوالياعلى

---

(١) ان تاريخ يوسيفوس الذى فى يدنا ترجمة عربية طبعها ونشرها سـليم صادر صاحب المكتبة العلمية ببيروت وليس عليها تاريخ وهى فى ٢٢٨ صحيفـة متوسطة • وقد ذكر الدبس فى الجزء الثانى من كتابه تاريخ سورية احداثا كثيرة مروية عن يوسيفوس لم ترد فى هذه الترجمة او وردت بزيادة او نقص •

وقد قال الدبس (ص ٣٧٦) من كتابه المذكور ان يوسيفوس ولد سـنة ٣٧ وتوفى سنة ١٠٠ ب م وانه كتب تاريخ أمته فى عشرين كتابا (ولعلها عشرون فصلا) بالسريانية وترجمتها الى اليونانية ومنهاترجمة الى اللاتينية والفرنسية وغيرهما• وفى ترجمة صادر التى فى يدنا نبذة طويلة فى تاريخ اليهود واليونان السلوقيين فى حقبة الدولة الكلابية استغرقت ثلثيها ونبذة فى الحروب الرومانيـة اليهوديـة استغرقت ثلثها الثالث • ولا ندرى هـل الترجمة مختصرة عن الكتابـين وان كان يبدو لنا ذلك • وحينئـذ تكون زوائـد الدبس من النسختين الاصليتين المطولتين اللتين لم نقدر على الحصول عليهما • وماسوف نعزوه فى هذه النبذة وما بعدها الى يوسيفوس هو مقتبس من ترجمة وطبعة صادر •

(٢) تاريخ كلدة واشور لادى شير ج ١ ص ١٥٣-١٦٣ •

(٣) مقال فى العبرانيين للدبس ص ٦٢٩ •

اليهودية • وهذا عرف من نصوص سفر نحميا التي أوردناها قبل وكان يلقب بالترشانا •

ومما ذكره الدبس من سيرة بنى اسرائيل (١) فى هذه الحقبة نقلا عن مؤرخ اسمه كريتس أنه كان عند اليهود بعد نحميا ندوة شيوخ مؤلفة من سبعين عضوا وقضاة يقضون للشعب منهم يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع • وأن مهمة الندوة كانت مراقبة تطبيق الشريعة وتفسير ما أشكل منها وكان لقب رئيسها أبتدين ، وأن بنى اسرائيل ظلوا موالين للفرس وحياديين فى ما كان ينشب فى سورية وفينيقية ومصر من ثورات ضد الحكم الفارسى وفيما نشب كذلك بين الفرس واليونان من حروب خلافا لسورية ومصر وفينيقية مامرده ما كانوا عليه من هوان وضعف حيوية أوما نالوه من الفرس من عطف وعناية • ومما رواه الدبس أيضا نقلا عن كريتس ويوسيفوس(٢) من أحداثهم أن كاهن اليهودى الاكبر يوياداع مات فى زمن أرتحشستا الثالث وخلف ولدين فدفع أصغرهما يشوع رشوة لوالى الفرس وقائدهم العام باغواس ليعينه مكان أبيه بدلا من أخيه حنان الاكبر فوعده بذلك ، وأن الاخوين تنازعا على الرآسة فى الهيكل فقتل الاكبر أخاه الاصغر فيه فجاء باغواس وفرض على اليهود ضريبة خمسين درهم على كل خروف يذبح فى الهيكل عقوبة لهم •••

(١ و٢) المصدر نفسه ص ٦٢٩ وما بعدها •

- ١٢ -

وفى الثلث الاخير من القرن الرابع قبل الميلاد زحف الاسكندر المكدونى الذى صار اليه ملك مكدونيا وبلاد اليونان بعد أبيه فيليب نحو الشرق لمحاربة الفرس امتدادا لما كان من حروب بينهم وبين اليونان فهزم جيوش دارا الثالث فى آسيا الصغرى ثم استولى على بلادالشام ومصربغير عناء كبيرباستثناءصور وغزة اللتين امتنعتاعليه فترة من الزمن ثم كر على العراق واشتبك بجيش دارا مرة ثانية فى معركة حاسمة فى أربيل كتب له النصر فيها وكان دارا من جملة هلاكها وبذلك استتبت له السيطرة على مملكته وما كان فى سلطانه من بلاد •

ومما ذكره الدبس ويوسيفوس(١) فى سياق امتزج بالخيال أن الاسكندر أرسل فى جلب المؤن من الجليل والسامرة واليهودية أثناء حصار صور فامتثل السامريون ولبوا طلبه بل وأرسلوا اليه نجدة مؤلفة من ثمانية آلاف وأبى اليهود الامتثال تمسكا بعهدهم وولائهم للفرس فغضب عليهم وزحف على أورشليم للتنكيل بهم فخرج الكاهن الاكبر مع الكهنة والشعب واستقبلوه بموكب دينى وفتحوا له المدينة

---

(١) المجلد الثالث الجزء الثانى من تاريخ سورية للدبس ص ٦١ وما بعدها وتاريخ يوسيفوس طبعة صادر ص ٢٤ وما بعدها •

وأن الاسكندر كف عن التنكيل بهم وسجد الكاهن بتأثير رؤيا رآها الاسكندر والكاهن فى الوقت نفسه ! ثم ذهب الاسكندر الى الهيكل وقدم هداياه وطلب وضع تمثال له فيـــه فصرفه الكاهن عن ذلك بالحسنى ، وطلب الكاهن واليهود منه اعفاءهم من الجزية سنة فى كل سبع سنين والسماح لهم بممارسة شرائعهم فأجابهم الى طلبهم ، وأنه ذهب بعد ذلك الى منطقة السامرة فاستقبله سنبلط السامرى واليهـــا وصنع له وليمة عظيمة وقدم اليه هدايا نفيسة وطلب منه الســـماح ببناء هيكل فى جبل جرزيم ـ جبل نابلس الجنوبى ـ فسمح له ، وأن صهرا لسنبلط اسمه منسى من اللاويين لم يرد أن يتخلى عن زوجته السامرية وترك أورشليم وأقام عند صهره صار يقوم بمهمة الكهانة فى هيكل جرزيم ، ثم أخذ سنبلط وصهره يقومون بدعاية كبـــيرة لهيكلهم وصاروا يقولون فيما يقولون ان مكانه هو المكان الذى اختاره الله للبركة والذى يجب أن تكون الصلاة فيه والحج اليه بسبب قول موسى انى أجعل البركة على جبل جرزيم(١) ، وأن كثيرا من اليهود تأثروا بالدعاية وأقبلوا على اقامة أعيادهم وطقوسهم فى هيكل جرزيم وحمل نذورهم وهداياهم وعشورهم وذبح قرابينهم فيـــه ، وتركوا قدس الله ـ هيكل أورشليم ـ وعطلـــوه وكثرت بذلك أموال هيكل جرزيم فاستغنى كهنته واستقام حال خدامه وصار علة فى تعطيـــل

---

(١) حكاية البركة لجبل جرزيم واردة فى الاصحاح الحادى عشر من ســـفر التثنية والاصحاح الثامن من سفر يشوع .

كثير من حقوق القدس . وقد ظل الهيكل قائما وحالته ميسرة على هذا المنوال الى أن ولى هركانوس بن شمعون فأخربه، وهركانوس هذا أحد ملوك الدولة المكابية اليهودية على ما سوف نذكره بعد .

- ١٣ -

ولقد تقاسم قواد الاسكندر بعد وفاته الامبراطورية العظيمة التى أنشأها والتى كانت تشمل بلاد اليونان ومكدونيا وآسيا الصغرى ومملكة فارس وبلاد الشام والعراق ومصر . وقد دخلت بلاد الشام ومن جملتها اليهودية فى حكم القائد أوميدون أولا ثم نشب نزاع وقتال تنافسى بين القواد وانتهى الامر بعد معارك وصيال متنوع الصفحات امتد عشرين عاما (٣٣٢-٣١٢) الى توطد سلطان بطليموس الذى كانت مصر نصيبه على فينيقية وسورية المجوفة (البقاع وراشيا وحاصيا وبعلبك) وفلسطين وقبرص ، وسلطان سلوقوس الذى كان متحالفا مع بطليموس ضد أوميدون على سورية الداخلية والشمالية وبين النهرين (١) .

ولقد كان من صفحات هذا النزاع زحف بطليموس على فلسطين

(١) تاريخ سورية الجزء الثانى ص٨٥-١٠٦ المجلد الثالث .

لتوطيد سلطانه عليها وتمنع اليهود عليه تمسكا بعهدهم لاومبدون فاستولى على اورشليم عنوة وعامل اليهود بقسوة وأخذ منهم أكثر من مائة الف أسير ونفاهم الى مصر •

ولم يلبث خلفاء بطليموس وسلوقوس أن أخذوا يتنازعون على سلطان بلاد الشام لان سلوقوس عز عليه أن يكون لبطليموس سلطان على بعض أنحائها حتى لقد كان تاريخ الدولتين اليونانيتين اللتين صارتا تعرفان بدولتى البطالسة والسلوقية سلسلة متصلة الحلقات من هذا النزاع الذى كان يجر معه الحروب والدسائس والمؤامرات ، وكان النصر يساجل بين المتنازعين حينا ويكتب لطرف على طرف حينا ، وقامت بين الدولتين مصاهرة فى فترة من الفترات فكانت من أسباب وعوامل النزاع والدسائس حينا ، ومدت روما اصبعها فى هذا النزاع فى ظرف من الظروف ، ثم استمرت حتى ورثت الدولتين أخيرا • وقد تساجلت الدولتان الحكم على البلاد المتنازع عليها مرة بعد مرة وكان حكم السلوقيين أطول • وكان أهل البلاد وبنو اسرائيل خاصة يتعرضون للشدائد والمحن من جراء تقلب الحكم من دولة الى دولة لانهم كانوا يندمجون فى الدسائس والمؤامرات • ولقد ظلت هذه البلاد تحت سلطان البطالسة فى عهد بطليموس الاول والثانى والثالث ٣١٢ـ٢١٢ ثم انتزعها أنطيوخوس الثالث (٢١٢ـ١٨٧) لفترة من الزمن عادت بعدها الى البطالسة ثم عادت ثانية الى

السلوقيين وظلت تحت سلطانهم الى الفتح الرومانى سنة ٦٤ ق‌م باستثناء فترات قصيرة . ولقد نشأ عن تقلب الحكم فى اليهود فريق متحزب للسلوقيين وآخر للبطالسة فكان كثيرا ما يقع نزاع بين الفريقين وكان السلوقيون حينما يستولون على البلاد ينكلون بالفريق الآخر ويساعدهم على ذلك الفريق المناصر لهم وحينما كان البطالسة يستولون يفعلون نفس الشىء ويساعدهم عليه أنصارهم أيضا . ومع أن الدولتين كانتا تقيمان على البلاد ولاة وقوادا عامين وحاميات فان رؤساء كهان اليهود كانوا بالاضافة الى صفتهم الدينية يمارسون الزعامة المدنية على اليهود ويتولون جمع الجزية وتسليمها أحيانا .

- ١٤ -

ومما عرف من الاحداث المتصلة بتاريخ اليهود فى هذه الحقبة أن بطليموس الثانى (٢٨٢ـ٢٤٧ق‌م) سمح لمائة وعشرين ألفا من أسرى اليهود بالعودة الى اليهودية ، وأنه طلب من أليعازار رئيس الكهان أن يرسل اليه اثنين وسبعين عالما من علماء التوراة ـ ستة من كل سبط ـ لترجمة أسفار موسى الخمسة الى اليونانية فنفذ الطلب وكان أليعازار على رأس العلماء وتمت المهمة خلال اثنين وسبعين

يوما فكانت الترجمة المعروفة بالترجمة السبعينية فى اللغة اليونانية للاسفار الخمسة(١) • ولقد ذكر يوسيفوس هذا أيضا(٢) وزاد عليه أن بطليموس جعل لكل عالم مسكنا خاصا وحظر عليهم الاجتماع ببعض وزود كل واحد منهم بكاتب حاذق فى اليونانية وأنذرهم بالعذاب والاعدام اذا وجد خلافا فى ترجمتهم وأنه قابل الترجمة فوجدها متطابقة ـ وهذا يوهم أن كل عالم ترجم الاسفار لحدته ـ فابتهج وسر وأمر لاليعازر بجائزة عظيمة ولسائرهم بكثير من المال وأطلق جميع من كان أسيرا فى مصر من سبى اليهود وأمر بصنع مائدة من الذهب عليها صورة أرض مصر والنيل يجرى وسطها ومرصعة بالجواهر الثمينة لتكون هدية منه لبيت الله

ومما ذكره الدبس (٣) أن أدينا رئيس الاحبار تقاعد عن دفع الجزية بضع سنين فى زمن بطليموس الثالث وكان قدر الجزية السنوى عشرين وزنة فأرسل بطليموس عاملا الى أورشليم لارغام اليهود على الدفع وهددهم بالطرد فعظم القلق فى أورشليم ثم أوفدوا رسولا ذكيا استطاع أن ينال حظوة فى عين الملك وجعله يعفى اليهود من معظم المتراكم عليهم •

ولما آل العرش السلوقى الى أنطيوخوس الثالث المسمى بالكبير

---

(١) تاريخ سورية ج ٢ المجلد الثالث ص ١١٢ وما بعدها .
(٢) طبعة صادر ص ٤٩ وما بعدها .
(٣) تاريخ سورية ج ٢ ص ١٢٣ المجلد الثالث .

(٢٢٢-١٨٧ق.م) بدا منه طموح الى التوسع وبسط السلطان على البلاد الشامية التى فى حيازة البطالسة فنشبت الحرب بينه وبين بطليموس الرابع (٢٢٢-٢٠٥) انتهت بانتصار السلوقى على زميله واستولى هذا نتيجة لذلك على سورية المجوفة وفينيقية وفلسطين لفترة من الزمن. وفى خلال هذه الفترة ظهر الفريقان المتحزبان للبطالسة والسلوقين وأخذا يتناصران . وبعد قليل استعاد بطليموس الرابع السلطان على البلاد فاستولى الفريق المناصر له وتعرض المخالفون للتنكيل ، ثم تمكن أنطيوخوس من بسط سلطانه للمرة الثانية فنكل بالحزب المناوىء بدوره تنكيلا شديدا حتى جعل كثيرا من أفراده يفرون الى مصر ويقيمون فيها وينشئون هيكلا على غرار هيكل أورشليم . ثم أخذوا يدسون دسائسهم فى اليهود الباقين فى اليهودية ويحركونهم على السلوقيين واستجاب بعضهم الى الدسائس فأثار ذلك سلوقوس الرابع الذى خلف أباه أنطيوخوس الثالث (١٨٧-١٧٥ ق.م) المعروف بقيلوباطر-وجعله يشتد عليهم قمعا وتدميرا ، ثم جعل السلوقيين يبذلون جهودهم فى تحويل اليهود عن التقاليد الدينية والاجتماعية اليهودية الى التقاليد اليونانية . وقد نصب الوالى اليونانى أثنيوس تمثالا للاله زفس فى هيكل أورشليم وقرب له القرابين وأخذ يدعو اليهود الى المشاركة فى الطقوس اليونانية ويشتد ضد المتمردين على دعوته وقد استجاب كثير من اليهود الى دعوته وأخذوا ينصرفون عن

شرائعهم وتقاليدهم ويندمجون فى تقاليد وطقوس اليونانيين كما كان شأنهم حينما طرأوا على أرض كنعان .

وقد تمرد بعضهم وتمسك بالتقاليد الموسوية ، فوشى الفريق الآخر بهم فتعرضوا للتنكيل الشديد، كما أن السلوقيين اشتدوا فى ارغام الناس على تقاليدهم وترك التقاليد الموسوية فأدى ذلك الى انفجار الثورة التى عرفت بالثورة المكاريه والتى انبثق منها دور استقلالى لبنى اسرائيل امتد نحو مائتين وثلاثين سنة حيث انفجرت سنة ١٦٠ق م وامتدت الى سنة ٧٠ ب م وتمتع بنو اسرائيل خلال هذه المدة بشىء من الكيان المستقل والسيادة فى بعض الفترات . وكان استقلالهم فى أكثر المدة ذاتيا تحت سيادة السلوقيين ثم الرومان يضيق ويتسع حسب الظروف . وقد ساعد على تطور الثورة ونجاحها ما كان بين السلوقيين والبطالسة ثم بين السلوقيين أنفسهم من تنافس ونزاع .

ويعتز اليهود بهذه الثورة ويعدونها من مفاخرهم العظمى . وقد تكون حقا كذلك من حيث بواعثها وسيرتها . غير أنها شيبت بمعكرات كثيرة من اليهود أنفسهم مما هو شنشنة بنى اسرائيل الدائمة فأضعفت نتائجها ومفخرتها . فاليهود لم يندمجوا جميعهم فيها . بل كان كثير منهم يكيدون لها ولرجالها فى مختلف المناسبات والاشكال . وظل كثير منهم على انحرافهم الخلقى والدينى . وكان كثير منهم يحالفون السلطات السلوقية ثم الرومانية ويتعاونون معها ضد الحركة ، وكثيرا

ما كان بنشب خلافات ومنازعات ومكائد دينية وتنافسة بين رجـال الحركة تراق فيها الدماء الغزيرة ويسام الناس فيها الجور والخسف وتؤدى الى الاضطراب والارتباك ، وقد كان كل هذا من أسباب قصر مدة سيادة المكابيين التامة وخضـوعهم فى أكثر مدنهم للسيادة الخارجية كما أدى الى انهيار دولتهم أخيرا على ما سوف نشرحه فى الفصل التالى الذى جعلناه فصلا مستقلا .

دور المكابيين الى تدمير أورشليم

- ١ -

لقد اختلفت الاقوال فى سبب تسميتها باسم المكابيين الذى كان يطلق على زعماء الثورة فقط . وليس فى أسفار المكابيين التى يدور الكلام فيها حول مقدمات الثورة وسيرتها فى حقبتها الاولى ولا فى تاريخ يوسيفوس الذى استغرقت أحداثها معظمه تعليل ما لهذا الاسم . وقد ذكر المطران الدبس بضعة تخريجات للتسمية تبادر لنا أن أوجهها كونها مشتقة من كلمة مكابا العبرية التى تعنى المخبأ لان زعماء الثورة اختبأوا أولا فى المغاور حتى هيأوا أنفسهم للثورة .

وأحداث الثورة المكابية مذكورة فى المصادر الثلاثة التى ما فتئنا نذكرها ونعول عليها وهى سفرا المكابيين وتاريخ يوسيفوس والجزء الثانى من تاريخ سورية للدبس (المجلد الثالث والمجلد الرابع) .

ولما كان معظم ما أورده الدبس مقتبسا من المصدرين المذكورين فقد رأينا الاكتفاء بهما نحن أيضا الا اذا كان فى الدبس زوائد مهمة .

وسنبدأ بأسفار المكابيين لانها احتوت كما قلنا آنفا مقدمات الثورة وسيرتها فى حقبتها الاولى •

- ٢ -

والسفران هما من زوائد النسخة الكاثوليكية • ويـدوران حول تاريخ اليهود فى القرن الثانى قبل الميـلاد فى عهد دولتى السلوقيين والبطالسة ثم فى عهد ثلاثة من زعماء المكابيين مـع أسباب انفجار الثورة •

ولا يخلو السفران من المفارقات والمبالغات والتهويلات كسائر الاسفار • ومع ذلك ففيهما حقائق تاريخية كثيرة متطابقة مع مـا أثر من مدونات اليونان القديمة التى احتوت سـيرة الدولـة السلوقية •

ولقد جاء فى آخر السفر الاول منهما هذه الجملة « وبقيـة أخبار يوحنا وحروبه وأعماله مكتوبة فى كتاب ايام كهنوته الاعظم منذ تقلد الكهنوت الاعظم بعد أبيه ، حيث تفيـد أن رؤساء المكابيين كانوا يدونون اعمالهم فى سجلات خاصة بهم كما كان شأن ملوك بنى اسرائيل وقد ضاعت هذه السجلات كما ضاعت تلك ، وأن كتاب أسفار المكابيين قد استندوا الى هذه السجلات

التى دونت فى ظروف الحركة كما كان يفعل كتاب أسفار الملوك وأخبار الايام المتداولة على ما ذكرناه قبل وقد اختلطت فيهما الحقائق بالخيال والمفارقات مثلها .

هذا مع التنبيه على ان السفر الثانى ليس امتدادا للسفر الاول بل كل منهما مستقل عن الآخر . وفى الثانية تكرار لبعض ما فى الاول بشىء من الزيادة والنقص والخلاف والمناقضة ، وأسلوب الثانى أسلوب حكاية لاحداث سابقة أكثر منه اسلوب تدوين تاريخى خلافا للاول ، وقد كتب ، على ما يمكن ان يدل عليه أسلوب الاصحاح الأول والثانى وفحواهما ، بشكل رسالة من يهود أورشليم الى يهود مصر ، حيث يدل كل ذلك على أن كل سفر كتب من قبل كاتب غير كاتب السفر الآخر وفى أوقات مختلفة من المرجح أنها قبل الميلاد المسيحى وان لم يمكن تعيينها بشىء من الجزم والوثوق .

- ٣ -

والسفر الأول ستة عشر اصحاحا فى أربع وخمسين صفحة . وقد ابتدأ اصحاحه الاول باشارة خاطفة الى الاسكندر المكدونى وفتوحاته وموته واقتسام مملكته من قبل «عبيده» ولبسهم

التيجان وخلافة أبنائهم لهم فى الملك ثم قال « وخرج منهم أصل خاطىء وهو أنطيوخوس ابى قانيس بن أنطيوخوس الملك سنة ١٣٧ لملك اليونانيين (١) » . وفى تلك الايام خرج من اسرائيل أبناء منافقون فأغروا كثيرين قائلين لهم هلم نعقد عهدا مع الامم حولنا فانا منذ انفصلنا عنهم لحقتنا شرور كثيرة ، فحسن كلامهم وانطلق فريق منهم الى هذا الملك فاعطاهم اذنا بان يعملوا حسب أحكام الامم ـ أى خلافا للشرائع الموسوية ـ فابتنوا مدرسة فى أورشليم حسب سنن الأمم وعملوا غلفا وارتدوا عن العهد المقدس ومازجوا الامم وباعوا أنفسهم لصنيع الشر .

وهكذا يقرر السفر فى بدئه ما كان من انحراف بنى اسرائيل الدينى والخلقى وتأثرهم بالأمم الوثنية فى شرائعهم وسننهم كما كان شأنهم دائما .

ثم ذكر الاصحاح طموح أنطيوخوس الى التبسط ، وغزوه لمصر ثم زحفه على أورشليم ونهبه جميع النفائس والاوانى المقدسة الذهبية وغيرها من المعبد ، وقتله لجم غفير من أهلها وما كان من جراء ذلك من حزن اسرائيل ومناحاتهم وعارهم .

ثم ذكر أن أنطيوخوس أرسل بعد سنتين رئيس الجزية الى

---

(١) هذا التاريخ يصادف سنة ١٧٥ ق.م لان دولة السلوقيين اليونانية التى هى ملك اليونانيين قامت سنة ٣١٢ ق.م كما حسبها الباحثون (انظر تاريخ سورية للدبس الجزء الثانى) ص ٩٠ وما بعدها المجلد الثالث .

مدن يهوذا وأورشليم فضرب أورشليم ضربة عظيمة وسلبها وهدم بيوتها وأسوارها وسبى نساءها وأولادها ، وحصن مدينة داود وأقام فيها « أمة أثيمة ورجالا منافقين » أى حامية مختلطة من اليونانيين والاسرائيليين فصاروا يعتدون على أهل أورشليم قتلا ونهبا وتدنيسا لمقدساتها مما جعل أهلها يهربون منها وتغدو قفرا خرابا •

ثم ذكر ان الملك كتب الى جميع مملكته أمرا بان يكون جميع السكان على شريعة واحدة وأن يترك كل واحد شريعته الخاصة (والمتبادر ان الشريعة التى أريد تعميمها هى الديانة والتقاليد اليونانية) فأذعنت الامم بأسرها كما أذعن كثير من الاسرائيليين وذبحوا للاصنام ودنسوا السبت ، وأرسل الملك رسلا الى يهوذا لاجبار الممتنعين على اتباع سننه والامتناع عن الذبح والسكب فى المقدس (الهيكل) وبناء المذابح والمعابد للاصنام وأكل الخنزير وتدنيس السبوت والاعياد والمقادس وترك الختان ، وأمرهم بقتل من لا يعمل بمقتضى أمر الملك ، فانضم كثير من الشعب الى سنن الملك ونبذوا الشريعة : ولجأ كثير آخرون الى المخابىء : وقتل كثير من المتنعين وخاصة من النساء اللاتى ختن أبناءهن وعلق الأطفال المختونون فى رقابهن •

- ٤ -

وجاء فى الاصحاح الثانى : أنه كان من الخارجين من أورشليم متيتا بن يوحنا بن سمعان . وكان كاهنا من بنى يوياريب مع خمسة من أولاده . هم : يوحنا وسمعان ويهوذا الملقب بالمكابى والعازار ويوناتان ، وقد ذهبوا وسكنوا مدينة اسمها مودين (١) وكانوا فى حزن وحسرة شديدة على ما صارت اليه حالة أورشليم ومقدسها وأهلها . وجاءت رسل الملك الى هذه المدينة لاجبار أهلها على سنن الملك ونبذ أحكام التوراة وطلبوا من متيتا أن يبدأ هو وأولاده بامضاء أمر الملك لانه رئيس المدينة ومنوه برضاء الملك وكرمه وهداياه فرفض قائلا : لو أطاعت الملك كل الامم وارتد كل واحد عن دين آبائه فانه واولاده سيبقون على عهد آبائهم . وفى هذه الاثناء تقدم يهودى ليذبح على المذبح الذى أنشأه الملك فوثب عليه متيتا وقتله ثم وثب على رسول الملك فقتله ثم خرج الى الجبال قائلا : ليلحقنى كل من يغار على الشريعة ، فتبعه كثيرون فكان ذلك اعلانا للثورة .

وعلم عمال الملك وجيشه فى أورشليم بما جرى فأرسلوا حملة كبيرة على الثائرين وكان يوم سبت فامتنع الثوار من الحرب

---

(١) يقول الدبس فى الجزء الثانى المجلد الثالث من تاريخ سورية ص ٢٢٦ ان مؤلف كتاب الارض المقدسة حقق ان مودين هذه هى المسماة اليوم باسم «المدية» فى جوار اللد وانه عثر فيها على مدافن المكابيين .

واغتنم الجيش الفرصة فأخـــذوا يفتكون فى الناس حتى قتلوا ألفا منهم ، وحينئذ قرر متيتا ومن انضوى اليه القتال ولو كان فى يوم السبت فهاجموا الحملة بقوة وحماس وتمكنوا من قتـــل كثير منها وهزيمة البقية وتشجع متيتا وتحمس من النتيجة فأخذ يطوف فى أرض اسرائيل ويهدم المذابح الوثنية ويختن الاولاد الغلـــف .

ولما حضرته الوفاة وصى بنيه بالسير على منواله فى الغيرة على الشريعة وبذل النفوس فى سبيل عهد الآباء وعين ابنه يهوذا رئيسا للجيش والقتال وسمعان مستشارا وأبا لهم حسب تعبير الاصحاح

- ٥ -

وذكر الاصحاح الثالث أنه لما توفى قام مكانه يهوذا المسمى بالمكابى حسب الوصية . وانضم اليه وايده اخوته وأنصـــاره . وقد تعقب المنافقين وأحرق الذين يفتنون الشعب واشـــتهر الى أقاصى الارض . وزحف أبلونيوس قائد السلوقيين بجيش عظيم من السامرة فخرج يهوذا الى لقائه وأوقع بجيشه مقتلة عظيـــمة وكان هو من القتلى وانهزم الباقى واستولى اليهود على غنائـــم عظيمة كان من جملتها سيف أبلونيوس نفسه الذى كان يهـــوذا

يقاتل به كل الايام . ووصل خبر الثورة الى عاصمة الملك فخرج قائد الجيش العام سارون على راس حملة عظيمة . وخرج يهوذا الى لقائه والتقى الفريقان فى عقبة بيت حورون . وفزع رجال يهوذا فشجعهم وطمنهم وذكرهم بما كان من تأييد الرب لاسرائيل وقال لهم : نحن نحارب دفاعا عن نفوسنا وسننا وهم يحاربون لظلمنا ثم هاجم الحملة فكسرها وهزمها ، فزادت الواقعة اسم يهوذا صيتا . واشتد غضب أنطيوخوس وسير حملة جديدة بقيادة قائد اسمه بطليماوس وانضم اليها كثير من الأمم الاخرى، وصام بنو اسرائيل وصلوا وابتهلوا ثم نفخوا بالابواق والتحموا مع الحملة . وقد وصف الاصحاح الرابع المعارك التى دارت بين الطرفين وذكر أنها دارت على المهاجمين الذين استطاع يهوذا ورجاله أن يكسروا فرقهم واحدة بعد أخرى وأن يغنموا كثيرا من أسلابهم وأثقالهم ومؤنهم وذهبهم وفضتهم .

وسير السلوقيون حملة جديدة وكان مصيرها كالاولى على ما ذكر الاصحاح نفسه بما أبداه يهوذا ورجاله من بطولة وبابتهالاتهم للرب . ثم صعد الى أورشليم فوجد المقدس خاليا والمذبح منجسا والأبواب محرقة والغرفات مهدومة فناح هو وجماعته ثم طهروا المقادس وجددوا المذبح ووضعوا ما تقتضيه الرسوم من أوان وادوات وذبحوا وصلوا ثم ضربوا الحصار على قلعة داود .

ومما جاء فى الاصحاح الخامس ان الأمم التى من حولهم لما سمعوا أن المذبح قدس ثانية استشاطوا غضبا وأخذوا يمدون أيديهم بالقتل لبنى اسرائيل فتصدى لهم يهوذا وحارب أولا بنى عيسو وضربهم وسلبهم ثم حاصر بنى بيبان وأبسلهم وحرق بروجهم ومن فيها ثم عبر الى بنى عمون وكسرهم واستولى على يعزير (١) وتوابعها من أرضهم . واجتمعت الشعوب على الاسرائيليين فى جلعاد ـ شرق الاردن ـ من الشرق وعلى الاسرائيليين فى الجليل من الشمال ، فاستنجد هؤلاء وأولئك بيهوذا فأرسل فرقة من رجاله بقيادة أخيه سمعان الى الجليل وقاد أخرى الى جلعاد .

وقد ذكر الاصحاح أن كلتا الفرقتين نجحتا واستطاعتا أن تكسرا الامم المتجمعة على الاسرائيليين فى الناحيتين وتقتلا منهم كثيرا وتسلبا غنائمهم وتدمرا مدنهم وحصونهم . ولكنه ذكر الى هذا أنهما أحضرتا معهما الى اليهودية جميع من كان فى جلعاد والجليل من الاسرائيليين ، حيث يفيد هذا أن الاسرائيليين لم يحرزوا نصرا ساحقا وخشوا أن يتعرض الاسرائيليون لهجمات

---

(١) يقول الدبس فى الجزء الثانى من تاريخ سورية المجلد الثالث انها المعروفة اليوم باسم بيت زرعة على الارجح ص ١٨٣ .

جديدة. وقد ذكر الاصحاح أن القواد المكابيين كانوا يقتلون كل ذكر بحد السيف فى المدن التى يستولون عليها ومما ذكر فى السياق أن قائدين خلفهما يهوذا فى أورشليم سمعا ما كان من نجاح الحملتين فحدثتهما نفساهما ان يأتيا بعمل مماثل فزحفا على مدينة اسمها يحنيا فى الغرب فخرج أهلها للقائهما وهزموهما وقتلوا ألفين من رجالهما .

وانتهى الاصحاح بالقول « وعظم الرجل يهوذا واخوته فى عيون كل اسرائيل وجميع الامم وقصد يهوذا أرض الاجانب وجال فى السامرة وهدم مذابح أشدود وسلب غنائمها .

وبقطع النظر عما يمكن أن يكون فى السياق من خيال وتناقض فالمستفاد منه ان أنحاء فلسطين المختلفة كانت وظلت كما قلنا قبل مشغولة بسكانها من غير الاسرائيليين وانهم كانوا يقفون من بنى اسرائيل موقف العداء والتربص ويتحينون كل فرصة لازعاجهم وضربهم وان ذلك كان شأن سكان البلاد المتاخمة أى شرق الاردن وفينيقية أيضا . وهذه ظاهرة كانت وظلت تتكرر فى مختلف حقب التاريخ على ما مر بيانه . ومردها ما كان وظل يبدو من بنى اسرائيل من أنانية واستعلاء على الغير وشره الى ما فى يده واستحلال له ، وشراسة فى تعاملهم معه وقسوة رهيبة حينما كانت تسنح الفرص لهم فيه . ويظهر أن يهوذا لم يكن واثقا من قدرته على حماية الجاليات الاسرائيلية فى الجليل وجلعاد

فسحبها الى اليهودية ، حيث يبدو من هذا المبالغة فى وصف قوة يهوذا وصولاته وشدة ضربته للشعوب المجاورة • ولقد ذكر الاصحاح السادس ان قلعة داود ظلت مستعصية على يهوذا وان الذين ظلوا يصدون اسرائيل عن دخول المقادس ويحاولون الاضرار بهم من كل جانب وتوطيد الامم بينهم ، ويبدو من هذا كذلك ما فى وصف قوة يهوذا وصولاته وانتصاراته من مبالغة أيضا •

وقد ذكر هذا الاصحاح أن يهوذا حشد جميع الشعب لحصار القلعة والتضييق على الذين فيها ونصب عليها المجانيق والقذافات فخرج منهم نفر وانضم اليهم نفر منافقون من اسرائيل وانطلقوا الى الملك ـ وكان أنطوخيوس الرابع قد توفى فى جولة له فى بلاد فارس وجلس على العرش ابنه أنطوخيوس الخامس أو باتور ـ وأخذوا يحرضونه على يهوذا ويذكرون له ما يفعله فى البلاد ويخوفونه من العواقب حيث يفيد هذا أن جماعات من بنى اسرائيل كانوا يحتفظون بالولاء للسلوقيين دون يهوذا ولم يندمجوا فى الحركة المكابية وكانوا يناوئونها • وقد غضب الملك وحشد جيشا عظيما قوامه مائة الف راجل وعشرون ألف فارس وفيه اثنان وثلاثون فيلا مضراة على الحرب وسار على رأسه • وأخذت المناوشات تقع والنصر يتساجل بين الطرفين على مايستفاد من وصف الاصحاح • ولكن الاصحاح قال ان اليهود لما راوا

سطوة الملك وبطش الجيوش ارتدوا الى أورشليم وتحصنوا فى حصن صهيون فزحف الملك وحاصرهم ونصب القذافات والمجانيق وصنع اليهود مثله واستمر التراشق من فوق الاسوار اياما كثيرة وأخذ الجوع يغلب على اليهود ، وان القائـــد الذى كان مع أنطيوخوس الرابع فى جولته رجع فتخوف الملك من مخامرتـــه وجنح الى مهادنة اليهود واستجاب اليهود بدورهم الى ذلك ، وحلف الملك والرؤساء لهم وحينئذ فتحوا لهم الحصن فدخلوه وأمر الملك بهدم سوره ثم انصرف مسرعا الى أنطاكية •

والكلام يفيد أن سادة السلوقيين عادت ثانية على اليهود وان زعماء الثورة قبلوا بها •

- ٧ -

وذكر الاصحاح السابع خبر انقلاب وقع على العرش السلوقى استولى ديستريوس ابن سلوقوس تتيجة له على السلطان وقبض على أنطيوخوس الخامس وقتله ، ثم قال ان جميع رجال النفاق والكفر فى اسرائيل على رأسهم الكيمس (١) الذى كان طامعـا

---

(١) يسميه الدبس الياقيم او يواقيم ويقول انه سمى نفسه الكيمس بالصيغة اليونانية تزلفا لليهود • تاريخ سورية ج ٢ ص ٢٠١ المجلد الثالث •

بمنصب الكاهن الاعظم جاءوا الى الملك الجديد ووشـوا على الشعب وقالوا له : ان يهوذا واخوته أهلكوا انصار الدولةوطلبوا ارسال محقق ومعاقبة يهوذا وأعوانه فعين الملك أمير عبر النهـر واسمه بكيدانس وأمره بالانتقام من بنى اسرائيل وعين الكيمس الذى نعته الاصحاح بنعت الكافر كاهنا اعظم وجاء الاثنان الى اليهودية مع جيش كثيف واتخذ خطة المكر والتظاهر بالسـلام وقبضا على ستين مقدما وقتلوهم فوقع الرعب والخوف على جميع الشعب • وارتحل بكيدانس بعد ذلك عن أورشليم ونزل بيـت زيت وأرسل وقبض على كثيرين من الذين كانوا خذلوه وعلـى بعض الشعب وذبحهم وألقاهم فى الجب العظيم ثم سلم البـلاد الى الكيمس وأبقى معه جيشا يؤازره واجتمع الى الكيمس الذى كان يمارس الكهنـوت الاعظم جميع المفسـدين فى الشعب واستولوا على أرض يهوذا وضربوا اسرائيل ضربة عظيمـة • ورأى يهوذا جميع الشر الذى صنعه الكيمس ومن معه فى بنـى اسرائيل وكان فوق ما صنعت الامم فخرج الى جميع حـدود اليهودية وأنزل نقمته بالقوم الذين خذلوه • ويلمح تناقضعجيب فى الكلام • فيهوذا لا يجرؤ على قتال الكيمس ولكنه يسرع الى قتال الذين خذلوه !

ويستمر الاصحاح فى السياق فيقول : ان الكيمس رأى أن يهوذا أخذ يقوى فرجع الى الملك وحرضه فأرسل حملة جديـدة

بقيادة قائد اسمه نكاتور . وحاول هذا ان يمكر بيهـوذا فأخفق وابتهل يهوذا للرب ثم التحم مع جيش نكاتور فكسره وهزمـه وكان نكاتور فى جملة القتلى ، ونفخوا وراءهم بالابواق وتعقبوهم وخرج الناس من جميع قرى اليهودية يساعدون يهوذا ورجاله على الهاربين حتى قتلوا جميعهم وغنمت أسلابهم واحتـز رأس نكاتور وجيء به فعلق قبالة اورشليم وجعل يوم النصر عيـدا سنويا وهدأت ارض يهوذا أياما يسيرة .

وواضح من السياق ان الاسرائيليين كانوا منقسمين متنافسين فأدى ذلك الى ما كان من وشاية وتحريض وقتال انتقضت بـه الهدنة .

- ٨ -

ويقول الاصحاح الثامن ان يهوذا سمع باسـم الرومانيين وقدرتهم وحروبهم وحفظهم الود لمن يحالفهم فأرسل رسـولين الى روما لعقد عهد موالاة ومناصرة بينهم وبين اليهود ليرتفع به نير دولة اليونان عن اسرائيل ، وان الرسولين لقيـا ترحيبـا واستجابة وان الرومانيين كتبوا عهدا على لوح نحاس وأرسلوه معهما وكان فحواه فحوى محالفة بين الطرفين يتعهد فيه كـل

منهما بمناصرة الآخر اذا ما وقع عليه حرب على أن يكون كل منهما مكلفا بما يحتاج اليه جيشه المناصر من سلاح وطعام ومال ووسائل نقل . وجاء فى الكتابة ان الرومانيين كتبوا الى ديمتريوس يعلنون له أن اليهود غدوا أولياءهم وانهم سيقاتلونه برا وبحرا اذا عاد الى ظلمهم وأذاهم .

ولم يذكر السفر أنه كان لهذه المحالفة أثر فى المجال التنفيذى مع أن السلوقيين زحفوا على اليهود وحاربوهم مرة بعد مرة . ومع ذلك ففى الحركة على أى حال أثر دهاء ومكر فيما قصدت اليه من التواثق مع الرومان وجعلهم يتدخلون فى شئون السلوقيين ولعل ما كان يلم بروما من ارتباك وفتن تنافسية قد حال دون ظهور ذلك الاثر .

- ٩ -

ويقول الاصحاح التاسع ان ديمتريوس لما سمع بما حل فى جيوشه ارسل حملة جديدة بقيادة الكيمس وبكدانيس فنزلا أولا على أورشليم ثم زحفا على بئروت التى ينزل فيها يهوذا مع ثلاثة آلاف من رجاله والتى يحتمل ان يكون موضعها هو المعروف اليوم باسم البئرة قرب أورشليم للشمال ، وان جماعة يهوذا

لما رأوا كثرة العدو خافوا خوفا شديدا واخذوا يفرون تسللا حتى لم يبق مع يهوذا الا ٨٠٠ رجل ولكن يهوذا بقى ثابتا والتحم مع الزاحفين فى معركة حامية دارت الدائرة فيها عليه وقتل فى جملة من قتل من رجاله . فكانت له مناحة عظيمة .

ويستمر الاصحاح فيقول : ان المنافقين برزوا بعد وفاة يهوذا فى جميع تخوم اسرائيل وعين الكيمس وبكدانيس الكفرة رؤساء على البلاد فأخذوا يتتبعون اصحاب يهوذا ويأتــون بهم الى الكيمس فينتقم منهم ، وان أصحاب يهوذا اجتمعوا ووسدوا القيادة ليوناتان مكان اخيه وعلم الكيمس بذلك فنشط الى مطاردتهم فهربوا الى برية تقوع فعبر الاردن متعقبهم . وقد استمر الصيال طويلا وقاسى يوناتان وجماعته منه البلاء الكبير وقد أنشأ الكيمس مدنا حصينة جعل فيها حاميات كانت تعتدى على أنصار يهوذا ، واخذ أبناء قوادهم رهائن وهدم حائط دارالمقدس الداخلية (المعبد) ولم ينته شره الا حينما أصيب بالفالج ومات بعد عذاب شديد .

على أن البلاء لم ينته . فان يوناتان وجماعته لم يستريحا الا نحو سنتين ثم ائتمر المنافقون على ما ذكر الاصحاح وقالوا ان يوناتان وجماعته هادئون فى منازلهم وذهبوا الى بكيدانس امير عبر الاردن ليحرضوه عليهم . وزحف هذا بجيش كثيف وبعث الرسل الى أنصاره فى اليهودية . وانسحب يوناتان وجماعته الى بيت

حجله فى البرية فتحصن فيه فضرب بكيدانس عليه الحصار الذى طال حتى أسأمه وجعله يحول نقمته الى المنافقين ، وأرسل يوناتان يعرض عليه المصالحة وتبادل الاسرى فقبل وحلف له وانصرف وزال السيف عن اسرائيل وسكن يوناتان مكماش ـ التى يقوم مكانها اليوم قرية مخماس فى منطقة رام الله على الاغلب ـ واخذ يقوى نفسه وينكل بالمنافقين .

والسياق يفيد أن يوناتان ظل تحت سيادة السلوقيين لان بكيدانس كان يعمل تحت سيادتهم .

- ١٠ -

ويذكر الاصحاح العاشر خبر استيلاء أمير سلوقى اسمه الاسكندر على مدينة بطليمايس التى يقوم اليوم مكانها مدينة عكا ومناداته بنفسه ملكا عليها متمردا بذلك على الملك السلوقى ديمتريوس وتأهب هذا لقتاله وارغامه ؛ ثم يقول ان ديمتريوس كتب الى يوناتان يجدد معه عهد السلم ويأذن له بجمع الجيوش والتسلح ليكون له مناصرا ويعده برد مالديه من رهائن ، وانه فعل ذلك لئلا يسبقه خصمه اليه ، وان يوناتان جاء الى أورشليم وتلا كتاب ديمتريوس على الشعب واخذ ينشط فى تجديد المدينة

وتحصين جبل صهيون ، وان المنافقين والمرتدين والغرباء خافوا خوفا شديدا وأخذوا يهربون من البلاد ، وان الاسكندر سمع بما كان من كتابة ديستريوس ووعوده ليهوذا فارسل هو الآخر كتابا يطلب فيه الولاء له ويعلن اقراره فى الكهانة العظمى ويسميه ولى الملك • وأرسل اليه أرجوانا ـ ثيابا رسمية حمراء ـ وتاجا من الذهب فتقبل يوناتان الهدية ولبسها ، وان ديستريوس عاد فكتب اليه حينما علم بتقرب الاسكندر طالبا منه الثبات على الولاء وواعدا اياه بحط قسم كبير من الضرائب والتكاليف واعتبار اورشليم مقدسة معفاة ، واعادة كل السبى • وحرية ممارسة الاعياد والسنن ، وفتح باب التجنيد لثلاثين الفا من اليهود ومساواتهم فى كل شىء مع جنود الملك • وابقاء مدن ثلاث من السامرة ملحقة باليهودية (١) والاعتراف بسلطانه ككاهن أعظم • ووقف بطليمايس وما يتبعها على الهيكل وتخصيص خمسة عشر الف مثقال من الفضة لنفقات الهيكل من الملك خاصة بالاضافة الى ذلك ، والسماح بتحصين أورشليم على نفقته الخ•• حيث يبدو ان الخلاف بين السلوقيين هيأ فرصة ثمينة لقوة يوناتان والحركة المكابية فى هذه الحقبة وجعل كلا من المتنافسين يخطبون وده •

---

(١) هى (أقيرمه) التى يخمنها الدبس فى الجزء الثانى من تاريخ سورية بانها قرة افرائيم المعروفة بالطيبة و (لدة) التى هى اللد كما يقول الدبس و(الرمتائيم) التى لا يذكر الدبس هويتها • انظر الجزء الثانى من تاريخ سورية ص ٢١٧ •

وقد ذكر الاصحاح ان الاسرائيليين لم يؤخـذوا بالوعود وظلوا متربصين وزحف ديمتريوس على بطليمايس وأنشب القتال مع الاسكندر فدارت الدائرة عليه وكان هو من القتلى فاستتب ملك بطليمايس ومنطقتها للاسكندر الذى تصاهر مع ملك مصر البطليموسى وتقوى بذلك مركزه وقد استدعى يوناثان فذهب اليه فى موكب مجيد على ما يذكر الاصحاح وأهدى له ولملك مصر الذى كان عنده هدايا كثيرة من ذهب وفضة فنال حظوة عندهما، وحاول مفسدون من اسرائيل ان يشوا به فلم يصغ الاسكندر اليهم والبس يوناثان خلعة أرجوانية وأجلسه بجانبه وأمر بأن لا يتعرض له أحد ، وأقامه قائدا او شريكا له ، فعاد الى أورشليم سالما مسرورا •

وهذا يفيد كذلك أن التنافس بين السلوقيين وطد مركز يوناتان ككاهن اعظم وزعيم على اليهودية ولكنه ظل فى الوقت نفسه تحت سيادتهم •

ومما ذكره الاصحاح ان قائد السلوقيين فى عهد ديمتريوس ابن ديمتريوس الذى تولى العرش بعد قتل أبيه جاء بحشد عظيم ونزل فى يمينا قرب يافا وأرسل الى يوناتان يقول له : ليس لنا من مقاوم غيرك ويدعوه الى النزول من الجبال الى السهل والتبارز معه ان كان واثقا من جيشه ، وأخذ ينتقص من شجاعته ويتيه بما معه من قوة فاغتاظ يوناتان وتحمس ونزل على رأس عشرة

آلاف منتخب وذهب الى يافا فحاصرها واستولى عليها ثم التحم مع القائد السلوقى فى معركة دارت الدائرة فيها على السلوقيين وقتل منهم مقتلة عظيمة واستولى يوناتان نتيجة لذلك على أشدود وأشقلون (اسدود وعسقلان اليوم) ورجع الى أورشليم ظافرا غانما مما جعله يزداد مجدا فى نظر الاسكندر ، ويبعث اليه بعروة من الذهب ويهبه مدينة عقرون وتخومها ملكا .

- ١١ -

ويذكر الاصحاح الحادى عشر طموح بطليموس ملك مصر الى بسط سلطانه على مملكة صهره وزحفه بجيش كثيف وتآمره مع ديمتريوس ملك سورية وانتزاعه ابنته من الاسكندروتزويجها لديمتريوس مما جعل الاسكندر يفر الى ديار العرب ووطد سلطان ديمتريوس على بطليمايس ثانية . وقد اغتنم يوناتانفرصة انشغال السلوقيين والبطالسة ببعضهم فأخذ يقوى نفسه ويشدد الحصار على قلعة مدينة داود . وقد ذهب جماعة من المنافقين مبغضى امتهم ــ ويعنى من بنى اسرائيل ــ الى ديمتريوس يخوفونه من نوايا يوناتان ويحرضونه عليه فجاء الى بطليمايس واستدعى يوناتان فذهب اليه وقدم له هدايا كثيرة فنال حظوة

عنده وأقره فى الكهنوت الاعظم وطلب يوناتان منه اعفاء اليهودية من كل جزية مقابل ثلاثمائة قنطار (لا يذكر جنسها) فاجابه الى طلبه وكتب له بذلك عهدا .

وعادت الفتن التنافسية ثانية بين السلوقيين على ما جاء فى الاصحاح نفسه فاستنجد ديمتريوس بيوناتان فأمده بثلاثة آلاف مقاتل أبلوا بلاء عظيما فى أنطاكية وخلصوا الملك من ورطة كاد يذهب فيها . ولما قضى على الفتنة انعم عليهم وأعادهم بهدايا وغنائم كثيرة . ثم عادت الفتن ثانية وكتبت الدائرة هذه المرةعلى ديمتريوس غير ان الملك الجديد انطيوخوس جنح الى المسالمة مع يوناتان فأقره على الكهانة العظمى وأرسل اليه آنية من الذهب وحلة من الارجوان ، حيث يدل على ان الخلاف السلوقى ظل يخدم حظ يوناتان . وقد اغتنم يوناتان الفرصة فغزا غزة وغيرها من مدن فلسطين المستعصية وفتحها .

وقد ذكر الاصحاح فى نهايته خبر نكبة نزلت على جيوش يوناتان أثناء زحفه على سهل صور فى سياق جولاته المذكورة فى أنحاء فلسطين حيث ظهر من ورائه كمين فأوقعوه فيه وهزموه ، حيث يدل هذا الخبر على ان معظم انحاء فلسطين ـ غير اليهودية ـ ظلت محتفظة بشخصياتها ومستعصية على بنى اسرائيل والحركة المكابية .

- ١٢ -

ويذكر الاصحاح الثانى عشر أن يوناتان أرسل رسلا الى رومية (روما) لتجديد العهد فاستجاب الرومانيون الى ذلك • وفعل مثل ذلك مع اسبارطة مذكرا أهلها بما كان بين ملك قديم لها وبين أونيا الكاهن من عهد موالا • ولكن الاصحاح لم يذكر نتيجة رحلة الرسل وانما أورد نسخة كتاب كان أرسله ملك اسبارطة لاونيا الكاهن جاء فيه انه وجد فى بعض الكتب أن الاسبارطيين واليهود اخوة من نسل ابراهيم وانه بعد أن علم ذلك كتب لهم ليتعرف على أحوالهم ويقول لهم ان ما عند الفريقين من مال ومواش لهما بالتبادل مما فيه طرافة وغرابة (١) •

ثم يقول الاصحاح ان يوناتان بلغه ان ديمتريوس يحشد جيشا ليسيره الى قتاله فخرج على رأس جيشه الى لقائهم فى أرض حماة لئلا يطئوا ارضه ، فارتعبوا منه وفروا من أمامه فلم يستطع ادراكهم لانهم عبروا نهرا، فارتد الى العرب الزيديين وضربهم وسلب غنائمهم ثم ارتحل الى دمشق وجال فى البلاد كلها حيث يفيد هذا أن يوناتان قد قوى وصار يتصرف بشىء من الحرية والسيادة

---

(١) فى المجلد الثالث الجزء الثانى من تاريخ سورية للدبس ص ٢٢٢ تخمينات بدون نتيجة فى هذه المسألة •

ويطمح الى التبسط فى هذه الفترة . ومع ذلك فالمستفاد من الاصحاح نفسه ان قلعة مدينة داود كانت ما تزال فى يد السلوقيين وانصارهم كما انه كان فى مختلف انحاء فلسطين حاميات وعمال سلوقيون أيضا .

وقد ذكر الاصحاح ان قائدا يونانيا اسمه تريفون كان يطمح الى ملك آسيه والقاء يده على أنطيوخوس ملك السلوقيين وانه كان يخشى مساعدة يوناتان له فأتى الى بيت شان لايجاد وسيلة لاهلاك يوناتان وازالته من طريقه فخرج هذا الى لقائه باربعين ألفا فقابله تريفون بالاكرام ماكرا ؛ وأغراه بالذهاب معه الى بطليمايس ليسلمها له فانخدع وذهب معه فى عدة قليلة من رجاله وهناك غدر به واعتقله وقتل جميع رجاله . ثم أرسل قواته الى الجليل والصحراء لتعقب رجال يوناتان . غير انه لما رأى استماتة هؤلاء الرجال اكتفى بما فعل . وعاد هؤلاء الى أورشليم وقامت مناحة عظيمة فى جميع اسرائيل على يوناتان . وقد انتهى الاصحاح بالقول « وطلبت الامم الذين حول اسرائيل ان يدمروهم قائلين «انهم لا رئيس لهم ولا ناصر فلنقاتلهم ولنمسح ذكرهم من البشر» حيث ينطوى فى الخبر ضعف بنيان الحركة المكابية وشدة حقد الامم التى تقيم فى فلسطين وحولها على بنى اسرائيل وترقبها الضعف والنكبات لضربهم .

ويقول الاصحاح الثالث عشر انه بلغ سمعان أن ترينون جمع جيشا عظيما للاغارة على أرض يهوذا ورأى ان الشعب قد داخله الرعب فقصد الى أورشليم وشجع الشعب وأظهر استعداده للجهاد والتضحية والانتقام فانتخبوه قائدا مكان يوناتان ووعدوه بالطاعة، فأخذ ينظم جيشه ويحصن أورشليم . وزحف ترينون على يهوذا وأرسل الى سمعان يطلب منه مائة قنطار من الفضة فديـــة عن يوناتان وولديه رهينة ومع علمه بانه يسكر فانه ارسل اليه ما طلب. ولكن بينون غدر وقتل يوناتان وعاد من حيث أتى . وقد أحضر سمعان جثمان أخيه ودفنه بسودين الى جانب أبيه واخيه وانشأ له قبرا وزينه بالنقوش واقام عليه اعمدة عظيمة. ثم أخذ يحصن بلاده ويقوى نفسه . وكتب الى ديستريوس باعفاء البلاد من التكاليف فأجابه الى ذلك فى كتاب قال فيه ايضا ان كان فيكم من يريـــد أن يكتتب فى الجند فليكتتبوا وليكن فيما بيننا سلم .

ويقول الاصحاح بعد ذلك انه فى الســنة المائة والسبعين (اى سنة ١٤٢ ق.م) خلع نير الامم عن اسرائيل وبدأ شعــب اسرائيل يكتب فى توقيع الصكوك والعقود باسم سمعان الكاهن الاعظم قائد اليهود ورئيسهم .

وهذا يعنى انه صار يتمتع بالاستقلال والسيادة مع أن العبارة لا تعنى ذلك تماما .

ويقول الاصحاح بعد ذلك ان سمعان نزل الى غزة وحاصرها فطلب اهلها الأمان فرق لهم واستولى على المدينة وطهرها من الأصنام وأسكن فيها رجالا من المتمسكين بالشريعة وبنى لنفسه فيها منزلا .

وكانت قلعة مدينة داود ما تزال مستعصية فحاصرها حتى اشتدت فيها المجاعة فطلب الذين فيها الامان فأمنهم واستلم القلعة وطهرها من النجاسات ودخلها باحتفال عظيم وجعل يوم دخولها عيدا سنويا لانها كانت عثرة عظيمة لاسرائيل .

- ١٤ -

ويذكر الاصحاح الرابع عشر أن ديمتريوس سار بجيوشه الى مادى يستنجد بها على ترينون ولكن ملك مادى ضرب جيشه وأسره وسجنه فهدأت أرض يهوذا كل ايام سمعان . وكانت أمته مبتهجة بسلطانه ومجده حيث تفيد العبارة انه اعتبر ذلك فكاكا نهائيا من سيادة السلوقيين .

ثم ذكر الاصحاح ان سمعان جعل يافا مرسى وفتح منها مجازا لجزائر البحر واستحوذ على البلاد واستولى على جازر وبيت صور وأخرج منها النجاسات وقرر السلم فى الارض وجلس كل

واحد تحت كرمته وتينته ولم يكن من يذعرهم أو يحاربهم وانكسر الملوك • وجاءه ألواح نحاسية من روما واسبارطة يعزونه فيها بيوناتان ويجددون عهد الموالاة والمناصرة • وأرسل رسلا الى روما يحملون لوحا نحاسيا نقش عليه جوابا بالشكر والموافقة وأرسل مع الرسل ترسا عظيما من الذهب وزنه الف من

ثم ذكر الاصحاح ان سمعان نقش سيرته وسيرة أبيه واخوته وجهادهم فى سبيل أمتهم على ألواح نحاسية وعلقها على أنصاب فى جبل صهيون وارضها فى السنة المائة والثانية والسبعين (١٤٠ ق•م) وهى السنة الثالثة من عهده ومما جاء فى النقش عن علاقة سمعان بالملك ديمتريوس : « وأقره الملك ديمتريوس فى الكهنوت الاعظم وجعله من أصدقائه وعظمه جدا » حيث تفيد العبارة ان الدولة السلوقية ما زالت تعتبر صاحبة السيادة العليا على الدولة المكابية • كذلك مما جاء فى النقش على ما ذكره الاصحاح « ان اليهود وكهنتهم حسن لديهم ان يكون سمعان رئيسا وكاهنا أعظم مدى الدهر ويتولى أمر الاقداس ويقيم أناسا على الاعمال والبلاد والاسلحة والحصون • ويطيعه الجميع ويكتب باسمه جميع الصكوك • ويلبس الارجوان بالذهب • ولا يخالفه أحد ولا يجمع مجمع بدونه ولا يلبس الارجوان وعروة الذهب غيره • ومن يخالف فهو مجرم • وقبل سمعان ورضى أن يكون كاهنا اعظم وقائدا ورئيسا لامة اليهود وحاكما على الجميع • ورسموا ان

يدون ذلك على الواح من نحاس توضع فى موضع مشهود من رواق الاقداس وتوضع صورها فى الخزانة حيث ينطوى فى هذا اعلان مبايعة اليهود لسمعان وقبول سمعان للبيعة •

على أنه فى الاصحاحات التالية ما يفيد انه كان هناك مخامرون كثيرون ضد سمعان ورآسته وحركته كما كان قبل ذلك مما مرت أمثلة كثيرة عليه •

- ١٥ -

وفى الاصحاح الخامس عشر ان انطيوخوس بن ديمتريوس كتب من جزائر البحر الى سمعان رسالة ذكر فيها اعتزامه على استرداد ملك أبيه • واقراره سلفا لكل ما فعله الملوك له وما قرروه له من اعفاءات واذن له بضرب سكة خاصة لبلاده ووافق على حرية اورشليم واعفائها من كل ضريبة ووعده بالاعزاز والاكرام حينما يكتب له الفوز • ثم ذكر الاصحاح انانطيوخوس وفد على البلاد فاجتمعت عليه الجيوش وخذلت ترينون ففر واستتب الامر لانطيوخوس وان هذا قلب لسمعان ظهر المجن ونقض ما عاهده عليه ورفض ما أرسله اليه من هدايا فضيةوذهبية وطلب منه التخلى عن يافا وجازر وقلعة مدينة داود ، وخراج

البلاد التى يتسلط عليها والتعويض عما خرب منها ألف قنطار فضة ، حيث يظهر أن الملك السلوقى رأى بعد ان استتب له الامر ان يفرض سيادته الفعلية على اليهودية .

ومما ذكره الاصحاح ان سمعان قال لرسول الملك اننا لم نأخذ ارضا لغريب ولكنه ميراث آبائنا ثم عرض ان يؤدى مائة قنطار عن يافا وجازر . ولكن الرسول الذى اندهش مما رآه من مجد سمعان وثرائه وآنيته الفضية والذهبية واثاثه الوافر عاد الى ملكه فقص عليه ما رأى وأثار حسده وحقده فأمره بالزحف على اليهودية . وجاء الى وادى قدرون وارسل فرقة الى يسينا وأخذوا يغيرون على اليهودية ويوغلون فيها قتلا وسبيا

ويستمر السياق فى الاصحاح السادس عشر فيقول ان يوحنا بن سمعان الذى كان متوليا أمر جازر جاء وأخبر أباه بما يقع على البلاد . وكان هذا الاب قد كبر وشاخ فأمر ابنيه يوحنا ويهوذا أن يقوما مقامه فى قيادة الحرب فامتثلا وخرجا لمقاتلة الحملة . واشتبكوا معها فى معارك حامية وحالفهم النصر فانكسرت الحملة مع تفوقها فى العدد والعدة ، وقد قتلوا منها عددا عظيما وتعقبوا فلولها حتى أسدود وملأوا أيديهم من الغنائم ثم عادوا الى أرض يهوذا .

على أن هذا النصر لم يلبث ان تعكر بحادث غدر وحسد

اسرائيلى فان صهرا لسمعان اسمه بطلماوس وكان يتولى أريحا طمع بالسلطان وبيت الغدر لسمعان وبنيه ، وقد دعاهم الى اريحا وأقام لهم وليمة وقتلهم مع ثلة من أخصائهم ثم كتب الى الملك يطلب منه تسيير جيش لاحتلال البلاد وارسل رجالا الى جازر لاهلاك يوحنا الذى لم يكن بين الهالكين فى الوليمة وانفذ كتبا الى رؤساء الالوف ليأتوا اليه حتى يوزع عليهم العطايا من الذهب والفضة على ما ذكره الاصحاح السادس عشر . وجاء من أخبر يوحنا فى جازر بالكارثة ويحذره . فلما جاء الرجال الذين ارسلهم بطليماوس قتلهم .

وينطوى فى الحادث نكسة وخيانة فظيعتين مما تكررت صوره فى الحركة المكابية وقبلها ومما مرده شنشنة الاسرائيليين وأنانيتهم

وينتهى الاصحاح السادس عشر الذى هو الاصحاح الاخير من سفر المكابيين الاول بقوله . وبقيته اخبار يوحنا وحروبه وما أبداه من الحماسة وبنائه الاسوار التى بناها واعماله مكتوبة فى كتاب ايام كهنوته الاعظم منذ تقلد الكهنوت الاعظم بعد ابيه، حيث يفيد هذا ان يوحنا تولى بعد اخيه زعامة الحركة المكابية ومنصب الكهانة العظمى وكان له فيهما نشاط عظيم . وليس فى السفر الثانى شىء من سيرة يوحنا .

والسفر الثانى خمسة عشر اصحاحا فى تسع وثلاثين صفحة وقد تقدم وصف اسلوبه وما يدل عليه . وننبه فقط الى أن ما احتواه هو حكاية احداث متنوعة من تاريخ السلوقيين والاسرائيليين قبل قيام الحركة المكابية مع أسباب ومقدمات هذه الحركة وحكاية احداث متنوعة من هذا التاريخ فى عهد يهوذا الذى هو على رأى هذا السفر الزعيم الاول لهذه الحركة خلافا لما يفيده السفر الاول من حيث تقريره ان متيا أباه كان هو الاول

ولقد احتوى اصحاحه الاول نص رسالة موجهة من يهود أورشليم واليهودية الى يهود مصر مؤرخة فى السنة ١٨٨ ـ أى ١٣٤ ق.م ـ بواسطة أرسطوبولوس مؤدب الملك بطليموس ومن ذرية الكهنة وفيها دعاء ليهود مصر بالبركة والهداية ، وتذكير لهم بكتاب كانوا أرسلوه اليهم فى سنة ١٦٩ ـ ١٤٣ ق.م ـ فى ظروف الشدة التى نزلت فيهم فى عهد ديمتريوس وشكر لله على خلاصهم من المحن والاخطار : ثم يقول كاتبوا الرسالة ان الحوادث التى وقعت ليهوذا المكابى واخوته وتطهير الهيكل وتدشين المذبح والحروب التى وقعت مع أنطيوخوس الشهير وابنه أوباطور والآيات التى ظهرت فى السماء فى حق المتحمسين لدين اليهود وتسلطهم على البلاد بجملتها وطردهم جماهير الاعاجم

واستردادهم الهيكل وتحريرهم المدينة واحيائهم للشرائع قد شرحها ياسون القيرواني في خمسة كتب واختصرناها نحن في درج واحد ليكون في ذلك السهولة والفائدة للجميع . وينتهي الاصحاح بقوله : وها هنا نشرع في ايراد الحوادث . ثم يشرع الاصحاح الثالث وما بعده في سرد الحوادث التي لخصت من كتب ياسون القيرواني ، حيث يفيد هذا ان بعض كتاب بني اسرائيل كانوا يسجلون احداثهم بعد السبي وفي عهد السلوقيين والحركة المكابية كما كان يفعل كتابهم من قبل ، وأن الحوادث المسرودة في الاصحاح الثالث وما بعده مستقاة من ذلك . وشيء من هذا أشير اليه في آخر اصحاحات السفر السابق على ما مر بيانه .

- ١٧ -

ويبدأ الاصحاح الثالث بسرد الحوادث بقصة وشاية من اسرائيلي للسلوقيين ضد أونيا الكاهن الاعظم وتحريض على مصادرة أموال مخزونة في خزانة الهيكل ويمهد لذلك بمقدمة فيقول انه حين كانت المدينة المقدسة عامرة والشرائع محفوظة بسبب ما كان عليه أونيا الكاهن الاعظم من الورع وبغض الشر

كان الملوك يعظمون المقدس ـ الهيكل ـ ثم ان رجلا اسمه سمعان من سبط بنيامين كان متقلدا الوكالة على الهيكل وقعت بينه وبين أونيا خصومة فانطلق الى أبلونيوس قائد السلوقيين وأخبره ان خزانة أورشليم مشحونة من الاموال بما لا يستطاع وصفه واحصاؤه وحرضه على مصادرتها للملك . وفاوض القائد الملك فاختار قيم المصالح هيلودروس وآمره بجلب هذه الاموال. فجاء هذا الى أورشليم وفاتح أونيا فى الامر فأخبره هذا ان المال هو ودائع للارامل واليتامى وان قسما منه لاحد عظماء الاشراف وأنه زهيد ليس كما وصف كثرة حيث لا يزيد عن أربعين قنطارا من الفضة ومائتى قنطار من الذهب وحذره من مد اليد اليه ولكن الرسول أصر وذهب الى المعبد ومعه قوة لتنفيذ عزيمته. فألم بالكاهن الاكبر والكهان والشعب رجالا ونساء حزن شديد فأخذوا يستغيثون ويبتهلون للرب فلم يلبثوا أن ظهرت معجزة أفزعت الوكيل أشد الفزع وجعلته يعدل ويخشع ويتوب .

ويستمر السياق فى الاصحاح الرابع فيقول وكان سمعان المذكور يقذف أونيا وبلغ من وقاحته انه وصف المحسن الى المدينة والغيور على الشريعة بانه صاحب دسيسة . فاشتدت العداوة حتى أن أحد خواص سمعان شرع فى القتل فخشى أونيا من تفاقم الشر لما يعرفه من صلة بين سمعان والقائد فذهب الى الملك طالبا عنايته لصرف الشر عن أمته .

ثم يحكى الاصحاح قصة مكيدة أخرى هدفها منافسة أونيا على منصبه جاء فيها انه بعد وفاةسلوقوس (الثانى) وجلوس أنطوخيوس الملقب بالشهير (الثالث) على العرش طمع ياسون اخو أونيا فى الكهنوت الاعظم فوفد على الملك ووعده بثلاثمائة وستين قنطارا فضة وبثمانين قنطارا من دخل آخر وبمائة وخمسين قنطارا غيرها ان عينه لهذا المنصب ورخص له باقامة مدرسة للتروض وموضع للغلمان واكتتاب أهل أورشليم فى الرعوية الانطاكية . فأجابه الملك الى ذلك فما لبث أن أخذ يصرف شعبه الى عادات الامم (تقاليدهم وعقائدهم) وألغى الاختصاصات التى انعم بها الملك على اليهود وأبطل رسوم الشريعة وأدخل سننا تخالف الشريعة وأقام مدرسة للترويض تحت القلعة وساق اليها نخبة من الغلمان فتمكن بذلك الميل الى عادات اليونان والتخلق بأخلاق الاجانب بشدة فجور ياسون الذى هو كافر لا كاهن أعظم (هذه عبارة الاصحاح) حتى ان الكهنة لم يعودوا يحرصون على خدمة المذبح واستهانوا بالهيكل وأهملوا الذبائح لينالوا حظا فى جوائز الملعب المحرمة وكانوا يستخفون بمآثر آبائهم ويتنافسون بمفاخر اليونان ، حيث ينطوى فى الحادث صورة لما أخذ بنو اسرائيل يرتكسون فيه من انحرافات دينية وقومية وخلقية ، شبابهم وكهانهم معا ..

ثم يحكى الاصحاح قصة مكيدة جديدة ضد ياسون قام بها

أحد رجاله فيقول : ان ياسون وجه منلاوس أخا سمعان الى الملك لتقديم المال ومفاوضته فى أمور مهمة فتزلف الى الملك حتى جعله يحول الكهنوت الاعظم عن ياسون اليه بأن زاد ثلاثمائة قنطار فضة على ما أعطى ياسون • ثم رجع ومعه أوامر الملك بالكهنوت الاعظم مع انه لم يكن على شىء مما يليق بالمنصب وكانت لــه أخلاق غاشم عنيف وأحقاد وحش ضار (العبارة عبارة الاصحاح) واستولى منلاوس على الرآسة وفر ياسون الى بنى عموذ وقد ختل أخاه فختله آخر •• ولم يستطع منلاوس الوفاء بالمال الذى وعده ، فلم يتورع عن سرقة آنية من الذهب من الهيكل وأهدى بعضها الى وكيل الملك وباع بعضها • وعلم منلاوس أن أونيــا الحبر الاعظم السابق يتكلم ضده على سرقته فأغرى وكيل الملك بالقبض عليه وقتله ففعل ، مما أثار المقت عند اليهود لقتل الرجل بغيا وجعلهم يرفعون الشكوى لأنطيوخوس ضد وكيله • ويقول الاصحاح ان أنطيوخوس تأسف ورق وبكى واضطرم غضبا على وكيله ونزع عنه الارجوان وأمر بالطواف به فى المدينة وقتله فى المكان الذى قتل فيه أونيا •

ثم سرد الاصحاح حادثا آخر لمنلاوس ووكيل له فيه صورة عجيبة لما كان عليه هؤلاء الرؤساء من انحراف خلق ودين وسوء استغلال حيث ذكر أن وكيلا لمنلاوس اسمه ليسماكوس سلــب باغراء من منلاوس كثيرا من مال الاقداس فذاع الخبر وتجمهــر

الناس على ليسماكوس فسلح ثلاثة آلاف رجل وأعمل أيـدى الظلم فى المتجمهرين غير أن هؤلاء كثروا وتمكنوا من التغلب على رجال ليسماكوس وهزيمتهم ثم قتلوا سالب الأقداس .. ورفع الشيوخ الدعوى ضد منلاوس ، فرشا هذا خصيصا من أخصاء الملك فبرآه الملك وقضى بالموت على خصومه واستقر منلاوس فى الرئاسة بشره ذوى الاحكام وكان لا يزداد الا خبثا ولاهل وطنه كمينا مهلكا .

ويستمر الاصحاح الخامس فى حكاية أحداث التاريخ التى بدئت بالاصحاح الثالث فيقول . ان انطيوكوس تجهز فى ذلك الزمن لغزو مصر ثانية وظهرت فى سماء أورشليم أشباح حربيـة فأرجف الناس بموت الملك فاتخذ ياسون جيشا وهاجم المدينـة وطفق يذبح أهل وطنه بغير رحمة وهرب منلاوس الى القلعـة ، وبلغت الاحداث للملك فاتهم اليهود بالانتقاض عليه فزحف مـن مصر وقد تنمر وأمر الجنود بقتل كل من صادفوه دون رحمـة وذبح المختبئين فى اليهود فأهلكوا ثمانين ألفا فى ثلاثة أيام دون تفريق بين رجل وامرأة وشيخ وطفل وسبى عدد مماثل . ثم دخل الملك قدس الاقداس وكان دليله منلاوس الخائن للشريعة والوطن حسب تعبير الاصحاح وأخذ الآنية المقدسة مع ما أهدته الملوك الأجانب للهيكل وقد بلغ وزن ما حمله من الهيكل الفا وثمانمائة قنطار . ثم انصرف الى أنطاكية وترك عمالا يراغمون الامة .

ثم حمله المقت لليهود على ارسال بلونيوس فى اثنين وعشرين الف جندى وأمره بذبح كل بالغ منهم وبيع النساء والصبيان • فلما وفد الى أورشليم تربص الى يوم السبت حتى اذا دخل اليهود فى عطلتهم أمر أصحابه بذبح جميع الخارجين للتفرج ثم اقتحم المدينة وأهلك خلقا كثيرا • وانتهى الاصحاح بقوله : « ان يهوذا المكابى كان قد انصرف الى البرية مع عشرة من أصحابه فلبثوا فى الجبال يعيشون عيشة الوحوش ويأكلون العشب لئلا يشتركوا فى النجاسة » •

ويستمر الاصحاح السادس فى الحكاية فيقول وبعد ذلك ارسل الملك شيخا أثينيا ـ يونانيا ـ ليرغم اليهود على الارتداد عن شريعة آبائهم وليدنس هيكل أورشليم ويجعله على اسم زوس الاولمبى (معبود اليونانيين) ويجعل هيكل جرزيم على هذا الاسم كذلك فاشتد انفجار الشر وعظم على الجماهير وامتلأ الهيكل صهرا وقصوفا وأخذ الأمم ـ غير اليهود يفسقون بالمأبونين • ويضاجعون النساء فى الدور المقدسة ويدخلون اليها ما لا يحل • وكان المذبح مغطى بالمحارم التى نهت الشريعة عنها • ولم يكن لأحد ان يعيد السبت ولا يحفظ أعياد الآباء ولا يعترف بأنه يهودى أصلا • وكانوا يوم مولد الملك من كل شهر يساقون قسرا للتضحية وفى عيد ديونيسيوس يرغمون على الطواف اجلالا له وعليهم أكاليل اللبلاب • وصدر أمر الى المدن اليونانية المجاورة

باغراء البطالسة أن يلزموا اليهود بمثل ذلك . وبأن يقتل من يأبى فذاق اليهود أمر البلاء . وقد ختنت امرأتان اولادهما فسعى بهما تعلق أطفالهما على ثدييهما وطيف بهما فى المدينة ثم ألقاهما من على السور ولجأ قوم الى مغاور لاقامة السبت سرا فوشى بهم الى فيلبس عامل الملك فى أورشليم فأحرقهم بالنار . وكان رجل يسمى ألعازار (١) من متقدمى الكتبة طاعن فى السن رائع المنظر فأكرهوه بفتح فمه على أكل لحم الخنزير فاختار ان يموت مجيدا على أن يحيا ذميما وانقاد الى العذاب طائعا وقذف لحم الخنزير من فيه . وخلا الموكلون بأمر الضحايا الكفرية به وأخذوا يحثونه بالتظاهر بالاكل ولكنه أصر على الرفض قائلا انه لا يليق بسننا الرياء لئلا يظن الشبان أن العازار وهو ابن تسعين سنة قد انحاز الى مذهب الاجانب فيضلوا بسببى وحينئذ أطلق الى عذاب التوتير والضرب حتى زهقت روحه .

ويستمر الاصحاح السابع فى الحكاية فيقول . وقبض على سبعة اخوة مع أمهم (٢) فأخذ الملك يكرههم على تناول لحوم

---

(١) قال يوسيفوس عن العازار هذا وهو يورد قصته بما يماثل ما ورد فى سفر المكابيين انه رئيس وفد علماء ترجمة التوراة الى مصر ، وان اخذه كان بوشاية قوم من الاشرار (ص ٥٤) .

(٢) قال يوسيفوس وهو يورد قصة الاخوة السبعة وامهم بما يماثل ما ورد فى السفر ان اخذهم كان بوشاية أيضا فى نعتهم بانهم ابناء اشمونية (ص ٥٧) . ومن الجدير بالتنبيه فى هذه المناسبة ان الاصحاح الثالث جعل وشايات الاشرار من الاسرائيليين ومكائدهم اساس البلاء الذى وقع على اليهود فى هذه الحقبة على ما مر بيانه ه

الخنزير المحرمة ويعذبهم بالمقارع والسياط . وقال له أحدهم اننا نختار الموت على مخالفة شرائع آبائنا فامر الملك الحانق بقطع لسانه وسلخ جلد رأسه وجدع أطرافه على مرأى من اخوته وأمه. ثم أمر به فألقى فى النار وبه بعض الرمق . وفيما كان يحترق فى النار كان الاخوة والام يحض بعضهم بعضا على الشجاعة والثبات وتوالى التعذيب على الاخوة وازهاق أرواحهم واحدا اثر واحد وهم يبتهلون الى الله ويعلنون اصرارهم على الثبات على شريعة الآباء ويتوعدون الملك بنقمة الله وكانت الام تحرض كلا منهم بدوره وتشجعهم وتبث فيهم روح الثبات والايمان . ولما بلغ الدور الى السابع الاصغر طلب الملك من الام ان تنصحه بالاذعان واعدا بأنه سوف يسعده ويتخذه خليلا ويقلده المناصب فما كان منها الا أن وجهت اليه نصيحة الثبات وعدم الخوف بلهجة أقوى مما سبق فأخذ الغلام يوجه التأنيب والوعيد الربانى الى الملك حتى حنق وأزهق روحه . ثم أزهق روح أمه . وينتهى الاصحاح بقوله « وبما أوردناه عن الضحايا والتعذيبات المبرحة كفاية » وكأنما أورد الكاتب ما أورده على سبيل المثال ، حيث ينطوى فى هذا فداحة البلاء الذى تعرض له الاسرائيليون الذين أرادوا التمسك بتقاليدهم مما كانت وشايات بعضهم ببعض ونزوع كثير منهم الى الانحراف والاقبال على نبذ تلك التقاليد سببا له» .

- ١٨ -

وفى الاصحاح الثامن وما بعده قصة خروج يهوذا المكابى وحركته . وقد بدأ بجملة « وكان يهوذا المكابى ومن معه يتسللون الى القرى ويندبون ذوى قرابتهم وغيرهم ممن ثبت على دين اليهود الى الانضمام اليهم حتى بلغوا ستة آلاف » . ويلحظ أن هذا السفر جعل رأس الحركة يهوذا وليس أباه سنيا كما ذكر الاول . وفى اثناء الكلام ذكر اخاه يوناتان كقائد من قواده مع أن السفر الاول ذكر انه تولى الزعامة بعد أبيه ..

وفى التطويل نقل جميع ما فى الاصحاحات من سيرة الثورة المكابية ونكتفى بالتلخيص فنقول :

ان الاصحاح الثامن ذكر استيلاء يهوذا وجماعته على الاماكن التى تساعده على الحركة وأخذ يقوم بغارات ليلية فذاع خبره وأرسل وكيل الملك فى أورشليم يطلب النجدة فجاءته نجدة بقيادة نكاتور . وقد استولى الخوف على اليهود ولكن يهوذا ثبت مع اخوته وجماعته الذين كانوا ستة آلاف فلما جاء الجيش السلوقى اشتبكوا معه وتمكنوا من قتل وجرح عدد كبير منه وهزيمة الباقين واستولوا على اسلحتهم واسلابهم وأثقالهم التى كانت مقادير عظيمة واقتسموها بينهم .

والاصحاح التاسع قص قصة زحف انطيوخوس الملك على

أورشليم حينما بلغه ما حل بجيش نكاتور ، وكان فى رحلة الى بلاد فارس عاد منها مقهورا فاستشاط غضبا واعتزم الزحف على اليهودية وتدميرها ، وبينما هو فى طريق زحفه سقط من عجلته فترضضت جميع أعضاء جسمه وسقم حتى صارت الديدان تنبع من لحمه وصار الجيش يتكره نتن رائحته مما جعله يتنازل عن كبريائه ويتضرع الى الرب ويرسل رسالة الى اليهود يعلنهم السلام والامان والمودة وازماعه العودة ويناشدهم ذكر ما اولاهم من النعم والبقاء على الولاء له ولابنه من بعده • ولم يلبث بعد ذلك أن مات فى طريق عودته • وقد اعتبر الاصحاح ذلك معجزة ربانية

والاصحاح العاشر ذكر ما فعل المكابى بعد ذلك حيث قال انهم استردوا الهيكل والمدينة وهدموا المذبح والمعابد الاجنبية وطهروا الهيكل وصنعوا مذبحا جديدا وذبحوا وصلوا ثم حل عيد المظال فعيدوا ثمانية أيام بالفرح وشكروا الرب واتخذوا يوم تطهير الهيكل عيدا سنويا •

ثم ذكر الاصحاح احداثا عديدة • فذكر ان أوباطور جلس مكان أبيه ــ وهو أنطيوخوس الخامس ــ وان وكيل السلوقيين فى أورشليم جنح الى انصاف اليهود فاتهم بالخيانة حتى قتل نفسه وان خلفه ناصب اليهود حربا متواصلة • ثم ذكر أن الأدوميين ــ وهذا تعبير يطلقه السفر ويوسيفوس على دولة الأنباط العربية التى كانت صاحبة السلطان فى هذه الحقبة على

شرق الاردن ـ كانوا يزعجون اليهود ويتجهزون لحربهم • فهاجمهم المكابى واشتبك معهم فى سلسلة معارك فى عقر دورهم وانتصر عليهم وقتل منهم عددا كبيرا واستولى على حصونهم فى سياق يبرز فيه الخيال والمبالغة • ومن العجيب ان يستطيع المكابيون ان يفعلوا ذلك وأن يشنوا الحروب والهجوم على عدو بعيد بينما كان التنكيل واقع على اليهود فى أورشليم من قبل وكيل الملك السلوقى الجديد على ما تفيده عبارة « مفاجآته اليهود حربا متواصلة » • وكان المعقول ان يسارعوا الى ضرب السلوقيين وانقاذ قومهم من بلائهم ••

وفى الاصحاح الحادى عشر أن ليسياس المقلد تدبير الامور فى الدولة السلوقية والذى هو من قرابة الملك زحف على رأس حملة عظيمة على اليهود بقصد جعل أورشليم مسكنا لليونانيين والهيكل كسائر معابد الامم وبيع الكهنوت الاعظم للشارين سنة فسنة ، وكان معه ثمانون فيلا وعدد كبير من الفرسان • ولما بلغ بيت صور وهى موضع منيع على نحو خمس غلوات من أورشليم وأخذ يشدد الحصار عليها أخذ المكابى ـ يهوذا ـ سلاحه وحرض الآخرين على الاقتحام معه وحملوا على الاعداء حملة شديدة فصرعوا احد عشر ألفا منهم وألجأوا سائرهم الى الفرار وكان أكثر الناجين عراة • وقد أدرك ليسياس ان العبرانيين قوم لا يقهرون ـ وهذه عبارة الاصحاح ـ فراسلهم ووعد بالتسليم

بكل ما هو حق وباستمالة الملك الى موالاتهم فى سياق يبرز فيه المبالغة • فرضى المكابى وطلب تسجيل ذلك كتابة • وقد أورد الاصحاح نص رسالة من ليسياس الى يهوذا وأخرى من الملك الى ليسياس وثالثة من الملك الى مشيخة اليهود وسائر اليهود • وفى الاولى وعد بالخير وفى الثانية أمر من الملك بان يرد الهيكل الى اليهود وان يساسوا بمقتضى عادات آبائهم لانه بلغه أنهم غير راضين بما أمر أبوه من التحول الى سنن اليونان ومطالبين بالسماح لهم بالتمسك بمذهبهم ، وفى الثالثة تأمين لمن يريد النزول من الجبال ــ حيث كان الثوار يقيمون ــ والاقامة مع قومهم واباحة لليهود بممارسة شرائعهم وأطعمتهم كما كانوا قبل وعفوا عمن هفا منهم سابقا ، مما يفيد أن السلوقيين جنحوا الى التهدئة وان المكابيين قبلوا وأن السيادة الفعلية للسلوقيين عادت فتوطدت ورسالة الملك الى اليهود مؤرخة فى سنة ١٤٨ أى سنة ١٦٤ ق•م

وقد جاء فى الاصحاح أن رسولين من روما كانا قادمين الى أنطاكية أرسلا الى الشعب اليهودى رسالة جاء فيها ان ما رخص لهم فيه ليسياس نسيب الملك فهما موافقان عليه • وان عليهم أن يبادروا الى ارسال ما يريدون رفعه الى الملك اليهما ليكونا على بصيرة بما يبتغون • ولقد نشب بين الرومانيين وانطيوخوس الثالث حرب انتصر الاولون فيها على السلوقيين وصار لهم عليهم شبه سيادة او كلمة نافذة فى الثلث الاول من القرن الثانى قبل

الميلاد (١) . فمن المحتمل ان يكون المكابيون كتبوا لروما ، بناء على ما كان بين روما واليهود من سابقة العهد والموالاة التى ذكرها السفر الاول واوردنا قصتها سابقا ، يشكون السلوقيين ويستعدونهم عليهم ويستأمرونهم فى موقفهم فكانت هذه الرسالة جوابا لهم .

وقد جاء فى الاصحاح الثانى عشر ان اليهود انصرفوا بعد ابرام المواثيق الى حرث أراضيهم . غير ان القواد السلوقيين وحاكم قبرص لم يدعوهم فى راحة وسكينة ثم ذكر بعد ذلك خبر نكبة أوقعها أهل يافا فى اليهود المقيمين فيها . حيث دعوهم رجالا ونساء واولادا الى نزهة بحرية فى القوارب ثم اغرقوهم فى البحر وكان عددهم مائتين . ثم خبر اعتزام صنع أهل يمنيا ــ وهى ميناء أخرى قريبة من يافا ــ باليهود الذين بين ظهرانيهم مثل ذلك ، مما ينطوى فيه شدة الاحقاد التى كانت متأصلة بين اليهود وأهل البلاد من الامم الأخرى . وقد ذكر الاصحاح أن يهوذا لما بلغه ذلك هاجم يافا وأضرم النار فى المرفأ ليلا وأحرق القوارب وقتل من وجده عندها . وكانت المدينة مغلقة فانصرف عنها مؤقتا الى يمنيا حيث فعل فى مرفئها وقواربها ما فعله فى مرفأ يافا . وذكر الاصحاح بعد ذلك حركات وجولات حربية عديدة ليهوذا فى سياق يبرز عليه الغلو والخيال . منها انه زحف من يمنيا على

(١) تاريخ سورية للدبس المجلد الثالث الجزء الثانى ص ١٤٢ وما بعدها

تيموتاوس ـ أحد القواد الذين ذكر الاصحاح انهم لم يدعوا اليهود فى راحة والذى يظهر أن أهل يافا فعلوا ما فعلوه فى اليهود بتحريض منه ـ فتصدى له قوم من العرب البدو فاقتتلوا وكسرهم يهوذا فطلبوا منه الصلح فأجابهم • ومنها ان يهوذا أغار بعد ذلك على مدينة حصينة ممنعة بالجسور والاسوار اسمها كسفيس فاستقبله أهلها بالشتائم والاستهتار فابتهل الله ان يفتحها لهم كما فتح أريحا لآبائهم ثم وثبوا على السور وفتحوا المدينة وقتلوا من خلقها مالا يحصى حتى ان البحيرة التى هناك وعرضها غلوتان امتلأت وطفحت بالدماء • ومنها ان يهوذا وصحبه ساروا بعد ذلك مسيرة سبعمائة وخمسين غلوة حتى الى الكرك الى اليهود الذين يعرفون بالطوبيين ، وكانوا يقصدون تيموتاوس فلم يجدوه ولكنهم وجدوا حامية له فخرج عليها اثنان من قواد يهوذا وأهلكا من الحامية ما ينيف على عشرة الاف ، ثم قسم المكابى جيشه فرقا وحمل على تيموتاوس وكان مع هذا مائة وعشرون الف راجل وألفان وخمسمائة فارس • وعلم تيموتاوس بقدومهم فوجه النساء والاولاد والاثقال الى مكان حصين محاط بالمضائق يسمى قرنيم وتهيأ للقاء الزاحفين • ولكن لما بدت أول فرقة من المكابيين داخل جيشه الرعب والرعدة فبادروا الى الفرار من كل وجه وشد يهوذا فى آثارهم حتى أهلك منهم ثلاثين الفا • ووقع تيموتاوس نفسه فى الاسر فتضرع اليهم واعطاهم العهود

والمواثيق ووعدهم برد من عنده من أسراهم فقبلوا منه وأطلقوه ابقاء على اخوتهم وأبنائهم عنده • ثم أغار يهوذا على قرنيم وهيكل وقتل خمسة وعشرين الفا ثم زحف على عفرون احدى المدن الحصينة وكان يسكنها ليسياس وأمم شتى وكان على أسوارها شبان ذوو بأس ومعهم المجانيق والسهام فدعا يهوذا الرب ثم هاجم المدينة فأخذها وصرع من الذين فيها خمسة وعشرين الفا ثم ارتحلوا وهجموا على مدينة بيت شان وهى على ستمائة غلوة من أورشليم • غير ان اليهود الذين فيها شهدوا بحسن معاملة أهل المدينة لهم فى وقت الضيق فشكرهم ووصاهم بالدوام على المصافاة • ثم جاء الى أورشليم فعيد فيها عيد الخمسين ثم أغار على جرجياس قائد ارض أدوم واشتبك معه بالقتال وجرت معارك عديدة بين الفريقين وهتف يهوذا للرب ثم صرخ وحمل على جرجياس وجيشه فكسرهم •

وفى الاصحاح الثالث عشر قصة زحف الملك أنطيوخوس أوباطور على اليهودية فى سياق يبرز عليه كذلك المبالغة والخيال ، فقد زحف هذا الملك بجيش من اليونانيين عدته (١١٠٠٠٠) راجل و (٣٥٠٠) فارس و (٣٠٠) عجلة ذات مناجل واثنين وعشرين فيلا. وقد جاء اليه منلاوس ــ اليهودى الذى كان يتولى الكهنوت الاعظم ــ فأخذ يحرضه ويزيد فى حقده ولكن ليسياس وكيل الملك أخبره ان هذا الرجل كان سبب النوازل جميعها فأمر

الملك بقتله فالقى من برج عال فكان فى ذلك حتفه • ثم استمر فى زحفه ، فأخذ يهوذا يستعد للقائه ويتشاور مع رجاله فى صدد ذلك ويأمر بالابتهال للرب ليلا ونهارا • ثم اختار نخبة من الشبان وهجم بهم ليلا على مخيم الملك فقتل اربعة آلاف وأهلك أول الفيلة وانتشر الرعب والاضطراب فى المعسكر • ولما ذاق الملك ما عند اليهود من البطش عمد الى أخذ المعاقل بالحيلة فحاصر بيت صور فارتد عنها خاسرا فعرض الملك على أهلها الصلح فعقدوه وانصرف • وفى هذه الاثناء بلغه تمرد احد قواده فى أنطاكية فتوسل الى اليهود ودان لهم وحالفهم على اعطائهم حقوقهم كلها وقدم ذبيحة للهيكل وصافى المكابى ونصبه قائدا وحاكما على البلاد من بطليمايس ــ عكا ــ الى حدود الجرانيين ثم عاد الى انطاكية •

وفى الاصحاحين الرابع عشر والخامس عشر سياق طويل عن استيلاء ديمتريوس على عرش السلوقيين وما جرى لليهود والمكابيين فى عهده ، حيث ذكر خبر خروجه من البحر الى طرابلس الشام وتمكنه من الاستيلاء على البلاد وقتله لانطيوخوس ووكيله ليسياس وجلوسه على العرش • ثم ذكر أن الكيمس الذى كان تقلد الكهنوت الاعظم وانقاد الى النجاسة ــ حسب تعبير الاصحاح ــ اتى الى ديتمريوس سنة ١٥١ يونانية ــ اى ١٦١ ق•م ــ وأهداه اكليلا من ذهب وذخائر من الهيكل وقال له

حينما سأله عن اليهود ونياتهم ان الحسيديين من اليهود الذين عليهم يهوذا المكابى ـ ويظهر ان الكلمة تعنى الثائرين او المتمردين ـ لا يزالون فى الحروب والفتن ولا يدعون للملكة راحة وانهم سلبوه كرامة آبائه اى الكهنوت الاعظم فجاء اليه ساعيا فى خدمته ومصلحة قومه لان سفه اولئك الناس قد أنزل بالامة البلاء الشديد . وان يهوذا ما دام باقيا فلن تكون الاحوال فى دعة . فغضب واستدعى نكاتور واقامه قائدا على اليهودية وأمره بقتل يهوذا وتبديد اصحابه واقامة الكيمس كاهنا اعظم . ولما وصل الى اليهودية أخذت الامم التى فيها يفرون منها وينضمون اليه افواجا وهم يعدون نكبات اليهود ورزاياهم حظا لهم . وينطوى فى السياق صورة لشدة الحقد الذى يحمله غير الاسرائيليين للاسرائيليين فى أرض فلسطين واليهودية نفسها كما ينطوى فيه صورة من صور الكيدوالدسائس بين الاسرائليين انفسهم ضد بعضهم ، مما تكرر حتى صار دأبهم وشنشنتهم . وبلغ اليهود قدوم نكاتور وانضمام الامم اليه فحثوا التراب على رؤوسهم وطفقوا يدعون الرب ويستغيثون به . وأمرهم القائد فبادروا الى المسير تحت رايته وكان سمعان أخو يهوذا قد نازل نكاتور فجاءته نجدة على حين غفلة فأدركه بعض الفشل ـ والكلام قد يفيد ان الفشل ادرك سمعان ـ ولكن نكاتور لما سمع بما أبداه أصحاب يهوذا من البأس والبسالة أرسل رسلا

لعرض الصلح عليه فقبل العرض ، مما هو عجيب يبرز فيه الخيال. ثم يقول الاصحاح ان نكاتور أقام فى أورشليم لا يأتى منكرا وكان كثير التردد الى يهوذا وحبا اليه بقلبه وحثه على الزواج فتزوج ولبث فى راحة ، حيث يفيد هذا ان السلام قد خيم على اليهودية وعادت سيادة السلوقيين فتوطدت عليها .

وقد ذكر الاصحاح بعد هذا أن الكيمس رأى ما بين الرجلين من صفاء فأتى ديستريوس ووشى بنكاتور وقال له انه عين يهوذا الثائر على الملك كاهنا أعظم فغضب وأرسل نكاتور يطلب منه ارسال يهوذا مكبلا ، فوقع فى حيرة ولكنه لم ير بدا من تنفيذ أمر الملك . وشعر يهوذا بتغير نكاتور فتغيب عنه فانطلق هذا الى الهيكل وطلب من الكهنة تسليم يهوذا فأقسموا له انهم لا يعلمون مكانه فمد يده الى الهيكل واقسم ليهدمنه وليشيدن مكانه هيكلا لديونيسوس ـ معبود اليونان ـ وانصرف . وكان فى اورشليم شيخ يهودى مشهور بغيرته ومحبته لقومه حتى سمى بأبى اليهود اسمه زاريس فوشى به الى نكاتور فرأى ان يجعله أول ضحايا التنكيل فأرسل اكثر من خمسمائة جندى للقبض عليه فأحاطوا بالدار التى هو فيها وأخذوا فى حرق الابواب وأوشكوا أن يقبضوا عليه ففضل أن يموت كريما فألقى بنفسه من البرج فسقط بين الجنود مجروحا مضرجا بدمه ولم يلبث ان لفظ روحه ..

وعلم نكاتور أن يهوذا فى نواحى السامرة مع جماعته فعزم على مفاجأته يوم السبت معتدا بقوته متكبرا غير عابىء بتحذير اليهود الذين كانوا معه • ولكن يهوذا قابل الموقف بابتهال الى الرب وبث فى جماعته القوة والايمان وقص عليهم فى سياق لا يخلو من خيال رؤيا رآها واستبشر منها بالنصر ثم واقع العدو فصرع خمسة وثلاثين الفا وكان نكاتور نفسه من جملة الصرعى• ثم قطع رأس نكاتور ويده وحملهما الى أورشليم حيث علقهما على أسوارها وقد استقبله اليهود بالاناشيد والدعوات وقرروا جعل يوم النصر عيدا سنويا • وعادت المدينة بذلك الى حوزة العبرانيين وانتهى الاصحاح ثم السفر عند ذلك •

- ١٩ -

ونأتى الان الى تاريخ يوسيفوس الذى شغلت الحركة والدولة المكابية اربعة اخماس كتابه حتى كأنه كتب فيها • وفيه كثير من المبالغة والخيال والتناقض ولكن فيه أيضا حقائق تاريخية كثيرة متطابقة مع مدونات اليونانيين والرومانيين على ما يستفاد من الجزء الثانى من تاريخ سورية للدبس (١) • ويستفاد من فحواه انه كتب فى أواخر القرن الاول أو فى أوائل القرن

(١) انظر مثلا ص ١٨٧ وما بعدها •

الثانى بعد الميلاد . وهو متطابق ، مع شيء من الخلاف والزيادة والنقص والتقديم والتأخير والتغيير فى الاسـماء ، مع سفرى المكابيين فى كثير من الاحداث التى ذكرت فيهما قبل قيام الحركة المكابية من وشايات ومكائد بنى اسرائيل ضد بعضهم ومن محاولة السلوقيين تحويلهم عن شرائعهم الى الشرائع اليونانية واستجابة كثير منهم الى ذلك واضطهاد الذين تمسكوا بالشرائع الموسوية مما أدى الى انفجار الثورة . وهو متطابق مع السفر الاول دون السفر الثانى ، خاصة فى ذكر كون الخارج الاول الذى قادالحركة هو متتيا وفى تولى ابنائه يهوذا ويوناتان وسمعان الذى يسميه شمعون قيادة هذه الحركة بعده بالتوالى .

ولهذا لا نرى ضرورة الى ايراد ما ذكره من ذلك ولا سيما ان ما فيه من خلاف وزيادة ونقص ليس كبيرا جوهريا وان ما ورد فى السفرين أوسع وأوفى ، ونرى الاكتفاء باقتباس ما أورده من سيرة الذين تولوا قيادة الحركة بعد سمعان مما لم يذكـره فى السفرين فنقول (١) :

ان يوحنا بن شمعون الذى تولى بعد أبيه والذى سماه ابوه هركانوس ــ وهو اسم جبار كان يوحنا قتله فى حياة أبيه على ما ذكره يوسيفوس ــ لما علم بما فعله بطلماوس ، الذى يسميه يوسيفوس تلماى ، من الغدر بأبيه وقتله واعتقال أمه واخوته

---

(١) ص ٨٧ ــ ١٤٨ .

فى أريحا خاف فهرب الى غزة فلحقته اليها فحماه أهلها وقاتلوا تلماى وصدوه وبعد قليل عاد هركانوس الى أورشليم وانتظم أمره . فسار الى تلماى وحاصره فهدده هذا بقتل أمه واخوته الذين كانوا آسرى عنده فانصرف عنه . ولكن تلماى نفذ عزيمته فقتلهم بعد انصرافه .

وكان ديمتريوس بن سلفانوس المسمى بأنتيوخوس يحقد على شمعون لقتله قواده وهزيمته لجيشه فلما بلغه موته زحف على أورشليم بعسكر عظيم وضرب عليها الحصار وحل عيد المظال فطلب هركانوس منه وقف القتال أثناء العيد فأجابه ثم اهدى الى المعبد ثورا حسنا غشيت قرونه بالذهب مع أوان كثيرة ذهبية وفضية مملوءة بالطيب وهدايا متنوعة اخرى فاكتسب قلوب اليهود وسأله هركانوس الصلح فأجابه ودخل المدينة فاستقبل استقبالا حافلا وحمل هركانوس اليه ثلاثمائة بدرة من الذهب وانعقد الصلح بينهما ، حيث يفيد هذا أن سيادة السلوقيين عادت فتوطدت ثانية فى نطاق جزئية معينة .

ويتابع يوسيفوس كلامه فيقول : ان ديمتريوس انصرف بعد ذلك الى محاربة الفرس ومضى معه هركانوس على رأس جيشه ـ وفى هذا دليل آخر على سيادة السلوقيين ـ فلقيهم عسكر العجم فهزمهم ديمتريوس وهركانوس وقتلوا أكثرهم . وسار ديمتريوس لمقاتلة جيش ملك العجم الرئيسى وتخلف عنه هركانوس

واشتبك ديتريوس مع ملك العجم فدارت عليه الدائرة وهلك هو وأكثر عسكره وبلغ هركانوس الخبر فعاد الى الشام ونزل فى طريقه على مدينة حلب ففتحها وأخذ من أهلها الخراج ثم عاد الى أورشليم وغزا السامرة ففتح نابلس ــ والاسم من يوسيفوس حيث يدل على أن الرومانيين الذين احتلوا فلسطين كانوا قد جددوا شكيم وسموها باسم نابلس وحيث يدل على أن يوسيفوس كتب كتابه بعد ذلك ــ وأخرب الهيكل الذى بناه سنبلط السامرى فى جبل جرزيم وقتل كهنته • ثم مضى الى أدوم ــ والتعبير يعنى بلاد الانباط أو دولة الانباط العربية لانها هى التى كانت صاحبة السلطان فى القرن الاول والثانى بعد الميلاد على شرق الاردن ومنها بلاد أدوم ــ ففتح بعض حصونها ، وطلب أهلها الامان فمنحه لهم على خراج يحملونه اليه وألزمهم بالختان والشرائع التوراتية فقبلوا بذلك والتزموه الى ان خربت القدس وتمزقت الامة (والتعبير ليوسيفوس) •

وما عرف عن حالة مملكة الانباط فى القرنين الاول والثانى قبل الميلاد يثير الشك فى صحة قول يوسيفوس سواء من ناحية انبساط سيادة هركانوس عليها أم تهود أهلها مما لم يذكره أى كاتب قديم حيث عرف عنها القوة وانبساط السلطان الى وادى القرى جنوبا وحدود العراق شرقا وشبه جزيرة سيناء غربا على ما

جاء فى تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان (١) ومثله الدكتور جواد على (٢) بالاستناد الى النقوش والمدونات اليونانية والرومانية القديمة .

والراجح أن للخيال نصيبا كبيرا فى ما تدوول من ذكريات عن عهد هركانوس وأن هذا الكلام الذى دون بعد ذلك العهد ببضعة قرون (فى القرن الثانى بعد الميلاد) هو من هذا الباب .

وقد قال يوسيفوس بعد هذا ان هركانوس غزا جميع الامم الذين يجاورون اليهود فقهرهم وأطاعوه جميعهم . وهذا القول غامض للخيال نصيب غير يسير فيه أيضا . ونرجح أن قصارى ما يمكن أن يكون هو انبساط سيطرة هركانوس على الامم غير اليهودية فى فلسطين التى كانت فى الشمال والجنوب . وفى بعض فصول يوسيفوس ما يؤيد هذا حيث ذكر خبر عصيان عكا تارة وغزة تارة أخرى على المكابيين بعد هركانوس على ما سوف نذكره بعد .

وعاد يوسيفوس الى ذكر خبر حرب هركانوس مع السمرة فقال انه حاصر سبسطية ــ وهذه مدينة أقامها او جددها الرومان مكان مدينة السامرة عاصمة دولة اسرائيل ــ حصارا شديدا حتى اضطر ساكنيها الى أكل الجيف . وانهم ظلوا مع ذلك

---

(١) ص ٦٨ وما بعدها .
(٢) ج ٢ ص ١٧ وما بعدها .

صامدين واستنجدوا بالمكدونيين والمصريين وان أنطيوخوس المكدونى سار الى نجدتهم فخف الجيش المكابى الى لقائه بقيادة ولدى هركانوس وحارباه وهزماه وان لثيرا بن كليوباطرة أتى من مصر أيضا لنصرتهم فسار هركانوس على رأس جيشه للقائه وقاتله قتالا شديدا وقتل خلقا عظيما من جيشه وهزمه ثم عاد الى سبسطية وتمكن من فتحها وقتل من بقى من أهلها ودمرها • والخيال والغلو ملموحان على القصة •

وقد ذكر يوسيفوس ان مما روى عن هركانوس فتحه كنزا من الكنوز كانت فى أورشليم من زمن أولاد داود وأخذه منه ثلاثمائة بدرة ومالا جزيلا وتركه فيه مثله ورده الى ما كان عليه من الخفاء وانه بنى السور الذى هدمه ديستريوس وأحكمه •

كذلك ما ذكره يوسيفوس ان هركانوس أرسل رسلا الى روما لتجديد العهد فاستقبله بحفاوة وأجيب الى الطلب • وقد أورد نص رسالة وجهها مجلس الشيوخ الرومانى الى هركانوس بلقب ملك اليهود • وفى الرسالة ما يثير الشك لانه جاء فيها ان المجلس أمر برد جميع المدن التى كان فتحها أنطيوخوس الى اليهود ، فى حين أن روما لم تكن قد غزت الشرق وبسطت سلطانها عليه بعد، ولم تكن لها سيادة نافذة على الدولة السلوقية فى الشام التى كانت قائمة فى زمن هركانوس •

وقد قال يوسيفوس فى سياق ذلك ان هركانوس لما استلم

الرسالة التى تسميه ملك اليهود أعلن نفسه كذلك وكان قبل يسمى الكاهن الاكبر وكذلك الذين تقدموه من بيته فاجتمعت له منزلتا الكهنوت والملك . وقوى سلطانه واستقام ملكه واطمأن اليهود فى أيامه وأمنوا فى جميع مساكنهم .

وقد يفيد السياق أن هركانوس استمتع بسيادة تامة بعد ما حل فى ديمتريوس وجيشه فى بلاد العجم ما حل . أما رواية فتحه حلب وأخذه خراجا منها فى طريق عودته من بلاد العجم فانه على فرض صحته كان بمثابة غزوة عابرة لم يكن لها صفة الامتداد على ما هو المتبادر .

- ٢٠ -

ومع ذلك كله ففى عهد هركانوس ذر قرن الفتن فى الدولة المكابية واستمرت الى أن قضت عليها على ما يستفاد من يوسيفوس (١) .

فقد كان اليهود على ما ذكره فى ذلك الوقت ثلاث فرق الواحدة تسمى الفريسيين والثانية الصدوقيين والثالثة الحسيديم. والثالثة هى فرقة منقطعة للعبادة والثانية مميزة بالتمسك

(١) ص ٩٢ .

بالنصوص . والاولى تجنح الى الفلسفة والاعتزال (١) . وكان الصديقون يعادون الفريسيين عداوة شـــديدة وكان هركانوس وآباؤه من الفريسيين ثم تحول الى الصدوقيين وآخذ يضطهـد الفريسيين وذلك بسبب طلبه من هؤلاء النصح والتسـديد فى مجلس من المجالس فقال له أحدهم اذا كنت تريد أن تكون ناجيا من الغلط فاخلع نفسك من الكهانة واكتف بالملك لانك لا تصلح لها لان أمك كانت مسبية قبل أن تحمل بك ولم يعترض احـد من الفريسيين على القائل مما أغضب هركانوس ومرمر نفسه . وقد طلب منهم الحكم على القائل بالقتل فأبوا وقالوا انه لا يجب عليه غير جلد أربعين جلدة ، فحنق عليهم وتحول الى مذهـب الصدوقيين ونادى فى جميع المدن بان لا يتعلم أحد من الفريسيين وقتل كثيرا ممن خالفوا أوامره .

وكانت العامة بأسرها وبعض الخواص مع الفريسيين فعظمت الشرور منذ ذلك الوقت فى اليهود واتصلت الحروب بينهم وقتل بعضهم بعضا بعد ان كانوا متفقين على محبة هركانوس ومن كان قبله من ولاة بنى حشمناى ــ الاسم اسم الاسرة او العشيرة التى ينتسب اليها المكابيون على ما ذكره المؤلف ــ وتأصلت العداوة

---

(١) يستفاد من الاصحاح الثالث والعشرين من سفر اعمال الرسل من اسفار العهد الجديد ان الصدوقيين يقولون بعدم قيام القيامة والفريسيين يقرون بذلك .

بينهم فى زمن هركانوس وبعد وفاته ، وكرهه أكثرهم وأبغضوه وأولاده من بعده (والعبارة ليوسيفوس) •

- ٢١ -

ولقد امتد حكم هركانوس ٣١ سنة وخلفه على الملك ابنه ارسطوبولوس (١) • ويقول يوسيفوس أن أرسطوبولوس بعد ما ملك أظهر التكبر والتجبر ولبس تاجا عظيما ترفعا واستصغارا لتاج الكهنوت المقدس وقيد أخاه اسكندر وأمه لمحبتها لاخيه ومال الى أخيه الثالث أنتيفونوس وقدمه على جميع أصحابه واعتمد عليه فى أموره وبعث به الى محاربة الامم الذين عصوه ـ ويدل هذا على ان الامم التى رضخت لهركانوس ما لبثت أن أخذت تتمرد على سلطان المكابيين بعده ـ فقهرهم وردهم الى طاعته وعاد الى القدس ظافرا غانما ، فوجد الملك قد تشكى واعتل بعلة عظيمة فى غيبته • ولكنه رأى أن يمضى أولا الى بيت الله ليشكره على ما رزقه من النصر ثم يمضى الى أخيه • وكان ذلك فى عيد المظال وقد حضر اليهود الى القدس • وكان عليه جوشن

(١) يلاحظ ان الاسم والصيغة يونانيتان • والمتبادر ان اليهود اخذوا يفعلون ذلك نتيجة لانبساط السلطان اليونانى عليهم وعلى بلاد الشام ومصر معا منذ اواخر القرن الرابع للميلاد •

مذهب حسن الصنعة ، وكان هو ذاته شابا بهيا رائع الجمال فلما نظر اليه اليهود تعجبوا من بهجته وجماله • وقد سارع بعض حساده الى الملك ووشوا به قائلين انه لم يأت اليك بل ذهب لاستمالة الناس عليك لما علم بمرضك وانه سيأتى اليك مع اصحابه شاكى السلاح بقصد اغتيالك ، فأثرت به الوشاية ووضع الحرس فى الطرق ووصاهم بقتل كل من يحاول الدخول الى قصره ومعه سلاحه وارسل الى أخيه يطلب منه المجىء بدون سلاح • وكانت امرأته تكره انتيفونوس كرها شديدا فوصت الرسول الذى أرسله الى أخيه بعكس الرسالة حيث يقول له ان أخاه يريد ان يراه بزيه وهيئته وسلاحه عند دخوله القدس فلما جاء الى القصر على ذلك هاجمه الحراس دون ان يعرفوا هويته وقتلوه • وعلم الملك بالامر فحزن أشد حزن وبكى واشتدت علته ولم يلبث ان قضى نحبه • وحينئذ أخرج الجند أخاه اسكندر من سجنه فتولى الملك واستقام له الامر •

وبلغ اسكندر أن أهل غزة وعكا اعلنوا العصيان فسار الى عكا وحاصرها فبعث اهلها الى ابن كليوباطرة الذى كان يقيم فى قبرص مغاضبا لامه ملكة مصر ، يستنجدون به ويعدونه بالخضوع • فجاء ومعه ثلاثون الف رجل فعلم الاسكندر بمجيئه فرحل عن عكا • ولما جاء لبطرا ــ ابن كليوباطرة ــ الى عكا ــ أرسل اليه صاحب صيدا يعرض التحالف ضد اسكندر • وعلم

هذا فأرسل اليه أموالا عظيمة وطلب منه الوقوف بجانبه ضد صاحب صيدا • فاستجاب اليه فاغتنم اسكندر الفرصة وغزا صيدا واستباحها وعاد الى أورشليم غانما ظافرا •

ثم وجه الى كليوباطرة سرا يقول لها ان ابنها الذى عصاها فى بلاده ويقترح عليها أن تأتى سريعاً بعسكرها على أن يسير هو أيضا بعسكره فيحيط به العسكران • وبلغ خبر المؤامرة لبطرا فعظم عليه الامر فسار الى الجليل وقتل من أهلها خلقا كثيرا • وسبى سبيا عظيما ثم توجه لمحاربة الاسكندر ونزل على الاردن وخرج اسكندر ا ىلقائه فدارت الدائرة عليه وقتل عددا عظيما من عسكره وفر باقيهم الى الجبال وعاد اسكندر الى أورشليم مكسورا بسبب اعتداده بقوته وعدم توكله على الله كما يقول يوسيفوس ، وكان جيشه قويا وفيه ستة آلاف جبار حرب أبطال •• وعلم لبطرا أن أمه خرجت اليه فركب البحر وعاد الى قبرص• ولم يذكر يوسيفوس مصير عكا بعد انسحاب لبطرا منها • ويذكر مع ذلك أن اسكندر سار الى غزة فى السنة نفسها ففتحها وقتل أهلها وأحرق هيكلا فيه صنم لهم وقتل كهنته •

وتجددت الحرب الاهلية بين اليهود فى عهد اسكندر هذا حيث غضب على الفريسيين الذين شتم أحدهم اسكندر واسمه القبيح فى أثناء عيد المظال فأمر اصحابه بقتلهم فقتلوا منهم ستة آلاف • وانتهز الصدوقيون الفرصة فقاموا علىخصومهم واخذوا

يذبحونهم وامتد ذلك ست سنين وساعدهم الاسكندر فبلغ عدد قتلى الفريسيين خمسين ألفا • ومضى جماعة منهم الى الملك السلوقى أنتيوخوس ديتريوس وسألوه المساعدة على الاسكندر وبذلوا له مالا كثيرا فسار بعسكره اليه كثير من اليهود •

وخرج اسكندر الى لقائه فدارت بينهما معركة فى نابلس دارت فيها الدائرة على اسكندر وقتل أكثر عسكره •

وهذا يعنى كما هو المتبادر أن الدولة المكابية كانت تعتبر رسميا تحت سيادة السلوقيين وان كان من الممكن اذا صح السياق ان يكون هركانوس وارسطوبولوس واسكندر قد تمتعوا باستقلال ذاتى واسع عاد ضيقا بعد هذه الواقعة •

ولما رجع ديتريوس الى بلاده عادت الحروب بين الفريسيين واسكندر فقتل منهم مقتلة عظيمة فتواروا من أمامه فطاردهم وأخذ ثمانمائة من وجوههم وصلبهم واستولى بعد ذلك على جميع اليهود وقهرهم (والعبارة ليوسيفوس) وقد تعنى العبارة أنه غدا طاغية • ثم سار الى ديتريوس فى عسكر كبير وتمكن من الاستيلاء على كثير من بلاده وخرج هذا اليه فى عسكر كبير فظفر به اسكندر وقتله • وقد استغرقت رحلته ثلاث سنين عاد بعدها الى أورشليم ظافرا غانما فاستقبله اليهود بالاعظام لما ظهر لهم من بأسه وشجاعته وانتصاره على ديتريوس وجميع اعدائه

وقهره لكل من يقاومه فاستقام أمر مملكته واعتز سلطانه ، حسب تعبير يوسيفوس .

ولقد اعتل بالحمى ثلاث سنين حتى أنهكته واغتنم الفرصة بعض البلاد فأعلنت تحررها فسار وهو عليل وحاصرها وفى أثناء الحصار توفى بعد حكم امتد سبعا وعشرين سنة . وكانت زوجته معه فأخفت خبر وفاته وشددت الحصار حتى فتحت المدينة المحاصرة ثم عادت الى أورشليم فاستدعت وجوه الفريسيين وتألفت قلوبهم ، وكان هذا حسب وصية زوجها وهو على فراش الموت فاجابوها بالجميل وأظهروا الحزن وبايعوها بالملك خلفا لزوجها فاستقام امرها بمساعدتهم .

وقد ردت الملكة تدبير الدولة الى زعماء الفريسيين وأطلقت من كان منهم فى السجون ورجعت عن المذهب الصدوقى الى مذهبهم وجعلت ابنا لها اسمه هركانوس كاهنا وابنا اخر اسمه أرسطوبولوس قائدا للجيش ووجهت الى جميع الذين كانوا تحت سلطان الدولة فأخذت منهم رهائن فدامت بذلك طاعتهم لها وحملهم الخراج والهدايا سنويا واستقام ملكها وقوى أمرها .

وطلب الفريسيون منها أن تمكنهم من أخذ ثأرهم من الصدوقيين فأجابتهم الى ذلك فأخذوا يقتلون من قدروا عليه فهرع زعماء الصدوقيين الى الملكة شاكين منددين بالغدر الذى لقوه مقابل ما كان منهم من تعضيد لزوجها وطلبوا منها أن تكف

الفريسيين عنهم أو تسمح لهم بمقابلتهم لانهم قادرون عليهم او بالخروج من أورشليم والتفرق فى الضياع البعيدة لئلا يقتلهم خصومهم كالغنم ويذلوهم • وأعانهم أرسطوبولوس فى موقفهم فبكت لبكائهم وأذنت لهم بالخروج من أورشليم لانها لا تأمن عليهم منهم وظنت أن هذا أدعى لحسم الشر • وخرج الصدوقيون وخرج معهم وجوه العسكر وأبطالهم وجبابرتهم وتفرقوا فى الضياع • فأوهن هذا الدولة وأغرى الاقوام الخاضعة بالعصيان وكان سببا لمنازعات وحروب عديدة مديدة بين ولديها هركانوس وارسطوبولوس •

وماتت بعد حكم امتد تسع سنين• وكان ابنها أرسطوبولوس حينما رآها مشرفة على الموت ذهب الى الضياع التى يقيم فيها الصدوقيون وأخبرهم بمرض أمه واستنهضهم لنصرته ومساعدته على التملك فضمنوا له ذلك واتصل الخبر بأمه فأمرت بسجن امرأته وابنتيه • ولكنها لم تلبث أن ماتت ، فانشطر اليهود شطرين الفريسيين مع هركانوس والصدوقيين مع أرسطوبولوس وخرج الاخوان كل على رأس انصاره للقتال وتصفية الامر بينهما وتحاربا على نهر الاردن فانهزم هركانوس الى أورشليم وأغلق أسوارها فتبعه أرسطوبولوس وضرب عليه الحصار وأخذ يعمل لهدم الحصن • وخرج الكهنة وشيوخ اليهود اليه وطلبوا منه

الكف عن القتال والمصالحة مع اخيه على أن يكون هو الملك واخوه الكاهن واستقر الامر على ذلك وتحالفا عليه ٠

- ٢٢ -

واستقامت الامور ردحا من الزمن ثم فسد ما بين الاخوين فتجددت الفتن والحروب ٠ ويقول يوسيفوس ان سبب ذلك دسائس رجل اسمه أنتبطراس كان واليا قبل هركانوس على أدوم (١) فاقام فيها سنين عديدة وتزوج من أهلها وانجب أولادا وصار صاحب مال وضياع ومواشى ، وان الملكة اسكندرة عزلته فجاء وأقام فى أورشليم ٠ واختلف فى أصله فقيل انه يهودى وقيل انه عسقلانى فلسطينى وثنى الاصل ثم تهود كما قيل انه أدومى٠ وكلمة أدومى ترادف فى هذا الظرف الذى تقع فيه الاحداث كلمة نبطى عربى ، لان بلاد أدوم كان يقوم فيها فى هذا الظرف ــ فى القرن الاول قبل الميلاد أو قبله ــ دولة الانباط العربية وكانت

---

(١) ليس من المعقول ان يكون انتيبطراس واليا على ادوم ٠ لانه كان يقوم فى بلاد أدوم ومعظم شرق الاردن دولة الانباط العربية منذ القرن السادس قبل الميلاد، وكل ما يمكن ان يكون محتملا ان انتيبطرس كان يتولى الاقسام القريبة من شرق الاردن الملاصقة لغرب الاردن والتى كان فيها جاليات اسرائيلية وكانت تعد من توابع اليهودية ٠

العروبة الصريحة أخذت تتوطد فى أنحاء شرق الاردن (١) : وكان ذا مكر ودهاء وحيلة كما يقول يوسيفوس فانعقدت المودة بينه وبين هركانوس حتى لم يكن يفارقه مما أثار ريبة أرسطوبولوس وجعله يترصده . وشعر هو بذلك فساوره الخوف فأخذ يتآمر على آرسطوبولوس بدوره . ويذكر ظلمه وتقلبه على أخيه الاكبر هركانوس ويدعو الى تمليك هذا بدلا منه . واستطاع ان يكون حزبا مناصرا كبيرا من وجوه الدولة وكبرائها ثم قال لهركانوس ان أخاه يريد قتله لانه يعلم ان الملك من حقه ولا يثق ببقاء الملك فى يده الا بموته وما زال يلح عليه حتى جعله يخرج من آورشليم ويلجأ الى هريمة ملك الاعراب . وكان أنتيبطراس قد ذهب سرا الى هريمة وقص عليه قصة النزاع بين الاخوين وأخذ منه عهدا بالحماية والتأييد . وقد خرج أنتيبطراس وهركانوس معا الى هريمة فتلقاهما بالاكرام . ثم أخذ أنتيبطراس يحرك هذا على أرسطوبولوس ومساعدة هركانوس ويلح عليه حتى قبل على شرط رد جميع ما كان استولى عليه أبوه من البلاد التى كانت تابعة له ، وسار بعسكر كبير ، وخرج أرسطوبولوس الى لقائه ، غير أن أكثر جيشه انحاز واستأمن لهركانوس فعاد ارسطوبولوس فارا الى آورشليم وتحصن فيها . وزحف هركانوس وهريمة

---

(١) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان ص ٦٨ وما بعدها وتاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على جـ ٢ ص ١٧ وما بعدها .

وحاصرا المدينة وطال الحصار واتصلت الحروب وعظمت الفتن ببلاد اليهود وجنح كثير من طلاب السلامة منهم الى النزوح الى مصر •

ومما ذكره يوسيفوس أن عيد الفطر قد حل فى هذه الاثناء فخاطب الكهنة فى أورشليم اليهود الذين مع هركانوس وطلبوا منهم أن يعطوهم ما يلزمهم من الذبائح للعيد فوافقوا على أن يؤدوا ثمن كل رأس الف دينار فوافقوا وأرسلوا المال فأخذوه وغدروا ونكثوا أيمانهم ولم يعطوهم شيئا ، مما فيه صورة من صور الجشع والغدر الاسرائيلى ضد بعضهم • كذلك مما ذكره أن بعض جماعة هركانوس سألوا رجلا صالحا من اليهود صادفوه خارج المدينة أن يدعو على أرسطوبولوس فأبى ودعا باصلاح حالة اليهود جميعا فوثبوا عليه فقتلوه !

ولقد اتفق فى ذلك الزمن أن القائد الرومانى بومبيوس كان يزحف على المشرق وقد استولى على سورية فأرسل أرسطوبولوس رسلا الى نائبه فى دمشق يستعين به على أخيه وهريمة فأرسل هريمة يأمره بالانصراف عن القدس ويتوعده اذا خالف الامر فأذعن وعاد معه هركانوس وأنتيطراس •

ونقول استطرادا ان هريمة هذا هو على الارجح الحارث ملك الانباط لان زمنه يصادف زمن بومبيوس حوالى عام ٦٤ ق•م وهو أعظم ملوك الانباط سعة سلطان وعلو شأن وقوة حيلة •

وقد تمكن من الاحتفاظ باستقلاله حين زحف بومبيوس ودافعه بالحسنى • وهريمة على الاغلب محرفة عن هريتة بالنسخ وهريتة هي أعجمية حارثة او الحارث كما هو المتبادر (١) •

ولقد أرسل أرسطو بولوس ثانية الى بومبيوس الذى كان وصل الى دمشق رسلا معهم هدايا جليلة وخمسمائة بدرة من الذهب وسأله المساعدة على أخيه ، ووجه هركانوس بدوره أنتيبطراس الى بومبيوس وسأله مساعدته على أخيه • واستطاع هذا بسعة حيلته وذلاقة لسانه أن يستولى على لب بومبيوس فاستدعى الاخوين اليه فتقاضيا امامه وادعى هركانوس انه أحق بالملك لانه الاكبر وادعى ارسطوبولوس انه ملك بوصية من أبيه وأمه وأرجأ القائد الرومانى البت الى أن يزور أورشليم ويدرس الموقف فيها • وأرسل أنتيبطرس الى جميع المدن التى كان قهرها أرسطوبولوس والتى تقع فى طريق بومبيوس يحرضها على الشكوى ضد أرسطوبولوس والتظلم من جبروته ففعلوا فأمر بومبيوس أرسطوبولوس برد جميع ما أخذ منهم وكف يده عنهم فأذعن ، ولما دخل أورشليم طلب أرسطوبولوس منه التأييد وعدم تشميت أعدائه فطلب منه حمل كل ما فى المعبد من أموال وكنوز وذخائر ليحمله الى هيكل المشترى فى روما فأذعن • ولكن الكهنة

---

(١) العرب قبل الاسلام لزيدان ص٦٨ وما بعدها . والعرب قبل الاسلام جواد على ج ٣ ص ١٧ وما بعدها .

عارضوا وقتلوا الوكلاء الذين أرسلهم بومبيوس لاخذ الكنوز فغضب هذا وقبض على أرسطوبولوس وقيده ثم ركب للهجوم على المدينة فأغلقت الابواب فى وجهه غير أن الفتنة لم تلبث أن نشبت بين أنصار الاخين فسارع انصار هركانوس الى فتح الابواب فدخل بومبيوس وأوقع فى أهلها وكهنتها واستولى على ما فى المعبد ونصب هركانوس ملكا وأشرك معه أنتيبطراس وجعل معهما قائدا على رأس حامية رومانية وفرض على اليهود خراجا سنويا وحمل معه أرسطوبولوس مع ابنيه أسرى وأزال يد اليهود عن الامم التى كانت تحت طاعتهم ورد بلدانهم لهم وهى المدن والرساتيق والضيع والكور والاعمال من أوطية الجبال ، كان المكابيون قد استولوا عليها أيام قوتهم ، وعاد الى روماء والعبارة تدل على أن ما كان تحت يد المكابيين وسلطانهم انما كان من أرض فلسطين وغرب الاردن وحسب . وهكذا غدت الدولة المكابية خاضعة لسيادة روما واحتلالها العسكرى مكفوفة اليد عن غير اليهود من الاقوام الاخرى فى أرض فلسطين بعد أن كانت خاضعة لسيادة السلوقيين حيث نسف الرومان دولة هؤلاء سنة ٦٤ ق.م وحلوا محلهم .

ولما عاد بومبيوس الى روما مضى هركانوس وأنتيبطراس وشكاروس قائد الحامية الرومانية الى العرب ليدعوهم الى طاعة الرومان . وكان لأرسطوبولوس ابن ثالث اسمه اسكندر استطاع

أن يختفى ويفلت من يد بومبيوس فاغتنم الفرصـــة وجاء الى آورشليم من مخبئه فتلقاه أهلها بالاكرام وملكوه عليهم • فلمـا عاد هركانوس ومن معه خرج اليهم وحاربهم وهزمهم بعـد انْ قتل منهم مقتلة عظيمة • غير انه لم يهنأ بما نال حيث كان قائـد رومانى جاء على رأس فرقة الى سورية فى هذا الوقت فعلم بمـا فعله اسكندر فزحف على آورشليم وانضم اليـه هركانوس ومن معه وتمكنوا من التغلب على قوة اسكندر فانهزم الى حصـــن يسمى اسكندرونة فلحق به القائد الرومانى وحاصره فاضطر الى الخروج اليه مستأمنا • وفى هذه الاثناء تمـكن أرسطوبولوس أبوه من الفرار من روما ومعه أحد أولاده آنتيفونوس وجاء الى اليهودية فاجتمع عليه خلق كثير غير أن القائد الرومانى حاربـه وتغلب عليه وقتل أكثر رجاله وأسره وأرسله ثانية الى رومة •

وفى هذه الأثناء برز قيصر وتغلب على رومة فأطلـق سراح أرسطوبولوس وأحسن اليه وضم اليه قائدين فى اثنى عشر الفا وأمره أن يعود الى اليهودية ليكون نصيرا له على بومبيوس الذى نشب بينه وبينه نزاع تنافسى • وعلم بومبيوس بالامر فكتـب الى أنتيبطراس ليكفيه أمر أرسطوبولوس فاستدعى قوما مـــن وجوه أورشليم وأرسلهم اليه ومعهم سم قاتل وأمرهم بالاحتيال عليه وسمه • وقد تمكنوا من ذلك ، فظـل مستتبا لهركانوس وأنتيبطراس •

وخرج قائد رومانى اسمه كرسوس من روما قاصدا بلاد العجم على رأس حملة كبيرة فعرج على أورشليم وطلب من الكهنة اعطاءه ما فى المعبد من الاموال وحاول الكاهن الاكبر العازار صرفه عن ذلك فأبى فعرض عليه الكاهن ان يعطيه ثلاثمائة بدرة من الذهب على ان لا يمد يده على شىء مما للهيكل فوافق وحينئذ أخرج الكاهن الذهب من محل سرى فى المعبد وأداه له. ولكن القائد غدر بعهده وأخذ جميع ما فى الخزائن وكان يقدر بنحو الفى بدرة مع ما فى الهيكل من أدوات وأوان .

ومن العجيب أن الرومان فعلوا هذا والحكم مستتب لهركانوس فى اليهودية حيث يدل هذا اذا صح على مقدار استهتارهم به وعلى عجزه عن صدهم عما ابتغوه . وقد ذكر يوسيفوس بعد هذا أن قائدا آخر جاء بحملة لمحاربة العجم الذين انتصروا على حملة كرسوس واستولوا تتيجة لذلك على بلاد الشام وعرج بعد انتصاره عليهم على أورشليم فوجد اليهود يحاربون هركانوس وأنتيبطراس فنصرهما وثبت ولايتهما حيث يدل هذا على أن اليهود اغتنموا فرصة انكسار حملة كرسوس وانتصار العجم فثاروا على هركانوس حقدا عليه وعلى الرومان أوليائه ..

ويحكى يوسيفوس بعد هذا ما كان من نزاع بين قيصر وبومبيوس وانتصار قيصر عليه وقتله وزحفه على بلاد الشرق

لتوطيد سلطانه عليها . وسعى هركانوس وأنتيبطراس للتزلـف اليه بمساعدة ملك السريان متردات الذى سيره قيصر الى محاربة قواد بومبيوس وما كان من بلاء أنتيبطراس فى هـذه الحرب . واستدعاء قيصر لهذا بعد أن علم ببلائه من متردات وترحيبه به ، ووشاية أنتيفونوس بن أرسطوبولوس لقيصر به وبعمه هركانوس وذكره ما كان من ولائهما لبومبيوس ، وجواب أنتيبطراس على سؤال قيصر فى ذلك قائلا انه كان محبا لبومبيوس لانـــه كان صاحب جيش الروم وعظيمهم وانه مع ذلك حارب قواده خدمة له وكشف عن جروحه فأعجب قيصر احتجاجه وكلامه وأثنى عليه وقال له انه ثبت لديه اخلاصه له وحرصه على طاعته وانه من اجل ذلك يقدمه على جميع اصحابه ويعقد له الرئاسة على جيوشه . ثم أخذه معه لمحاربة العجم فأظهر من شدة البأس والشجاعـــة والمناصحة ما زاد فى ميل قيصر اليه ومحبته له وما زاد به حكم هركانوس وأنتيبطراس على اليهودية توطدا ورسوخا .

- ٢٣ -

ولقد جنح أنتيبطراس الى استغلال ما كان له من منزلـة فى نفس قيصر وما رآه من ضعف عزيمة هركانوس ووهنه واستسلامه.

له فاستولى هو وأولاده على الدولة فجعل أحدهم فيلو ناظرا على أورشليم وثانيهم هيرودوس واليا على الجليل ولم يبق لهركانوس الا الاسم . وفى هذه الاثناء برز فى فلسطين جبار اسمه حزقيال جمع حوله جماعة من أمثاله وأخذوا يعيثون فسادا فى أنحاء سورية والجليل فتصدى له هيرودوس وكبسه وقتله فبعث والى سورية اليه بمال عظيم قوى به أمره . وعز على اليهود قتل حزقيال ، فأخذوا يحرضون هركانوس على أنتيبطرا وأولاده ويخوفونه منهم ويشكون له ما فعله هيرودوس وما زالوا به حتى جعلوه يستدعيه الى أورشليم للمحاكمة بحضرة مجلس السبعين . وجاء هيرودوس الى المجلس وعليه اللباس الموشى وقد أصلح شعره وصفف طرته وتقلد حسامه ومعه أصحابه على هذه الحال فانبثت هيبته فى قلوب الاعضاء وفى قلب هركانوس . ولكن الحقد عليه كان باديا . واستشعر هو ذلك فانصرف من أورشليم الى والى الشام فقابله بالاكرام . وكتب هركانوس الى قيصر يسأله تجديد العهد بينه وبين الروم فأكرم الرسل وقضى حوائجهم

وقد أورد يوسيفوس نص كتاب قال ان قيصر أرسله الى وكلائه فى صيدا وصور يثنى فيه على هركانوس ومحبته ومحبة قومه للروم ويشيد بشجاعته وبلاء فارس اليهود وجبارهم أنتيبطراس ويأمر بتقديم خراج صيدا السنوى الى معبد أورشليم مع عشرين الف مد من الحنطة ورد اللاذقية وسائر أعمالها وكل

ما كان بيد اليهود الى شط الفرات مع ما كان المكابيون بنــو حشمناى فتحوه من جانب الفرات الآخر الى هركانوس لانه مما أخذه اباؤه بحد السيف . وانتهى نص الكتاب بالقول « وهى من الآن لهركانوس ولمن بعده من الملوك . وهــذا العهد عنى وعن كل ملك يملك على الروم بعدى . وعلى من خالفه ونقضه وغير شيئا منه اللعنات وعلى أولاده وبلاده . واذا قرأتم كتابى هذا فانسخوه فى ألواح نحاسية بلسان الروم واليونان وعلقوها فى هيكل الهنا العظيم ديوس ــ أى المشترى ــ فى صيدا وصور ليراها كل واحد فيعلم ما جعلت لهركانوس واليهود من المواثيق والعهود » .

والنص ولاسيما خاتمته تثير الشك فى صحته ولاسيما انــه اختص وكيله فى صيدا به مع أن الوالى الاكبر فى دمشق لا فى صيدا ولا فى صور . هذا الى أنه لم يرد أى شىء فى تاريــخ يوسيفوس ولا فى أسفار المكابيين عن فتح هؤلاء اللاذقية وأعمالها ولا لضفتى الفرات وكل ما ذكر أن هركانوس الاول فتح حلب فى طريق عودته من بلاد العجم وأخذ منها خراجا ولم يعد يذكر أى شىء عن أى نشاط ونفوذ وسلطان وتبعة وخراج كان لليهود فى حلب أو فى أى مكان غير غرب الاردن ولفترة ما فى شرق الاردن.

والراجح أن الخيال وذكرى ما كان فى عهد هركانوس قــد

لعبا دورهما فى الروايات فوصلت الى يوسيفوس مشوبة بهذا الغلو الكبير .

ومما ذكره يوسيفوس ان هركانوس أرسل رسلا مع هدايا عظيمة الى أوغوسطوس (٢٩ ق.م ـ ١٤ ب.م) حينما آل اليه سلطان روما بعد قتله كيساوس .

وطلب تجديد العهد والامر باطلاق سبى اليهود فلبى طلبه وكتب له جوابا أورد يوسيفوس نصه . وقد سرد فيه ما جرى بينه وبين كيساوس وظفره به وبأعوانه ثم قال « فليعظم سرورك ايها الملك هركانوس وجميع الكهنة فى هيكل الله وسائر اليهود بذلك واقبلوا الهدية التى أرسلناها الى الهيكل وادعو ببقاء الملك أوغسطوس وسلامته وقد كتبنا الى سائر عمالنا بان لا يبقى سبى من اليهود الا ويطلق ويسمح لهم بالرجوع الى أرض آبائهم » وان أوغوسطوس كتب لعماله فى صور وصيدا بان يردوا ما أخذوه من بلد اليهود فى أيام كيساوس وأن يسالموهم ولا يعارضوهم فى شىء من أمورهم .. حيث تدل العبارة على أن ولاة صور وصيدا لم يلبثوا ان نقضوا أمر قيصر ومدوا أيديهم الى أنحاء كثيرة من أرض فلسطين التى أعيدت بأمر قيصر الى حوزة اليهود ..

كذلك مما ذكره يوسيفوس ان أنتيفونوس بن أرسطوبولوس مضى مع جماعة الى ملك العجم ووعده بألف بدرة وثمانمائة

(٨٠٠) جارية من بنات أكابر اليهود ورؤسائهم اذا هو ساعده على أخذ الملك من عمه وقتل هيرودوس وأخيه ٠

وقد كان ذكر أن هركانوس الاول فتح بعض حصون أدوم ثم ذكر استعانة هركانوس الثانى بملك أدوم الذى هو ملك الانباط ومساعدته له على شرط التخلى عن كل ما كان فى يده من أنحاء شرق الاردن ٠٠ ولهذا نميلَ الى القول ان هذه الروايات من الذكريات الخيالية عن عهد هركانوس الذى كان بينه وبين يوسيفوس أكثر من قرن ونصف ٠٠

هذا ، ويظهر أن أنتيبطراس وبنيه أصحاب الكلمة والشأن فى الدولة المكابية حيث ذكر يوسيفوس أنه حينما قتل قيصر وتغلب كيساوس على الدولة وجاء الى أسيا جاء الى بلد يهوذا ـ يعنى أورشليم ـ وطلب سبعين بدرة فجمعها أنتيبطراس وبنوه من بلدان اليهود وحملوها اليه فأخذها ومضى ٠

ومهما يكن من أمر فالسياق يدل على ان كتاب قيصر المزعوم لم يغير من حالة خضوع الدولة المكابية لسيادة روما كما هو المتبادر ٠

وقد ذكر يوسيفوس بعد هذا أن رؤساء اليهود تآمروا على قتل أنتيبطراس وتمكنوا من دس السم له ٠ وكان زعيم المؤامرة قائدا اسمه ملكيا فمضى هيرودوس الى كيساوس وشكا له ما

جرى فوعده بتمكينه من قتل قاتل أبيه حينما يصل الى صور • ولما وصل اليها دعا هركانوس وملكيا وبقية خواص الدولة الى صور وهناك تمكن هيرودوس من قتل ملكيا • وان ملك الفرس أجاب انتيفونوس الى طلبه وسار معه فى عسكر كبير الى أرض سورية ففتحها وقتل من كان فيها من ولاة الروم ووجه قائدا من قواده على رأس حملة كبيرة الى اورشليم ومعه أنتيفونوس وأمره بتحقيق طلب أنتيفونوس بأسلوب مناسب ، وان القائد تظاهر بانه لم يأت الا ليدخل بيت الله ويصلى فيه فلما دخله غدر وامتد فى القتل والنهب فبادر هيرودوس وأخوه الى المقاومة فأدرك ملك الفرس صعوبة المهمة وأرسل الى هيرودوس وأخيه وهركانوس يعتذر ويتلطف ويعرض عليهم الصداقة والمودة حتى استمالهم ثم أمر قائده بالانسحاب واستصحاب فيلو وهركانوس بحيلة ما • ولما وصل بهما الى الشام أظهر الملك لهما الغدر فقتل فيلو نفسه وقطع آنتيفونوس أذن عمه حتى لا يصلح للكهانة ثم أخذه الملك معه أسيرا الى بلاده ووجه حملة كبيرة بقيادة احد قواده ومعه أنتيفونوس لتمليكه • وبلغ هيرودوس غدر ملك الفرس فأخذ امه وزوجته وأمها وباقى أسرته الى جبال الشراة ووضعهم فى مقام أمين ثم سار الى مصر ومنها الى روما حيث أخبر أوغوسطوس بما جرى •

والصورة المألوفة من مكائد الاسرائيليين ودسائسهم وشدة

حقدهم ضد بعضهم بادية فى هذا السياق . هذا مع التنبيه على أنه ليس من المعقول ان حملة ملك الفرس كانت استجابة لاستنجاد انتيفونوس واغرائه بالمال اليهودى والفتيات اليهوديات أبنـــاء الاكابر كما يريد السياق أن يوهمه . وكل ما يحتمل ان يكــون أن جولة من جولات النشاد والحروب التنافسية التى كانت تتكرر من حين لآخر بين الفرس والرومان الذين ورثوا اليونان وممالكهم انتصر فيها الفرس واستولوا نتيجة لها على بلاد الشام لفترة من الزمن فاغتنم انتيفونوس الفرصة وسعى سعيه مع ملــك الفرس ضد عمه وهيرودوس وأغرى الملك بالمال والفتيات .

وقد ذكر يوسيفوس أن أوغوسطوس البس بموافقة مجلس شيوخ روما هيرودوس التاج وملكه على اليهود وكتب له عهــدا على ألواح نحاسية وأقام له موكبا ثم سيره مع حملة خرجت لقتال الفرس حتى اذا وصلت انطاكية اتجه قسم منها الى أورشـــليم لقتال انتيفونوس الذى ملكه الفرس ، فما كان من هــذا الا ان ذهب الى جبال الشراة لاعتقال أسرة هيرودوس فلحق به هــذا وأطبق عليه وقتله مع كثير من جنده فاستتب له الحكم .

وانتهى بذلك عهد أسرة حشمناى التى تولى حكم اليهــود منها عشرة اشخاص وهم : متنيا ــ يهوذا بن متنيا ــ يوناتان بن متنيا ــ شمعون بن متنيا ــ يوحنا ــ هركانوس بن شمعون ــ اسكندر بن هركانوس ــ اسكندرة زوجـــة هــركانوس ــ

أرسطوبولوس بن اسكندر ـ هـركانوس بن اسـكندر ـ انتيفونوس بن أرسطوبولوس ، وامتد حكمهم نحو ١٢٥ سنة ـ لانه يخمن أن هيرودوس صار ملكا فى العقد الثالث من أواخـر القرن الاول قبل الميلاد .وقد تسمى الخمسة الاولون كهانـا والخمسة الآخرون ملوكا . ومارس بعضـهم استقلالا ذاتيا واسعا وبعضهم استقلالا ذاتيا ضيقا تحت سيادة السلوقيين والرومـان ومارس بعضهم سيادة قد تكون تامة لفترة قصيرة فى زمـن السلوقيين على ما مر شرحه .

- ٢٤ -

وبتولى هيرودوس ابتدأ عهد أسرة جديـدة حاكمـة على اليهودية يتراوح التخمين فى أصلها بين أن تكون فلسطينيـة عسقلانية او أدومية نبطية عربية أو اسرائيلية .

وقد تولى الحكم منها خمسة ملـوك هم هيرودوس الاول وأرخلاوس بن هيرودوس وأنتيفوس بن هيرودوس المسـمى هيرودوس الثانى وأغريبا بن أرسطوبولوس بن هيرودوس وأغريبا الثانى ابنه . وامتد حكمها نحو مائة سنة ٢٥ ق.م ـ ٧٠ب.م(١)

---

(١) ص ١٤٩ وما بعدها .

ولقد ذكر يوسيفوس أن هيرودوس بعد أن فرض سلطانه أخذ يقتل من يعاديه ويناوئه من الرؤساء والوجوه والعلماء ويصادر أموالهم حتى لم يبق من يعانده ويعارضه . ثم استدرك فقال «والذين بقوا منهم كانوا يكرهونه ويخافون بطشه فيدارونه»

وقال عن هيرودوس فيما قال انه كان كثيرا ما يخالف وصايا التوراة . ومما فعله أنه وكل بأبواب مدينة القدس من يفتش الخارجين منها ويأخذ ما يوجد معهم من فضة وذهب . ووكل كذلك من يفتش الجنائز ويصادر ما يحتال أهل الاموات على اخراجه فى توابيتها من أموال . وتسكن بذلك من جمع مالم يجمعه ملك قبله .

ومما ذكره يوسيفوس عنه أنه غزا جميع الامم الذين عصوا على اليهود خالفوهم فردهم عنفا واقتسارا وألزمهم بحمل الخراج اليه ، والعبارة غامضة مطاطة . ولكن المرجح ان صح ذلك فيكون المقصود بذلك أمم فلسطين الاخرى لان الدولة المكابية كانت راضخة لسيادة روما مع سائر بلاد الشام وليس من المعقول ان يكون للدولة المكابية سيادة او خراج على غير فلسطين . وكان هذا هو شأنها فى معظم حقبتها السابقة .

ومما وصفه يوسيفوس به أنه كان ملكا مهابا مظفرا وأنه كان متواثقا مع الفريسيين . وانه أخرج الاموال الجزيلة فى سنة جدب وقحط وجلب المؤن من مختلف الانحاء وأجرى على الشيوخ

واليتامى والأرامل والعميان والمرضى والمنقطعين من الخبز ما يكفيهم فألهج بذلك الالسن بشكره وقوى اعتباره وحكمه ، وانه هدم المعبد الذى بناه العائدون من السبى وجدد البناء على الاسس والحدود والهيئة التى كانت له فى زمن سليمان وأنفق على ذلك طائل الاموال واستغرق العمل فيه بضع سنين وأن السماء فى أيام الشتاء كانت تمطر مطرها فى القدس فى الليل دون النهار خلال هذه السنين حتى لا يتعطل العمل مما هو من نسج الخيال والذكريات ، وانه بنى فى أورشليم بناية حسنة وصور فيها جميع الملوك الذين غلبهم وقهرهم واتخذ ميدانا جعل فيه عجلات تجرها الخيل للمسابقة وجمع فيها أنواعا كثيرة من السباع والوحوش وكان يأمر بالقاء الناس لهم لتفترسهم بحضرته .. وقد سرد يوسيفوس فى سياق طويل كيف احتال هيرودوس على هركانوس الذى كان أخذه معه ملك الفرس أسيرا والذى كان أطلق سراحه وأقام بين يهود العراق مستريحا مكرما فأحضره الى القدس ثم قتله ليأمن شره . وكان هذا بعد أن حضر قد اتصل بملك العرب ـ ملك الانباط ـ بقصد الالتجاء اليه حينما ساورته المخاوف فاتخذ هيرودوس ذلك ذريعة الى قتله . ثم ذكر يوسيفوس فى سياق طويل كذلك أن هيرودوس حول رئاسة الكهان عن بيت حشمناى حتى لا يبقى لهم رئاسة ما ضمانا لملكه وعين لها رجلا من عوام الكهنة ، وأن هذا وذاك قد أثارا

غضب اسكندرة زوجة هركانوس وابنتها مريم زوجة هيرودوس وابنها آرسطوبولوس ، وأن اسكندرة شـــكت هيرودوس الى كليوباطرة ملكة مصر وأنطونيو القائد الرومانى وطلبت منهمـا التدخل لتعيين ابنها للكهانة . وأن هيرودوس خاف من منافسة هذا بعد أن عينه مضطرا للكهانة نتيجة لذلك التدخل فاحتال عليه وقتله غرقا ثم قتل بعد ذلك اسكندرة وزوجته مريم ابنتها بأسلوب قاس بعد أن أذاقهما العذاب والهوان ، ثم قتل زوجى أختـــه لاشتراكهما فى المؤامرات ضده واحدا بعـد الآخر وكان الثانى واليا فى بلاد أدوم وتستر على عدد من آبنـــاء أسرة حشمناى وأنصارها . ثم قتل ولديه اسكندر وأرسطوبولوس ابنى مريم بنت هركانوس بدسيسة من ابن آخر له من أدوميـــة اسـمها أنتيبطراس حتى يخلو له الجو ، ثم قتل هذا الولد حينمـا عرف دسيسته . وانه اعتل بعد ذلك بعلة شديدة تقرح بهـا جســده وصار يتمنى الموت حتى انه حاول أن يقتل نفســه ثم هلك على أبشع صورة من المرض والتقرح .

ومع أن من المحتمل أن يكون السياق قد شيب بالخيال فان ذلك لا يمنع أن يكون وقع دسائس ومكائد ووشايات وحركات فى أواخر عهد هوميروس أدت الى مآس من نوع ما جاءفيه مما تكررت صوره من اليهود ضد بعضهم فى هذه الحقبة وقبلها .

ومما ذكره يوسيفوس من أحداث هيرودوس ما نشب بينه

وبين كليوباطرة من عداء وتشاد بتأثير شكايات اسكندرة . ولقد طلبت من أنطونيو قتله لانه غدر بهركانوس وزوجته وأولادها رغم ما كان من رعايتها لهم فوعد بالاحتيال على ذلك .

وكان متواثقا مع هيرودوس فطلب منه الزحف على العرب الذين أعلنوا العصيان والتمرد ، وأرسلت كليوباطرة كتيبة لتشد عضده فى حربه مع العرب فى الظاهر وتخامر عليه وتبطش به فى الحقيقة .

وقد نفذت الكتيبة المؤامرة فأدت مخامرتها الى هزيمة جيش هيرودوس وقتل الالوف من اليهود غير أن هيرودوس تمكن من النجاة والعودة الى القدس .

ويستطرد يوسيفوس فيقول ان هيرودوس جمع زعماء اليهود وأخذ يحرضهم على العرب ويخوفهم من عاقبة الهزيمة وتفاقم خطرهم فاستجابوا اليه فجند جيشا كبيرا وزحف به ونشبت المعارك بينه وبينهم وانتصر عليهم المرة بعد المرة وتمكن فى النهاية من استباحة ديارهم وأموالهم وتدمير مواطنهم فذلوا وطلبوا منه الامان فأمنهم ووافقهم على مال يحملونه اليه كل سنة ولم تخالفه العرب بعد ذلك . ولا ندرى أى العرب يقصد يوسيفوس بهذا الخبر ! فان دولة الانباط العربية هى التى كانت قائمة يشمل سلطانها العرب فى شرق الاردن وحوران .

وكانت هى ودولة هيرودوس فى هذه الآونة تحت سيادة روما • وكانت قوية نوعا ما فى نطاق استقلالها الذاتى حتى أن هركانوس طلب أن يلتجىء اليها فى عهد هيرودوس نفسه كما أن بعض الامراء المكابيين قبله كانوا يطلبون مساعدتها على بعضهم فى سياق التنافس الذى نشب بينهم على ما مر ذكره • ولم يذكر المؤرخون أنهاذلت لهيرودوس وغير هيرودوس من المكابيين فكل ما يمكن أن يكون ان صحت أخبار حروب هيرودوس مع العرب أن هذه الحروب كانت بينه وبين بعض قبائل عربية كانت تقيم فى حدود الدولة اليهودية من الشرق أو الجنوب •

ومما ذكره يوسيفوس كذلك من سيرة هيرودوس أن أوغسطوس بعد أن انتصر على أنطونيو الذى ثار غضبه عليه لاهماله مهمته واستغراقه فى عشق كليوباطرة .استدعى هيرودوس فحمل اليه هدايا كثيرة ولكن اوغسطوس كان يعرف شدة تواثقه مع أنطونيو فرفض مقابلته الا بعد أن ينزع من رأسه التاج ففعل ثم دخل عليه وقال له :

اذا كنت سخطت على من أجل محبتى لانطونيوس فان ذلك كان وفاء له لقاء مساعداته لى • وأنا وفى يوفى معى محب لمن يحسن الى • فأعجب أوغسطوس بعقله وكلامه وأمر برد تاجه اليه وطيب خاطره وقال له نحسن اليك لما تقدم من طاعتك لدولتنا وخدمتك لها ومحاربتك اعداءها •

ولقد تولى العرش بعده ابنه ارخلاوس وأمه أدومية ـ عربية فدفن أباه فى قصره باحتفـــال عظيم وأجلســه على عرش من ذهب بستور من الديباج الثمين ووضع على رأسه تاجا من ذهب وفى يده قضيبا على صورته وغمره بالاطياب الثمينة وسار جمهور اليهود من زعماء وكهان وعوام فى جنازته لاستمرار شـعورهم بالهيبة والرهبة منه (وهذه عبارة يوسيفوس)

على أن الناس لم يلبثوا ، كما يقول يوسيفوس ، أن أخذوا يطلقون ألسنتهم بذمه وذكر أفعاله الذميمة وأخذوا يظهـرون المناوأة والعصيان لابنه خشية من سيرته فيهم سيرة أبيه. وقابلهم أرخلاوس بالقمع والشدة وقتل كثيرا منهم فذهب فريق منـهم الى روما يشكونه الى أوغسطوس ويطلبون عـدم الاعتـراف بملكه وتعيين وال من قبله . وسارع أرخلاوس هو الآخر الى روما فتمكن من احباط شكوى الشاكين والحصول على تثبيتـه مما ينطوى فيه أن الدولة اليهودية غدت تابعة هزيلة لروما لم يكن يبقى لها من الكيان الا الصورة .

ولقد استمر على اساءة السيرة فى الناس واستمر الناس على الشكوى منه مما جعل اوغسطوس يرسل من يقبض عليه ويقيده ويأتى به الى روما حيث سجن ومات فيها بعد أن حـــكم سبع سنين .

وملك القيصر مكانه أخاه أنطيفوس وساد هيرودوس الثانى وكان هذا على ما يقول يوسيفوس شرا من أخيه وأقبح فعالا ، وكان مسرفا فى النساء والمعاصى حتى انه اغتصب زوجة أخ له اسمه هيروديا . فلما أنكر علماء اليهود عليه فعلته قتل كثيرا منهم ومن جملتهم يوحنا بن زكريا الحبر الاعظم والكاهن الاكبر الذى عرف عند النصارى باسم يوحنا المعمدان (وعند المسلمين باسم يحيى (١) .

ولقد أشار يوسيفوس فى سياق خبر قتل يوحنا اشارة خاطفة الى المسيح ، فقال :

وكان فى هذا الوقت رجل حكم اسمه يسوع صانع عجائب كثيرة ومعلما للذين أرادوا أن يتعلموا الحق ، وكان له تلاميذ كثيرون من اليهود والامم وهو المسيح الذى اشتكى عليه رؤساؤنا وأكابر أمتنا وسلمه بيلاطس النبطى للصلب .

ومما ذكره يوسيفوس أن أوغوسطوس مات فى زمن هيرودوس الثانى وأن طيباريوس تولى سلطان روما بعده (١٤ —

---

(١) فى الاصحاح الرابع عشر من انجيل متى ان يوحنا قال له لا يحل ان تكون لك فأخذه واوثقه والقاه فى السجن . فلما كان عيد مولد هيرودوس رقصت ابنة هيروديا فأعجب بها هيرودوس واقسم لها ان يعطيها ما تطلبه فأمرتها أمها ان يعطيها فى المكان الذى هى فيه راس يوحنا المعمدان فى طبق فحزن الملك ولكن من اجل اليمين والمتكئين معه امر ان تعطاه وارسل فقطع رأس يوحنا فى السجن واتى به فى طبق ودفع الى الصبية وهذه اتت به الى امها .

٢٩ ب٠م) وكان رجلا قبيح السيرة ، وقد أمر الناس بالسجود لصورته وبعث بقائد له من بلد النبطس يسمى ببلاطس ومعه تمثال للملك ــ قال يوسيفوس عنه صنم صورة ــ الى أورشليم ليأمر الناس بالسجود له فامتنع اليهود فقتل منهم جماعة كبيرة • وأرسل طيباريوس بمن قبض على هيرودوس ثم نفاه الى أسبانيا ليأمر الناس بالسجود له فامتنع اليهود فقتل منهم جماعة كثيرين • حيث مات منفيا بعد حكم امتد ٢١ سنة •

وملك بعده على اليهود ابن اخته أغريباس • وفى عهد هذا الملك تولى نيرون (٥٤ ــ ٦٨ ب٠م) الذى أصدر آوامره بتسميته الها وانشاء المذابح وتقريب القرابين باسمه ويقول يوسيفوس ان اليهود امتنعوا عن تنفيذ الاوامر واستعدوا للمقاومة وأرسلوا وفدا يلتمس اعفاءهم منها فغضب نيرون على الوفد فابتهل الوفد الى الله وصام وسأله صرف بلية نيرون فلم يلبث العسكر بعد ثلاثة أيام أن شغبوا على نيرون وهجسوا عليه وقطعوه بالسيوف وألقوه للكلاب •

ولما مات أغريبا الذى كان يصفه يوسيفوس بأنه كان حسن السيرة محمود الطريقة مكرما عند قيصر بعد حكم امتد ٢٣ سنة ملك بعده ابنه الذى كان اسمه على اسم أبيه • وكان آخر ملوك اليهود •

وفى أيامه كان الجلاء وخراب أورشليم وتشتتت الامة وكثر القتل والحروب فى جميع البلدان اليهودية وكثر المتغلبون والخوارج وزاد الشر وكثر الفسق والغش والظلم والقتل وأخذ أموال الناس وانقطاع السبل وانبساط يد الاشرار ، وكثر الباطل وخفى الحق .

ولم يستقم لاغريباس ولا لرعيته حال وكثرت العداوات بين اليهود وبعض بعضهم بعضا بغير سبب . وكان كل من مقت صاحبه قتله . وكثر القتل وهان على الناس سفك الدماء وكثر الاشرار فى أورشليم وكان قوم منهم يحملون سكاكين صغيرة ذات حدين ، ومن أراد أن يقتل رجلا أعطى هؤلاء الاشرار مالا وسلطه على خصمه فيمضى ويلاصق الرجل ثم يضربه بالسكين فيسقط ميتا ويختلط بالناس فلا يعرف القاتل وكثر هذا حتى سمى بالموت الاعمى وهلك فيه كثير من الناس وخرج كثير من سكان أورشليم بأموالهم وأولادهم فمضى الاشرار الى فيلكس صاحب الروم فأخبروه بذلك وقالوا له انما يريدون الخروج بقصد العصيان فوجه أصحابه فقتلوا أكثرهم وأسروا من بقى منهم .

وهذا كلام يوسيفوس وفيه دلالة على ما وصلت اليه حالة اليهود ودولتهم من فساد وهوان وفوضى عجيبة .

ولقد أخذ يوسيفوس بعد هذا الوصف يسرد أحداثا متنوعة

فى سياقات طويلة اختلطت فيها الحقائق مع الخيال وأدت الى تدمير الدولة اليهودية والقضاء على الكيان اليهودى •

وواضح أن هذا ليس جديدا من حيث جوهره وبقطع النظر عن تنوع الصور • فقد كان فى عهد القضاة ثم كان فى عهد دولتى يهوذا واسرائيل ، ولا سيما فى أواخر أيامهما ، وكان موضوع تعقيب قوى فى الاصحاح الثانى من سفر القضاة والاصحاح السابع عشر من سفر الملوك الثانى ـ الرابع على ما أوردناه قبل •

وقبل أن ننتقل الى ذكر الاحداث التى سردها يوسيفوس وأدت الى تلك النهاية الرهيبة نريد أن نذكر أولا ما رأيناه جديرا بالنقل عن الدبس من خلاف مهم وزيادة ونقص بالنسبة لما ذكره يوسيفوس فى صدد سيرة هيرودوس وخلفائه • ونريد ثانيا أن نعقد فصلا خاصا عن ظهور المسيح وسيرته ، لان هذا وذاك مما يتصل بالحقبة التى سبقت تلك الاحداث • وبذلك يتسق تسلسل الكلام •

- ٢٥ -

فبالنسبة للنقطة الاولى تقول ان الدبس(١) يذكر أن هيرودوس

---

(١) الجزء الثانى المجلد الثالث من تاريخ سورية ص ١٧٧ وما بعدها •

الاول ــ الكبير ــ وصى بولاية اليهودية والسامرة لابنه ارخلاوس وبولاية الجليل لابنه هيرودوس آنتيباس ــ الذى سماه يوسيفوس أنتيقوس وهيرودوس الثانى ــ وبولاية اللجا والجولان لابنه فيلبس ويدخل مدن يمنه وأشدود وفازاليس لاخته صالومى ، وعلق تنفيذ الوصية على مشيئة أوغوسطوس حيث يدل هذا على انه قسم مملكته ولم يجعل ارخلاوس ملكا عليها جميعها . وان أرخلاوس حاول أن يكسب الشعب فوعده بالتخفيف عنه والسير حسب رغباته والقيام بالاصلاحات التى يريدها بعد تثبيت أوغسطوس للوصاية فأبى الشعب الا التنفيذ حالا وتألب عليه فكان ما حكاه يوسيفوس من القمع والشدة ، وأنه ذهب بعد ذلك هو واخوته الى روما لسماع مشيئة أوغسطوس فى وصية أبيهم ، فنشبت فى غيابهم مناوشات بين اليهود والحامية الرومانية ونهب الرومان الهيكل ودنسوه وأحرقوا أوراقه ، وهاج اليهود وماجوا وحاصروا الحامية فاستنجدت بوالى سورية وبملك العرب الحارث ــ ملك الانباط ــ فجاءت النجدات من الناحيتين ونكلت باليهود وشنقت ألفين من أسراهم فوق الصلبان وبذلك ذلوا وسكنت نأمتهم ، وان أوغسطوس ثبت وصية هيرودوس بقسمه مملكته بين أولاده دون أن يسمى ارخلاوس أو غيره ملكا بل سماهم ولاة .

وان الشكايات توالت من اليهود ضد أرخلاوس خاصة مما

جعله يأمر الحامية بارساله الى روما حيث نفاه الى فرنسا ومات فى منفاه . وانه ألحق بعد نفيه اليهودية وما يليها بولاية سورية ومضى الامر على ذلك مع اقامة نواب وولاة على اليهودية والمناطق الاخرى تحت امرة ولاة سورية . ويتناقض هذا كما هو المتبادر مع ما ذكره يوسيفوس من تملك ارخلاوس على مملكة هيرودوس ومن بعده أنتيفوس أو هيرودوس الثانى وأغريبا الاول وأغريبا الثانى .

ولقد ذكر الاصحاح الثالث من انجيل لوقا انه كان فى السنة الخامسة من ملك طيباريوس قيصر ، على اليهودية وال اسمه بيلاطس النبطى وعلى الجليل هيرودوس بلقب رئيس ربع ـ وعلى الارجح هو هيرودوس الثانى ـ وعلى ايطورية وبلاد تراكونيتس اخوه فيلبس بلقب رئيس ربع أيضا ، مما يتطابق مع ما ذكره الدبس .

ولقد ذكر الدبس قصة اغتصاب هيرودوس ـ الثانى ـ رأس يوحنا بناء على طلب هيروديتا وابنتها ونفيه الى اسبانيه وقال انه اذدرى بآلام المسيح وألبسه ثوبا قرمزيا .

وهذا القول يكاد يوهم أن هيرودوس كان هو الحاكم فى أورشليم حينما تألب اليهود على المسيح وطلبوا صلبه ، الا أن الاصحاح الثالث والاصحاح الثالث والعشرين من انجيل لوقا قد ذكرا ذلك وقالا أنه كان رئيس الربع فى الجليل وانه حينما

تألب اليهود على المسيح كان فى أورشليم كزائر فأرسله بيلاطس اليه لانه عرف أنه من أيالته ، حيث يرجح هذا السياق رواية الدبس على رواية يوسيفوس .

ومما ذكره الدبس أن أغريبا صار واليا على الجيدور واللجا وحوران بعد وفاة فيلبس (وهذه البلاد سميت فى انجيل لوقا باسم ايطورية وبلاد تراكونيتس)

وان نطاق ولايته وسع فى عهد القيصر غايوس (٣٩ ـ ٥٤ ب.م) حتى شمل الجليل وعبر الاردن وبيروت ثم اليهودية أخيرا بعد سحب بيلاطس منها وأنه لقب بلقب الملك ، وان أغريبا الثانى ابنه قد خلفه على هذه المملكة التى فاقت سعة رقعتها سعة رقعة مملكة جدهما هيرودوس الاول .

وقد اعتنى أغريبا ببيروت وقيصرية عناية كبيرة فأقام فيها الملاعب والمشاهد والحمامات .

ومما ذكره من أحداث عهده أنه عزل الكاهن الاكبر يوسف الذى كان من الفريسيين وعين مكانه حنان بن حنان الذى كان من الصدوقيين ، وأن هذا جمع مجمعا قضى فيه بالرجم على السنن فأرسلوا فريقا من أولى التقوى والمحبة الحقيقية رسولا الى أغريبا يسألونه ردع حنان عن تجنيه كما أرسلوا مثل ذلك الى الوالى الرومانى فأدت الشكوى الى عزل الكاهن الجديد

وتدل شكوى اليهود الى الوالى الرومانى على أن هــذا الوالى الذى كان يلقب بوالى سورية كان يشرف على اليهودية التى كان يقوم على رأسها أغريبا ثم ابنه من بعده .

ومما ذكره الدبس وفيه تأييد لذلك أن النزاع كثر بين والى الرومان فى سورية وبين أغريبا ملك اليهودية فى عهد القيصر كلود (٤١ ــ ٥١ ب.م) فالتمس أغريبا من القيصر تبديله فبدله . بل ان الدبس روى فضــلا عن ذلك أســماء ولاة رومانيين كانوا يتولون اليهودية فى زمن القياصرة غايوس (٣٧ ــ ٤١) وكلود (٤١ ــ ٥١) ونيرون (٥١ ــ ٦٨ ب.م) فى الوقت الذى كان يتولى ملك اليهودية اغريبا الاول فالثانى كنواب لولاة سورية ، حيث يدل على هذا أن ملك الملكين اليهوديين عزل حتى غــــدا اسما بدون مسمى .

وفى تاريخ الدبس أشياء لم ترد فى كتاب يوسيفــوس الذى تحت يدنا عن أحداث اليهود فى عهد الولاة الرومانيــين غير ما أوردناه آنفا .

فمن ذلك (١) أن بيلاطس الوالى كان يمضى فى قيصرية فصل الشتاء ــ ويقوم مكانها اليوم قرية قيسارية القريبة من حيفـــا ومن البحر ــ بعد حادث المسيح فأرسل جنوده الى أورشــليم

---

(١) الجزء الثانى المجلد الثالث من تاريخ سورية ص ٢٢٠ وما بعدها .

وعلى أعلامهم صورة العاهل طيباريوس (١٤ ــ ٣٧ ب٠م) فاستاء اليهود وأسرع جم غفير اليه يطلبون اخراج تلك الصور من أورشليم لانها مخالفة لسننهم وقال لهم ان فى اخراجها اهانة للملك فلم يكفوا عن الحاحهم فهددهم بالقتل فانطرحوا على الارض وكشفوا عن أعناقهم قائلين أولى أن نموت من أن نخالف سنتنا مما جعله يعجب من شدتهم ويتراجع ويسحب الاعلام ٠

ومن ذلك أنه أراد أن يأخذ مالا من خزانة الهيكل لجر الماء الى أورشليم من منبع يبعد مئتى غلوة عن القدس فهاج اليهود وماجوا وجاءوا اليه محتجين وأسمعه بعضهم ما يهينه فأمر بضربهم فقتل جنوده كثيرا وجرحوا كثيرا دون تفريق بين ثائر وغير ثائر ٠

ومن ذلك أن غايوس قيصر (٣٩ــ٥٤ ب٠م) أمر واليه فى سورية بارغام اليهود على وضع تمثاله فى هيكلهم فجاء الى عكا بجيش كثيف لهذه الغاية ٠ ولكن اليهود رفضوا الاقتراح فدعا الوالى رؤساءهم الى طبريا وبين لهم غوائل رفضهم فلم يذعنوا فكتب للقيصر بذلك وكتب اليه اغريبا رسالة رقيقة يلتمس فيها العذر لليهود والعفو عنهم فهدأت ثورة غضبه ، ثم بلغه ان اليهود حملوا السلاح فغضب على واليه لتساهله معهم ، ولم يلبث القيصر أن مات فوقف الامر عند هذا الحد ٠

ومنها خبر نزاع شديد بين اليهود المقيمين فى الجليل وبين السامريين فى سنة ٥٢ ب٠م فى عهد ولاية والى اليهودية كومانوس أدى الى قتل السامريين جماعة من اليهود فشكا اليهود أمرهم الى الوالى فلم ينصفهم لان السامريين رشوه ، فحمل بعضهم السلاح وهاجموا بعض قرى السامريين فانتهبوها وحرقوها فتعقبهم الوالى وقتل وأسر كثيرا منهم ٠ ثم جاء والى سورية العام الى اللد ليحقق فى الحادث ٠

ومن ذلك ان القيصر كلود عين سنة ٤٦ ب٠م لولاية اليهودية شخصا من مواليد الاسكندرية اسمه طيباريوس وكان من أغنى أهل اسكندرية ، وكان يهوديا فارتد عن ديانته ودان بدين الرومان ، وأنه حصل فى عهده مجاعة شديدة فهاج اليهود حتى كاد ينقلب هياجهم الى ثورة فقبض الوالى على المهيجين وقتلهم فوقف الهياج ٠

ومن ذلك حدوث نزاع بين اليهود المقيمين فى عبر الاردنوبين أهل فيلادلفيا (عمان) فى عهد والى اليهودية فاروس سنة ٤٤ فوثب اليهود على أهل المدينة وقتلوا كثيرين منهم ٠

ومما يخطر بالبال ان انتصار اليهود على المسيح فى هذه الحقبة قد اثار فيهم اعتدادا وحيوية فى مجال احياء الشرائع الموسوية فدفعهم ذلك الى هذه المواقف وغيرها من المواقف المماثلة ٠

ومن ذلك أن جنديا رومانيا من حراس باب الهيكل فى زمن والى اليهودية كومانوس الذى مر ذكره كشف عن عورته على مرأى من الشعب فى أيام عيد الفطر فاستاء اليهود وعدوا ذلك اهانة لهم ولله وأخذوا يندون بالوالى ويقولون ان الجندى لم يفعل فعله الا بأمره مما أثار حنق الوالى وجعله يهيىء الجنود للوثوب عليهم فتهافتوا الى الفرار وازدحموا فى الازقة حتى مات كثيرمنهم وانقطع الناس عن الصلوات وتقدمة الذبائح وانقلب فرحهم بالعيد نواحا . وأن هذا الوالى ارسل الجند الى القرى المجاورة ليرهبوا اليهود ويرسلوا اليه وجوههم فعثر احدهم على أسفار موسى فمزقها على مرأى الجمهور وأكثر الشتائم للسنة والامة فهاج اليهود وماجوا وذهب جمع غفير منهم الى الوالى وكان فى قيصرية وطلبوا التنكيل بالجندى فجنح الى مسايرتهم .

ومن ذلك ان اليهودية ألحقت سنة ٥٢ بولاية السامرة والجليل ، وكان الوالى فيلكس فى عهد القيصر كلود وأن اليهودية فى أيامه كانت فى أسوأ حال حيث كثر اللصوص والمكارون وكان منهم رجل اسمه العازار صحبه قوم على شاكلته . فاستدعاه الوالى واعتقله ونفاه الى روما .

وقد كان بولس الرسول احد الحواريين ينشط فى التبشير برسالة المسيح فى عهد هذا الوالى فشكاه خينيا رئيس الكهنة اليه وكان هو فى قيصرية فأمر قائد الحامية فى أورشليم بالقبض

على بولس وارساله مقيدا حيث نفى مدة ثم أرسل أسيرا مقيدا الى روما من طرف وال آخر اسمه فستس جاء خلفا لكومانوس .

ومن ذلك أن واليا اسمه اليبن عينه نيرون على اليهودية سنة ٦١ فلم يدع شرا الا وصنعه وكان يتجر بحقوق العباد ويغتصب أموالهم وكان يرتشى من المسجونين ويطلق سراحهم ولا يعد مجرما الا من لم يدفع له . وتزلف اليه الاغنياء بهداياهم وسر به المشاغبون لان تصرفه أفسح المجال لثورتهم (والعبارة من الدبس) وقد أثقل على اليهودية بضرائب جديدة ، ولما استدعاه نيرون الى روما سنة ٦٤ فتح كل السجون فملأاليهودية باللصوص والقتلة . وقد خلفه على الولاية وال اسمه فلورس فأنسى بجوره كل المظالم التى كانت فى أيام أسلافه فاتقدت بسبب ذلك نار الحرب بين اليهود والرومانيين .

ولقد ذكر الدبس سلسلة من مظالم هذا الوالى فى الفصل الذى عقده على أحداث هذه الحرب وأسبابها فقال فيما قال [1] انه كان جائرا وانه كان يبذل مجهوده للاغتناء فينهب القرى والمدن حتى ارغم كثيرا من الاغنياء على الهجرة ، وانه كان يحابى الوثنيين فى قيصرية على اليهود ويثير بينهم الخلاف الذى كان يؤدى الى الاقتتال . ولقد ارسل يطلب من خزينة هيكل اورشليم مبلغا جسيما من

---

(١) تاريخ سورية ج ٢ ص ٣٢٨ .

المـال بحجة صرفه فى حاجات للملك فهـاج اليهود وأخـذوا يصبون عليه اللعنات والشتائم . وكان قتال ناشب فى هذه الآونة بين اليهود والوثنين فى قيصرية وبدلا من ان يخمد جذوته تركه يزداد التهابا وجاء على رأس رجاله الى أورشليم للانتقام مـن المعارضين واستدعى الوجهاء والكهان وطلب منهم تسليمه كل من شتمه فحاول هؤلاء تهدئة غضبه فأخفقوا وأمر جنوده أن ينهبوا كل ما يجدونه فى السوق ويقتلوا كل من يعترضهم حتى بلـغ عدد القتلى ثلاثة آلاف وستمائة . وقبضوا على بعض الوجـوه وجلدوهم وصلبوهم وتوسلت برنيكه أخت الملك أغريبا اليـه بالكف عن سفك الدماء فلم يلتفت اليها وخرجت بنفسها اليـه فكادوا ان يقتلوها . وطلب من يهود أورشـليم أن يخرجوا لاستقبال كتيبة من الجنود آتية من قيصريـة ليبرهنـوا على اخلاصهم له فيكف عنهم فأجابوه الى ذلك وخرجوا فحيـوا الكتيبة فلم تجبهم فتذمروا فما كان من الجنـود الا أن انهالوا عليهم بالضرب باشارة منه فانهزموا فتبعهم الفرسان وداسـت خيولهم كثيرين ومات كثيرون فكان ذلك من أسـباب الثورة المباشرة .

هذا ، وهناك بعض أحداث يهودية وقعت فى مصر فى زمـن الحكم الرومانى وقبل الحرب اليهودية الرومانية ذكرها شارويم

مؤلف تاريخ مصر الموسوم بالكافى (١) ، رأينا من المفيد الاشارة اليها توفية للكلام فنقول انه كان فى الاسكندرية جماعات كبيرة من اليهود معظمهم نزحوا أثناء النشاد بين السلوقيين والبطالسة وفرارا من اضطهاد السلوقيين على ما ذكرناه قبل فكانوا يصطدمون من حين لآخر مع اليونانيين تارة ومع المصريين تارة وتتسع بينهم الاشتباكات الدموية • وكانوا يقسون فى خصومهم حينما يظفرون بهم كما كانوا يتعرضون للتنكيل الشديد من السلطات الرومانية •

ولقد كان هذا منذ عهد مبكر من الحكم الرومانى فى عهد طيباريوس ١٤ ــ ٣٩ ب•م وكانت ثورة يهودية ضد السلطات الرومانية حتى أن اليهود قتلوا نائب القيصر • وفى عهد كلود ٤١ ــ ٥٤ ب•م ثارت الفتنة بين اليهود وأهل الاسكندرية فاقتتلوا قتالا شديدا فبادر القيصر الى التهدئة ثم سمح لليهود بانتخاب نقيب يقضى بينهم حسب رسومهم وأحكامهم • وفى عهد نيرون ٥٤ ــ ٦٨ ثارت الفتنة ثانية بينهم وبين أهل الاسكندرية من مصريين ويونانيين وامتدت أمدا غير قصير • وقد مثل اليهود بضحاياهم بقسوة مما جعل الامبراطور يأتى بنفسه الى مصر ويضربهم ضربة قاصمة • وقد نقلنا عن الدبس فى السياق السابق

---

(١) ج ١ ص ٢٤٠ وما بعدها •

خبر هذه الفتنة ، وكان الذى ضربهم حسب روايته اسكندر طيباريوس الوالى المرتد عن اليهودية •

وليست هذه الاحداث كل ما سجله التاريخ من آحداث اليهود فى مصر فقد سجل لهم أحداثا مماثلة بعد تدمير أورشليم ايضا مما سوف نذكره بعد نهاية الكلام عن هذا التدمير •

- ٢٦ -

والآن نأتى الى سيرة المسيح التى أشار اليها يوسيفوس اشارة عابرة • وهى من أهم الاحداث التى جرت فى هذه الحقبة كما هى من أهم احداث التاريخ الانسانى ، وهى متصلة فى الوقت ذاته اتصالا وثيقا بتاريخ بنى اسرائيل لانه منهم (١) وفى سيرته صور كثيرة من أحوالهم واخلاقهم •

واسم المسيح « يسوع » وكلمة المسيح وصف كان يطلق على ملوك بنى اسرائيل الذين كان يمسحهم الانبياء بالدهن بأمر الله ليتولوا ملك بنى اسرائيل • وقد وصف يسوع به وغدا علما عليه او اسما ثانيا له لانه قيل عنه انه ملك اليهود الممسوح من الله من قبيل الاستهزاء •

(١) وهم اول المخاطبون بدعوته .

وسيرة المسيح مستقاة من الاناجيل التى مفردها انجيل، وهى كلمة يونانية معناها الكرازة او البشارة او الدعوة . والاناجيل عديدة واشهرها والمعترف بها اربعة وهى أناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا بالتوالى حسب ترتيبها فى المجموعة التى عرفت بالعهد الجديد والتى تضم بالاضافة اليها ثلاثة وعشرين سفرا تحتوى اعمال الرسل ورسائل بولس ويعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا القديسين ورؤيا القديس يوحنا .

والأناجيل هى بمثابة ترجمة لحياة المسيح كتبها كتابها بعده، ومنهم من استقى ما كتبه من شهود عيان على ما يفيده بعضها (١) ويرجح كثير من الباحثين انها كتبت خلال القرن الميلادى الاول، ولقد قيلت أقوال كثيرة فى صددها . والخلاف يدور حول زمن كتابتها ورواتها وأحداثها وشهودها العيان . وعلى كل حال فليس هناك من ينكر قدم كتابتها وكون ذلك يرتقى الى القرن الميلادى الثانى (٢) .

والمسيح او يسوع من حيث نسب أمه وزوجها يوسف الذى لم يمسها لانه ولد بمعجزة ربانية وهى عذراء لم تمس ، هو من

---

(١) الاصحاح الاول من انجيل لوقا يبتدىء بهذه الجملة «اذ كان كثيرون قد اخذوا فى ترتيب قصة الامور المتيقنة عندنا كما سلمها الينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة رايت انا ايضا بعد ان ادركت جميع الاشياء من الاول بتدقيق ان اكتبها لك بحسب ترتيبها ايها العزيز ثاوفيلس» والعبارة تفيد تعدد الذين كتبوا القصة التى يراد بها على ما هو المتبادر قصة السيد المسيح .

(٢) اقرا بحثا مطولا فى الجزء الثانى من تاريخ سورية للدبس ص ٢٧٩–٢٩٠ .

ذرية داود وقد ولد فى بيت لحم فى زمن الملك هيرودوس الكبير على ما جاء فى الاصحاحين الاول والثانى من انجيل متى . وقد ذكر هذا الانجيل فى اصحاحه الثانى ان أمه وزوجها أخذاه الى مصر بوحى الله فرارا من هيرودوس ثم عادا بعد موت هـذا الملك فى سياق قد لا يخلو من الخيال وسكنا الناصرة ، كما ذكر فى اصحاحه الثالث انه لما بلغ اشده سكن كفر ناحوم من اعمال الجليل . ثم أخذت الاصحاحات التالية تذكر طوافه فى انحاء الجليل وتبشيره برسالته السماوية ودعوته الى الله ونعته اياه أبانا الذى فى السموات وأبى وابيكم والهى والهكم وما فى معنى ذلك . ثم الى المحبة والسلام والرفق بالضعفاء والبر بالفقراء والمساكين والمضطهدين والتنويه بهم والى التسامح والتقوى والتواضع وسائر مكارم الاخلاق الشخصيةوالاجتماعية والنفسية ونهيه عن التكالب على الدنيا والغل والحقد والحسد والكبر والانانية والنفاق وسائر المنكرات والفواحش وتأييده الوصايا والتشريعات التوراتية مع تخفيف من التكاليف والقيود واهتمام للجوهر دون العرض ونعيه على اليهود ورؤساء الدين منهم خاصة ما ارتكبوا فيه من انحرافات وآثام دينية وخلقية وما دأبوا عليه من استغلال الدين والاتجار به لمآربهم بأسلوب حكيم نافذ ممتزج بالموعظة الحسنة والامثال البليغة بحيث كانت رسالته وبشارته معدلة ومصلحة للرسالة الموسوية ومنقية لها مما علق بها

من تشويش وتحريف وانحراف وضيق أفق . وكانت دعوته ورسالته وبشارته لعموم الناس وليست لبنى اسرائيل فقط .

ولقد كان بنو اسرائيل ينتظرون مسيحا مخلصا وأشارت اليه تنبؤات بعض أنبيائهم فى بعض الاسفار ولكنهم كانوا ينتظرون مخلصا لهم خاصة ، يعودون بزعامته الى سيرتهم الاولى القائمة على الاثرة والاستعلاء وفكرة الاختصاص فلما رأوه من جهة يعم رسالته ودعوته حتى تشمل جميع الامم ويهاجم من جهة رؤساءهم ويندد بهم ، ويتساهل فى بعض التقاليد الموسوية تنكروا له وتألبوا عليه واخذوا يناوئونه .

ولقد ذكرت اصحاحات متى فى سياق سيرته وبشاراته ما كان يقع على يديه من المعجزات العديدة المتنوعة التى كان اكثرها فى مجال شفاء المرضى من مصروعين وعميان ومشلولين مما أدى الى ذيوع صيته وتقاطر الناس عليه من كل ناحية واتباع كثير منهم له وملازمة بعضهم له ملازمة تامة وهم اصحابه الاثنى عشر الذين سموا بالحواريين . فبادر الفريسيون والصدوقيون والكهنة الى ازعاجه بتحدياتهم وتنديداتهم فى صدد عدم حفظ السبت ومخالفة الرسوم والطقوس والعبادات والامثال التى تحتمل التأويل فكان يرد عليهم ردودا مفحمة بليغة بأسلوب الموعظة حينا والامثال حينا ويخاطبهم بمثل قوله « يا أولاد الافاعى كيف تقدرون ان تتكلموا بالصالحات وانتم أشرار . انما يتكلم الفم

من فضل ما فى القلب فالرجل الصالح يخرج من كنزه الصالحات والرجل الشرير يخرج من كنزه الشرور» (الاصحاح الثانىعشر). ثم يستمر فى طوافه وتبشيره ودعوته ووعظه واتصالاته بالناس . وقد قص السفر فيما قص (الاصحاح الحادى والعشرون) مجيئه الى أورشليم ودخوله الهيكل واخراجه من كان فيه من البائعين والشارين وقلبه موائد الصيارفة وهتافه بقوله « مكتوب بيتى بيت صلاة يدعى وانتم جعلتسود مغارة للصوص» فسأله الكهنة والشيوخ بأى سلطان تفعل هذا فأجابهم بأمثال فيها غمز لهم وتنديد بهم حتى هموا ان يمسكوه ولكنهم خافوا من الجموع التى كانت تعده نبيا . ولكنهم لم يكفوا عن تعجيزه وازعاجه وتحديه بالاسئلة ومحاولة اظهاره بمظهر للمخالف للشرائع ، فظل يفحمهم بالاجوبة القوية والامثلة البليغة ويستمر فى بشارته . وقد ذكر الاصحاح الثالث والعشرون من انجيل متى وصفه نهم لتلامذته بقوله « ان الكتبة والفريسيين جالسون على كرسى موسى فمهما قالوا لكم فاحفظوه واعملوا به وأما مثل اعمالهم فلا تعملوا لانهم يقولون مالا يفعلون . لانهم يحزمون احمالا ثقيلة شاقة الحمل ويجعلونها على مناكب الناس ولا يريدون ان يحركوها باحدى اصابعهم . كل اعمالهم يصنعونها رياء أمام الناس فيعرضون عصائبهم ويعظمون اهدابهم ويحبون اول المتكئات فى العشاء وصدور المجالس فى المجامع والتحيات فى الاسواق وان

يدعوهم الناس معلمين» كما ذكر الاصحاح نفسه تنديده بهم وقوله لهم « الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تغلقون ملكوت السموات فى وجوه الناس فلا أنتم تدخلون ولا الداخلين تتركونهم يدخلون . الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تأكلون بيوت الارامل بعلة تطويل صلواتكم ومن أجل هذا ستنالكم دينونة أعظم . الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تطوفون البر والبحر لتجلبوا دخيلا واحدا فاذا حصل صيرتموه ابن جهنم ضعف ما انتم عليه . الويل لكم ايها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشىء ومن حلف بذهب الهيكل يطالب ايها الجهال والعميان ما الاعظم الذهب ام الهيكل الذى يقدس الذهب . ومن حلف بالمذبح فليس بشىء ومن حلف بالقربان الذى فوقه يطالب . ايها العميان ما الاعظم القربان ام المذبح الذى يقدس القربان فمن حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه . الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تعشرون النعنع والشبت والكمون وتتركون أثقل ما فى الناموس وهو العدل والرحمة والايمان وكان ينبغى ان تعملوا هذه ولا تتركوا

تلك • ايها القادة العميان الذين يصفون البعوضة ويبلعون الجمل
الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تنقون خارج
الكأس والجام وداخلهما مملوء خطفا ودعارة • ايهـا الفريسى
الاعمى نق أولا داخل الكأس والجام حتى يتطهر خارجهما ايضا •
الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانـكم تشبهون
القبور المجصصة التى ترى للناس من خارجها حسنة وهى من
داخلها مملوءة عظام اموات وكل نجاسة • كذلـك انتم يرى
الناس ظاهركم مثل الصديقين وانتم من داخل ممتلئون رئاء واثماء
الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراءون فانكم تشيدون قبور
الانبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا
لما كنا شاركناهم فى دم الانبياء • فانتم تشهدون على انفسكم
أنكم بنو قتلة الانبياء • فاجمعوا انتم مكيال آبائكم• ايها الحيات
أولاد الافاعى كيف تهربون من دينونة جهنم • من أجل ذلك ها
أنا أرسل اليكم انبياء وحكماء وكتبة فمنهم من تقتلون وتصلبون
ومنهم من تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة لكى
يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الارض من دم هابيل الصديق
الى دم زكريا بن بركيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح • الحق
أقول لكم ان هذا كله سيأتى على هذا الجيل • يا أورشليم يـا
أورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها كم مرة أردت أن

أجمع بينك كما تجمع الدجاجة افراخها تحت جناحها فلم تريدو • هو ذا بيتكم يترك خرابا (١) » •

ولقد زادت تنديداته وردوده ومواقفه وعظاته وذيوع صيته وافتتان الناس به ، وحقدهم عليه وخشيتهم من عواقب حركته فاشتدوا فى مطاردته والتصميم على اهلاكه حتى لقد شعر هو بذلك وألم به الحزن والاكتئاب وقال لتلامذته ليلة اعتقاله كأنما كان حس ما قبل الوقوع « ان نفسى حزينة حتى الموت » ثم هتف وهو يصلى « يا ابت ان كان يستطاع فلتعبر عن هذه الكأس » • ولقد تآمروا مع السلطات وجعلوها ترسل شرطة للقبض عليه ورشوا يهوذا أحد تلامذته الاثنى عشر ليخونه ويدل الشرطى عليه بعلامة اتفق عليها وهى عناقه وتقبيله ومن ثم سيق الى قيافا رئيس الكهنة الذى جمع مجمعا من الكتبة والشيوخ لمحاكمته مبيتين النية على الحكم عليه بالموت على ما ذكره الاصحاح السادس والعشرون الذى ذكر ايضا فى سياق شيب بالخيال أن اجلمع اخذ يبحث عن يشهد عليه بشهادة تساعد على قتله ، وأنه تقدم شهود قالوا انه قال انى أقدر أن أنقض هيكل الله وأبنيه فى ثلاثة أيام فسأله رئيس الكهنة عما يقوله فى

(١) العبارة عبارة النسخة الكاثوليكية المطبوعة فى المطبعة الكاثوليكية فى بيروت سنة ١٩٥١ وقد نقلنا النبذة بطولها لان فيها صورة قوية لما كان عليه رؤساء اليهود من انحراف وسوء سيرة فى هذه الحقبة متسقة مع ما كان عليه اباؤهم فى معظم الحقب •

الشهادة فلم يجب فأقسم ان يقول هل هو المسيح بن الله فقال له أنت قلت • ثم قال لهم انكم من الآن ترون ابن البشر جالسا على يمين القدرة وآتيا على سحاب السماء • فلم يكد الرئيس يسمع هذا الكلام حتى شق ثيابه وقال لقد جدف فما حاجتنا الى شهود وسأل المجمع رأيهم فقالوا انه استوجب الموت • وحينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه ولطموه قائلين تنبأ لنا ايها المسيح من الذى ضربك • ثم أوثقوه ومضوا به الى الوالى بيلاطس النبطى على ما ذكره الاصحاح السابع والعشرون الذى ذكر ايضا أن الوالى سأله أأنت ملك اليهود فقال له انت قلت ، وأن رؤساء الكهنة والشيوخ أخذوا يشكونه فسأله الوالى عما يقول فى شكواهم فلم يجبه ، وانه كان من عادة الوالى ان يطلق لبنى اسرائيل فى العيد الاسير الذى يطلبون اطلاقه وكانت اليوم يوم عيد الفصح ، وكان عنده أسير مشهور يدعى أبرأبا فسألهم من تريدون أن أطلقه ابرأبا أم يسوع فأقنع رؤساء الكهنة والشيوخ الشعب بطلب اطلاق ابرأبا واهلاك يسوع فطلبوا من الوالى ذلك فسألهم وماذا أفعل بيسوع الذى يقال له المسيح فقالوا يصلب فسألهم اى شر صنع فازدادوا صياحا وقالوا يصلب فلما رأى ان الكلام غير مفيد وأن البلبال متزايد أخذ ماء غسل به يديه قدام الجميع قائلا انى برىء من دم هذا الصديق فأجابه الشعب دمه

علينا وعلى بنينا . وحينئذ أطلق لهم ابرأبا وجلد يسوع وأسلمه للصلب .

وقد أخذه الجند الى دار الولاية ونزعوا ثيابه وألبسوه رداء قرمزيا وضفروا اكليلا من الشوك وجعلوه على رأسه وجعلوا فى يمينه قصبة ثم جثوا على ركبهم قدامهم وهزأوا به قائلين سلام يا ملك اليهود وكانوا يبصقون عليه ويضربونه بالقصبة . ثم نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به الى الصلب وصلبوه فى مكان يسمى الجلجلة وجعلوا فوق رأسه علقة مكتوبة « هذا يسوع ملك اليهود» وصلبوا معه لصين واحدا عن اليمين وآخر عن الشمال وكان المجتازون به يجدفون عليه حتى كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه فى الجملة مما جعله يصرخ بصوت عظيم قائلا : الهى الهى لماذا تركتنى . وأسرع واحد فأخذ اسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه فصرخ ثانية بصوت عظيم وأسلم الروح . ثم حكى الاصحاح والاصحاح التالى له فى سياق يبدو عليه الخيال قصة دفنه وقيامته وقيامة كثير من القديسين الميتين بعد قيامه ومجيئهم الى المدينة المقدسة وترائيهم للكثيرين.

وقد اقتبسنا ما مر من انجيل متى الذى يأتى الاول فى الترتيب . والاناجيل الثلاثة الاخرى المعترف بها متطابقة مع هذا الانجيل فى معظم الامور الجوهرية مع اختلاف فى العبارة

والاحداث نتيجة لتداول الروايات فى الغالب ؛ وفيهـــا بعض زيادات لم ترد فيه .

ومن الزيادات المهمة التى ذكرت فى انجيل لوقا ما ذكـــر فى اصحاحه الاول من قصة حمل زوجة زكريا التى كانت عاقرا بناء على دعاء زكريا لربه وولادتها يوحنا ، وقصة ظهور ملاك الرب لمريم العذراء المخطوبة ليوسف وبشارته لها بابن تلده من روح الله بدون زوج وأمرها بتسميته يسوع وذكره لها على سـبيل اقناعها بامكان ذلك دون مس من بعلها ، ما كان من حمل زوجة زكريا بمعجزة ربانية (١) .

وما ذكره الاصحاح الثالث من ان ابتداء دعوة يسوع كانت حينما كان له من العمر ثلاثون سنة مع تنويهه بما كان يبـدو عليه قبل ذلك من علائم الفهم والذكاء والروحانية ؛ وما ذكـره الاصحاح التاسع من خبر اعطاء المسيح للاثنى عشر حواريا قوه وسلطانا على التكريز بسلكوت الله وشفاء الامراض وما ذكره الاصحاح العاشر من تعيينه بعد ذلك اثنين وسبعين آخرين للكرازة للامم وللناس جميعا (التبشير والدعوة الى الله ومكارم الاخلاق

---

(١) هذا الاسلوب قد جرى عليه القرآن ايضا ، بالفصول القرآنيــة التى ذكرت ولادة المسيح من روح الله بدون مس من زوج ذكرت قبل ذلك ولادة يحيى (يوحنا) من ام عاقر واب شيخ بمعجزة ربانية كمقدمة اقناعية بامكان ولادة المسيح كذلك بمعجزة ربانية . انظر آيات سورة آل عمران ٣٤ـ٦٨ وآيات سورة مريم ١ ـ ٣٥ .

التى دعا اليها المسيح) حيث يدل هذا على نشاطه فى سبيل ابلاغ دعوته ورسالته ؛ وما ذكره الاصحاح الثالث والعشرون من قول الذين اخذوا المسيح الى الوالى بيلاطس عنه انه يفسد الامة ويمنع من أداء الجزية لقيصر ويدعى انه المسيح الملك ؛ وان بيلاطس لما علم انه من الجليل من أيالة هيرودوس ارسله اليه وكان فى تلك الايام فى أورشليم وان هيرودوس سأله بكلام كثير فلم يجبه بشىء ورجاه ان يصنع آية فلم يلب رجاءه فازدراه مع جنوده وألبسه ثوبا لامعا ورده الى بيلاطس •

ومن الزيادات المهمة فى انجيل يوحنا ما ذكره الاصحاح السابع من أن المسيح كان يتفادى فى البدء الذهاب الى اليهودية لان اليهود كانوا يطلبون قتله حيث يفيد ذلك ان اليهود ناوأوه منذ البدء وعزموا على القضاء عليه حينما سمعوا اقواله وتعاليمه ورأوا افتتان الناس به • والمتبادر ان المقصد من اليهودهم الزعماء والكهان ، وتفيد عبارة الاصحاح انه لم يكد يأتى الى أورشليم حينما رأى الوقت مناسبا لذلك حتى أرسل شرطة للقبض عليه ولكن هؤلاء تحاشوا ذلك وقالوا انه ما نطق انسان قط بمثل ما ينطق به هذا الرجل فلبث طليقا اياما أخرى يبشر ويدعو ويعظ ويندد ويصنع العجائب •

والاناجيل الاربعة متطابقة بشىء يسير من الاختلاف فى التفصيل فى قصة القبض على المسيح ومحاكمته وصلبه وقيامته•

ولقد قلنا ان العهد الجديد يتألف من الاناجيل الاربعة ومن ثلاثة وعشرين سفرا اخرى اولها الموسوم باعمال الرسل وهو أطولها ثم اربع عشرة رسالة من القديس بونس ورسالة من القديس يعقوب ورسالتان من القديس بطرس وثلاث رسائل من القديس يوحنا ورسالة من القديس يهوذا وسفر موسم برؤيا القديس يوحنا . وما عدا السفر الاخير ، فان الاسفار الاخرى تمثل نشاط هؤلاء القديسين فى مهمة التبشير والتعليم التى انتدبهم لها المسيح وقد احتوت اخبارا عما وقع لهم ووصايا وتعليمات وتشريعات وتفسيرات فى صدد رسالة المسيح وبشارته وشخصيته .

وليس من منهج الكتاب التوسع فى ذلك . ونقول اجمالا ان المستفاد منها ، وخاصة من أولها وهو سفر أعمال الرسل الذى يمثل نشاط الرسل فى اليهودية والجليل وسورية فى أعقاب توارى المسيح والذى تتصل محتوياته بتاريخ بنى اسرائيل ، ان الرسل قد نشطوا نشاطا عظيما فى سبيل مهمتهم . وان كثيرا من الناس من يهود ويونان وغيرهم من شعوب البلاد استجاب اليهم وأخذت تقوم فى كل مكان جماعة منهم تسمى الكنيسة وتعيش عيشة شبه اشتراكية غير ان معظم اليهود وقفوا منهم موقف المنقبض المتجهم وقاد رؤساؤهم حركة مناوأة ومطاردة قوية ضد الرسل فكانوا يؤذونهم بمختلف الوسائل والاشكال ويهيجون عليهم الناس ويستعدون عليهم السلطات ويصفونهم بالمفسدين

المثيرين للفتن المخلين بناموس الشريعة ويتمكنون احيانا من اعتقال بعضهم ، فكان يؤدى هذا الى تشاد وحركة مستمرة سلبية وايجابية بين بنى اسرائيل والجماعات المسيحية ، كثيرا ما تنج عنه نزاع وقتال مما سوف نذكر بعض احداثه فيما بعد .

وفى بعض رسائل القديس بولس اشارات الى ما كان عليه اليهود من اخلاق سيئة والى ما وقفوه من مواقف مناوئة ضد المسيح ورسله ورسالته ، رأينا ان نقتبسها لانها مما يتصل بتاريخ بنى اسرائيل فى هذه الحقبة ايضا .

فقد جاء فى الاصحاح الاول من رسالته الى روما « انهم لما عرفوا الله لم يمجدوه ولم يشكروه بل سفهوا فى أفكارهم وأظلمت قلوبهم الغبية . وقد زعموا انهم حكماء فصاروا حمقى واستبدلوا مجد الله الذى لا يدركه الفساد بشبه صورة انسان ذى فساد وطيور وذوات اربع وزحافات . فلذلك اسلم الله فى شهوات قلوبهم الى النجاسة لتفضحية أجسادهم فى ذواتهم الذين ابدلوا حق الله بالباطل واتقوا المخلوق وعبدوه دون الخالق ، لذلك أسلمهم الله الى أهواء الفضيحة فغير اناثهم الاستعمال الطبيعى بالذى على خلاف الطبيعة وكذلك الذكر ايضا تركوا استعمال الانثى الطبيعى والتهبوا بعشق بعضهم بعضا ففعل الذكران بالذكران الفحشاء ونالوا فى انفسهم الجزاء اللائق بضلالهم . وبما انهم لم يؤثروا ان يستمروا على معرفة الله

أسلمهم الله الى رأى مرذول حتى يعملوا مالا يليق مستلئين من كل اثم وشر وزنا وبخل وخبث مفعمين حسدا وقتلا وخصاما ومكرا واساءة نمامين مغتابين ممقوتين من الله شتامين متكبرين متخرين مخترعين شرورا عاقين للوالدين لا فهم لهم ولا نظام ولا ود ولا عهد ولا رحمة » .

وجاء فى الاصحاح الثانى منها « فان كنت يا هـــذا تدعى يهوديا وتعتمد على الناموس وتفتخر بالله وتعرف مشيئته وتثق بانك قائد العميان ونور الذين فى الظلام ومؤدب الجهال ومعلم الاطفال فاحرى بك ان تعلم نفسك . أتسرق وانت تكرز بعدم السرقة . آتزنى وانت تأمر بعدم الزنا . أتنتهك المقدسات وانت تمقت الاوثان . أتهين الله بتعدى الناموس وانت تفتخر بالناموس »

وجاء فى الاصحاح الثالث منها عن اليهود « ضلوا كلهم ورذلوا وليس احد منهم يحمل الصلاح . حناجرهم قبور مفتحة وقد غشوا بألسنتهم . وسم الاضلال تحت شفاههم . وأفواههم مملوءة لعنة ومرارة . وأرجلهم مسارعة الى سفك الدماء وفى مسالكهم خصم ومشقة . ولم يعرفوا سبيل السلام وليست مخافة الله امام اعينهم ام الله لليهود فقط ؟ اليس هو للامم ايضا بل للامم ايضا » .

وجاء فى الرسالة الثانية من بولس الى أهل كورنثوث « الاصحاح الحادى عشر » : أعبرانيون هم فأنا كذلك . أاسرائيليون هم فانا

كذلك ، أذرية ابراهيم هم فأنا كذلك أخدام المسيح هم فانى فى ذلك أفضل منهم أكثر فى الاتعاب وفى السجون وفى الجلد فوق القياس وفى الموت مرارا • جلدنى اليهود خمس مرات • وضربت بالعصى ثلاث مرات ، ورجمت مرة وانكسرت بى السفينة ثلاث مرات • وقضيت ليلا ونهارا فى عمق البحر • وكان الحاكم الذى تحت أمر أرتياس الملك « الحارس ملك الانباط » بحرس مدينة دمشق ليقضى على فدليت من كوة فى السور بزنبيل حتى نجوت منه •

وجاء فى الرسالة الاولى من بولس الى أهل تسالونيكى « الاصحاح الثانى » : فانكم أيها الاخوة اقتديتم بكنائس الله التى فى اليهودية اذ قد أصابكم من أمتكم ما أصابهم من اليهود الذين قتلوا الرب يسوع والانبياء واضطهدونا وهم لا يرضون الله ويقاومون جميع الناس ويمنعوننا أن نكلم الامم لخلاصها حتى يستتموا خطاياهم كل حين فان غضب الله قد حل عليهم الى النهاية •

- ٢٧ -

والآن نأتى الى الاحداث التى ذكر يوسيفوس أنها أدت الى تدمير أورشليم وتشتت الامة •

وننبه على أن هذه الاحداث فى حقيقتها حركات ثورية ضد

السلطات الرومانية تزعمها ثلاثة زعماء من اليهود واندمج فيها كثير من اليهود بل كان يندمج فيها فى بعض الاحيان كل اليهود أو جلهم وكان أذاها يمتد الى غير الرومان من سكان البلاد يهود وغير يهود بالنهب والقتل لانه كان يندمج فيها فئات متنوعة منها الصالح والطالح والمخلص والمريب والمغـامر الذى لا مأرب له الا النهب ، ولم تكن مرتبطة بنظام ودولة وحكومة •

وهذا ما جعل يوسيفوس يصف زعماءها بأوصاف رديئة حتى لكأنها توهـم أنها قامت للنهب والسلب وسـفك الدماء والاذى وحسب •

ولقد سبقها حوادث متنوعة كانت من بواعثها • فقـد تكررت محاولات القياصرة لحمل اليهود على السجود لتماثيل أو وضـع هذه التماثيل فى هيكلهم مما كان يثير فيهم هياجا ويجعلهم يرفضون بقوة وعناد ويتعرضون من جراء ذلك للقمع والتنكيل ، وكان يتـولى عليهم ولاة متعسفون يمدون أيديهم الى اليهود بالاذى بأسـاليب وصور متنوعة ويبتزون أموالهم ويحابون الوثنيين عليهم مما أوردنا أمثلة عديدة له فى الفصل السابق الذى اقتبسناه من الجزء الثـانى المجلد الثالث من تاريخ سورية للدبس •

ولقد لخص الدبس أحداث الحرب الرومانية اليهـودية عن يوسيفوس • وفى تلخيصه أشياء لم تذكر فى ترجمة وطبعة صادر المختصرة • وفى هذه النسخة أشياء لم يذكرها الدبس أيضا •

وسنورد الاحداث اقتباساً من نسخة يوسيفوس(١) التى فى يدنا ومن تلخيص الدبس معا فنجمع بذلك بين المصدرين فى شرح الاحداث الرهيبة التى أدت الى تدمير الدولة اليهودية والكيان اليهودى فى فلسطين نهائيا • وسنستعير عبارة يوسيفوس نفسها فى بعض الاوصاف لانها أوفى لتمثيل صورة الحال •

وأول ماساق يوسيفوس(٢) من الاحداث قصة العازارين حنانى الذى سماه بأحد الخوارج الثلاثة الذين كانوا سبب خراب أورشليم وهلاك الامة ووصفه بأنه أول من ابتدأ باظهار مخالفة الروم ، وأنه كان جبارا فاتكا داعرا حراميا وانه انضاف اليه جماعة من الحرامية وأهل الشر فكانوا يمضون الى بلاد الشام فيقتلون وينهبون ويعودون ثم صاروا يفعلون ذلك فى بلدان اليهود فاستغاث الناس بفيلكس صاحب الروم فاحتال عليه حتى اعتقله ونفاه الى روما وقتل أصحابه غير أنه تمكن من الافلات والعودة ثم استأنف حركته • وقد انضم اليه كثير من اليهود بسبب سيرة فيلكس الغاشمة وظلمه وتمكنوا من الانتصار عليه والجائه الى الفرار الى مصر •

وفيلكس هذا هو والى السامرة والجليل الذى ألحقت اليه ولاية اليهودية أيضا سنة ٥٢ ب م على ما مر بيانه قبل اقتباسا من الدبس • ومعنى هذا أن خروج ألعازار كان مبكرا بالنسبة للحوادث الاخرى

(١) تاريخ سورية المجلد الثالث الجزء الثانى ص ٢٢٧ وما بعدها •
(٢) ص ٢١٩ وما بعدها •

العديدة التى وقعت بين اليهود وولاة الرومان بعد انسحاب فيلكس سنة ٦٠ ب م ٠

ويقول يوسيفوس بعد ذلك أن أغريبا الملك كان فى هذه الاثناء فى روما فعاد الى أورشليم فقابله الناس وشكوا اليـــه ظلم فيلكس وقالوا له انا لا نطيع الرومان بعد الآن فأخذ يحذرهم من عواقب التمرد وشدة بطش الرومان ووعدهم بتقديم شكاويهم للقصر وقال لهم انه اذا علم بما وقع عليهم رفعه وما زال يلح عليهم حتى لانوا ٠ غير أن العازار وأصحابه لم يقتنعوا ثم هاجموا جميع من جاء مـــع أغريبا من الروم كما قتلوا جميع من كان فى المدينة منهم دون علـم أغريبا الذى كان يقيم فى المعسكر الرومانى خارج المدينة ٠ ثم دخل الهيكل وأخرج جميع الهدايا والذخائر التى بعث بها نيرون ومن قبله من القياصرة وألقاها بعيدا قائلا : لا يجوز أن يكون محل قدس الله لنجاسات الغرباء ٠٠ ولما علم أغريبا بما وقع أرسل كتيبة المدينة وتضامن معها كثير من اليهود الذين تحســبوا من بطش الرومان ونشب صراع بين العازار وجماعته من جهة وبين الكتيبة والمنضمين اليها من جهة وتمكن هؤلاء من كسر العازار وجماعته وقتل كثـــير منهم فى البدء ثم تحولت الريح إلى جانبهم فسيطروا على المدينـــة وأحرقوا قصر الملك الذى كان فيه من الذخائر والكنوز ما لا يحصى وفر أكثر الشيوخ والعلماء من المدينة ٠

وقد ذكر يوسيفوس فى هذا السياق انه كان بين السريان واليهود الذين يسكنون بلادهم عداوة وكان السريان فى ذلك الوقت يسكنون بدمشق وحلب وقيصرية وفى مدن كثيرة غير ذلك فاحتال السريان على اليهود حتى قتلوا كل من فى قيصرية ومن فى دمشق فلما اتصل الخبر بأهل اورشليم وغيرهم من اليهود اجتمعوا الى دمشق وغيرها من بلاد الشام فقتلو من بها من السريان وعادوا بغنائم كثيرة وسلب جزيل واجتاز اليهود فى عودتهم بمدينة حصينة من مدن السريان يقال لها ستياو فنزلوا عليها وحاصروها وأرسلوا الى اليهود الذين فيها يشيرون عليهم بالخروج من المدينة والانتقال منها وقالوا لهم انهم لا يأمنون عليهم من السريان فلم يقبلوا منهم بل أجابوهم بالقبيح وخرجوا وحاربوهم معاونة للسريان عليهم فانصرف اليهود عنهم • فلما كان بعد أيام خاف السريان من اليهود فاحتالوا عليهم وقتلوهم بأجمعهم وكانوا خلقا كثيرا •

وقد ذكر الدبس فى تلخيصه هذا الحادث بشىء من الاختلاف عزوا الى يوسيفوس ، ثم أورد بعده سياقا طويلا ليس واردا فى نسخة يوسيفوس التى فى يدنا ذكر فيه خبر مذابح كثيرة وقعت بين اليهود والسوريين فى مدن الجليل والشام ومصر • وقد رأينا أن نورد ما ذكره عن هذا الحادث ثم ذلك السياق لانهما مهمان فى بابهما فى صدد تاريخ بنى اسرائيل وعلاقتهم بسكان البلاد التى

كانوا يقيمون فيها فى هذه الحقبة امتدادا لما قبلها وما كان من تأصل العداوة والاحقاد بين بنى اسرائيل وهؤلاء السكان .

ومما جاء فيه أن خبر قتل الثائرين لجنود الرومان فى أورشليم لما بلغ قيصرية اغتنم اليونان والسوريون فيها الفرصة فوثبوا على اليهود فقتلوا عشرين ألفا منهم بامداد فلورس فأثارت هذه المقتلة الحنق والانتقام من الوثنيين فدمروا قرى ومدنا عديدة وقتلوا من وقع بيدهم فثار عليهم السوريون ووثبوا على قرى اليهود ومدنهم فنهبوا وقتلوا وأحرقوا وأمست سورية فى حالة يرثى لها فلم تكن مدينة الا قام فيها الشغب والقلق والقتال .

ثم ذكر قصة المدينة التى سماها يوسيفوس فى الترجمة التى تحت يدها سفيلو وسماها الدبس سينوبولى أى بيسان . وهذا تفسير الدبس . وقال : انه لما اتصل ما فعله أهل بيسان باليهود فيها بباقى المدن ثاروا على اليهود فقتل أهل عسقلون منهم ألفين وأهل عكا ألفين وذبح أهل صور كثيرين وكذلك صنع الوثنيون فى مدن عديدة . وأما أهل أنطاكية وصيدا وأباميا فأبقوا على اليهود لقلة عديدهم ولانهم لم يروا منهم ما يخل براحتهم . وأما مملكة أغريبا وهى الجولان والجيدور وحوران فلم ينج أهلها . فقد جاء اليهود الى نائب أغريبا فاروس وطلبوا منه جنودا لحمايتهم فكان جوابه أن أرسل من قتلهم ليلا عن آخرهم ثم لم يدع جورا ولا اعتسافا الا وأقدم عليه . ولما بلغت أغريبا أخبار ظلمه عزله ولم يقتله لاتصال

نسبه بأحد اليهود المقيمين بين ظهرانيهم ، فاغتنموا فرصة خروج أمتهم على الرومان فاجتمعوا للتشاور واسل بينهم بعض اليهود فحسبوهم جواسيس وقبضوا عليهم وأرادوا حرقهم أحياء فتسارع اليهود مدججين بالسلاح لانقاذ اخوانهم . وكان والى المدينة اسكندر طيباريوس رجلا ارتد عن مذهب اليهود وصار وثنيا فأطلق جنوده على اليهود كالضوارى فقتلوا منهم خمسين ألفا وانتهبوا بيوتهم وحوانيتهم . ولما رأى غلوس والى سورية الهياج على اليهود من كل فج جمع جيشا وسار به الى عكا وانضم اليه كثيرون من سكان المدن المجاورة لها وجاء اليه أغريبا ببعض جنوده فزحف الجيش الرومانى الى زابلون ففر أهلها الى الجبال فانتهبها وحرق بيوتها التى لم تكن أبنية صور وصيدا وبيروت أحسن منها ونهب وأحرق القرى المجاورة لها وعاد الى عكا . فشجع عوده اليهود وتعقبوا السوريين فقتلوا منهم ألفى رجل أكثرهم من بيروت كانوا تباطأوا لطمعهم بالاسلاب . ثم سار غلوس من عكا الى قيصرية وأرسل كتائب من جيشه الى يافا فباغتو اهلها وقتلوهم عن آخرهم ونهبوا المدينة وأحرقوها وكان عدد القتلى ثمانية آلاف وأربعمائة وأرسل كتيبة من الفرسان الى جهة السامرة فقتلوا كثيرين من الاهلين . ثم أرسل فريقا آخر الى الجليل ففتحت مدينة صافوريس (صفورية اليوم) أبوابها للجنود واقتدى بها غيرها ، غير أن المشاغبين اعتزلوا فى جبل

عرمون فسار اليهم الجنود وظهروا عليهم وقتلوا أكثرهم • وعرف غلوس أن كثيرا من اليهود اجتمعوا فى برج أفيق (المعروف بفتوعه على قول كندر وبالفولة على رأى كاران فى مرج ابن عامر والتفسير للدبس) فأرسل كتيبة لضربهم فلم يجسروا أن يقوموا فى وجه الجند فنهب الرومانيون أفيق والقرى المجاورة لها وأحرقوها • ثم سار غلوس الى اللد فلم يجد من أهلها الا خمسين رجلا لانهم كانوا مضوا الى أورشليم لعيد المظال فقتلهم وأحرق مدينتهم وسار بعسكره نحو أورشليم وأنزل جيشه فى جبعة القريبة منها (والسياق يفيد أن حركة غلوس وتنكيلاته كانت ضد اليهود) ولما رأى اليهود دنو جيش الرومانيين من عاصمتهم تركوا حفلات العيد ولم يرعوا السبت وخرجوا على جنود الرومان فكسروا طلائعهم حتى وصلوا الى قلب الجيش فارتد الرومانيون الى بيت أور وتربص غلوس ثلاثة أيام وأرسل أغريبا رسلا الى اليهود يبلغونهم من قبل غلوس أنهم اذا ألقوا سلاحهم وأخلصوا فى الطاعة أراحهم مما يشكون منه فلم يثن المشاغبون عن عزمهم بل قتلوا أحدالرسل وفر الثانى مثخنابالجراح فاستاء الشعب من ذلك وأرغموهم بالحجارة والعصى على الفرار من المدينة • واغتنم غلوس فرصة انقسامهم وزحف عليهم وهزمهم وتعقبهم الى أورشليم وحل فى جانبها وأنذرهم بالارعواء فلم يرعووا فصف جنوده للقتال فلم يقفوا فى وجههم بل تألبوا فى الهيكل فدخل غلوس المدينة وحل فى أعلاها وحرق بعض بيوتها فعاودت الحمية

اليهود وتحصنوا بالابراج واستمروا يدافعون خمسة أيام وفى اليوم السادس دنا الرومانيون من الهيكل وكان اليهود يرشقونهم بالنبل من شرفات الهيكل ، ولكنهم كانوا يتقون بتروسهم ويتقدمون وأخذوا ينقبون الحائط • غير أن غلوس رفع الحصـــار بسبب المطر وقلة المؤونة فحسب اليهود ذلك انكسارا وهزيمة فخرجوا وتعقبوا ساقة الجيش وقتلوا بعضهم وظل الجيش الرومانى فى انسحابه واليهـود فى تعقبهم له وقتلهم من قدروا عليه منهم حتى بلغ مقدار القتلى ستة آلاف وعادوا الى أورشليم مبتهجين بالنصر وأخذ هو يتعـــاظم ولم يعودوا يفكرون فى مسايرة الرومان ومصالحتهم •

ويقول يوسيفوس : ان أغريبا سار الى روما وأخبر نيرون بما جرى فأرسل حملة بقيادة قائد اسمه كسبينا لرد اليهود الى الطاعة • ولما وصل الى فلسطين أخذ يحرق جميع ما يمر به من مدن اليهود ويقتل أهلها الى أن انتهى الى أورشليم • وخرج اليهم العـــازار الخارجى وأصحابه فاشتبكوا معهم فهزموهم فارتدوا الى المدينـــة وتحصنوا فيها ، وعرض كسبينا عليهم الصلح فرفضوا ثم خـــرجوا وتمكنوا من قتل كثير من الرومان • ولما رأى كسبينا شـــدة بأس اليهود خاف منهم ورأى أن يبتعد عنهم قبل أن يستأنفوا الهجـــوم عليه فأشعل فى الليل نيرانا كثيرة وضرب بالابواق وأثار حركة قوية ليوهم اليهود بوجوده ثم انسحب بعد نصف الليل الى قيصرية • وفى الصباح خرج العازار وجماعته فوجدهم قد انسحبوا فتبعهم وقتل

خلقا كثير منهم . • ويستمر يوسيفوس فى سياقه فيقول ان كسبينا وأغريبا عادا الى روما فأخبرا نيرون بما جرى فعظم الامر عليه • وكان له قائدعظيم اسمه وسباسيانوس عاد الى روما فىذلكالظرف بعد انتصارات أحرزها فى الاندلس فأمره بالمسير الى اليهود واستئصالهم وتدمير بلدانهم وحصونهم، وأرفقهبجيشعظيم• وبلغ اليهود الخبرفأخذوا يستعدون للمقاومة، وقسموا البلادثلاثمناطق عسكرية واحدة فى الشمال وهى منطقة الجليل ، وثانية فى الجنوب وهى منطقة القدس ، وثالثة فى شرق الاردن • وجعلوا على كل منطقة قائدا وطفقوا يحصنون المدن والبلاد • وكان طريق زحف الرومان المنطقة الشمالية • ومع أن يوسيفوس يقول : ان عدد من كان فى المنطقة من محاربى اليهود ستون ألفا فانه قال ان القائد خاف وانسحب الى حصن اسمه يوذاب فتحصن به ونزل الرومان على الحصن وأرسل الى القائد اليهودى يدعوه الى الصلح فأرسل الى أورشليم يستشير فجاءه الجواب بعدم المسالمة وتفضيل الموت • وجبن القائد فاستلم القيادة يوسيفوس الذى يقول الدبس انه المؤرخ نفسه ـ مع أن النسخة التى فى يدنا لا تذكر ذلك ـ وأخذ يشتبك مع الرومان ، وامتدت المصاولة خمسة أيام • وقتل من الفريقين خلق عظيم ، واستمات اليهود فى الحرب ، وكان الرومان يقوون بمن كان ينضم اليهم من الامم التى أظهرت العداء لليهود فى بلاد الدولة وتخومها على ما يذكره يوسيفوس ، بينما كان عسكر اليهود يقلون

ويضعفون • ثم انقطعوا عن الخروج وأغلقوا الابواب فحاصرهم الروم وقطعوا عنهم الماء حتى أجهدوهم فخرجوا مستميتين واشتبكوا مع الروم ثانية وكادوا يهزمونهم ، ثم انكسروا وارتدوا الى الحصن، واستمرت الحالة على ذلك ثمانية وأربعين يوما • وتمكن الروم فى النهاية من اقتحام الحصن وقتل جميع من كان فيه واستطاع القائد يوسيفوس وأربعين من رجاله الافلات والنجاة الى مغارة • وأرسل القائد الرومانى من تبعهم وحاصرهم وطلبمنهم الاستسلام• ومال القائد الى ذلك فأبى رجاله وفضلوا الموت وكانت بينهم وبينه محاورة يبرز عليها الخيال فى صور ترجيح الموت على التسليم ثم أخذوا يقتلون بعضهم بالقرعة عدا يوسيفوس الذى فضل الحياة وخرج مستسلما للقائد الرومانى • وقد أشار عليه بعض اليهود الذين معه بقتله فأبى مما فيه دلالة على أن جماعات من اليهود كانوا يقاتلون بنى قومهم فى صفوف الرومان • وبعد ذلك فتح وسباسيانوس حصون اليهود ومدنهم فى الجليل والسواحل وقتل جميع من قاومه وأحسن لمن استسلم وخضع حسب تعبير يوسيفوس •

وكان برز فى هذه الاثناء فى الجليل من قرية كوشاله ـ لعلها أكسال اليوم وهى من قرى الشمال ـ شخص اسمه يوحانان وصفه يوسيفوس بأنه الخارجى الثانى وأنه كان ذا عقل وافر ومعرفة بليغة وحكمة الا أنه كان رجلا شريرا يرتكب العظائم ويستحل المحارم وقد انضاف اليه جماعة من أهل الشر قوى بهم على ما يريد فكان

بقتل الناس ويأخذ أموالهم ويستبيح نعمهم فأيسر وكثر ماله وانبسطت يده(١) • فلما فتح الروم مدينة كوشاله هرب مع أصحابه الى أورشليم • وكان قد التجأ اليها من المدن التى استولى عليها الروم جماعات كثيرة من شرار اليهود ، فلما جاء يوحانان انضموا اليه فقوى أمره وانبسطت يده على المدينة وأخذ ينهب أموال أهلها ويمنحها لجماعته ، وعزل رئيس الكهان وعين مكانه جاهلا من عوام الكهنة وطفق يقتل من يمتنع عن تنفيذ أوامره ورغباته مهما كان فيها من مخالفة للشرع فعظم شره على الناس حتى تمنوا أن يأتى الروم ويستولوا على المدينة ويستريحوا • وقد اجتمع رؤساء المدينة الذين مع حنانى الكاهن المعزول ، وانضاف اليهم خلق كبير وأخذوا يشتبكون مع يوحانان وجماعته فكانت حربا أهلية ذهب ضحيتها عدد كبير من الفريقين ثم اتخذ يوحانان وجماعته المعبد مركزا وحصنا وأرسل الى أدوم يطلب منهم النجدة ، فجاءه عشرون ألف محارب، وحاول حنانى منعهم من دخول المدينة ، وأغلق دونهم الابواب • وتظاهر الادوميون ــ الانباط العرب ــ بالاستعداد لنصرة حنانى على

(١) فى تلخيص الدبس ان يوسيفوس المؤرخ هو الذى ولاه اليهود على منطقة الجليل ، وان يوحنا الخارجى خرج فى عهده وكان يناوئه طمعــا فى منصبه وان الجليليين انقسموا فريقين فريقا مع هذا وفريقا مع ذلك وان رئيس مجمع اورشليم كان متحزبا مع يوحنا ضد يوسيفوس فارسل اليه نجدة وان اهل بيسان والجيش وطبريا اظهروا العداء ليوسيفوس نتيجة هذا الانقسام فحاربهم ، وهذا ليس فى نسخة يوسيفوس ترجمة صادر • وينطوى فيها صورة لما كان عليه اليهود من فوضى وبلبلة فى هذه الحقبة •

يوحانان ، فكاد ينخدع ويفتح لهم الابواب غير أن السماء فى هذه الا ونة أرعدت وأبرقت فخاف اليهود وفروا الى بيوتهم فسارع جماعة يوحانان الى الابواب ففتحوها للادوميين وصاروا واياهم يدا واحدة على المدينة • وأخذوا يكبسون المنازل وينهبونها • وقتلوا عددا كثيرا من عظمائها وأغنيائها وعوامها • واستمرت الحالة على ذلك أياما ثم بعث يوحانان بسرايا الى المدن التى استأمنت للروم فتحت كثيرا منها وقتلت أهلها ونهبت أموالها • وأرسل أهل أورشليم ـ لما عظم بلاؤهم ـ رسلا الى وسباسيانوس يشكون مما نالهم ويسألونه انقاذهم • فامتنع عن السير أولا الى أورشليم وسار الى مدينة اسمها أفراذا على الاردن كان يحاصرها جماعة من يوحانان ففروا من أمامه فتبعهم وقتل بعضهم وألقى بعض آخر أنفسهم فى النهر فغرق معظمهم • ثم سار الى بلادأدوم ففتحها ثم فتح سبسطية ثم جمع جموعه وسار نحو أورشليم •

وكان فى هذه الاثناء قد برز فى أورشليم شخص اسمه شمعون سماه يوسيفوس بالخارجى الثالث وقال عنه انه كان ساقطا شريرا ظالما سافكا للدماء فأخذ يفعل مثل يوحانان فطرده حنانى الكاهن من المدينة ـ ونسى يوسيفوس أن حنانى مغلوب على أمره معزول من يوحانان ـ فمضى الى بعض الضباع فانضاف اليه جماعة من الاشرار واللصوص وقطاع الطريق حتى صار عددهم عشرين ألفا فخاف أهل

القدس منه فبعثوا اليه عسكرا ليحاربه ـ ونسى يوسيفوس أن أهل أورشليم أعجز من يرسلوا جيشا وكانوا فى أشد حالات البلاء والمحنة من يوحانان وجماعته والادوميين الذين جاءوا لمساعدته ـ فهزمهم شمعون وقتل كثيرا منهم وقوى أمره وأخذ ينهب الضياع ويتلف الزروع فتعاظم الهم واشتدت المحن لان يوحانان فى أورشليم يقتل الناس وينهب الاموال وشمعون فى الخارج يفعل مثله . واشتد خوف الناس على أنفسهم وأموالهم وحريمهم وكان أذى يوحانان خاصة أشد حتى لقد أرسل أهل أورشليم يستمدون العون من شمعون ليكفيهم شره . وسارع هذا الى التلبية وعاهدهم على حسن السيرة فلما صار فى المدينة نقض العهد وأخذ يفحش هو الآخر فى القتل والنهب والتدمير ويشتبك فى ذات الوقت مع يوحانان وجماعته ...

وفى هذه الاثناء ورد الخبر لوسباسيانوس بموت نيرون وتملك رجل ساقط فغضب هو وجيشه لذلك ونادى الجيش به قيصرا ٦٩ ب م وقسم عسكره قسمين أخذ أحدهما معه واتجه نحو روما لتوطيد سلطانه وترك النصف الثانى مع ابنه تيطس ووصاه بمحاربة اليهود . وظلت الحالة شديدة عصيبة فى أورشليم والاشتباكات متصلة بين يوحانان وشمعون وتقاسم الزعيمان المدينة واحد فى أعلاها وآخر فى أسفلها . وانضم فريق من الكهان والرؤساء الى واحد وفريق

آخر الى الآخر وكثر القتل فى الشوارع والازقة والمعبد وكانت جثث القتلى تتراكم على بعضها وانتشرت رائحة الموتى وكثرت الامراض وكان لا يمشى امرؤ الا على قتيل أو دم أو أمعاء ممزقة. وكان الفريقان يتراشقان بالنيران فتنشب الحرائق . وهكذا اجتمع على أهل المدينة آفات القتل والحريق والجوع وعلا ضجيجهم وبكاؤهم وكرهوا الحياة وتمنوا الموت ..

ولما فرغ تيطس من بسط سيطرته على الجليل والسامرة زحف الى أورشليم وحينئذ اجتمع رؤساء الخوارج واصطلحوا واتفقوا على وقف الحرب فيما بينهم ومحاربة الروم متضامنين وخرجوا من أورشليم . ولكن تيطس انتصر عليهم وهزمهم فعادوا الى المدينة وأغلقوها ولم يلبثوا أن تنافسوا على الزعامة فانتقض العهد بينهم وعادوا الى ما كانوا عليه من الشر والحرب . ودخل يوحانان الى المعبد مع أصحابه وقد أخفوا سلاحهم فأمن اليهم الكهنة والناس واستقبلوهم ولكنهم لم يلبثوا أن أظهروا سلاحهم حينما صاروا فى داخل المعبد وأخذوا يقتلون الناس والكهنة بغير رحمة ولا شفقة .

ووصل الخبر الى ألعازار وشمعون فبادروا اليهم وأخذوا يشتبكون معهم . وبينما كانت الملحمة دائرة فى أورشليم والمعبد كان تيطس يجد فى فتح الثغرات فى الاسوار وكانت ثلاثة واحد وراء الآخر . وكان كلما تمكن من فتح ثغرة فى سور اتفق اليهود

فيما بينهم على وقف الحرب والتضامن ضد الروم ، وكانوا يستميتون فى الحرب ويكبدون الروم خسائر فادحة . وحاول تيطس أن يخذل بعضهم عن بعض وكان معه يوسيفوس الذى استسلم اليه فى الجليل فجعل يخاطبهم ويعدهم ويمنيهم ويذكرهم بأحداث أسلافهم فقابلوه بالشتيمة والحجارة وحينئذ اغلظ لهم القول وأنذرهم بالهلاك والفناء .

وقد أورد يوسيفوس هذا فى سياق طويل يبرز عليه الخيال والتهويل والمبالغة والمناقضة . ثم قال ان تيطس ترك محاربة اليهود واكتفى بحصارهم والتضييق عليهم الى أن يقهرهم الجوع وشدد عليهم الحصار حتى جهدهم الجوع فعلا واضطرهم الى فتح الابواب فى النهاية . ومما ذكره أن قوما من الاشرار سعوا الى شمعون بأمثاى الكاهن الاكبر وقالوا له انه يريد أن يستأنس للروم فقبض عليه وعلى أولاده وقتلهم فوق السور بعد أن أنبه الكاهن بخطاب طويل يبرز عليه الخيال هو الآخر ثم أتبعهم بعشرات من الكهان والوجوه الذين وشى بهم الواشون أو أنكروا قتل أمثاى الكاهن .

ولقد طال الحصار على المدينة وفنى كل ما فيها من القوت حتى أكل سكانها الجيف ودبيب الارض ، ومنهم من أكل أولاده ، وهلك خلق كبير من الجوع واشتغل الاحياء بأنفسهم ، وتركوا الموتى بدون دفن ، فامتلأت المنازل والشوارع والازقة بالجثث وتعفنت

وخفتت الاصوات والمنـــاحات ، وكان الخوارج يلقون الموتى الى الوادى الواقع فى شرقى المدينة من الاسوار حتى صار منهم أكوام عظيمة وصار الناس يخرجون الى الروم بالالوف دون أن يمنعهـــم أحد ، وكان الخارجون يبلعون ما عنـدهم من ذهب وفضة ثم يستخرجونه من البراز بعدوصولهم الى الـروم ، وانتشر خبر ذلك بين العرب والسريان الذين هم فى عسكر الروم فأدى الى قتل كثير من المستأمنين طمعا بما فى أجوافهم من ذهب وفضة . وكان نيطس يرقب الحالة ، ويضيق الحصار ، ويجد فى هدم الاسوار ، ولقـــد تمكن من هدم السور الثالث فما كان من رجال العصابات والمقاومة على شدة ما حل فيهم من ارهاق وعناء الا أن بنوا سورا جديدا فى ليلة واحدة على ما زعم يوسيفوس وأشغلوا الروم بمناوشاتهم خارجه الى أن تم بناؤه . وعاد نيطس يخاطب زعماءهم مرغبا محذرا داعيا الى الاستسلام فردوا عليهم ردودا شديدة فأوقف القتال ثانية لعل الجوع يحل المشكلة . وقد ساق يوسيفوس هذا أيضا فى ســـياق طويل يبرز عليه الخيال والتهويل والتناقض . وقد تمكن الروم فى النهاية من خرق الاسوار ، ودخول المدينة وأخـــذوا يفتكون فى اليهود ويعملون فى المدينة والحرم يد التدمير والســـلب . وقد أغضبهم عمل أقدم عليه بعض اليهود ، حيث أشعلوا مكانا كان فيـــه جمع من الروم ، فهلكوا حرقا، فاشتدوا فى الفتك والنهب والتدمير

ويقول يوسيفوس : ان اليهود الذين كانوا يدافعون الروم حول المعبد لما غلبهم الامر ورأوا المعبد قد احترق قالوا ما لنا وللحياة وزجوا أنفسهم فى النار واحترقوا .. وان اليهود الذين هم فى أحياء المدينة الاخرى لما علموا بأن قدس الاقداس قد احترق مضوا الى جميع ما فى المدينة من قصور ومنازل فأحرقوها بما فيها من ذخائر وعدد وأموال ثم أخذوا يقاتلون الروم قتال الموت حتى قتلوا عن آخرهم .. ويقول أيضا ان يوحانان وشمعون الخارجين أرسلا الى تيطس يطلبان منه الامان فأرسل يندد بهم ويعدد ما سببوه لامتهم وبلادهم من خراب وطلب منهم الاتيان بدون سلاح وعلى هيئة المساكين فأبوا وظلوا معتصمين فى جبل صهيون ، ثم انحدروا ليلا الى المعبد ، فقتلوا قائدين للروم كان تيطس وكلهما بحفظه فثار غضب تيطس ، وأمر بقتل من بقى فى المدينة بأمان سابق منه ، فقتل خلق لا يحصى عددهم . وأرسل الادوميون الذين كانوا مع شمعون يطلبون الامان ، فعلم هذا بذلك فقتل رؤساءهم فهرب الباقون الى تيطس . وقد تمكن شمعون ويوحانان من الانحدار من الجبل والفرار غير أن تيطس أرسل من طاردهما وظفر بهما فى النهاية . وهكذا دمرت أورشليم ودمر المعبد للمرة الثانية وفنى اليهود فى المدينة قتلا وجوعا بأيدى بعضهم وأيدى الرومان معا .

وقد ذكر يوسيفوس أن موكلا بأحد أبواب المدينة أحصى من

أخرج ميتا من بابه فبلغ عددهم مائة وخمسة وعشرين الفا وأن رؤساء اليهود الذين استأمنوا للروم ذكروا أنهم أحصوا الموتى الذين أخرجوا من جميع الابواب فى مدةالحصار والحروب فبلغ عددهم ستمائة ألف وذلك غير من طرح فى الآبار ومات فى الشـــوارع والازقة ولم يدفنوا وأن الذين قتلهم الرومان فى الحروب وغيرهـا والذين قتلهم الخوارج قد بلغوا ألف ألف انسان ، وأن جملة من سباه تيطس غير الذى أمنه بلغوا تسعة وتسعين ألفا وأن معظـــم أصحاب الخوارج قد هلكوا فى الحرب ومن بقى منهم وقع فى أسر تيطس فأخذهم معه وكان يلقى منهم للسباع فى كل منزل ينزل فيه جماعة الى أن هلكوا جميعهم •

وقد يكون فى الارقام مبالغة ولكن المتبادر من السياق أن معظم يهود أورشليم ــ وكثيرا من اليهود كانوا تجمعوا فيها ــ قد فنوا قتلا وسبيا بالاضافة الى ما فنى من يهود الجليل وغيره •

وقد ذكر يوسيفوس فى خاتمة كتابه أن ألعازار لما رأى ما فعله شمعون ويوحنا من سفك ونهب وتدمير نزح الى خارج القـــدس وانزوى الى أن رحل تيطس • ثم ظهر ومضى الى قرية اسمها ماصيو فرمم سورها وحصنها وأقام فيها ، وسمع به الناس فأخذوا يفدون عليه ويتجمعون حوله • واتصل خبره بتيطس وهو فى أنطاكيـــة فأرسل قائدا من قواده على رأس قوة فنزل على ماصيو وشدد عليها

الحصار • ورأى المحصورون أنهم لا قبل لهم بالروم فتشاوروا فى طلب الامان والاستسلام • ولكن ألعازار خطب فيهم خطبة طويلة ليقنعهم بعدم فائدة الاستسلام وبفضل الموت الكريم على حياة الذل والسبى • وأخذ يذكرهم بأحداث التاريخ وجهاد الآباء حتى قنعوا وقضوا ليلة ليلاء ناحوا فيها وبكوا وودعوا بعضهم ثم قتلوا نساءهم وأولادهم وألقوهم فى الآبار • وخرجوا بعد ذلك مستقتلين فلم يزالوا يحاربون الروم الى أن قتلوا جميعا • •

وقد أورد يوسيفوس هذا فى سياق طويل كذلك يبرز عليه المبالغة والغلو •

وبهذا الحادث ينتهى كتاب يوسيفوس •

والسياق يسوغ القول ان ثقل التدمير والابادة قد أناخ بكلكله على أورشليم بنوع خاص • والمستفاد من روايات الدبس فى الجزء الثانى ـ المجلد الثالث والمجلد الرابع من كتابه تاريخ سورية أنه بقى فى فلسطين شراذم من اليهود وبعد خراب أورشليم برغم جلاء كثير منهم عن فلسطين وتشتتهم فى كل قطر وخاصة فى الاقطار المجاورة مثل مصر وقبرص وتدمر وليبية وبين النهرين •

بعد تدمير أورشليم

- ١ -

لقد سجل التاريخ لبنى اسرائيل فى فلسطين وخارجها أحداثا متنوعة بعد تدمير أورشليم رأينا أن نلم بها فى هذا الفصل الذى سيكون خاتمة الكتاب .

فمما ذكره الدبس(١) من ذلك أن فسبسيان عين واليا على اليهودية اسمه بسوس وأمره أن يسير مع شراذم اليهود الباقية فيها سيرة الشدة واليقظة ، وأنه أمر بهدم هيكلهم فى الاسكندرية لانه رآهم تكتلوا حوله بعد تدمير أورشليم وهيكلها تكتلا قد يجر المتاعب من ناحيتهم .

كذلك مما ذكره(٢) أن اليهود هاجوا وماجوا فى قبرص والقيروان ومصر فى عهد الامبراطور تراجان (٩٨-١١٧(٣)م) وقتلوا كثيرا من الوثنيين واليونانيين . وأبدوا من القسوة والهمجية ما لا يكاد يصدق حيث كانوا يأكلون لحوم قتلاهم ويشربون دمهم ويتحزمون بأمعائهم ويلتفون بجلودهم وقد شطروا كثيرين من

(١ و٢) تاريخ سورية المجلد الثالث الجزء الثانى ٥٦٨ وما بعدها .

(٣) سنى حكم القياصرة فى هذه النبذة مأخوذة من القائمة الملحقة بالمجلد الرابع ـ الجزء الثانى من تاريخ سورية للدبس ص ٥٥٩-٥٦٢ .

رأسهم الى أسفل وأرغموا كثيرين على مصارعة بعضهم وقتل بعضهم قاصدين بكل ذلك الى الثأر بدم آبائهم الذين هلكوا أيام نيطس (والعبارة للدبس) حيث يبدو فى هذا صورةفظيعة من صور انفجار الاحقاد والقسوة ضد غيرهم ولو لم يكونوا هم غرماءهم والتى تكررت منهم نتيجة لما كان يحل فيهم من ضربات واضطهادات .

وقد روى أن عدد الذين قتلهم اليهود فى ليبية والقيروان (٢٢٠٠٠٠) وفى قبرص ٢٤٠٠٠٠ ، أما الاسكندرية فان أهلها تغلبوا على اليهود وقتلوا من كان منهم فيها . وقد أثخن قادة تراجان والقبرصيون فى اليهود الذين فى الجزيرة وطردوا من نجا من القتل وسنوا قانونا حرموا به الجزيرة على اليهود وكانوا يقتلون كل من أقبل عليها ولو ضالا أو مدفوعا بعاصف . وأرسل تراجان الى ليبية ومصر قائدا على رأس جيش كبير فأهلك من اليهود فيهما جما غفيرا وقائدا آخر على رأس جيش الى ما بين النهرين فأوقع فيهم ملاحم . ويظن بعض المؤرخين أن كثيرين من المسيحيين قد هلكوا فى هذه الوقائع ، اما أن يكون اليهود قتلوهم لبغضهم لهم أو الوثنيون لعدم تمييزهم اياهم عن اليهود .

ولقد ذكر ادى شير مؤلف كتاب تاريخ كلدة وآشور(١) أنه

---

(١) ج ٢ ص ٨ و١٥-١٦

كان فى ما بين النهرين جماعات كبيرة من اليهود أنسال السبى الذين تخلفوا عن العودة وأنهم نشروا سنة ١٤٤ ب م أى فى عهد تراجان كذلك لواء العصيان فأمر القيصر واليه الذى كان رسمه لوسيا فقتل منهم جما غفيرا لا يحصى • ومن المحتمل أن هذه الثورة امتداد لما كان من ثورات اليهود فى مصر وقبرص وليبية •

ومما ذكره الدبس (١) ان القيصر ادريان ١١٧ــ١٣٨ ب م أمر جنوده بتمهيد محل خرابة الهيكل ثم بنى فيه هيكلا للمشترى وأسكن جالية رومانية فى جبل صهيون ومنع اليهود من الختان • فهاجوا وماجوا ونسوا ما حل فيهم فى عهد تراجان • وحملت زمر منهم السلاح وظهر منهم رجل اسمه بركوكبا أى ابن الكوكب اعتبروه المسيح المنتظر وقالوا انه الكوكب الذى يشرق من يعقوب • وسلمه أحد رؤسائهم صولجان السلطة باحتفاء كبير • وانضوى اليه كثير من اليهود وأخذوا يعتدون على غير اليهود وعلى الجنود الرومانيين فى الجملة • فنهض لهم والى اليهودية روفوس وأعمل فيهم يد القتل دون تفريق بين رجال ونساء وأطفال ، ثم أرسل ادريان قائدا على رأس جيش كبير أخذ يضرب محلا محلا مضيقا عليهم وقاطعا موارد رزقهم واستمر يفعل ذلك سنتين حتى دمر نحو تسعمائة قرية وهدم خمسين حصنا • وقد بلغ عدد القتلى بالسيف

(١) المصدر السابق ص ٥٧٢ •

منهم ٥٨٠ ألفا عدا من هلك جوعا ومرضا وحرقا حتى استعظم اليهود مصابهم هذا على مصابهم فى حصار تيطس وفى حملة بختنصر وكان بركوكبا من جملة القتلى . وعذب الرومان علماء الشريعة الذين كانوا محصورين فى قلعة بتير عذابا مبرحا حتى زهقت أرواحهم ، وسبوا كثيرا من النساء والاولاد وباعوهم بأبخس الاثمان فى أسواق غزة وترابينا ومن لم يجدوا له شاريا أرسلوه الى مصر . وبعثوا الى روما بكثير من الاسرى غذوا بلحمانهم أسود الملاعب وحرموا على اليهود دخول أورشليم الا يوما واحدا فى السنة لينوحوا على خرائب المدينة ولم يسمحوا لهم بذلك الا بعد دفع غرامة كبيرة . فكان فى هذا القمع الشديد الذى يخمن أنه كان فى سنة ١٣٢ بـم الضربة النهائية لليهود فى فلسطين التى لم تقم لهم فيها قائمة بعد .

- ٢ -

وقد صرفتهم الضربة على ما يبدو الى عمل دينى حيث شرع علماؤهم فى عهد ادريان فى كتابة التلمود ليكون لهم جامعة معنوية اذ لم تعد لهم جامعة وطنية . وقد بدأ بكتابته علماء مدرسة جريا .

وجمعوا فيما كتبوه وسموه التلمود تقاليدهم وفتاوى علمائهم وأحكام رؤسائهم وما استطرفوه من عادات •

وهو قسمان « المثنا » ومعناه الشريعة الثانية ، و « الكومار » أى التكملة وهو تفسير أو شرح للاول • ولهم تلمودان واحد يسمى الاورشليمى ، وقد بدىء فى كتابته فى القرن الثانى ثم زيد عليه الى أن تكامل فى القرن الرابع • وآخر يسمى البابلى ألفه بعض الربيين بعد هجرتهم الى العراق فى اثر ما أنزله ادريان فيهم ولم يكمل الا فى القرن الخامس أو السادس • والتلمود غامض العبارة • وقد تعمد كتابة ذلك حتى لا يظهر المعنى الصحيح لبعض النبوات، ومفعم بمزاعم وأقاصيص شبيهة بأقاصيص القدماء من الوثنيين • واليهود يفضلون التلمود على سنة موسى ، ومن أمثالهم أن الاهتمام بالتوراة قديكون له جزاء وقدلا يكون وأما الاهتمام بالمتنافيستحق الجزاء والمكافأة وأن الاهتمام بالكومار فضيلة ليس أعظم منها • والمثنا كتب بلغة عبرانية صحيحة • أما الكومار فقد خالط لغته ألفاظ كلدانية كثيرة • وقد طبع لاول مرة كاملا فى البندقية فى اثنى عشر مجلدا سنة ١٥٢٠ وترجم الى الافرنسية وطبع بها فى باريس سنة ١٨٣١(١) •

على أن اليهود لم ينضووا جميعهم الى جامعة التلمود حيث بقى فريق منهم فيهم الاحبار والعلماء ينكرونه ولا يعترفون الا بأسفار

(١) المصدر السابق ص ٥٧٥

العهد القديم ويعرفون بالقرئين • وأما آلذين قبلوا التلمود وساروا عليه فقد عرفوا بالربانيين(١) •

(١) جل ما ذكرناه عن التلمود مقتبس من مقال فى العبرانيين للدبس ص ٥٧٥» وفى كتاب آداب اللغات السامية لمحمد عطية الابراشي ص ٥٧ وما بعده • ان التلمود عنصران متن وشرح ويسمي الاول المشنا والثاني الجمارا • والاول بالعبرانية والثاني بالارامية ؛ والمشنا يشتمل على أحكام دينية والجمارا تشتمل على بحوث دينية وفقهية • والمشنا يذكر المبادىء والقواعد بدون نقاش غالبا بينما تحتوى الجمارا جدلا ونقاشا ثم تنتهى بذكر الحكم النهائى • وفى كتاب اسرائيل بنت بربطانية البكر لمحمد الزغبى ص ٥٧ وما بعدها أن الربانيين يعتقدون أن التلمـــود موحى به الى الذين كتبوه خلافا للرائيين الذين يرون انه اجتهادى •

وفى هذا الكتاب فقرات عامة مقتبسة من التلمود ليدلل مؤلفه بها على الروح التى سيطرت على واضعيه من علماء اليهود المنتسبين الى أجيال متعاقبة • وقــد رأينا ان ننقل بعضها لندلل بدورنا على ان هذه الروح ليست جديدة وعلى انهــا كانت وظلت تطغى على جميع بنى اسرائيل فى جميع أدوار حياتهم وتوجههم فى الحياة ثم على الذين دونوا أسفارهم القديمة فكان من اثرهــا فكرة اختصــــاصهم من الله وفكرة تميزهم على غيرهم واحتكارهم للرب وعنايته وتأييده لهم فى كل حال وفكرة حقهم بالاستيلاء على ما فى أيدى الفرد وابادته واستعباده بل واعتبارهم ذلك واجبا دينيا مما مرت الامثلة الكثيرة والنصوص العديدة فى صدده •

١ ـ يباح لاسرائيل بل يفرض عليه قتل من أمكنهم من الجوييم واغتصــــاب مالهم وسرقتهم (والجوييم تطلق على غير اليهودى)

٢ ـ ان أملاك غير اليهود تعتبر كالمال المتروك الذى يحق لليهودى امتلاكه

٣ ـ أن الله قد منح اليهود السلطة على مقتنيات الشعوب •

٤ ـ ان اليهود أحب الى الله من الملائكة • وهم من عنصر الله كالولد مــن عنصر أبيه ومن يصفع اليهودى كمن يصفع الله • والموت جزاء الجوى اذا ضرب اليهودى •

٥ ـ لولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض واحتجبت الشمس وانقطع المطر •

٦ ـ اليهود يفضلون الجوى كما يفضل الانسان البهيمة • والجوييم كالكلاب والخنازير وبيوتهم كحظائر البهائم نجاسة • ويحرم على اليهودى أن يعطف عليهم • وكل شر يفعله اليهودى معهم هو قربى الى الله •

ولقد نشر مؤخرا بروتوكول حكماء صهيون وفيه خطط ونيات رهيبة ضد جميع الامم وفى سبيل ضمان تحطيمها من مختلف النواحى الدينية والاجتماعية والخلقيــة والاقتصادية سيطرت اليهود عليها • ولقد تنصل منه اليهود ولكن الخطط والنيــات التى اشتمل عليها متسقة كل الاتساق مع نصوص الاسفار وتعاليم اليهود بحيث يجعل المطلع عليها قانعا أشد القناعة بصحة نسبتها لليهود •

على أن التاريخ سجل لهم أحداثا متنوعة أخرى فى عهد الرومان قبل الاسلام • فقد ذكر الدبس(١) أنهم ثاروا فى مصر فى عهد القيصر أنطونيوس ١٣٨-١٦١ ب م الذى خلف أدريان فأخمد الرومان ثورتهم بيسر وقسوة • وقد قال الدبس بعد أن أورد الخبر أن فلسطين كانت فى عهد القيصر ساويروس ١٩٧-٢١١ كما كانت فى أكثر أوقاتها مضمارا للاختلافات الدينية وساحة للهرج والشغب والسطو مما جعله يسير سيرة شديدة ولا يغضى على أقل مخالفة • وفى زمن هذا الملك نشبت الفتنة بين اليهود والسامريين مرتين كانت تؤدى الى الاقتتال نتيجة للاحقاد القديمة المتأصلة بين الفريقين الذين يدينون بدين واحد مما ذكرنا أسبابه وبعض صوره فى مناسبات سابقة •

ومما رواه المؤرخون(٢) أن قسطنطين الذى كان أول من تنصر

= وان الانسان ليندهش حينما ينعم النظر فى هذه الخطط والنيات المدمرة الرهيبة التى وردت فى البروتوكول حينما يقابلها مع خطط الشيوعية ونياتها المدمرة حيث يجد التطابق تاما بينها ثم حينما يذكر ان واضعى النظريات الشيوعية وكبار منفذيها فضلا عن صغارهم من ماركس الى أنجلز الى لينين وتروتسكى وغيرهم من الاف اليهود الذين كانوا وظلوا فى كل مكان على راس الشيوعية المخربة وكانوا متناقضين اعجب التناقض بدون مبالاة الى درجة ان بعض كبار أثريائهم فى مصر والعراق قد اندمجوا فى الشيوعية وكانوا يمولون منظماتها •• واذا تنصل اليهود من البروتوكول فلن يسعهم ان يتنصلوا من التلمود ثم لن يسعهم من اسفار العهد القديم لانهم ملزمون بالاعتراف بهما وهما بين أيدى جميع الناس • وكل ما جاء فى بروتوكول حكماء صهيون من خطط ونيات رهيبة مدمرة ضد جميع الامم تتمثل فى الاسفار وفى التلمود معا •

(١) المصدر السابق ص ٥٧٦ - ٥٨٩

(٢) الكافى فى تاريخ مصر لشاروبيم ج ١ ص ٢٤٠-٢٧٥

حاول اكراه اليهود على التنصر وقتل كثيرين من المتعصبين وتشرد كثيرون •

ومما ذكره الدبس(١) أن الامبراطور يوليانوس ٣٦١–٣٦٣ب م بعدأن ارتد عن النصرانية (٢) رأى أن يغيظ النصارى فيجدد الهيكل لان هؤلاء كانوا يقولون بناء على التنبؤات انه سيبقى خرابا الى الابد ، واتصل باليهود بسبيل ذلك فابتهجوا وتسارعوا من كل فج الى أورشليم للعمل مع عمال الملك على تحقيق العزيمة ، ولكن الحرائق كانت تنشب مرة بعد مرة فتأتى على الاخشاب والمعدات وتهلك كثيرا من اليهود مما اعتبره النصارى معجزة ربانية ضد اليهود •

ومماذكره آدى شر(٣) أن اليهود فى بلاده كلده وآشور كانوا يبغضون المسيحيين أشد البغض وكانوا يحركون ملوك فارس عليهم ولا سيما بعد أن اعتنق قياصرة الروم النصرانية وجمعهم واياهم دين واحد وأن الاكاسرة كانوا يضطهدون النصارى اضطهادات شديدة نتيجة لهذا التحريض • وقد أورد المؤلف سلسلة من وقائع الاضطهاد الذي تعرض له نصارى العراق من الاكاسرة •

---

(١) الجزء الثانى المجلد الرابع من تاريخ سورية ص ٩٩.
(٢) بعض الباحثين يقولون ان لدسائس اليهود أثرا قويا فى ارتداد هذا القيصر وفى ما كان منه للنصارى من اضطهاد ومطاردة • انظر كتاب اسرائيل بنت بريطانية البكر لمحمد على الزغبى •
(٣) تاريخ كلدة وآشور ج ٢ ص ٨ و٢٨–٢٩ وما بعدها

ومما ذكره شاروبيم(١) أنه تنصر جماعات كبيرة من اليهود فى مصر وفلسطين فى زمن القيصر ارقاديوس ٣٩٥-٤٠٨ وطعنوا بالتوراة وقالوا بوقوع تحريف فيها . وأن اليهود فى الاسكندرية قاموا بمظاهرة دينية بمناسبة عيد الفصح فى عهد القيصر مرقانوس ٤٥٠-٤٥٧ وصلبوا جسما على مثال المسيح فثار عليهم النصارى واشتبكوا معهم وبعث القيصر جيشا خاصا فنكل بهم تنكيلا شديدا .

ومماذكره الدبس(٢) أن جوستنيان القيصر ٥٦٧-٦٢٧ ب م أصدر منشورا عام ٥٣٠ ب م أمر الوثنيين وأولى البدع فيه بالتنصر فرفض السامريون فى منطقة نابلس وثاروا وملكوا عليهم شخصا اسمه يوليانوس ووثبوا على مدينة بيسان فأحرقوا كنائسها واستحوذوا على نابلس وقتلوا كثيرين من أهلها مع أسقفها وكهنتها وخربوا القرى المجاورة لها فجمع قائد الجيش جنوده وزحف بهم على يوليانوس وجيشه فهزمهم وتعقبهم حتى قتل كثيرا منهم وقبض على يوليانوس نفسه وقطع رأسه وأرسله مع تاجه الى قيصر وكان عدد الذين قتلهم من السامريين عشرين ألفا . وقد عين القيصر واليا جديدا لانه شعر بتهاون الوالى القديم فتتبع هذا آثار السامريين فى الجبال وقتل كثيرين منهم .

ويظهر أن كل هذا لم يشف صدر النصارى فأرسل بطركهم

---

(١) الكافى ج ١

(٢) الجزء الثانى - المجلد الرابع تاريخ سورية ص ٤٤١

فى القدس الى القسطنطينية ناسكا شهيرا اسمه القديس سابا فطلب من القيصر بأن لا يسمح للسامريين بناء مجامع ولا نيل شئ من المناصب وأن يبنى الكنائس التى أحرقوها ، فأجابه القيصر الى سؤاله •

ومما ذكره المؤلف نفسه (١) أن اليهود فى انطاكية جاهروا بالعصيان فى عهد القيصر فوقا ٦٠٢-٦١١ ب م ووثبوا على المسيحيين وقتلوا بطركهم ودخلوا منازل بعض الاعيان فحرقوها وقتلوا أهلها فأخذت فوقا الحمية فأمر بتعميد اليهود ولو بالاكراه - تنصيرهم - وأرسل أحد عماله الى أورشليم حيث كان كثر عددهم فيها فجمع اليهود وأنذرهم فأبوا فعمدهم مكرهين فهاجوا وشغبوا واشتبكوا مع النصارى والجنود فى أورشليم واسكندرية وانطاكية بمعارك شديدة فبطش فوقا بهم قتلا وتشريدا •

وفى عهد القيصر هرقل ٦١١-٦٤١ ب م ثاروا فى صور وأرسلوا رسلا الى بنى ملتهم فى قبرص ودمشق وأورشليم يحرضونهم على الثورة بمناسبة غزو الفرس لبلاد الشام • ولقد استولى الفرس على هذه البلاد سنة ٦١٥ ب م وسبوا كثيرا من نصاراها فبادر اليهود الى شراء عدد كبير من السبى يتراوح عدده بين ٨٠ و٩٠ ألفا وذبحوهم على ماذكره الدبس(٢) حيث يتمثل

(١) المصدر السابق ص ٥٤١ - ٥٥٢
(٢) المصدر السابق نفسه

فى هذا الحادث عملية انتقامية بالغة القسوة والحقد لم يندر أمثالها فى تاريخهم .

وقد ذكر أدى شير زيادة على ذلك أنهم أشعلوا النار فى جميع كنائس النصارى فى أورشليم ومن جملتها كنيسة القيامة التى فيها قبر المسيح . فلما انتصر هرقل واسترد البلاد شكا النصارى اليه ما فعله اليهود فأوقع بهم وطرد من كان فى أورشليم منهم وحرم عليهم سكناها . وهذا ما يفسر لنا ما كان من شرط النصارى على الخليفة عمر بن الخطاب من عدم اسكان اليهود فى أورشليم حينما سلموه المدينة استمرارا على ما كان من خطر ذلك عليهم فأجابهم الخليفة الى طلبهم وسجله فى عهد الامان الذى كتبه لهم على ما ذكرته كتب التاريخ الاسلامى القديمة (١) .

- ٣ -

وما ذكره المؤرخون(٢) أنه كان فى تدمر جالية كبيرة من اليهود نزحت اليها بعد تدمير أورشليم فى أواخر القرن الميلادى الاول . ولقد لقيت هذه الجالية فى تدمر حرية وترحيبا وأثرت ثراء طائلا من جراء ابتسام الحظ لتدمر وغدوها مركز نشاط اقتصادى كبير

(١) تاريخ كلدة واشار ج ٢ ص ٢١٠ .
(٢) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ١٠٥ مثلا .

بعد سقوط دولة الانباط فى القرن الثانى • ومع ذلك فقد سجلت كتب التاريخ أن اليهود كانوا يجحدون فضل ملوك تدمر وخاصة نجمهم اللامع الزباء ويتمنون هلاكها ، وأن كثيرا منهم كانوا يحاربونها مع الفرس تارة ومن الرومان أخرى •

ولقد جلا جماعات كبيرة من بنى اسرائيل الى الحجاز فى نفس الظروف • واستقر فريق كبير منهم فى يثرب - المدينة المنورة - وفريق آخر فى القرى الواقعة فى طريق يثرب الشام مثل خيبر ووادى القرى وفدك وتيماء • واشتغلوا بالزراعة والتجارة والصناعة والربا وأثروا ونموا • وقد تعلموا العربية واشتركوا فى حياة العرب وتقاليدهم وصار لهم فيهم أنصار وحلفاء • وكانوا ينشرون عن أنفسهم علما واسعا فى الاديان والشرائع وأخبار الامم وسنن الكون والدين السماوى الذى يدينون به والكتب المقدسة التى بين أيديهم وكانوا يزهون بذلك على العرب ويستفتحون ويفخرون • وقد أثر كل هذا بالعرب تأثيرا غير يسير فكان لهم بسببه بينهم مكانة دينية واجتماعية وعلمية واقتصادية ممتازة وصاروا مرجعا فى مشاكلهم ومسائلهم ومعارفهم • ولقد روى الرواة العرب خبر غزو أبى جبلة ملك غسان أو تبع الاصغر ملك حمير ليثرب وتنكيله باليهود تنكيلا شديدا ذلوا من بعده • وذلك فى سياق خبر عجيب مفاده أنه كان فى يثرب ملك يهودى اسمه الفيطون وكان عاتيا فظا استن سنة

افتضاض عرائس الاوس والخزرج قبلّ عرسانهن فوثب عليه رجل من الاوس أو الخزرج اسمه مالك بن العجلان فقتله وفر الى ملك غسان فى رواية وملك حمير فى رواية مستنجدا محرضا فجاء الملك المستنجد به ونكل باليهود • والخبر عجيب منكر وقد وصفه بعض الباحثين بالخرافى(١) • ونحن نميل الى ذلك ولكنا لا نرى ما يمنع أن يكون بعض زعماء الاوس أو الخزرج قد ذهب الى أحد ملكى العرب فحرضه على اليهود لمناسبة من المناسبات • ولعلهم بطروا بعد أن نموا وأثروا وقووا • ولقد روت الروايات أن الملك عين مالك ابن عجلان نفسه حاكما أو ملكا على يثرب وأنه بدوره قتل عددا كبيرا من رؤساء اليهود وأشرافهم • وبرغم ذلك فان اليهود ظلوا محتفظين على ما يظهر بمركزهم الاقتصادى والاجتماعى والادبى فى يثرب استغلالا لما كان يقع بين الاوس والخزرج من نزاع وما كانوا عليه من ثروة وبراعة صناعية وتجارية وما كان فى أيديهم من سلاح وما كان لهم من حصون وآطام وما كانوا عليه من ثقافة دينية ومدنية لان القرآن ذكر بأسلوبه ما كانوا عليه من مركز فى كل ذلك حينما بعث النبى عليه السلام •

ولقد ذكرت الروايات العربة وأيدتها المدونات اليونانية والرومانية والحبشية القديمة أن ملكا من ملوك حمير اسمه تبان

---

(١) تاريخ اليهود فى بلاد العرب لاسرائيل ولنفسون ص ٥١ وما بعدها •

أسعد أبو كرب مر فى احدى غزاوته بيثرب فجاءه حبران من أحبار اليهود فأعجب بهما واتبع دينهما ، وأخذهما معه الى اليمن ودعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فأجابوه • وهكذا انتشرت اليهودية فى اليمن ، ويخمن أن ذلك كان فى القرن الخامس بعد الميلاد • ولقد كان المبشرون النصارى قد طرقوا اليمن أيضا عن طريق الحبشة بعد أن انتشرت النصرانية فيها بتأييد وتشجيع الامبراطور الرومانى قسطنطين الكبير فاستطاعوا هم الآخرون أن ينشروها فى ربوع اليمن • ويخمن أن ذلك كان فى القرن الرابع • فلما انتشرت اليهودية وغدت دين ملوك حمير أخذ رجال الديانتين يتنافسون ويتكايدون نتيجة للعداء الذى كان مشتدا بين اليهود والنصارى فى مختلف أنحاء بلاد الشام ومصر وقد كسب اليهود الجولة الاولى على النصارى فى أوائل القرن السادس فى عهد الملك الحميرى ذى نواس حيث اشتد اضطهادهم على يد هذا الملك حتى روى أنه أمر بحفر أخدود طويل وتأجيج النيران فيه والقاء الذين يصرون على نصرانيتهم ولا يعتنقون اليهودية • ولقد أشارت الى هذا الاضطهاد رسالة وجهها مارشمعون أسقف بيت أرشام الى رئيس دير جبلة وأورد نصها يوحنا الافسسى فى تاريخه الكنسى حيث وصف ما سمعه من شهود عيان من أهل اليمن من تعذيب نصارى نجران سنة ٥٢٤ ب م وحيث قال ان ملك حمير وجه الى ملك الحيرة رسولا يحرضه على أن يفعل فى نصارى بلاده ما فعله هو فى نصارى نجران •

وقد جر هذا الاضطهاد على اليمن غزو الاحباش الذين اتخذوه ذريعة انتصارا لبنى دينهم فى الثلث الاول من القرن السادس قبل الميلاد ومحرضين أو مؤيدين من قبل الروم ، فتمكنوا من نسف الدولة الحميرية وبسط سلطانهم على بلادها نحو سبعين سنة ، وخلال ذلك كال النصارى لليهود بكيلهم حتى أفنوهم أو كادوا ..

- ٤ -

ولما بعث النبى محمد عليه السلام وقفوا من رسالته وهو فى مكة موقف التأييد والتصديق(١) . لانهم رأوه يشيد بهم ويصدق بتوراتهم ويحترم أنبياءهم ويستشهد بهم(٢) ، مؤملين على مايبدو أن يقوى به من مركزهم بين العرب. ولكنهم لم يلبثوا أن بدلوا موقفهم حينما هاجر الى يثرب ورأوا العرب فيها ينصرفون عنهم اليه ويلتفون حوله ، ويغدو قائدهم ومرشدهم وقاضيهم ، ثم رأوا أنه يدعوهم لينضووا اليه خلافا لما أملوه من انضوائه اليهم لكونهم

---

(١) اقرأ مثلا آيات سورة الاحقاف ١٠ والاعراف ١٥٧ والرعد ٣٦ والاسراء ١٥٧ والقصص ٥٢

(٢) اقرأ مثلا آيات سورة الانعام ١٠ و١١٤ والرعد ٤٣ .

أصحاب الهدى الاول • وبالتالى حينما رأوا فى حركته ونجاحه خطرا على مركزهم وكيانهم • فأخذوا يناوئونه بمختلف الاساليب من تحد وتعجيز ودس وتحريض وتشكيك وخداع وتآمر مع مرضى القلوب الذين عرفوا بالمنافقين والذين صاروا لهم شياطين وألفوا معهم جبهة واحدة ضده • ولم يبقوا فى حدود الجـدل والمراء والدس بل تجاوزوه الى التآمر مع أعداء المسلمين والتهديد بالقوة واستعمالها ، مما جعل النبى ييئس منهم وينكل بهم فريقا بعدفريق فيجلى من رأى جلاءه كافيا ويقتل ويسبى من رأى قتله وسبيه واجبا ويصادر أملاكهم وسلاحهم ، ويخضد بذلك شـوكتهم ، وكانت وصيته الاخيرة اخراجهم بالمرة من الحجاز فنفذ الخليفـة عمر بن الخطاب الوصية وطهر البلاد المقدسة منهم نهائيا (١) •

ولقد احتوى القرآن الكريم فصولا عديدة أشار فيها الى معظـم ما ذكرناه ، ووصفت فيها بالاضافة الى ذلك أخلاقهم مع ربطها بين أخلاقه وأخلاق آبائهم من قبل ربطا محكما ونعتها جميعهم بنعت بنى اسرائيل حيث نعتهم بالكفر والجحود والحجاج واللجاج والانانيـة وقسوة القلب والزهو والتبجح والترفع عن الغير واعتبارهم أنفسهم فوق الناس وعدم الاندماج الصادق والولاء الثابت مع أحد والتضليل

---

(١) هذه النبذة مقتبسة من رسالة القرآن واليهود وكتابى عصر النبى وبيئته قبل البعثة وسيرة الرسول للمؤلف ومن تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على ج ٣ ص ١٧٢ وما بعدها ، وج ٤ ص ١٧٨ وما بعدها •

والدس والتدليس والتآمر والشره الشديد الى ما في أيدي الغير والحسد الشديد لهم ولو تمتعوا أنفسهم بأوفر النعم ومحاولة الاستيلاء على كل شيء والتأثير في كل أحد واللعب على كل حبل وفوق كل مسرح واستحلالهم لما في أيدي الغير وعدم اعتبارهم أنفسهم مسؤولين عن شيء أمامه وضنهم بأي شيء عن الغير اذا ملكوا وقدروا وعدم مبادلتهم الغير في ود وبر وولاء ومحبة ، واندماجهم في كل موقف مهما دنؤ وفجر وكان فيه كفر وفسق وخيانة وغدر وبغي في سبيل النكاية بمن يناوئونه، ونقضهم لمبادىء دينهم في سبيل مكايدته وتحطيمه ، وعدم تقيدهم بأي عهد ووعد وميثاق وحق وعدل وواجب وأمانة . وتشجيعهم لكل حاقد وحاسد وفاسد ودساس ومتآمر في سبيل التهديم وشفاء لداء الحسد والحقد المتأصل فيهم . وجبنهم وهلعهم عند أي شدة وتجاه أي صعوبة وجحودهم لاى فضل ونعمة من الله أو الغير وتذمرهم من الله لأتفه المصاعب وكذبهم عليه وتحريفهم أوامره ووصاياه ونقضها والانحراف عنها مما كان ديدنهم وجبلتهم في مختلف حقبهم التاريخية ومما نعتتهم به وقررته عليهم أسفارهم وأنبياؤهم مما تقدم عليه الامثلة التي لا تكاد تحصى(١) .

---

(١) اقرأ آيات سورة البقرة ٤٠-١٤١ وسورة آل عمران ٦٥-١٢١ و١٨٠-١٨٩ والنساء ٤٤-٥٧ و١٥٠-١٦٢ والمائدة ٤١-٧١ والاعراف ١٦١-١٧١ والانفال ٥٥-٦١ والاحزاب ٢٦-٢٧ ومحمد ٢٦ والحشر ٢-٦ و١١-١٧ والصف ٥ والجمعة ٥-٨

ومن العجيب المعجز أن المرء ليراهم فى أخلاقهم اليوم على اختلاف منازلهم وبيئاتهم صورة طبق الاصل لما وصفهم به القرآن والاسفار قبله من صفات وأخلاق ، لم تزدهم الايام فيها الا رسوخا مما هو مصداق ما قرره القرآن من الجبلة الراسخة المتوارثة من الآباء للابناء ومما لمسها فيهم البشر جميعا فى كل زمان ومكان منذ انهدام كيانهم نهائيا فى أورشليم فى القرن الاول والثانى بعد الميلاد وتشتتهم فى كل قطر فلا تراهم الا والعيون مزورة منهم والسخط ثائر عليهم والنفوس متبرمة بهم والناس مستثقلون ظلهم والحذر رائد الجميع منهم وشرهم ومكرهم بالغ الاثر فيهم والجميع راغب فى التخلص منهم بأى وسيلة . وكفى باجماع البشر على اختلاف الزمان والمكان والاجناس قوة ودليلا على تأصل الجبلة الفاسدة التى يصدرون عنها فى أعمالهم وتصرفاتهم .

- ٥ -

ونختم كلامنا وكتابنا باستطراد مهم الى الحركة اليهودية القومية الحديثة المسماة بالصهيونية . فالصهيونيون يزعمون أن اليهود المعاصرين هم أنسال بنى اسرائيل القدماء ويحاولون أن يربطوا بين حركتهم وتاريخ بنى اسرائيل فى فلسطين ، ثم يغلون غلوا كبيرا

فى هذا التاريخ ويملأونه بالمفاخر والامجاد السياسية والعسكرية والعمرانية والثقافية • ويجعلون ذلك مستمدا لحركتهم ومبررا لما يهدفون اليه من اقامة دولة يهودية فى فلسطين وما جاورها على اعتبار أنهم أنسال بنى اسرائيل وأنهم يعودون الى هذه البقاع التى كانت مواطن آبائهم والتى كان لهم فيها تلك الامجاد والمفاخر •

وكل هذا لا يستند الى أى سند ومنطق وتاريخ صادق • فالمتأمل فى الفصول السابقة المستقاة من كتب اليهود القديمة التى لها عندهم القداسة والمتأمل فى هذه الكتب نفسها يستبين بوضوح وجزم صحة جميع ما نبهنا عليه فى مقدمة الكتاب •

أما دعوى الصهيونيين بصلة اليهود المعاصرين ببنى اسرائيل القدماء من حيث الجنس فهى دعوى زائفة علميا وتاريخيا من حيث أساسها • لان معظم الفئة القليلة المستضعفة منهم التى بقيت فى فلسطين بعد ضربة الرومان القاصمة فى القرنين الاول والثانى بعد الميلاد واعتنقوا المسيحيةواندمجوا فى السكانالآخرين ثم اندمجوا فى الاسلام والعروبة التى كانت طابع الاسلام • ومعظم الذين تشتتوا فى أنحاء سورية ومصر وشمال أفريقية واستطاعوا أن ينجوا من المذابح فى عهد الرومان اعتنقوا الاسلام كذلك واندمجوا فى الاسلام والعروبة • والذين بقوا على يهوديتهم بين الاقوام الاخرى فى آسيا وأفريقية وأوروبا اختلطت دماؤهم بدماء هذه الاقوام •

ولم يعد فى الامكان علميا التسليم بأن الدم االذى يجرى فيهم هو دم اسرائيلى أو دم اسرائيلى فقط . وهذا فضلا عن أنه من الثـــابت أن كتلا كبيرة من أصل آرى فى آسيا وأوروبا اتخذت اليهودية دينا . منهم من فعل ذلك قبل الميلاد المسيحى ومنهم من فعله بعـــده فى مختلف الحقب(١) بحيث يصح أن يقال ان أكثر اليهـــود هم من أنسال هذه الكتل ، وان الدم الاسرائيـــــلى العربى الذى كان فى الجدود الاولين قد باد أو كاد . وان قصارى ما فى الامر أن الدين اليهودى هو الطابع المخصص للكتل التى تدين بهـــذا الدين والتى تمت بدمائها الى مختلف الاجناس شأن الاديان الاخرى التى يجتمع فيها كتل مختلفة الاصول والاجناس ، وان أسفار العهد القديم التى

---

(١) ذكرنا فى مناسبة سابقة اعتناق الشعوب التى ارسلها اسرحدون فلسطين من بلاد العراق للموسوية واعتناق كثير من سكان العراق لليهودية واندمـــاج بعض هؤلاء فى بنى اسرائيل . وقدوم بعضهم معهم الى فلسطين حين العودة من بابـــل (انظر ما اقتبسناه من سفر استير وعزرا) ولقد ذكرت الموسوعة اليهودية فى مجلدها السادس خبر اعتناق قبائل الخزر للدين اليهودى وانتشارها بعد ذلك فى انحـــاء روسية وهجرتها منها الى اوروبا الوسطى فى مختلف الظروف .

ولا شك فى ان اعتناق اليهودية بعد تشرد اليهود من جماعات ارية ليس قاصرا على الخزر وكل ما فى الامر ان الخزر اكبر الكتل المتهودة . وهم الذين يطلق عليهم اسم طوائف الاستكناز . ولقد ذكر البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان ص ٢٠٨ نص كتاب امان كتبه القائد العربى حبيب بن مسلمة لاهل وسيل فى بلاد الارمن والخزر حينما استولى عليها جاء فيه انه اعطى الامان لاهل وسيل نصاراها ومجوسهـــا ويهودها اى انه كان فى مناطق ارمينية والخزر يهود حين كتابة الكتاب فى عهد عثمان ابن عفان ٢٥ــ٣٥ هـ .

والمتبادر ان اليهود لم يكونوا فى مدينة واحدة فقط ، وان من المحتمـــل ان يكون يهود الخزر اثرا من اثار نشاط اليهود او الاحتكاك بهم منذ الف وثلاثمائة ســـنة .

ظل اليهود يتدارسونها مع التلمود ويعتبرونها مرجعهـــــم الدينى والتشريعى والتاريخى ظلت تؤثر فيهم وتطبعهم بطابع الجبلة الشاذة التى تميز بها بنو اسرائيل •

وليس من شأن هذا وحده ولم يكن من شـــأنه فى وقت من الاوقات أن يسبغ على هؤلاء صفة قومية متميزة • ولا سيما انهـــم مختلفو اللغات أيضا مع اختلاف أصولهم وأجناسهم • ومحاولة احياء اللغة العبرانية القديمة التى حفظتها الكتب والاسفار الدينيـــة وظلت فى نطاقها وحسب هى عملية اصطناعية ومتصـــلة بفكرة النزوع الى احياء قومية لها لغة خاصة مما أوحت به حالة اليهود الاجتماعيـــة والسياسية حيث رأى بعض رجالهم فى القرن الفائت ألا خلاص لبنى ملتهم من تلك الحالة الا بايجاد مكان يجتمعون فيه ويحيـــون كأمة • فتفتقت فى ذهنهم فكرة العودة الى فلسطين واحياء اللغـــة العبرانية لتكون لغة العائدين لانهم رأوا فى تاريخ اليهود القـــديم ما يمكن أن يكون سندا لفكرتهم وباعثا على اعتناقها من قبل اليهـــود فكانت الحركة الصهيونية التى اقتبس اسمها من أحد تلال مدينـــة القدس عاصمة سليمان وداود وملوك دولة يهوذا من ذريتهم ، ومكان هيكلهم البائد ، والتى ترمى الى حشد اليهود فى فلسطين واقامـــة دولة وكيان قومى لهم فيها بقوة الدافع الدينى والذكريات التاريخية مهما كان فى ذلك من بعد عن الحقائق ومناقضة للعلم والتـــاريخ

والمنطق السليم، من حيث ان اليهود اليوم ليسوا جماعة قومية تتكلم لغة واحدة وتمت الى بنى اسرائيل القدماء بأسباب صحيحة، وانهم ليسوا الا جماعات تدين باليهودية وتضم مختلف الاجناس والالوان واللغات ، ومن حيث انفقاد أى صلة بين اليهود اليوم وبين فلسطين من الوجهة القومية ، ومرور ألفى عام على خروج بنى اسرائيل منها واشغالها سكانا وسلطانا من قبل العرب الصرحاء منذ ألف وثلاثمائة سنة ، ومن قبل انسال السكان القدماء والرومان واليونان قبل ذلك بسبعمائة سنة .

وبقاء اليهود فى كل مكان وجدوا فيه كتلا منطوية على نفسها فى مساكنها ومعايشها وأخلاقها وعاداتها معرضة للاحقاد والاضطهاد والاحتقار وخاصة فى القرن السابق وما قبله ليس من شأنه أن يعضد صحة القومية المتميزة التى يريد الصهيونيون نسبة أنفسهم اليها ، وانما هو متصل بوجودهم بين الكثرة الدينية الاخرى التى يقوم العداء الدينى والاجتماعى والاقتصادى بينها وبينهم ونتيجة من نتائجه ومظهرا من مظاهر حياة الاقلية الدينية والمذهبية وسط الكثرة الدينية والمذهبية الاخرى وما تفرضه هذه الحياة وامتدادها فى القرون الوسطى ..

وحتى لو صحت نسبة بعضهم الى بنى اسرائيل العبرانيين القدماء الذين هم من الارومات العربية غير الصريحة فليس هذا

مخولا لهم أى حق ولا مبررا لهم أى دعوى . فقد شذوا عن العروبة ، وغدوا وصمة عار فى جبينها بل فى جبين الانسانية بما سجلوه فى أسفارهم ، وبما طبقوه فعلا حينما طرأوا على شرق الاردن وفلسطين قبل ثلاثة آلاف عام من خطط رهيبة مدمرة ينكرها أى معنى من معانى العدل والمنطق والانسانية والخلق والشرف وبما سجلوه لانفسهم فى تلك الاسفار وطبقوه من مميزات لا تتفق مع ربوبية الله عز وجل لجميع العالمين ولا مع حكمته وعدله . وبما اقترفوه من انحرافات خطيرة دينية وخلقية فاقوا بها جميع الامم ثم بما كان منهم فى فلسطين فى أيامنا هذه فى حق العرب من أفعال غاية فى الظلم والقسوة والبربرية متسقة مع ما كان منهم قبل ثلاثة آلاف عام فى حق العرب غير الصرحاء فى شرق الاردن وفلسطين فربطوا حاضر اخلاقهم وسيرتهم بغابرها ربطا محكما .

على أن الهدف الصهيونى لم يتحقق فى معناه ومداه القومى والدينى والتاريخى برغم ما بذله الصهيونيون منذ ثمانين سنة الى اليوم من جهود جبارة ودعاية قوية عجيبة وحبكوه من مؤامرات واسعة وتوسلوا اليه من وسائل متنوعة ، وحتى برغم ما وصلوا اليه من نتائج ايجابية قد تبدو عظيمة وهى التى تتمثل فى حشد عدد كبير من اليهود فى القسم الذى ساعدهم طواغيت الاستعمار الانكليزى

والاميركى على اغتصابه من فلسطين ، وفيما أنشأوه من منشآت ومشاريع زراعية وصناعية وتجارية وثقافية وعمرانية ، بفضل ما حصلوا من مساعدات هائلة ، وفيما حصلوا عليه كذلك من اعترافات دولية بكيانهم ووجودهم •

فاليهود الذين حشدوا الى الآن فى فلسطين لا يمثلون أكثر من ١٢ فى المائة من مجموع يهود العالم • وتسعون فى المائة من المحشودين لم يأتوا بدافع صهيونى أى بدافع قومى ودينى وتاريخى وطنية خاطر وانما أتوا بدافع الفقر والبطالة والخوف من الاضطهاد والاغراء بالحياة الآمنة الرضية • ولم يأتى من اليهود الذين هم فى حالة مدية حسنة وطمأنينة وأمن ممن يعيشون فى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية والجنوبية الا يقل جدا برغم ما يبذل من جهد ودعايات واغراءات وخداع وما يرسل من آن لآخر من هتافات مريرة • لان ذلك الهدف غير متسق مع طبائع الاشياء وبراهن التاريخ والوقائع فى شىء •

وكل الدلائل تدل على أن الحركة الصهيونية الآن فى حالة جمود أو تراجع من ناحية هدفها القومى والدينى والتاريخى والتأثر به • لانه هدف لا يسنده شىء من الحق والمنطق وحقائق التاريخ والاجتماع بل ويتناقض مع كل ذلك • واذا كانت هذه الحركة

مستمرة مع ذلك على عملها ودعاياتها واغراءاتها فان مرد ذلك الى كونها قد غدت منظمة موظفين تضم عشرات الالوف الذين يرتزقون منها فى فلسطين وسائر أنحاء العالم وتحملهم حاجتهم الى الارتزاق منها - ومنهم من يحصل على رزق عظيم يشبه رزق الملوك - على الاستمرار على حركتهم لانها تقوم فيما تقوم عليه على جباية الاعانات والمساعدات التى صارت أرقامها بعد قيام دولتهم لمسح مئات الملايين ، ثم الى الدول الاستعمارية التى رأت وما تزال ترى فى هذه الحركة وسيلة الى تحقيق مآربها فى الشرق العربى فتغدق عليها المساعدات وتؤيدها بمختلف الوسائل والمواقف • بل ان المأرب الاستعمارى يأتى لعامل الاقوى فى استمرار الحركة لانه هو الذى يسمح للمنظمة الصهيونية بالقيام بنشاطها العظيم المختلف الاشكال والحصول على نتائج عجيبة منه قد يكون من جملتها تأثير رجال المنظمة الشديد بالرشوة والاغراء على مختلف وسائل وأجهزة الدولة ورجالها البارزين واخفات الاصوات المناوئة ونشاط الشخصيات والهيئات المعادية اليهودية وغير اليهودية بالترغيب والترهيب •

ولا ريب فى أن طبيعة اليهودى الماكرة المحتالة الشرهة الدساسة الحاقدة المبيتة لكل شر ورغبة تدمير وتحطيم ضد غير اليهود والتى تكونت فى اليهود خلال الاجيال الطويلة ونتيجة للحياة التى

عاشوها والتلقينات التى تلقوها من أسفارهم وتلمودهم من جملـــة ما ينبغى أن يذكر من الاسباب أيضا •

وقد تنجح هذه الحركة فى ظل الدولة المسخ التى أقامتها فى فلسطين وفى ظل طواغيت الاستعمار الذين كان لهم الفضل الاقوى فى قيامها وحياتها فى تنشئة جيل يهودى مؤمن بالقومية اليهـــودية والامجاد اليهودية والصلات بين يهود اليوم ويهود الدهر الغابر دما وتاريخا على ما فى ذلك من زيف خداع ، ثم فى احياء اللغة العبرانية القديمة وجعلها لغة قومية عامة فى فلسطين • غير أن هذا لن يزيل الجمود الذى ألم بها •

ومن شأن ضيق رقعة الدولة اليهودية المصطنعة وضعف امكانياتها الذاتية ، وتوقف حياتها كلية على المساعدات والصدقات الخارجية ، واحداق العرب الذين يعدون تسعين مليونا والذين يقوون يوما بعد يوم اقتصاديا وعسكريا وثقافيا ووعيا أشد احداق، وحصارهم لها أقوى حصار ، وشعورهم بخطرها على كيانهم وبلادهم أعمق شعور ، ومشاركة المسلمين لهم وهم يعدون اربعمائة مليون فى كل ذلك أن يساعد على استمرار ذلك الجمود ثم على خنق الدولة المسخ وانهيارها أو سحقها عاجلا أو آجلا •

ومن الجدير بالذكر أن فى أوروبا وأمريكا كثيرا من اليهـــود

لا ينضوون الى الحركة الصهيونية لانهم يرونها غير صحيحة الاساس ولا منطقية الاهداف ، ويرونها فضلا عن ذلك ضارة بمصلحة اليهود فى الدول الاخرى وهم أكثرية اليهود الساحقة أشد ضرر ومنهم من يناوئها • ومن شأن هذا أن يساعد على استمرار ذلك الجمود •

وتمنى الحركة الصهيونية نفسها بمصالحة العرب وترى ذلك منفذها ومنقذها الاوحد• ولكن العرب الذين يرون ذلك من ناحيتهم مصدر الخطر الاعظم على كيانهم وجميع بلادهم عاجلا وآجلا فضلا عما يشعرون به من شديد الحقد والجرح القومى الشديد والعار الذى لحق بهم من نجاح قيام دولة المسخ لاسباب متنوعة داخلية وخارجية يعتبرون ذلك خيانة عظمى ، ولن يجرؤ أحد منهم أن ينبس به فضلا عن عجزه على السير فيه وتحقيقه •

ولقد تغيرت والحمد لله حال العرب بعد وحدة سورية ومصر المباركة ، وقيام الجمهورية العربية المتحدة ، وغدوها أعظم وأقوى دولة فى الشرق الاوسط ، ومناط أمل العرب وعدتهم فى استرداد وطنهم السليب بقيادة البطل العربى الملهم جمال عبد الناصر •

ومهما ظل طواغيت الاستعمار وحماة هذه الجرثومة الخبيثة البغاة يمدونها بأسباب البقاء من المساعدات المادية والتأييدات السياسية فلن يدوم هذا إلى الابد وسيأتى يوم لا بد لهم فيه من الاختيارين

العرب واليهود وستملى مصلحتهم فى النهاية اختيار العرب مهما ماروا وكابروا . ولئن اعتزوا بقوتهم فالله أقوى منهم وقد دمر وأرغم من هم أعظم وأشد . وان لنا فى قول الله عز وجل فى موقف مماثل أعظم الامل والايمان :

« هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب(١) من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار » .

« سورة الحشر »

تم

---

(١) يعنى اليهود لانها نزلت فى ظروف التنكيل بهم واجلائهم .

مطابع شركة الاعلانات الشرقية